التجربة الشعرية

بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي

تأليف

ماهر بن مهل الرحيلي

مكتبة كنوز المعرفة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م

دار كنوز المعرفة

ص.ب ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧ - المملكة العربية السعودية
هاتف : ٦٥١٤٢٢٢/٦٥٧٠٦٢٨/٦٥٧٠٧٢٢/٦٥١٠٤٢١
فاكس: ٦٥١٦٥٩٣ - مستودع: ٦٢٩٤٠٥٥/٦٢٩٤٠٠٧

الإهـــداء

إلى والديّ الكريمين ...

وإلى زوجتي العزيزة التي آزرتني في جميع مراحل هذا البحث ...

وأبنائي الأحباء سلطان، ولينة، ويزيد ...

أهدي هذا العمل مع حبي الوافر ...

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمد الشاكرين، وأُثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلّم على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا ونبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد:

فقد انفرد الأدب العربي السعودي بطابعٍ مميّز، فرضته عليه البيئة المحيطة به، ولكنه لم يبقَ معزولاً عن آداب الأقاليم العربية الأخرى. خاصةً مصر التي كان لها الدورُ الأعظمُ في بعث الشعرِ على يد محمود سامي البارودي ثم نهضتِه الواثبةِ بفضل الله ـ عزوجل ـ ثم شوقي وشعراء جيله.

والموازنة بين الشعراء هي التي تجلّي مواطن التأثير والتأثر، وتبيّن مظاهر التوافق والاختلاف، والتساوي والتمايز، بين شاعرين أوأكثر، من قطرٍ واحد، أو أقطار مختلفة، في عصرٍ واحد، أو أعصرٍ متعددة.

والتأليف في الموازنة بابٌ واسعٌ وقديمٌ من أبواب الدرس الأدبي. عرض له كثيرٌ من النقاد في ثنايا مؤلفاتهم، وأفرده بعضهم بالتأليف على نحو مافعل الآمديُّ في كتابه الشهير «الموازنة بين الطائيين» و د/طه حسين في كتابه «شوقي وحافظ» ود/زكي مبارك في كتابه «الموازنة بين الشعراء».

ومن هنا نشأت لديّ فكرةُ الموازنة بين شاعرين أحدهما مصريّ متقدّم زمناً، والآخر سعودي. لأقف من خلال هذه الموازنة على جانبٍ

من مدى تأثير الشعر العربي الحديث في مصر على مسيرة الشعر السعودي وروّاده.

وبعد أن استخرتُ الله ـ عزوجلّ ـ اهتديتُ إلى أن الشاعرين أحمد شوقي المُتوفى سنة ١٣٥١هـ، وأحمد إبراهيم الغزاوي المُتوفى سنة ١٤٠١هـ يتشابهان في عدة أمورٍ، زادت ـ في رأيي ـ من وجاهة الموازنة بينهما. هذه الأمور تتلخّص في التالي:

أولاً: أن الشاعرين يتشابهان في المذهب الفني، وهو مذهب المحافظين.

ثانياً: أنهما يتشابهان في المكانة الأدبية بين شعراء هذا المذهب في كلٍ من مصر والمملكة العربية السعودية.

ثالثاً: أن الغزاوي تأثّر بشوقي، وقد ظهر ذلك لي من خلال تشابه الأسلوب بينهما، و تضمين الغزاوي لأبياتٍ عديدة من شعر شوقي.

رابعاً: أنهما يتشابهان في ظروف حياتهما، والبيئة المحيطة بهما. فشوقي كان شاعر العزيز «الخديو» والغزاوي كان شاعر الملوك حتى لقّبه الملك عبدالعزيز بـ «حسان صاحب الجلالة». وقد كفل هذا القرب من الملوك لكلٍ من الشاعرين رغداً في حياتهما، وشهرةً وذيوعاً لشعرهما.

ولأنني أردت للموازنة أن تكون شاملةً لجوانب الشعر كلِها، اخترت للدراسة عنواناً هو: **التجربة الشعرية بين أحمد شوقي وأحمد الغزاوي**.

ولقد اقتضت خطةُ الدراسة أن يقوم البحثُ على ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد وتليها خاتمة هذا بيانها وبيان ما اشتملتْ عليه:

التمهيد ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شوقي، حياته وعصره.

المبحث الثاني: الغزاوي حياته وعصره.

المبحث الثالث: مفهوم التجربة الشعرية.

الباب الأول: بواعث التجربة الشعرية وأنواعها بين الشاعرين. ويشمل فصلين:

الفصل الأول: بواعث التجربة الشعرية وأنواعها عند شوقي.

الفصل الثاني: بواعث التجربة الشعرية وأنواعها عند الغزاوي.

الباب الثاني: مضمون التجربة الشعرية بين الشاعرين. ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: العاطفة.

الفصل الثاني: المعاني والأفكار.

الفصل الثالث: وحدة القصيدة.

الباب الثالث: وسائل التعبير والتصوير بين الشاعرين. ويشمل ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الألفاظ والأساليب.

الفصل الثاني: الخيال.

الفصل الثالث: إيقاع الشعر.

الخاتمة. وتتضمّن أهم نتائج البحث.

الفهارس التي يقتضيها البحث.

ولقد أفدتُ في إعداد هذا البحث من عددٍ كبير من الكتب والدراسات. وكانت الموسوعةُ الشوقيةُ بجمع وترتيب محمد الإبياري، والأعمالُ الشعريةُ الكاملةُ للغزاوي بجمع وترتيب عبدالمقصود محمد سعيد خوجة المصدرين اللذيْن اعتمدتُ عليهما في شعر الشاعرين،

لأنهما أوفى الطبعات وأتمّها. الأمر الذي مكّنني من الاطّلاع على نتاج الشاعرين كاملاً.

ولقد حظِي شعر شوقي بعناية كبيرة من النقّاد والدارسين، واختُصّ بعدد وفير من الرسائل الجامعية، اطّلعتُ على إحدى عشرة منها في الجامعات المصرية، أهمّها: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء لمحمد عبدالرحيم سمان، والدراسات النقدية حول شوقي لعبدالناصر محمد السعيد وغيرُهما. أمّا الغزاوي فالمصادر في دراسة شعره قليلة جداً، أهمها: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية للدكتور مسعد العطوي، إضافةً إلى كتب تأريخ الأدب السعودي كالأدب الحجازي الحديث بين التجديد والتقليد للدكتور إبراهيم الفوزان وغيرِه من الدراسات العامّة التي لاتختصّ بالشاعر وحده.

وقد كان منهجي في هذه الدراسة منهجاً نقدياً تحليلياً. والتزمتُ فيه بتوثيق المادة العلمية، والترجمةِ لأكثر الأعلام، وتفسيرِ غريب الألفاظ، والإكثارِ من الشواهدِ الشعريةِ الدالّةِ على القضايا والظواهرِ المختلفةِ عند الشاعرين، مع الحرصِ على عدمِ تكرارها، ما أمكنني ذلك.

هذا عملي في هذا البحث، الذي أردتُ أن أُسهِمَ به في إثراءِ المكتبة العربية باذلاً أقصى جهدي وطاقتي، راجياً من الله ـ عز وجل ـ التوفيق والسداد. فإن أحسنتُ فمن الله، وإن قصّرتُ فمن نفسي والشيطان.

واعترافاً بالفضل لأهله فإني أتقدّم بالشكر الجزيل إلى والديّ الكريمين اللذيْن كان لهما أكبرُ الأثر في رعايتي وتوجيهي ونُصحي، أسألُ الله أن يُثيبَهما ويمدّ في عمرهما، ويعينَني ـ دوماً ـ على برِّهما.

كما لايفوتني أن أشكر أستاذي فضيلة أ.د.حسن أحمد عبدالحميد عبدالسلام، فقد وسعني بكرمِه وصبره، وكان قدوةً لي في العِلم والسلوك، راجياً من الله ـ عز وجل ـ أن يطيلَ في عمره وهو بتمام الصحة والعافية، وينفعَ به أمته و يجزيَه عني خيرَ الجزاء.

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

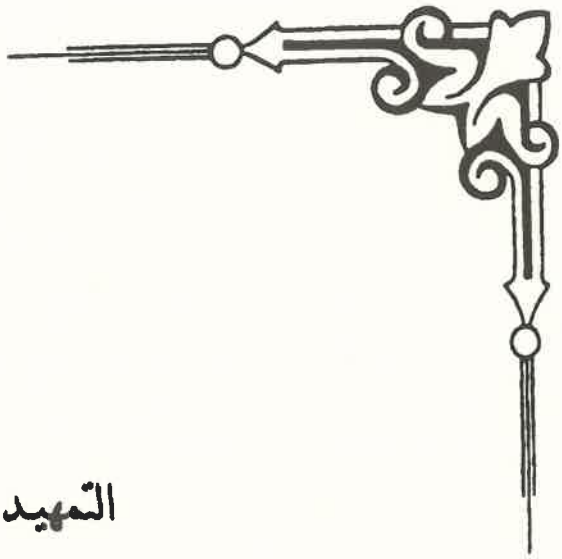

التمهيد

المبحث الأول : شوقي، حياتـه وعصـره.

المبحث الثاني : الغزاوي، حياته وعصره.

المبحث الثالث : مفهوم التجربة الشعريـة.

المبحث الأول
شوقي، حياته وعصره

إن الحديث عن التجربة الشعرية لدى شاعر معين ومحاولة التعرف على خصائصها وجوانبها لديه، يستلزم منا معرفة المؤثرات الخاصة والعامة التي تعرض لها صاحب التجربة. وبما أن صاحب التجربة هنا هو أحمد شوقي، فمن المناسب أن أتحدث عن أهم جوانب حياته وعصره.

أولا : حياة شوقي

مولده ونسبه :

ولد أحمد شوقي بك بن علي بن أحمد شوقي بالقاهرة سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م في عهد الخديو إسماعيل باشا. وكان جده من جهة أبيه كردياً قد قدم إلى مصر في عهد محمد علي باشا. يقول عنه حفيده أحمد شوقي «وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه، يحسن كتابة العربية والتركية خطا وإنشاء، فأدخله الوالي في معيته، ثم تداولت الأيام، وتعاقب الولاة الفخام، وهو يتقلد المراتب العالية، ويتقلب في المناصب السامية»[1].

وقد تكفلت جدته لأمه برعايته، فاحتضنته واهتمت به اهتماما جعله يكن لها محبة ليست باليسيرة، ويظهر هذا جليا في قصيدته التي رثاها بها بعد موتها. وجدته هذه كانت إحدى وصيفات القصر الخديوي في عهد إسماعيل. واستطاعت أن تدخله إلى البيت الخديوي وهو في الثالثة من عمره.

---

(١) الموسوعة الشوقية: جمع وترتيب إبراهيم الابياري، ٦/ ٢٥٠، دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن نسبه تتداخل فيه أصول وأجناس مختلفة من جهة أجداده لأبيه وأمه .لذلك فهو يقول عن نفسه بعد أن تحدث عن أجداده : «أنا إذاً عربي، تركي، يوناني، جركسي»[1]. وهذا التمازج دعا بعض الدارسين إلى أن يعدوه من عوامل تكوين شاعريته[2].

تعليمه :

التحق أحمد بكتّاب الشيخ صالح، وهو أحد الكتاتيب في ذلك الوقت. وكان حينذاك في الرابعة من عمره.ويبدو أنه لم يكن مسرورا بالتحاقه بهذا الكتاب[3]. يلوح هذا الاستنتاج واضحا من خلال كلامه حين ذكر أمر التحاقه فقال: «دخلت في مكتب الشيخ صالح وأنا في الرابعة، وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم»[4].

أتم مدته التعليمية المقررة في الكتاب، وانتقل بعد ذاك للدراسة الابتدائية و الثانوية، وكان متفوقا في كلتيهما. ولما أتم دراسته في التجهيزية الخديوية أشار عليه أبوه بدراسة القوانين والشرائع. فالتحق بمدرسة الحقوق سنة ١٨٨٥م بعد وساطة وكيل المدرسة له عند الناظر. لكونه يراه غير مؤهل للالتحاق لصغر سنه.

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٦/٢٥١.

(٢) انظر: الأدب العربي المعاصر في مصر: د/شوقي ضيف، ١١٤، دار المعارف، مصر،ط١١، بدون تاريخ. وقصة الأدب في مصر: د/محمد عبدالمنعم خفاجي، ٥/١٦٣، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣) انظر: حياة شوقي: أحمد محفوظ، ٨، مطبعة مصر.

(٤) الموسوعة الشوقية: ٦/٢٥١.

واستمر في دراسته لمدة سنتين ثم التحق بقسم الترجمة في المدرسة نفسها وتخرج فيه بعد سنتين وحصل على الشهادة النهائية في فن الترجمة من نظارة المعارف سنة ١٨٨٩م[١].

ابتُعث شوقي بعد تخرجه في مدرسة الحقوق إلى فرنسا برغبة من الخديو توفيق وعلى نفقته، وذلك لدراسة الحقوق والآداب الفرنسية. فدرس عامين في مونبليه وعامين في باريس، حصل في نهايتها على الإجازة النهائية في الحقوق.

إذاً فقد تهيأت له فرص تعليمية كفيلة جداً بأن تساعده على التحصيل والتنمية الفكرية. ولاسيما رحلته العلمية إلى باريس. حيث استطاع - بمستواه اللغوي الجيد - أن يطلع على الأعمال الأدبية لكبار الأدباء هناك مثل: لافونتين، وفيكتور هوجو، ودي موسيه، ولامرتين. وقد كان مهتما قبل هذا كله بالاطلاع والقراءة خاصة في الأدب. فأكب على دواوين الشعراء يحفظ ويحلل ويعارض، خصوصا دواوين أبي نواس[٢] وأبي تمام[٣] والبحتري[٤] والمتنبي[٥].

---

(١) الشوقيات المجهولة: د/محمد صبري، ١/١١، مطبعة دار الكتب، ١٣٨١هـ.

(٢) هو الحسن بن هانئ بن عبدالأول بن صباح الحكمي بالولاء (١٤٦-١٩٨هـ)، شاعر العراق في عصره، كان أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، يقول الجاحظ: ما رأيتُ رجلاً أعلم باللغة ولا أفصح لهجة من ابي نواس. «الأعلام : ٢/٢٢».

(٣) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، الشاعر الأديب أحد أمراء البيان. كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة، واختُلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. له تصانيف منها الحماسة الكبرى والوحشيات. مات سنة ٢٣١هـ. «الأعلام: ٢/١٦٥».

(٤) هو الوليد بن عبيد بن يحي الطائي، شاعر كبير. يقال لشعره سلاسل الذهب. وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: أبوتمام والبحتري والمتنبي. له كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام. مات سنة ٢٨٤هـ. «الأعلام: ٨/١٢١».

(٥) هو أحمد بن الحسين الكوفي الكندي المشهور بالمتنبي (٣٠٣-٣٥٤)، مالئ الدنيا وشاغل الناس. له أمثال سائرة وحكم بالغة ومعاني مبتكرة، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. «الأعلام: ١/١١٥».

أعماله :

لقد كان شوقي منذ ولادته وثيق الصلة بالبيت الخديوي .وقد أتاح له هذا الأمر أن يعيش في جو مترف بعيد عن قلق كسب العيش.

وقد التحق بالمعية الخديوية بعد تخرجه في مدرسة الحقوق بالقاهرة.و أخذ يتقلب في المناصب العالية حتى تولى رئاسة القلم الإفرنجي في المعية الخديوية وهو منصب رفيع المستوى. و قدكان - إضافة إلى هذه المكانة العالية - شاعر الخديو عباس. مما جعل الخديو يترك له تدبير كثير من الأمور وتصريفها في القصر. وقد أمضى في وظيفته هذه عشرين عاما[1]. كان خلالها مقصد كثير من طلاب الحاجات والألقاب والجاه. إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى وعزل الخديو عباس وأوذي المقربون منه. فنفي أحمد إلى أسبانيا، وأقام مع عائلته هناك إلى أن أُذن له بالعودة إلى مصر سنة ١٩١٩م. وقد كفل له ثراؤه أن يعيش حياة طيبة في مقر سكنه الجديد الذي أطلق عليه اسم «كرمة ابن هانئ» حتى وفاته.

ومن الجدير بالذكر أن شوقي ناب عن مصر في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في جنيف بسويسرا سنة ١٨٩٦م وهو في الثامنة والعشرين من عمره وقد ألقى فيه مطولته المشهورة «كبار الحوادث في وادي النيل» ومطلعها:

همّت الفلكُ واحتواها الماءُ وحداها بمن تُقِلّ الرجاءُ[2]

---

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر :د/شوقي ضيف،١١١.

(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٤٢.

رحلاته :

توافرت لشوقي رحلات كثيرة، منها ما كان بدافع الضرورة، ومنها ما كان بدافع الرغبة، ومنها ما كان مزيجا من هذا وذاك. والشاعر المرهف يتأثر بمشاهداته العديدة في أوقاتها ودواعيها المختلفة، ويستمد منها ما يثري شاعريته.

زار شوقي الكثير من البلدان خارج وطنه مصر، فكانت رحلته إلى فرنسا أولى رحلاته. وقد قضى فيها ما يزيد على أربع سنوات اطلع فيها على آداب الفرنسيين ونظم حياتهم الاجتماعية كما أنه «تأثر بما شاهده هناك، وأعجب بمنتزهاتها، وبمعالم حضارتها وآثارها، وعبر في بعض شعره عن هذا التأثر»[1]، وقد أكمل دراسة الحقوق هناك، ليعود إلى وطنه وقد حصل على الشهادة النهائية في الحقوق.

وفي عام ١٨٩٦م مثل شوقي بلده في مؤتمر المستشرقين الذي عقد بجنيف في سويسرا، كما سبق الإشارة إلى ذلك.

سافر - أيضاً - إلى روما ليزيل عن عينه الانبهار بما رأى في فرنسا. كما أنه اختار أسبانيا عند ما نفي من مصر. وقد كان لهاتين الرحلتين آثار واضحة في نفسيته تجلت في بعض شعره.

وكان كثير التردد على تركيا، عاصمة الدولة العثمانية التي رأى فيها رمزا لوحدة العرب والمسلمين تحت لواء الخلافة .وله عدة قصائد من وحي هذه الرحلات.

---

(١) دراسات في الأدب الحديث:د/حسن عبدالسلام، ١٦١.

ولشوقي رحلات أخرى ـ أيضاً ـ، ولكنها أقل أثرا مما سلف[1]، فقد قام بزيارة الجزائر للاستجمام. كما زار سوريا ولبنان أكثر من مرة في آخر عمره وكان يلقى من أهلها الحفاوة والإكرام.

أسرة شوقي :

تذكر المصادر أن شوقي رُزق زوجا صبورا صالحة، «فقد رُزقت نفسا كريمة لقنتها الطاعة والامتثال لزوجها»[2] وكان الخديو عباس هو الذي زوجه إياها. ويبدو أن شوقي لم يكن يقضي وقتا طويلا معها. فيتناول إفطاره دائما في مطعم اعتاد عليه. وكان دائم السهر خارج منزله، فلا يعود إلا قبيل الشروق بقليل[3].

ومما يلفت النظر أننا لا نجد أثراً لزوجه في شعره، فهو لم يذكرها قط مع أن له قصائد ومقطوعات في أبنائه: علي وحسين وأمينة.

ويُذكر أن شوقي كان مغرما بأبنائه وأحفاده. يرعاهم ويدللهم حتى بعد أن كبروا وشبوا. من ذلك أنه أقام دارا لابنته تجاور داره ضمن سور واحد لكي لا تبعد عنه[4].

وشعره يشهد بهذا الحب الفياض لأبنائه.فهاهو يرى في السفينة وهي راجعة به إلى مصر، طفلة تشبه ابنته أمينة، فيقول:

---

(١)دراسات في الأدب الحديث: د/حسن عبدالسلام، ١٨٣.

(٢) حياة شوقي: أحمد محفوظ، ٣٢. وانظر: ذكريات عن حياة المدرسة ومدرسة الحياة لأحمد زكي باشا: مجلة أبولو، ١/ ٣٨٤، دار صادر، بيروت.

(٣) حياة شوقي:أحمد محفوظ، ٣٢.

(٤) المصدر نفسه:٥٧.

هـــذهِ نـــورُ السفينـــة هـــذهِ شبـــهُ أمينـــه
هـــذهِ صورتهـــا مُنـ ـبئـةٌ عنهـــا مُبينـــة
هـــذه لـــؤلـــؤةٌ عنـ ـدي لها مثلٌ ثمينة[1]

ومن قصائده التي تعبر عن حبه الجم لأبنائه قصيدته التي كتبها سنة ١٩٠٩م، والتي يقول فيها:

يقولونَ لم تُطْري علياً وأختَه وتنسى حسيناً والحسينُ كريمُ
فقلتُ فؤادي للثلاثةِ منزلٌ هُما طُنُباه والحسينُ صميمُ
ثلاثةُ أسبابٍ لأُنسي ولذّتي يبـارِكُ فيهـا مانحي ويُديـمُ
إذا مابدا لي أن أُفاضِلَ بينهم أبى ليَ قلبٌ عادلٌ ورحيمُ
أُحِبُّ صِغارَ العالمِين لأجلِهم ويعطِفُ قلبي ذو أبٍ ويتيمُ
أَمِينتي الدنيا إذا هِي أقبلتْ على العيشِ منها نضرةٌ ونعيمُ
ذكاءٌ تمنّاه الفتى حليةً له ووجهٌ يسرّ الناظرين وسيمُ
فأمّا عليٌ فالمسيحُ حداثةً وقورٌ إذا طاش الصغيرُ حليمُ
وقبل حسينٍ ماتكلّمَ مُرضَع ولانال علياءَ البيانِ فطِيمُ
إذا راح يهْذي بالحديثِ فشاعرٌ فإن جدّ فيما قالـه فحكيمُ

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣١٤.

عُصَيفيرُ روضٍ ربِّ صُنهُ وأبْقِهِ فأنتَ بقلبٍ قد خلقتَ عليمُ[1]

وفاته :

ظل شوقي يصدح بشعره في أجواء الوطن العربي، وإمارة الشعر في يده. إلى أن وافته المنية في أكتوبر سنة ١٩٣٢م. وبقي شعره يتردد على ألسنة الناس، ويحظى باهتمام الدارسين والنقاد إلى يومنا هذا.

ثانيا : عصر شوقي

لقد تعاقب على حكم مصر في حياة شوقي، خمسة حكام من أسرة محمد علي، وهم: الخديو إسماعيل، والخديو توفيق، والخديو عباس، والسلطان حسين كامل، والسلطان أحمد فؤاد .

وقد حدث في هذه الفترة تقلبات سياسية، وتغيرات اجتماعية، وأحداث جسام أثرت في شوقي وفي شعره.

ولي إسماعيل عرش مصر سنة ١٨٦٢م، وكان همه منصبا على عدة أمور أهمها: أن يجعل عرش مصر لأكبر أبناء الخديو لا لأكبر فرد في الأسرة، وأن يكون لمصر استقلالها الإداري. وقد حصل له ما أراد بعد أن بذل الكثير للباب العالي، والذي كان مرد مثل هذه الأمور إليه[2].

ومما سعى إليه أيضا، الحد من امتيازات الأجانب في مصر، فقام بإنشاء المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٦م للفصل في أمورهم بدلا من

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٥/٤٧ـ٤٨.

(٢) مصر والسودان:د/محمد فؤاد شكري،٨٩، دار المعارف،١٩٦٣.

محاكمهم القنصلية. ولكن هذا الأمر عاد بنتائج عكسية أدت إلى إضعاف السلطة الخديوية نفسها. حيث استُثني الأجانب من الخضوع لهذه المحاكم في بعض الحالات، على خلاف ما كان يتوخاه إسماعيل أصلا من هذا الإصلاح القضائي. كما أن هذه المحاكم قد أُعطيت حق إخضاع الحكومة ومصالحها والدوائر الحكومية وأعضاء الأسرة المالكة لأحكامها في الدعاوى التي تقوم بينهم جميعاً والأجانب[1].

و كان حريصا على أن يجعل مصر قطعة من أوروبا، في التعليم والحضارة. وقد جعله هذا مسرفا في كثير من الأمور. الأمر الذي جره للاستدانة من داخل مصر وخارجها حتى أصبحت مصر غارقة في الديون إلى ذقنها. وقد كان للدول الأجنبية النصيب الأكبر من هذه الديون خاصة إنجلترا وفرنسا[2].

و كان هذا مما تذرعت به فرنسا وإنجلترا في طلبهما من الباب العالي عزل الخديو إسماعيل، فاستجاب العثمانيون لذلك خاصة أن هذا الأمر يعيد لهم حق التدخل المباشر في إدارة شئون مصر ،وكان ذلك سنة ١٨٧٩م[3].

ولي توفيق الحكم ـ بعد عزل أبيه ـ في ظل هذا الاضطراب: «الخزانة خاوية، والأهالي الفقراء ساخطون، والأغنياء خائفون، والأجانب متربصون، ورجال الباب العالي طامعون»[4].

---

(١)مصر والسودان:د/محمد فؤاد شكري ٩١.

(٢) المصدر نفسه:١٥٥-١٥٦.

(٣) المصدر نفسه:١٧٣-١٧٤.

(٤) شوقي بين الشعراء:إبراهيم الأبياري،المجلد الأول من الموسوعة الشوقية/ ٤٢٠.

وكان مما زاد الأمر سوءا فرض رقابة ثنائية على مصر من كل من إنجلترا وفرنسا، حماية للحقوق الأجنبية[1].

ومن أهم الأحداث: قيام ماعرف بثورة عرابي سنة ١٨٨١م ضد القصر الحاكم الذي استعان بالإنجليز، فكان الاحتلال الإنجليزي البغيض من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٩٥٢م[2].

ومن الجدير بالذكر في هذه الفترة: تعدد الثورات التي كانت في السودان، والتي كانت تكبد الجيش المصري الكثير من الخسائر والكبوات[3].

وتمضي الأيام والسنون، ويودع توفيق عرش مصر ليليَه ابنه الخديو عباس الذي كان معروفا بعدائه للإنجليز. وقد التهبت في عهده الأقلام والأحزاب وزاد الوعي الوطني.

وكان مما قام به عباس أن عفا عن ضباط الجيش الذين خرجوا على أبيه، وسمح لهم بالعودة من منفاهم «سيلان» وكان ذلك بين سنتي ١٩٠٠ و١٩٠١م[4].

وفي سنة ١٩١٤م غادر عباس مصر إلى الآستانة وإذا بالحرب العالمية الأولى تعلن بدايتها .وكانت تركيا فيها طرفا مع ألمانيا ضد الإنجليز.

---

(١) الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي: عبدالرحمن الرافعي، ٢٣، ط٣، ١٩٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ٩٥، ٤٢٤.

(٣) مصر والسودان: د/محمد شكري، ص٢٩٢، ٢٩٣.

(٤) الثورة العرابية: عبدالرحمن الرافعي، ص٥٥٣.

وهنا وجد الإنجليز فرصتهم، خصوصا وأن الأمر في يدهم. فعزلت إنجلترا عباسا وولت السلطان حسين كامل مقاليد الحكم .ونال الأذى أنصار الخديو المخلوع. ومنهم شوقي، إذ حُكم عليه بالنفي، وخُيّر في البلد الذي يُبعد إليه فاختار إسبانيا منفىً له. وظل هناك من سنة ١٩١٥ـ ١٩١٩م حيث سمح له بالعودة السلطان حسين كامل الذي تولى الحكم بعد عباس[١].

وجاء بعد السلطان حسين كامل السلطان أحمد فؤاد الذي بلغ الصراع في عهده بين المصريين والإنجليز أشده. وذلك بعد أن حنثت إنجلترا بوعدها فيما يخص الجلاء، ونفت سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ إلى مالطة. فهب الشعب هبة لم يتخلف فيها أحد، وكان شوقي حاضرا هذه الهبة في مصر ومعانيا لأذاها، وراصدا لآثارها، ومتفاعلا معها حتى توفاه الله سنة ١٩٣٢م[٢].

ولقد كان لهذه الأحداث جميعها آثار بعيدة المدى في التجربة الشعرية عند شوقي. ويتغلغل أثرها في معظم أغراض شعره، بين مدح للولاة، وهجاء للخصوم السياسيين، ورثاء لقادة التحرر الوطني، وإشادة بالمجاهدين، وحنين إلى الوطن .. وغير ذلك من مجالات القول.

فمن مدحه للولاة ـ مثلا ـ قصيدته الرائية في مدح محمد توفيق، والتي مطلعها:

---

(١) أحمد شوقي أمير الشعراء:فوزي عطوي، ص٣٨، دار صعب، ١٩٧٨.

(٢) الوطنية في شعر شوقي:د/أحمد محمد الحوفي، ص٩٤، دار نهضة مصر، ط٣.

تبسّمَ بالإقبالِ من مِصركَ الثغرُ وأسفرَ للآمالِ من وجهِكَ البِشر[1]

ومن القصائد التي تعرض فيها للخصوم السياسيين، قصيدته التي نعى فيها على عرابي بعد رجوعه إلى مصر و مطلعها:

صغارٌ في الذهابِ وفي الإيابِ أهذا كلُّ شأنِكَ يا عُرابي[2]

ومن إشادته بالجهاد والمجاهدين قصيدته التي قالها في ذكرى عيد الجهاد الوطني، والتي مطلعها:

خَطَوْنا في الجهادِ خُطىً فِساحا وهادناً ولم نُلقِ السلاحا[3]

ومن رثائه لقادة التحرير الوطني، قصيدته في رثاء سعد زغلول، والتي يقول في مطلعها:

شيّعوا الشمسَ ومالوا بِضُحاها وانحنى الشرقُ عليها فبكاها[4]

ومن شعره في الحنين إلى الوطن نونيته التي مطلعها:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٤٥٧.

(٢) المصدر نفسه:٢/٣٦٦.

(٣)المصدر نفسه:٢/٥٣٨.

(٤) المصدر نفسه:٥/٤٣٩.

يا نائحَ الطلحِ أشباهٌ عَوادِيْنا نَشْجى لِوادِيكَ أم نَأْسى لوادينا[1]

وسينيته التي مطلعها:

اختلافُ النهارِ والليلِ يُنسي اذكُرا لي الصِّبا وأيامَ أُنسي[2]

وهكذا كان للحوادث التي مرت بها مصر تأثير بالغ في شعر شوقي . وسوف أبين هذا بالتفصيل في الحديث عن مضمون التجربة الشعرية لديه ـ إن شاء الله ـ.

(١)الموسوعة الشوقية:٥/٣١٦.

(٢) المصدر نفسه:٤/٢٦.

المبحث الثاني
الغزاوي، حياته وعصره

تعرض الغزاوي لعوامل كثيرة أثرت في شخصيته وفكره وأدبه. وأقرب طريق لمعرفة هذه المؤثرات هو استعراض أهم ملامح حياته و عصره.

أولا : حياة الغزاوي.

مولده ونسبه :

ولد أحمد بن إبراهيم بن علي الغزاوي في شهر ربيع الأول سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م. وكان ذلك في العاصمة المقدسة مكة المكرمة، التي هاجر إليها جده الثامن من غزة واستقر بها وكون عائلته التي عرفت باسم الغزاوي بعد ذلك. وهو ينحدر من أسرة لها مساهمات كثيرة في التجارة والتعليم[١]. فقد قام بعضهم برعاية الكتاتيب التي يتم فيها تعليم الناشئة، فضلا عن اهتمامهم برعاية أبنائهم وتعليمهم.

نشأته :

كان والد أحمد «تاجرا يبيع حبوب القمح وغيرها من الأرزاق بمكة. إلى جانب أنه من طلبة العلم بالحرم الشريف»[٢] وقد حرص على إشراك ابنه معه في تجارته وإطلاعه على أمورها وتفاصيلها، ليكسبه خبرة

---

(١) انظر: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د/مسعد العطوي، ١/١٠١، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٢) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد: د/إبراهيم الفوزان، ٣/١٢٢٤، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠١هـ.

مفيدة في التجارة. وزاد حرص الأب عندما توفيت والدة أحمد وهو لم يتجاوز التاسعة من العمر. وقد زاد تعلق أحمد بأبيه بعد ذلك، فأصبح يرافقه في كثير من زياراته وتجارته. وفر له هذا الأمر فرصة جيدة للالتقاء بشخصيات عديدة سمع منهم وأفاد. حتى شب وصار يقف مع والده جنبا إلى جنب، يساعده ويحمل عنه شطرا من أعباء التجارة، واستمر الأمر على هذا الحال إلى أن توفي والده سنة ١٣٤٦هـ.

استطاع أحمد أن يقف على قدميه بعد وفاة والده، فتحمل المسؤولية كاملة ومضى في تجارته، وكون صداقات عديدة من خلال مواسم الحج حيث تتاح له الفرصة لملاقاة أكبر عدد ممكن من الناس في مكة المكرمة. وكان منهم شخصيات أدبية معروفة مثل: شكيب أرسلان الذي وفد في موسم حج عام ١٣٤٨هـ فحياه الغزاوي بقصيدة مطلعها:

ليس بِدعاً في مكةَ أو عجيبا أن يحيّي بنو الحجازِ شكيبا[1]

وكذلك أبو الإقبال اليعقوبي شاعر فلسطين الذي وفد في موسم حج عام ١٣٥٩هـ فرحب به الغزاوي بأبيات مطلعها:

مابالُ مكةَ أصبحتْ مختالةً في زينةٍ وتبخترٍ ودلالِ[2]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٢٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٣/١٣١٥.

تعليمه :

لقد توافرت لأحمد فرص تعليمية كان لها ـ بعد الله ـ أكبر الفضل في تنمية قدراته الفكرية وتفتيق مواهبه الأدبية بما توافر لها من نبلاء يقومون على رعايتها والإنفاق عليها، وعلماء وأدباء ينهضون بها.

فقد التحق بالكتاتيب في أول الأمر، شأنه في ذلك شأن جميع أترابه في ذلك العصر، حيث يدرس في هذه الكتاتيب القرآن والخط والإملاء. ثم التحق بعد ذلك بالمدرسة الصولتية سنة ١٣٢٢هـ ، وهي إحدى المدارس الرائدة التي تخرج فيها كثير من العلماء والأدباء في مكة المكرمة، وكانت هذه المدرسة تعنى بالعلوم الشرعية والعربية، فحفظ القرآن، وأجاد القراءة والكتابة، وكان خلال دراسته فيها من خيرة الطلبة المتميزين الذين يشار إليهم بالبنان. وتجدر الإشارة إلى أن أحمد قد انقطع عن الدراسة في هذه المدرسة لمدة سنتين التحق خلالهما بالمدرسة الخيرية التي كانت تسير على منهج المدرسة الصولتية، ثم عاد بعدها للدراسة في المدرسة الصولتية وتخرج فيها سنة ١٣٣٠هـ[١].

التحق الغزاوي بعد تخرجه بمدرسة أخرى رائدة هي مدرسة الفلاح، وهي ذات اتجاه إسلامي وعربي خالصين، وقد اختار لها صاحبها الشيخ محمد زينل ـ رحمه الله ـ خيرة العلماء والأدباء ليدرسوا فيها[٢].

كانت هذه المدرسة ذات أثر كبير في ثقافته الإسلامية والعربية. وكان هذا حافزا له لأن ينمي فكره وينهض به شخصيا. فأكب على دراسة

---

(١) انظر: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية:د/مسعد العطوي،١/١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه:١/١٠٧.

المعاجم اللغوية دراسة فاحصة حتى أصبح لديه موروث لغوي جيد يستطيع الاعتماد عليه والإفادة منه، كما اهتم بدواوين الشعراء حفظا وتحليلا وفهما حتى تكون لديه منهج شعري جعله يصبح من الشعراء المتميزين في هذه البلاد.

وقد حرص على حلقات العلم في المساجد وبيوت العلماء فكان يحضرها ويستفيد منها. كما حرص على متابعة كبريات الصحف في ذلك الوقت مثل الهلال والرسالة والقبلة وغيرها[1].

ومما نهض بمستواه الفكري والثقافي ما كان يحرص عليه كبار المثقفين في ذاك العصر، من مجالس أدبية يتبادلون فيها النقاشات العلمية والأدبية والمناظرات والمعارضات الأدبية.

أعماله ووظائفه :

عمل أحمد الغزاوي في عدة مناصب حكومية في العهد الهاشمي. فالتحق بالخدمة الرسمية في الأعمال الحكومية في وزارة الأوقاف سنة ١٣٣٤هـ واستمر في هذه الوظيفة حتى سنة ١٣٤١هـ. حيث أصبح رئيس ديوان رئيس القضاة. ثم عين سكرتيرا لمجلس الشورى والخلافة إلى أن دب الخلاف بين الشريف حسين والملك عبدالعزيز، حيث هاجر بأهله إلى السودان وبقي هناك عاما ونصف العام.

---

(١) انظر: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية:د/مسعد العطوي:١/١١٠. والهلال:مجلة أدبية علمية كانت تصدر في مصر ،أسست على يد جورجي زيدان سنة ١٣١٠هـ. والرسالة :مجلة أدبية علمية كانت تصدر في مصر أسسها الأديب أحمد حسن الزيات سنة ١٩٣٣م. والقبلة :جريدة دينية سياسية اجتماعية نصف أسبوعية، كانت تصدر في الحجاز، صدر أول عدد منها في عام ١٣٣٤هـ في عهد الشريف حسين بن علي. للاستزادة انظر:المقالة في الأدب السعودي الحديث:محمد عبدالله العوين، ١/٤٦-٩١، ط١، ١٤١٢هـ.

وبعد أن انضمت الحجاز إلى حكم الملك عبدالعزيز عاد بأسرته إلى مكة سنة ١٣٤٤هـ.

وفي العهد السعودي تقلب الغزاوي في عدة مناصب حكومية رفيعة، و حصل على الثقة الملكية، فقد «كانت صحيفته بيضاء بالنسبة للسياسة السعودية»[١]. إضافة إلى ماكان يتحلى به من خلق رفيع ومستوى علمي وأدبي عال وخبرة كبيرة في أمور القضاء، فقد عينه الملك عبدالعزيز في رئاسة ديوان القضاء الذي كان يرأسه الشيخ ابن بليهد، ثم عين مساعدا لمدير الطبع والنشر بمديرية المعارف العامة.

كما أوكل إليه الملك عبدالعزيز تحرير جريدة أم القرى وتحرير جريدة صوت الحجاز ومجلة أم القرى. «وهذه الوظائف أكسبته خبرة لا يستهان بها من حيث إدارة الأعمال أو التحريرات والكتابات الأدبية والاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى نجاح الغزاوي في الأعمال الرسمية وسعة أفقه فيها»[٢].

ومن الأعمال التي شغلها: رئاسة لجنة الحج العليا، كما كان عضواً في لجنة التعويض والتنسيق والتقاعد بوزارة المالية وكذلك عضواً في لجنة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين. وهو أحد مؤسسي جمعية الإسعاف الخيرية بمكة ذات النشاط الأدبي البارز في ذاك الوقت.

---

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد: د/إبراهيم الفوزان، ٣/١٢٢٦.

(٢) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د/مسعد العطوي، ١/ ١٢٠.

ولعل أهم عمل تقلده الغزاوي: أمانة مجلس الشورى. وقد عمل فيه مع أهم رجالات الدولة من الأمراء والقادة والعلماء وأصحاب الفكر. وقد تدرجت أعماله في المجلس إلى أن صار نائباً لرئيسه[1].

وقد كان الغزاوي مكان ثقة وإعجاب ملوك وأمراء آل سعود في جميع وظائفه التي شغلها، حتى منحه الملك سعود مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى الفخرية سنة ١٣٧٣هـ.

رحلاته :

قام الغزاوي بعدة رحلات، منها ما كان داخل السعودية ومنها ماكان خارجها، فزار بورسودان في السودان سنة ١٣٤٢هـ، ثم رحل منها إلى الهند ومكث فيها ثلاثة أشهر وعشرة أيام رأى خلالها عجائب الهند من الغابات والآثار، كما أنه زار مصر في صحبة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٦٥هـ، وزار اليمن الجنوبي، واليمن الشمالي حسب التقسيم السياسي في ذاك الوقت.

أسرة الغزاوي :

لم تذكر المصادر الشيء الكثير عن حياته الخاصة، ولكن المعلوم أنه تزوج ورزق ببنتين، ولم يكن له بنون. وقد جعله هذا يتحسر بصفة مستديمة[2]. وهو يكني عن ذلك بالوحدة في شعره في مثل قوله:

---

(١) شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب:عبد الكريم بن حمد الحقيل، ٢١٧، مطابع الفرزدق بالرياض، ط٢-١٤١٣هـ.

(٢) انظر:أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية:د/مسعد العطوي،القسم الأول،١٢٩.

ستون حولاً وستٌ بعدها فرَطتْ وكلُّها كَبَـدٌ أو جُلُّهـا مِحـن

شربتُ فيها مراراً واصطليتُ بها نارَ الأذى والقذى واشتفّني الوهنُ

في وحدةٍ هي لا أزرٌ ولا عضدٌ وإنما هي شجوٌ أو هو الشجنُ[1]

وبعد وفاة زوجه ازداد شعوره بالوحدة. ويبدو أن ابنتيه لم تعرفا له حقه، ولم تقدرا ظروفه فحالتا بينه وبين الزواج من غير أمهما. وكان يـرى منهما التنافس الواضح على ثروتـه الضـخمة ممـا جعلـه يعـيش في حالـة نفسية سيئة استمرت معه إلى آخر عمره وسببت له انهيارا عصبيا[2].

وفـاتـه :

استمر الغزاوي في عطائه للوطن. كما كان دائم البحـث والتنقيـب عن كل جديد في اللغة والأدب، حتى بعد أن دب فيه المرض. ومقالاته الموسومة بالشذرات خير شاهد على ذلك.

وظل بين مرضه وعطائه حتى وافتـه المنيـة يـوم الأحـد في الثـاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ . وذلـك بعـد وفـاة زوجـه بنحو عامين[3].

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧١٧.

(٢) انظر: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د/مسعد العطوي، القسم الأول، ١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ١٣٢.

ثانيا : عصر الغزاوي

عاش أحمد الغزاوي عهدين سياسيين مختلفين هما :العهد الهاشمي والعهد السعودي. ولذلك فقد أطلق بعض الدارسين عليه وعلى من عاصره من الشعراء السعوديين لقب المخضرمين[1]. وقد كان هذا الاختلاف عاملا من عوامل ثراء شعره، ويظهر هذا جليا في شتى قصائده التي مدح بها آل سعود. فهو- على سبيل المثال- عندما يتحدث عن الأمن ،إنما يتحدث عن تجربة حقيقية عاشها وعاصرها وسمع بها ورأى آثارها على الناس والمجتمع.

كان الحجاز تحت حكم الأشراف عندما ولد أحمد، حيث كان الخليفة العثماني يقوم بتعيين حاكم الحجاز ويصدر المرسوم من الآستانة[2].

وفي عام ١٣٢٦هـ عندما كان أحمد في الثامنة من عمره تولى إمارة الحجاز الشريف حسين بن علي. وكان يختلف عمن سبقه من الحكام ،فله شخصية قوية طموح، «وكان له أيضا تراث يعتمد عليه وينطلق منه في الحكم والسياسة مع اطلاعه الواسع على الأحداث العالمية، وحالة العرب بصفة خاصة. فجارى العثمانيين وطبق الدستور وأرسل مبعوثين عن الحجاز للآستانة، ولكنه أخذ يعد العدة للثورة ضد الأتراك، ويجمع حوله التجمعات السرية العربية، ومنى نفسه بقيادة العرب

---

(١) مثل د/عمر الطيب الساسي في كتابه:الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي.

(٢) انظر:مملكة الحجاز(١٩١٦-١٩٢٥):طالب محمد وهيم، ٣٠، مركز دراسات الخليج، ١٩٨٢م.

وإخراجهم من الاستعمار ولم شملهم بعد الفرقة، بل أخذ يخطط ليكون ملكا على العرب قاطبة»[1]. وكان الشريف معادياً لعبدالعزيز آل سعود الذي فتح الرياض سنة ١٣١٩هـ، مما جعل العلاقة بينهما متوترة وقائمة على المصالح مع أخذ الحذر الشديد. وكان الشريف قد انحاز إلى جانب الإنجليز ليضمن مساعدتهم في إعلان دولته العربية الكبرى، وكان هذا من عوامل تأخير ضم الحجاز إلى سلطة عبدالعزيز[2].

واعتمد الشريف على تأييد الإنجليز له، ووعدهم إياه بأن يتوجوه ملكا على العرب إن انضم معهم إلى الحلفاء. فأبدى العداء للعثمانيين وأعلن الثورة عليهم في شعبان سنة ١٣٣٤هـ. وكان أول عمل قام به أن عرب الدواوين والصحافة والتعليم فاستعادت اللغة العربية سيادتها، ونال الشريف تأييدا سياسيا كبيرا[3].

ولما حصل للإنجليز ما أرادوا خذلوا الشريف واعترفوا به ملكاً على الحجاز فقط[4]، وكان الشريف قد منع أهل نجد من دخول مكة للحج فكان ذلك مما دفع السلطان عبد العزيز لضم الحجاز[5]. فأرسل جيشه وحدثت معارك عنيفة بالطائف انهزم فيها جيش الشريف وانضمت الطائف إلى حكم ابن سعود في صفر سنة ١٣٤٣هـ[6]. ودخلت مكة تحت حكمه سلما حيث خاف أهلها من سفك الدماء وكان ذلك في ربيع

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية:د/مسعد العطوي، القسم الأول/٣٣.

(٢) انظر: تاريخ الدولة السعودية :أمين سعد، ٧٩، دارة الملك عبدالعزيز.

(٣) انظر: مملكة الحجاز :طالب محمد وهيم، ٦٦-٦٧، ١١٣-١١٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه:٧٠-٧١.

(٥) انظر:تاريخ الدولة السعودية :أمين سعد، ١٤٦ـ١٤٧.

(٦) المصدر نفسه : ١٥٤.

الأول من نفس العام[1]. أما الشريف فقد هرب إلى جدة ومعه أعضاء الحزب[2]، وكان منهم أحمد الغزاوي. فأرسل الملك عبدالعزيز جيوشه وحاصر جدة إلى أن استسلمت في جمادى الآخرة سنة١٣٤٤هـ[3].

الجدير بالذكر أن مكانة الغزاوي لم تتزعزع بحكم آل سعود الجديد[4]، بل إن الملك عبدالعزيز أكرمه واصطفاه حتى أطلق عليه «حسان صاحب الجلالة» ولعل ذلك يعود إلى سياسة الملك عبد العزيز الحكيمة وخلقه الرفيع في محاولة كسب أكبر قدر ممكن من أصوات الحجاز.

وقد استمر الملك عبدالعزيز بجهد حثيث يجمع أهل الجزيرة العربية تحت لواء واحد يلم شملهم، ويحارب الفتن التي تهدد هذا الهدف. حتى تم له ذلك وأعلن توحيد البلاد رسميا تحت اسم المملكة العربية السعودية، وذلك سنة ١٣٥١هـ[5].

واستمرت المملكة في درب النهضة والتطور في عهد الملك عبد العزيز وتابعه في ذلك جميع أبنائه سعود وفيصل وخالد.

وقد تأثر شعر الغزاوي بالأحداث التي مرت بها البلاد وما طرأ عليها من نهضة شاملة في العهد السعودي، ويظهر ذلك جليا في مضامين التجربة الشعرية لديه بين مديح لولاة الأمر، وإشادة بتطورات

---

(١)تاريخ الدولة السعودية :أمين سعد : ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه : ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه : ١٨١.

(٤) انظر:ص ٣١ـ ٣٢ من هذا البحث.

(٥) انظر: تاريخ الدولة السعودية:أمين سعد، ١٨٤.

النهضة الحديثة، ونصح للشعب، وحنين إلى الوطن وغير ذلك من الموضوعات.

فمن مديحه لولاة الأمر، قصيدته في الملك عبدالعزيز التي مطلعها:

ألا لاتلُمْني اليومَ أن أتكلّما فإنّ فؤادي بالأسى قدْ تكلّما[1]

ومن تفاعله مع معالم النهضة قصيدته التي قالها بمناسبة تخرج أول دفعة طيارين سعوديين، والتي مطلعها:

حيٌّ بالإعجابِ أحفادَ الصقور واشدُ بالفخرِ وقُل حان النشور[2]

ومن نصحه للشعب، قصيدته التي بعنوان «ياشعب حسبك مامضى» والتي مطلعها:

أملٌ يلوحُ ويسطعُ ومُنىً تخبّ وتوضع[3]

ومن شعره في الحنين إلى الوطن، قصيدته التي مطلعها :

حمائمَ الأيكِ إن أبكاكِ ذو فننٍ أصفيتِهِ الحبَّ إسراراً وإعلانا[4]

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية :د/مسعد العطوي، القسم الثاني١/٦٠٥.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٦١٥.

(٣)المصدر نفسه: ٤/١٣٨٩.

(٤) المصدر نفسه: ٤/١٣٨١.

وهكذا كان للوطن وما مر به من أحداث نصيب كبير وتأثير بالغ في شعر الغزاوي، وسوف أبين ذلك بالتفصيل عند الحديث عن مضمون التجربة الشعرية لديه - إن شاء الله -.

المبحث الثالث
مفهوم التجربة الشعرية

تعرّف التجربة الشعرية بأنها «الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم، بل إنه ليغذي شاعريته بجميع الأفكار النبيلة، ودواعي الإيثار التي....تشف عن جمال الطبيعة والنفس»[1].

فصاحب التجربة يفكر في أمر نفسي أو كوني، بحيث يملك عليه هذا التفكير كل مشاعره وأحاسيسه فيصوغه في صورة شعرية، ترضيه هو أولا بأن تكون معبرة عما في نفسه، وترضي غيره بعد ذلك لأنها تكشف عن حقائق النفس والحياة وتبعث على الإحساس بالمتعة والجمال.

و بعبارة أخرى يمكن تعريف التجربة الشعرية بأنها «عملية الإبداع في النظم بدءاً من المثير الذي أثار الشاعر وجعله ينفعل، ثم ما تلا ذلك من عمليات شعورية و لاشعورية في حناياه حتى صورت في قصيدة»[2].

فلابد من مثير يبعث الشاعر للانفعال وإلا كانت القصيدة مجتلبة، وهذا من شأنه أن يشكك في صدق العاطفة لديه[3].

---

(١) النقد الأدبي الحديث:د/محمد غنيمي هلال، ٣٦٣، دار العودة، ١٩٨٧.

(٢) قضايا في الأدب والنقد:د/ماهر حسن فهمي، ٩، دار الثقافة، ١٩٨٦.

(٣) سأتكلم بالتفصيل ـ إن شاء الله ـ عن المثيرات والبواعث عند الحديث عن بواعث التجربة الشعرية لدى الشاعرين في الباب الأول.

والشعر الحقيقي المعبر عما في نفس صاحبه لا ينشأ إلا بعد تفاعل الشاعر مع المؤثرات النفسية من حوله، والتي تدفعه لإنشاء هذا الشعر من خلال معاناة وجدانية فكرية تتولد منها القصيدة معبرة عن التجربة الشعورية التي عاشها.

فالتجربة الشعرية إذن معاناة، بل هي «معاناة على مستويات متعددة: صراع مع اللغة، وصراع مع نوازع النفس، وصراع مع جماليات الشعر، وهي صراع عقلي روحي وجداني»[1].

صراع مع اللغة: في اختيار القوالب الصياغية المناسبة لها دون أن تقصر عنها أو تطول أو بمعنى آخر في «اتساق الثوب الشعري مع التجربة، وتفصيله على قدها، فلا يكون طويلا فضفاضا ولا قصيرا معريا»[2]، وصراع مع نوازع النفس: في التعرف على دواخلها وأسرارها واستبطان المشاعر والأحاسيس التي تجول بها، وصراع مع جماليات الشعر: في التعبير عن هذه التجربة على أجمل صورة ممكنة بالاستعانة بوسائل الشعر الجمالية كالأسلوب المتين والصور البديعة وغير ذلك.

وللتجربة الشعرية عناصر تتألف منها ،فيكون حسنها من حسن ائتلاف هذه العناصر مع بعضها. وهذه العناصر هي: العاطفة، والفكر، واللغة، والخيال، والموسيقى بنوعيها الداخلية والخارجية.

---

(١) في النقد الأدبي الحديث: د/محمد صالح الشنطي، ٢٩٥، دار الأندلس، ١٤١٩هـ.

(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث: مصطفى عبداللطيف السحرتي، ٣٠، دار تهامة ، ١٤٠٤هـ.

وتتعدد أنواع التجارب الشعرية تبعا لتعدد مصادرها التي يستمد منها الشعراء مادتهم الفكرية والعاطفية، وكثير من المصادر النقدية[1] تحصي أنواع التجارب الشعرية على النحو التالي:

- **التجربة الذاتية** : وهي التي تكون مستقاة من واقع الشاعر في حياته، دون أن يدعي حدوثها أو يجتلبها اجتلاباً، وتتفرع عنها أنواع شتى من التجارب الشعرية: كالتجربة الوطنية، والتجربة الدينية، والتجربة الشخصية التي تدور حول شخص الشاعر فحسب.كما أن كثيرا من أغراض الشعر تدخل ضمن هذه التجربة كالغزل، والرثاء، والهجاء، والمديح.
- **التجربة الفكرية** : وتعرف أيضا بالتجربة الفلسفية، وهي التي تسبح في عالم الفكر بحثا عن الحقائق. وهمّ الأديب يتوجه فيها إلى الغوص وراء الحقائق والأسرار[2].وشعر الحكمة يدخل ضمن هذا النوع من التجارب.
- **التجربة الأسطورية** : «وهي التي تحدثنا عن موقف الإنسان من قوى الطبيعة، وما في الكون من كائنات خيالية وواقعية»[3]، ويحتاج الشاعر في مثل هذه التجربة إلى خيال قوي يستطيع من خلاله أن يجسد الرموز في الأساطير والمعتقدات الشعبية المختلفة، فيجعل لها إرادة وقدرة وإحساسا.

---

(١) انظر - على سبيل المثال-: النقد التطبيقي والموازنات: د/محمد الصادق عفيفي، ٧٥-١١٤ ، مؤسسة الخانجي، ١٣٩٨هـ.و أصول النقد الأدبي:د/طه أبو كريشة، ٢٢٤-٢٢٧، مكتبة لبنان، ١٩٩٦ .

(٢) النقد التطبيقي والموازنات:د/محمد الصادق عفيفي، ١١٤.

(٣) أصول النقد الأدبي:د/طه مصطفى أبوكريشة، ٢٢٦.

- **التجربة الاجتماعية** : وهي التي يكون منبعها المجتمع وما فيه من عادات وتقاليد، وما يحصل فيه من أحداث ووقائع. ولا يشترط في هذه التجربة أن يكون الشاعر قد مر بتفاصيلها وعانى دقائقها، بل إن الشاعر المبدع يستطيع أن يعبر عن آلام المجتمع عن طريق الملاحظة القوية والخيال الخصب، حتى لكأنه أحد ضحايا هذه المآسي والآلام.
- **التجربة التاريخية** : وهي التي تكون مادتها مستقاة من أحداث التاريخ وتجارب البشر فيه، فيختار الشاعر منها ما يريد، ويجعله موضوعا لأدبه بحيث يحول الخاص إلى شيء إنساني عام، دون التقيد بالتفاصيل التاريخية الدقيقة والاكتفاء بالإطار العام.
- **التجربة الخيالية** : وهي التي تكون مما لم يستطع الشاعر تحقيقه في الواقع، فعاشه وحققه في عالم الخيال. ويشترط فيها أن يكون صاحب التجربة ذا قدرة كبيرة على التخيل، بحيث يصور التجربة تصويراً دقيقاً.
- **التجربة الرمزية** : وهي التي تدور حول أحداث وشخصيات ترمز لغيرها من أرض الواقع، وغالبا ما يلجأ لها الأديب لأسباب شخصية أو اجتماعية أو سياسية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأنواع قد تتداخل فيما بينها ويمكن أن تستفيد القصيدة الواحدة من عدة روافد كالتاريخ والمجتمع وغيرهما. ولابد من الرافد الذاتي في أي تجربة تنتمي إلى الشعر الغنائي.

أما عن ميدان التجربة الشعرية ومجالها، فإن الحياة بكل ما فيها صالحة لأن تكون موضوعا للشعر. «فهو يتسع لكل عناصر الحياة

وجزئياتها وذراتها المختلفة سواء أكانت ...مهمة أم تافهة»[1] على أن تكون عناصر التجربة ـ وأولها العاطفة ـ معبرة عنها وموضحة لمعالمها وجوانبها.

وقد قدم العقاد في العصر الحديث ديوان شعره «عابر سبيل». وهو ديوان «في وصف الأشياء العادية التي قد تبدو تافهة، لا تثير انفعالاً، ولا تهز خيالاً»[2]. وتقوم فكرته على أن الحياة اليومية بكل ما فيها صالحة لأن تكون موضوعاً للعمل الأدبي. فهو يرى أن «إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة، ويبث فيه الروح، ويجعله معنى شعريا، تهتز له النفس، أو معنى زرياً تصدف عنه الأنظار وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شعر إذا كانت فيه حياة، أو كان فينا نحوه شعور»[3]. وهذا ينطبق أيضا على ما يعرف بشعر المناسبات. فلا يحكم عليه بالجمود والتقليد لكونه شعر مناسبات، وإنما يحكم عليه بقدر ما فيه من معايير الجودة، كصدق العاطفة ودقة التصوير وحسن الصياغة.

وبعد، فلعله قد اتضح مما سبق أننا كنا نتحدث عن الشعر نفسه، فالتجربة الشعرية ليست إلا القصيدة، كانت فكرةً مضمرةً في النفس، وإحساساً مستكناً في الضمير قبل أن تظهر هذه القصيدة في صورة لغوية.

---

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر: د/شوقي ضيف، ٩٦، دار المعارف، ١٩٥٩م.

(٢) ميزان الشعر عند العقاد: د/طه مصطفى أبو كريشة، ٢٤٦، دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.

(٣) مقدمة ديوان عابر سبيل: العقاد، (٧)/٥٤٧، منشورات المكتبة العصرية.

الباب الأول

بواعث التجربة الشعرية
وأنواعها لدى الشاعرين

الفصل الأول : بواعث التجربة الشعرية وأنواعها لدى شوقي.

الفصل الثاني : بواعث التجربة الشعرية وأنواعها لدى الغزاوي.

الفصل الأول
بواعث التجربة الشعرية
وأنواعها لدى شوقي

تمهيد :

اهتم النقد القديم ببواعث الشعر ودواعيه. فعرض لأنواعها، وساق في ذلك أخباراً لشعراء عرفوا بباعهم الطويل في الشعر العربي. وذلك مثل كثير[1] عندما سئل: مابقي من شعرك؟فقال: «ماتت عزة فما أطرب، وذهب الشباب فما أعجب، ومات ابن ليلى فما أرغب، وإنما الشعر بهذه الخلال»[2]. وكذلك عندما سئل أرطأة بن سهية[3]: أتقول الشعر اليوم؟ فقال: والله ما أطرب، ولا أغضب، ولا أشرب، ولاأرغب، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن[4]. وقد قيل للحطيئة[5]: أي الناس أشعر؟ فأخرج لسانا دقيقا كأنه لسان حية، فقال: هذا إذا طمع[6].

---

(١) هو كثيّر بن عبدالرحمن الخزاعي، شاعر متيّم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر.أخباره مع عزة بنت حميل الضمرية كثيرة، وفد على عبدالملك بن مروان فأكرمه ورفع مجلسه، مات سنة ١٠٥هـ."الأعلام:٥/٢١٩"

(٢) عيون الأخبار:ابن قتيبة، ٥٨١، تحقيق د/محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، ط٤ ، ١٤٢٠.

(٣) هو أرطأة بن زفر بن عبدالله المري، ابن سهية-وهي أمه-بنت زامل.شاعر من فرسان الجاهلية، عاش قريباً من نصف عمره في الإسلام، وأدرك خلافة عبدالملك وعمره ١٣٠ ، وأنشده من شعره، مات سنة ٦٥هـ تقريباً."الأعلام:١/٢٨٨"

(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقده:ابن رشيق القيرواني، ١/١٩٥ ، تحقيق د/النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٢٠.

(٥) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام.كان هجّاءً عنيفاً لم يكد يسلم من لسانه أحد.وهجا أمه وأباه ونفسه، سجنه عمر بن الخطاب لهجائه الزبرقان بن بدر ، ثم أخرجه لأبيات استعطفه بها.توفي سنة ٤٥هـ تقريباً."الأعلام:٢/١١٨"

(٦) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ١/٧٩، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط٢ ، ١٤١٨.

وقد وُجدت بعض الأحكام النقدية التي تصور استحضارهم للبواعث الشعرية. وذلك مثل الحديث عن أشعر الشعراء، وقد سئل يونس النحوي[1] عن ذلك فقال: «امرؤ القيس[2] إذا غضب، والنابغة[3] إذا رهب، وزهير[4] إذا رغب، والأعشى[5] إذا طرب»[6].

وهم بذلك قد وضعوا أيديهم على قضية نقدية هامة، هي العلاقة بين جودة الشعر وبواعثه، أو «الصلة بين الأدب ونفسية الأديب»[7]. إلا أنهم توسعوا في مفهوم الباعث، فابن قتيبة[8] مثلا يقول: «وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها

---

(١) هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء (٩٤-١٨٢هـ)، علامة بالأدب، كان إمام نحاة البصرةفي عصره، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من الأئمة. من كتبه معاني القرآن، واللغات، والنوادر، و الأمثال. "الأعلام:٨/٢٦١".

(٢) هو امرؤ القيس بن حُجر الكندي، اختُلف في اسمه فقيل: حنْدُج وقيل: عدي، وقيل: مُليكة. ولُقّب بالملك الضلّيل وذي القروح لكنه اشتُهر بامرئ القيس. وقد نعته ﷺ بأنه "حامل لواء الشعراء إلى النار". مات سنة ٨٠ قبل الهجرة. "الأعلام:٢/١١".

(٣) هو زياد بن معاوية الغطفاني، أبو أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تُضرب له قبة بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. كان أحسن شعراء العرب ديباجة، لاتكلّف في شعره ولاحشو. مات حوالي سنة ١٨ قبل الهجرة. "الأعلام:٣/٥٥".

(٤) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، حكيم الشعراء في الجاهلية. وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة. كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها في سنة فعُرفت قصائده بالحوليات. توفي سنة ١٣ قبل الهجرة. "الأعلام:٣/٥٢".

(٥) هو ميمون بن قيس بن جندل، يُقال له: أعشى قيس و أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية. وأحد أصحاب المعلقات. كان يغنّي بشعره فسمي صنّاجة العرب. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يُسلِم. مات سنة ٧هـ. "الأعلام:٧/٣٤١".

(٦) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد علي مهنا، ٩/١٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٧) أصول النقد الأدبي: طه أبوكريشه، ١٦٠.

(٨) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب ومن المصنّفين المكثرين. ولي قضاء الدينور مدة فنُسب إليها. توفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ. من كتبه: أدب الكاتب، و المعارف، والمعاني، عيون الأخبار، والشعر والشعراء، و تأويل مشكل القرآن. "الأعلام:٤/١٢٧".

الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب»[1]. فالطمع والشوق والغضب من البواعث بلا شك، لأنها ملتصقة بالنفس وصادرة عنها، أما الشرب والطرب فهما بمثابة الإغراء والتحفيز لهذه البواعث.

ومحفزات البواعث كثيرة، وتختلف من شاعر إلى آخر باختلاف النفسيات وطرائق التفكير.وقد ورد بعضها في وصية أبي تمام للبحتري حين قال: «يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم...وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه، فإن الشهوة نعم المعين»[2].

وكذلك فيما رُوي عن كثير حين سئل: كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف في الرباع المخلبة، والرياض المعشبة، فيسهل علي أرصنه، ويسرع إلي أحسنه[3].

والبواعث نفسها تتعدد وتتباين شأنها شأن محفزاتها، وذلك لتباين نفسيات الشعراء، والمؤثرات المحيطة بهم. «كما أن الانفعالات لا حصر لها، وكل موقف له انفعاله الخاص من حيث القوة والضعف، والكثرة والقلة»[4].

---

(١) الشعر والشعراء:ابن قتيبة، ١/٧٨.

(٢) زهر الآداب وثمر الألباب:أبوإسحاق الحصري، ١/١٥٢، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد وضبط د/زكي مبارك، دار الجيل ،ط٤.

(٣) الشعر والشعراء:ابن قتيبة، ١/٧٩.

(٤) أصول النقد الأدبي:طه أبوكريشة، ١٦٤.

ومن جهة أخرى نجد أن البواعث مهما تضافرت وتوافرت فإنها لن تنتج لنا شعرا ما لم تلق الموهبة الفطرية لدى الشاعر. وقد وصف النقد القديم الشعر بأنه «علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه»[1]. فالطبع والذكاء يمثلان الموهبة لدى الشاعر، والتي تنمّى بالدربة والرواية.

وفي النقد الحديث نجد عناية بالغة بالبواعث وتأثيرها، «فليس بشعر يستحق الحياة ما ليست له بواعث، والشعر لا يفنى إلا إذا فنيت بواعثه، وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها، وخوالج النفس وأمانيها، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان»[2].

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن شوقي، نجد أنه كان موهوباً بطبعه ومنذ صغره. وقد بدأت تتفتح مواهبه قبيل تخرجه من التجهيزية[3]. فنظم قصيدته التعليمية في إفريقيا، وهي لا تخلو من بعض الأخطاء العروضية ولكنها تحمل في طياتها خيالا واعدا. ومطلعها قوله:

إفريقيا قسمٌ من الوجودِ في شكلِهِ أشبهُ بالعنقودِ[4]

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، ١٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية.

(٢) ديوان العقاد: عباس محمود العقاد، ١/٥، منشورات المكتبة العصرية.

(٣) حياة شوقي: أحمد محفوظ، ٩. والتجهيزية بمعنى التمهيدية.

(٤) الموسوعة الشوقية: ٦/١٧٣.

وكان محمد بسيوني البيباني يعرض على شوقي قصائده في مديح الخديو، ليشير إليه بما يراه من حذف أو تعديل. و شوقي حينذاك في مدرسة الحقوق[1].

وقد امتاز شوقي بشاعرية خارقة، إذ كان الإلهام يفيض عليه دائما بالجديد من الشعر[2]. ومن أهم ما امتازت به شاعريته :صياغته البارعة التي جمعت بين الجزالة والرصانة من جانب، والسلاسة والعذوبة من جانب آخر، مع الأداء الموسيقي المتميز، «إذ استطاع أن يستخرج من قيثارة الشعر العربي أرصن وأرق ما تحمل في باطنها من أنغام وألحان»[3]. كل ذلك يسنده خياله الخصب الذي استطاع أن يستغله في صناعة لوحاته الشعرية البديعة «في وصف الطبيعة وحين يتحدث عن أمجاد وطنه السالفة وأمجاد العرب ودولهم الغابرة»[4]. وله في ذلك تشبيهات واستعارات مبتكرة، سآتي على بيانها في حينها إن شاء الله.

وقد توافرت في شعره ميزة أخرى، تتمثل في «الحس الدقيق المرهف والشعور الرقيق الحاد، ويتضح ذلك في جوانب من غزله، وفي أشعاره التي نظمها في ابنته أمينة وابنه علي، كما يتضح في دعاباته الخفيفة مع الدكتور محجوب ثابت»[5] صديقه.

وقد خاض شوقي مع هذه الموهبة القوية غمار الشعر العربي بمختلف موضوعاته وأنواعه. فكتب في الشعر الغنائي وأبدع فيه. وكتب

---

(١) شوقي شاعر العصر الحديث:د/شوقي ضيف، ١٣، دار المعارف، ط١٣.

(٢) انظر:فصول في الشعر ونقده:د/شوقي ضيف، ٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه:٣٣٩.

في الشعر القصصي المتمثل في شعره الرمزي على لسان الحيوان، وهي تجربة تأثر فيها بالأدب الفرنسي. كما أجاد أيضا في شعره التاريخي، وشوقي فيه ليس بالمؤرخ السارد للأحداث فحسب ، بل شاعر متأثر بالوقائع ومعلق عليها وواصف لها. ويتضح ذلك في أرجوزته «دول العرب وعظماء الإسلام».

ولم يقف شوقي عند هذه الآفاق فحسب، بل تعداها إلى أفق آخر جديد، هو الشعر التمثيلي أو المسرحي. وقد أبدع فيه سبع تمثيليات هي: علي بك الكبير، مصرع كليوباترا، قمبيز، مجنون ليلى، عنترة، الست هدى، البخيلة[1].

وشوقي يعد بحق «رائد المسرح الشعري في الأدب المصري الحديث. ولا يقصد بالريادة هنا أنه أول من ألف فيه. وإنما يراد بها أنه أول من رعى هذا الجنس الأدبي الوليد، وجعله محل إعجاب الجماهير العريضة، تلك التي كانت تُعجب بشعره الغنائي، وتطرب لإبداعه فيه»[2].

---

(١) لشوقي مسرحية ثامنة، لكنها نثرية. وهي بعنوان "أميرة الأندلس".

(٢) المسرح الشعري بعد شوقي: د/محمد عبدالعزيز الموافي، ١٢، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط٢، ١٤١٥.

بواعث التجربة الشعرية لدى شوقي

وهكذا كانت موهبة شوقي ثرة معطاءة، أعانته على خوض جميع أغراض الشعر العربي وميادينه. ووسمت شعره بميزات أهلته لأن يبايَع بعرش إمارة الشعر سنة ١٩٢٧م.

وكما أن الموهبة الفطرية قد توافرت له فكذلك روافدها التي غذتها وصقلتها. كالرحلات، والاطلاع على الأدب العربي القديم والآداب الأجنبية، والتنوع في المعارف التاريخية واللغوية، وغير ذلك مما أمد هذه الموهبة بأسباب القوة والنماء[١].

وقد تنوعت بواعث الشعر التي دفعت هذه الموهبة عند شوقي. وتتمثل فيما يلي: حبه للوطن وولاؤه له ـ حسه الديني ـ شغفه بالتاريخ ـ إقباله على الحياة والاستمتاع بملذاتها ـ رغبته في المحافظة على مكانته السياسية والاجتماعية والأدبية ـ خلق الوفاء عنده ـ حبه للفكاهة والتندر والممازحة ـ اعتزازه بشعره.

١/حبه للوطن وولاؤه له:

اتُّهم شوقي في وطنيته، فهو عند بعض الباحثين[٢] «التركي المتمصر» أو «شاعر الإقطاع» أو «شاعر البلاط» وغير ذلك من الألقاب التي تشكك في وطنيته. وأرى أن وطنيّته صادقة ولكنها تتفادى اصطدامها

---

(١) انظر: المبحث الأول من التمهيد "شوقي حياته وعصره".

(٢) انظر: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي: عباس العقاد، ١٥٧-١٥٩، منشورات المكتبة العصرية. وانظر: أحمد شوقي وأزمة القصيدة التقليدية: علي البطل، مجلة فصول، المجلد الثالث العدد الأول، ١٩٨٢، صـ٣٥-٤٠.

مع القصر. «فهي تتوارى وتتزلف في فترات الإرهاب، وهي تسفر عن نفسها وتعبر عما يجيش بنفوس المصريين عندما يخفف القصر ضغطه، لأنه بحاجة إلى مساندة شعبية أمام المحتل»[1].

والوطنية تمثل عند شوقي ـ في رأيي ـ الباعث الأول للشعر. فهي أشبه ما تكون بالمبدأ الذي ينطلق منه في شعره[2].

وتتجلى مظاهر هذا الباعث فيما يأتي:

أ- حديثه عن آثار مصر قبل الإسلام وبعده واحتفاؤه بتاريخها: وكان يرى ذلك مطلبا وطنيا يصون عرض البلاد:

وأنا المُحتفي بتاريخِ مصر من يصُنْ مجدَ قومِهِ صان عِرضا[3]

ويلاحظ عليه الربط غالبا بين هذه الآثار وحاضر البلاد كما سيتضح أثناء عرضي لبعض النماذج بعد قليل.

ومن أشهر قصائده وأبكرها في هذا الباب قصيدته التي ألقاها في مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٩٤م والتي عرفت باسم «كبرى الحوادث في وادي النيل». ومطلعها:

همّت الفُلكُ واحتواها الماءُ وحداها بمن تُقِلُّ الرجاء[4]

---

(١) المسرح الشعري بعد شوقي:د/محمد عبدالعزيز الموافي، ٢٤.

(٢) انظر:الوطنية في شعر شوقي:د/أحمد الحوفي،٩٦-١٠٧،دار نهضة مصر للطباعة والنشر،ط٣، بدون تاريخ.

(٣) الموسوعة الشوقية:٤/٥٢.

(٤) المصدر نفسه:٢/٤٢.

وفيها يعرض للأحداث بدءاً من عهد الفراعنة وانتهاء بعهد الخديو عباس. وهو عرض يصاحبه فخر الوطني المعتز بوطنه قديما وحديثا. وذلك في مثل قوله:

وانتهتْ إمرةُ البحارِ إلى الشر قِ وقام الوجودُ فيما يشاءُ[1]

وبَنَيْنا فلمْ نُخَلِّ لبانٍ وعلوْنا فلم يجُزنا علاءُ

وملكنا فالمالكون عبيدٌ والبرايا بأسرهم أُسَراءُ

قل لبانٍ بنى فشادَ فغالى لم يجُز مِصرَ في الزمانِ بِناءُ

وعندما اكتشفت مقبرة «توت عنخ أمون» وما ضمته من مقتنيات وآثار ثمينة، تحركت روح الوطنية في شوقي فنظم في ذلك قصيدتين. كانت الأولى في سنة الاكتشاف ١٩٢٣م، ومطلعها:

قِفي ياأختَ يوشعَ خبِّرينا أحاديثَ القرونِ الغابرينا[2]

وتظهر وطنية شوقي في هذه القصيدة حينما عرض لمكتشف المقبرة اللورد كانرفورن، وكان قد سكت عن ما احتوته المقبرة من آثار ثمينة، فقال:

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥/٢٧٥.

أبوتُنا وأعظُمُهُم تراثٌ نُحاذِر أن يؤولَ لآخَرينا[1]
ونأبى أن يحُلَّ عليه ضيمٌ ويذهبَ نهبةً للناهبينا
سكتَّ فحامَ حولك كلُ ظنٍ ولو صرّحتَ لم تثِرِ الظُنونا

وينتقل شوقي في نهاية القصيدة إلى العصر الحاضر موازنا بين حال البلاد في عهد فرعون وحالها في عصره فيقول:

زمانُ الفردِ يا فرعونُ ولّى ودالتْ دولةُ المتجبّرينا[2]
وأصبحت الرعاةُ بكلِ أرضٍ على حكمِ الرعيةِ نازلينا
فؤادُ أجلَّ بالدستورِ دنيا وأشرفُ منكَ بالإسلامِ دينا

فهو هنا يكابر توت عنخ أمون «على ما أبدع وأسرف في وصف عظمته وحضارته، يكابره بالدستور قمة الحضارة على عهد فؤاد»[3] وهو بذلك يحث على تطبيق الدستور.

أما قصيدته الثانية التي قالها بهذه المناسبة أيضاً، فهي متأخرة عن الأولى بعامين، ومطلعها:

درجتْ على الكنزِ القرونْ وأتتْ على الدنِّ السنون[4]

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٥/٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه :٥/٢٨٢.

(٣) شوقي وقضايا العصر والحضارة:د/حلمي علي مرزوق، ٥٠، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ط٢.

(٤) الموسوعة الشوقية :٥/٣٠٣.والدن:وعاء ضخم للخمر، وقد كان من ضمن الأواني التي ضمتها المقبرة.(انظر:اللسان:٥/٢٨٣، ٤/٤١٨).

ولعل تأخرها ـ وهي الثانية ـ يدل على اعتزاز شديد من الشاعر بوطنه وآثاره التاريخية، فهاتان السنتان ـ وهي الفترة بين القصيدتين ـ لم تمحوا فرحته الآنية حينما اكتشفت المقبرة.

ووصفه في هذه القصيدة أيضا يصاحبه الفخر الوطني.وذلك حين يقول مثلا:

ميتٌ تحيطُ به الحيا ةُ زمانُه معهُ دفين[1]
وذخـائرٌ مـن أعصـرٍ ولّتْ ومن دنيا ودين
حملتْ على العجبِ الزما نَ وأهلـه المستكـبرين
فتلفّتتْ باريسُ تحـ ـسبُ أنها صنعُ البنين

وذكر باريس ـ مضرب المثل في الحضارة زمن الشاعر ـ متلفتةً في البيت الأخير، له دلالة واضحة على اعتزاز الشاعر بوطنه مصر.

وشوقي في هذه القصيدة مستشعر دوره في وصف آثار وطنه والتغني بها، وهو يرى تاريخ مصر موصولا أوله بآخره دون فصل بين القديم والجديد والماضي والحاضر.يقول:

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٥/٣٠٦.

ملكَ الملـوكِ تحيـةٌ ووِلاءُ محتفظٍ أمين[1]
هذا المقـــامُ عرفتُـه وسبقتُ فيه القائلين
ووقفـتُ في آثارِكُـم أزنُ الجلالَ وأستبين

ثم يقول:

كنتُم خيالَ المجدِ يُر فعُ للشبابِ الطامحين
وكم استعرتُ جلالَكم لمحمـــدٍ والمالكـين[2]
تاج تنقّل في الخيالِ فما استقرّ على جبين

ولم يفته في هذا الباب أن يتغنى بالأهرام ويرى فيها رمزا للمجد والحضارة العريقة.وله فيها تصويرات جميلة مثل قوله في سينيته المشهورة:

وكأنّ الأهرامَ ميزانُ فرعو نَ بيومٍ على الجبابرِ نحس[3]
أو قناطـيرُهُ تأنّـقَ فيهـا ألفُ جابٍ وألفُ صاحبِ مكس
روعةٌ في الضحى ملاعبُ جنٍ حين يغشى الدجى حِماها ويُغسي

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٠٨.

(٢) المقصود :محمد علي باشا وأبناؤه الذين حكموا مصر من بعده.

(٣) المصدر نفسه:٤/٢٩.

فهي قوائم ميزان فرعون، أو هي الضرائب التي جمعها له الجُباه من كل مكان، وهي في الضحى جميلة رائعة فإذا جن الليل فلا أحد يرد حماها.

ويصفها أيضا في قصيدته النونية التي قالها في المنفى شوقا إلى وطنه، فيقول:

كأنّ أهرامَ مصر حائطٌ نهضت ... بـه يـدُ الدهـرِ لا بنيانُ فانينـا[1]

إيوانُه الفخمُ من عُليا مقاصرِه ... يُفني الملوكَ ولايُبقي الأواوينا

كأنها ورمالاً حولها التطمت ... سفينةٌ غرقـت إلا أساطينـا[2]

كأنها تحت لألاءِ الضُحى ذهباً ... كنوزُ فرعونَ غطّيْن الموازينـا

فهي بقايا سفينة الفراعنة التي غرقت، وهي أيضا ـ كما ورد في أبيات السينية قبلاً ـ قوائم ميزان فرعون.

ولعل ورود وصف الأهرام في القصيدتين السابقتين، وقد نظمهما متشوقاً لرؤية وطنه وهو في المنفى، يؤكد ارتباط الوطنية عند شوقي بوصف آثار البلاد.

وكما وصف شوقي الأهرام وتغنى بها فإنه أيضا اتخذها رمزاً يستثير به همم أبناء الوطن. يتضح ذلك في قصيدته التي قالها في ثورة سنة ١٩١٩م حين ابتدأها بقوله:

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٥/٣٢٣.

(٢) الأساطين جمع اسطوانة وهي السارية التي تحمل الشراع.(اللسان:٦/٢٦٠).

قُم إلى الأهرام واخشعْ واطّرح خيلةَ الصيدِ وزهْو الفاتحين[1]
وتمهّل إنما تمشي على حرمِ الدهرِ ونادي الأولين
وارتَقِ الأحجارَ واصعدْ مِنبراً لم يُسخَّر لأميرِ المؤمنين
ادعُ قومي من ذُرى أعوادِهِ لخلالٍ كالصباح المستبين

ولم يقتصر شوقي على وصف الأهرام والمقابر فقط من آثار مصر القديمة، بل تعداهما إلى وصف آثار أخرى. مثل قصيدته في وصف قصر أنس الوجود والتي مطلعها:

أيها المُنتحي بأسوانَ داراً كالثريّا تريدُ أن تنقضّا[2]

وقصيدته في أبي الهول، والتي مطلعها:

أبا الهول طال عليك العُصُر وبُلّغتَ في الأرض أقصى العُمُر[3]

وفي آخرها أبيات تنبض بحب الوطن، حيث يصدح شوقي معتزا بما عليه مصر الآن من تنظيم جديد، ودستور يحمي البلاد. يقول:

فهل من يبلّغ عنا الأصولَ بأن الفروعَ اقتدتْ بالسِيَر[4]
وأنا خطبنا حِسان العلا وسُقنا لها الغاليَ المدّخر

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٩٢، والصيد :جمع أصيد وهو الذي يرفع رأسه كبرا. (اللسان:٤٥١:٧).
(٢) المصدر نفسه:٤/٥٢.
(٣) المصدر نفسه:٣/٢٥٤.
(٤) المصدر نفسه: ٣/٢٦٤-٢٦٥.

وأنا ركِبنا غمارَ الأمور وأنا نزلنا إلى المُؤتمَر
بكل مبينٍ شديدِ اللداد وكل أريبٍ بعيدِ النظر
تُطالِبُ بالحـقِ في أمّـةٍ جرى دمُها دونه وانتشر
ولم تفتخِر بأساطيلِهـا ولكـن بدستورِهـا تفتخِـر

ومن الآثار الإسلامية التى اعتز وافتخر بها شوقي، الجامع الأزهر؛ ذلك الصرح التعليمي الذي أخرج للأمة رجالات ضُرب بهم المثل في العلم والصبر والتضحية. وله قصيدة تفيض بمعاني الفخر والاعتزاز بهذا الجامع، مطلعها:

قُم في فمِ الدنيا وحيِّ الأزهرا وانثُر على سمعِ الزمانِ الجوهرا[1]

وقد ختم شوقي هذه القصيدة بالحديث عن حال البلاد، والتفت إلى شباب الوطن يحثهم ويوصيهم بأن ينهضوا بالوطن ويتفيأوا الدستور تحت ظلاله، وكأن شوقي مستشعر في نفسه أنه حين يعرض للأزهر فإنما يعرض للوطن. بل إنه يرمز للوطن بالأزهر أحيانا.فمن يسيء للوطن إنما يسيء للأزهر، وذلك في مثل قوله:

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٣/٢٧٣.

يا كعبةَ العلمِ في الإسلامِ من قدمٍ لا يزعجنّك إعصارُ الأباطيـل[1]

إن كان قومُك قد جاروا عليكِ وقد جاؤوا لهدمِكِ في جيش الزغاليل[2]

فقد مضت سنةُ العادين إذ حصروا البيت الحرام فرُدّوا كالمهابيـل

الله أرسلَ طيراً بين أرجلِها قنابلُ الصخرِ ترمي صاحبَ الفيل

للدين والبيت ربٌّ لا يقاومُهُ حُمرُ الثياب ولا سودُ الأساطيل

وفخر شوقي بالإسلام وأثره في مصر لا يعادله أي فخر آخر عنده، وفي قصيدته «كبرى الحوادث في وادي النيل» دليل واضح على ذلك.

ب- الحنين إلى الوطن: ويتضح هذا الباعث غاية الوضوح في شعره الذي أنشأه في الأندلس، وهو يتشوق لوطنه وذويه وأحبابه.

ففي أرجوزته المطولة الموسومة بـ «دول العرب وعظماء الإسلام»، تحدث شوقي عن حب الوطن حديثاً يصدر «عن قلب جريح، وحب عميق، وحنين متصل إلى هذه البقعة المقدسة، وهو يرى الوطن حبيبا إلى نفوس الناس والحيوان جميعا»[3]. ويبتدئ هذا الحديث بقوله:

وجانبٍ من الثرى يُدعى الوطن ملء العيونِ والقلوبِ والفطن[4]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٤/٣٧٤.

(٢) الزغاليل :جمع زغلول وهو الطفل(اللسان:٦/٥٤).وفيه تورية حيث المراد بالكلام هنا فتحي زغلول الذي حكم على أهل دنشواي في قصتهم الشهيرة مع الضباط الإنجليز.

(٣) شوقي في الأندلس:د/أحمد أحمد بدوي، ٧،مطبعة جامعة القاهرة،١٩٦١م.

(٤) الموسوعة الشوقية:٩/١٨.

وتظهر عاطفته واضحة في مثل قوله:

يحبّهُ الأقوامُ منذُ كانا ولا يساوونَ به مكانا[1]
إذا أتاهمْ أيسرُ النداءِ منه جرَوا لغايةِ الفِداء
أو ذُكِر الحنينُ والحفاظُ لم تجرِ إلا باسمِهِ الألفاظُ

ونراه يعود لحنينه وشكواه في نفس المطولة عندما تحدث عن صقر قريش في موشحه الأندلسي. ومطلع الموشح دال على هذا المعنى إذ يقول:

من لنِضوٍ يتنزّى ألما برّح الشوقُ بهِ في الغلسِ[2]

وينشئ شوقي قصيدة أخرى تنطق بمعاني اللوعة والحنين، وقد راسل إسماعيل صبري وحافظ إبراهيم ببعض أبياتها .ومطلعها:

يانائحَ الطلحِ أشباهٌ عوادينا نشجى لواديكَ أم نأسى لوادينا[3]

وله في هذه القصيدة معانٍ رائعة في الحنين إلى الوطن. من مثل قوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية: ١٨/٩.
(٢) المصدر نفسه:٩٥/٩.والنضو: المهزول (اللسان:١٨٢/١٤)، ويتنزّى:من النزو وهو الوثوب (اللسان:١١٥/١٤). وهو وإن كان يقصد عبدالرحمن الداخل إلا أنه داخل في المعنى.
(٣) المصدر نفسه:٣١٦/٥.

لكنّ مصرَ وإن أغضتْ على مقةٍ عينٌ من الخلدِ بالكافور تسقينا[1]

على جوانبِها رفّت تمائمُنا وحولَ حافاتها قامت رواقينا

ملاعبٌ مرَحَت فيها مآربُنا وأربُعٌ أنسَتْ فيها أمانينا

ومطلعٌ لسعودٍ من أواخرِنا ومغربٌ لجدودٍ من أوالينا

بِنّا فلم نخلُ من رَوحٍ يراوحنا من برِّ مصرَ و ريحانٍ يُغادينا

والشاعر في هذه القصيدة يعارض ابن زيدون في نونيته الشهيرة التي مطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طِيب لُقيانا تجافينا[2]

فقد «أُعجب شوقي بما في هذه القصيدة من شوق وحنين، وذكريات لماض عزيز، وثبات على عهد الحب والوفاء، فنظم قصيدته تحمل هي الأخرى الشوق والحنين، والذكريات العزيزة للماضي السعيد، والثبات على عهد الحب والوفاء، وكان شوقي فوق ذلك معجباً بابن زيدون»[3].

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٣١٧/٥، ٣١٨.

(٢) ديوان ابن زيدون ورسائله:شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، ١٤١، دار نهضة مصر-القاهرة، بدون تاريخ.

(٣) شوقي في الأندلس:/أحمد بدوي، ٣٧.

وعندما هيأت الظروف لشوقي أن يتنقل في منفاه ويرى مدن العرب وحضارتهم الزائله، جاشت نفسه بعواطف الحسرة واللوعة الممتزجة بحنينه الدائم إلى وطنه، فأنشأ قصيدته السينية التي مطلعها:

اختلافُ النهارِ والليلِ يُنسي اذكرا لي الصبا وأيامَ أُنسي[1]

وفيها يعارض قصيدة البحتري في إيوان كسرى، والتي مطلعها:

صنتُ نَفسي عمّا يُدنِّسُ نفسي وترفَّعتُ عن جدا كلِّ جِبس[2]

والقصيدتان تتشابهان في جو الحزن السائد فيهما وفي بعد صاحبيهما عن أرض الأصحاب والأحباب .

وقد اشتملت سينية شوقي على أبيات صارت مضرب المثل في حب الوطن والحنين إليه.من مثل قوله:

وطني لو شُغلتُ بالخلدِ عنه نازعتني إليه في الخُلدِ نفسي[3]
وهفا بالفؤادِ في سلسبيلٍ ظمأٌ للسوادِ من عينِ شمس
شهِدَ اللهُ لم يغِبْ عن جُفوني شخصُه ساعةً ولم يخلُ حِسي

وهو في ثنايا أبياته ناقم على من أبعدوه من وطنه.ويثور هذا الشعور لديه كلما رأى سفينة تبحر، يقول واصفا فؤاده:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٢٦.

(٢) ديوان البحتري:١٩٠، دار صادر-بيروت، بدون تاريخ.

(٣) الموسوعة الشوقية:٤/٢٧.

مستطارٌ إذا البواخرُ رنّت أولَ الليل أو عوتْ بعد جَرْس[1]

راهبٌ في الضلوع للسفنِ فطنٌ كلّما ثُرنَ شاعَهُنّ بنقْسِ

يا ابنةَ اليمِّ ما أبوكِ بخيلٌ مالهُ مولعاً بمنع وحبسِ

أحرامٌ على بلابلِه الدو حُ حلالٌ للطيرِ من كلِ جنسِ

كلُ دارٍ أحق بالأهلِ إلا في خبيثٍ من المذاهبِ رِجسِ

وحينما يعود شوقي لوطنه وهو في غاية اللهفة للقائه، ينشئ قصيدة جميلة صوّر فيها لهفته وتشوقه.إذ يقول:

ويا وطني لقيتُك بعد يأسٍ كأني قد لقيتُ بكَ الشبابا[2]

وكلُ مسافرٍ سيؤوبُ يوماً إذا رُزق السلامةَ والإيابا

ولو أني دعيتُ لكنتَ ديني عليه أقابلُ الحتمَ المُجابا

ويصور شوقي الحال وهو على مشارف الوطن إذ بدت أنوار منار الإسكندرية.وذلك إذ يقول:

هدانا ضوءُ ثغرِكِ من ثلاثٍ كما تهُدي المنوّرةُ الركابا[3]

وقد غشّى المنارُ البحرَ نوراً كنارِ الطّور جلّلت الشِعابا

وقيل الثغرُ فاتّأدتْ فأرستْ فكانت من ثَراكِ الطهرِ قابا

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٧.

(٢) المصدر نفسه:٢/٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه:٢/٢٥٤.والمنورة:أي المدينة المنورة.

وهو في فرحته بالعودة لم ينس من آوته في حضنها وقضى فيها سني منفاه، وهي المقصودة بمطلع القصيدة إذ يقول:

أنادي الرسمَ لو ملَكَ الجوابا وأجْزيــهِ بدمعِي لـو أثابـا[1]

فهي وطنه الثاني، خاصة أن الدماء العربية لا يزال بعض منها في عروقها. ولذا نراه يودعها توديع المحب المعترف بالفضل:

وداعاً أرضَ أندلسٍ وهذا ثنائي إن رضيتِ به ثوابا[2]
وما أثنيتُ إلا بعدَ عِلمٍ وكم من جاهلٍ أثنى فعابا
تخِذتُك موئلاً فحَلَلْتِ أندى ذراً من وائلٍ وأعزَّ غابا

ت- وصف مظاهر التقدم والتطور في البلاد والحث على المواصلة: فقد دأب شوقي أن يسطر هذه المظاهر بمداد قلمه ومن خلال شعره ليقدمها للتاريخ وللناس من أجيال متعاقبه، لا يدفعه لذلك سوى حبٍ عميقٍ للوطن.

ويظهر أن شوقي لم يكن يعبأ بتكرار الموضوع أو المناسبة في شعره.فهو مثلا يتفاعل مع إنشاء بنك مصر في عدة مناسبات تجمع بينها روح واحدة، يشارك بمناسبة وضع حجر الأساس بقصيدة طويلة مطلعها:

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٢/ ٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه:٢/ ٢٥٠.

نُراوَحُ بالحوادثِ أو نُغادى ونُنكرُها ونُعطِيها القِيادا[1]

ثم يدلي بدلوه في حفل افتتاحه بقصيدة أخرى مطلعها:

قِفْ بالمَمالِك وانظُر دولةَ المالِ واذكُر رجالاً أدالُوها بإجمال[2]

وينتقل البنك إلى مبنى جديد خاص به، فيصدح شوقي بقصيدة جديدة كذلك. يقول في مطلعها:

نبذَ الهوى وصحا من الأحلامِ شرقٌ تنبَّهَ بعد طولِ مَنام[3]

وبعد مدة أنشئ فرع للبنك في الإسكندرية، فما كان من شوقي إلا أن عبر عن فرحته بقصيدة مطلعها:

أمسِ انقضى واليومَ مرقاةُ الغدِ إسكندريةُ آنَ أنْ تَتَجدّدي[4]

وهذا التفاعل القوي من شوقي يلوح في أكثر من مظهر من مظاهر التقدم في البلاد وليس خاصا ببنك مصر فحسب[5]. بل وفي شتى الميادين من ثقافية وعسكرية وسياسية واجتماعية ورياضية وغير ذلك.

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٣/١٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٣٣١. و أدالوها: أي جعلوها متداولة. (اللسان: ٤/٤٤٤).

(٣) المصدر نفسه: ٥/١٨٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١١١.

(٥) انظر على سبيل المثال قصيدتيه بمناسبة وضع حجر الأساس لمدرسة محمد علي الصناعية في الموسوعة الشوقية: ٤/٢١، ٤/٣٦٩.

فإنشاء بنك مصر من التقدم الاقتصادي، وقد مضى معنا قبل قليل مشاركاته الشعرية بهذه المناسبة.

أما التقدم الثقافي فإنه يشغل حيزا غير يسير من شعره. من ذلك قصيدته في حفل افتتاح مبنى الجامعة المصرية سنة ١٩٣١م. يقول فيها واصفا الجامعة:

ما هذهِ الغُرفُ الزواهرُ كالضُحى ... الشامخاتُ كأنَّهـا الأعْـلام[١]

من كلِ مرفوعِ العمودِ منوّرٍ ... كالصبحِ مُنصَدِعٌ به الإظـلام

تتحطّمُ الأُميّةُ الكُبرى على ... عَرَصاتِـه وتُمـزَّقُ الأوهـام

ومديحه أعلام الأدباء في عصره، أو رثاؤه لهم يدخل في هذا الباب. فعندما ترجم أحمد لطفي السيد كتاب «الأخلاق» لأرسطو خاطبه شوقي بقصيدة يقول فيها:

وشغلتَ نفسَك بالخصيـ ... ـبِ من الجهودِ عن العقيم[٢]

فخدمتَ بالعلمِ البلا ... دَ ولم تزل أوفى خَدِيم

والعِلْمُ بنّاءُ المآ ... ثرِ والممالكِ من قديم

كَسَرُوا به نِيْر الهوا ... نِ وحَطَّموا ذُلّ الشكِيم[٣]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٥/١٧٨.

(٢) المصدر نفسه:٥/١٠٤.

(٣) النِّير:الخشبة المعترضة على عنق الثور أو الثورين المقرونين(اللسان:١٤/٣٤٨). و الشَّكِيم : الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام(اللسان:٧/١٧٩).

وكذلك رثاؤه مما يدخل في هذا الباب فقد رثى كثيرا من أعلام الأدباء والمفكرين كالإمام محمد عبده وإسماعيل صبري ومحمد تيمور وحافظ إبراهيم ومصطفى المنفلوطي ومحمد عبد المطلب وغيرهم. ولاشك أن في رثائه لهم تسجيلاً لمظهر من مظاهر التقدم الثقافي الذي شهدته البلاد.

أما التقدم العسكري، فمن أمثلته الانتصارات التي كان يحققها الجيش المصري في حروبه خاصة في السودان. ولشوقي قصيدة يهنئ فيها الجيوش المصرية بفتح إحدى المعاقل الحصينة في السودان. يقول في مطلعها:

تأمّلْ في الوجودِ وكُنْ لبيبا ... وقُم في العالمِين فقُل خطِيبا[1]

بفوزِ جنودِنا الفوز العجيبا ... بعيد الفتحِ قد أضحى قريبا

لقِينا في الزريبةِ يومَ نصرٍ ... كيومِ التلِ في تاريخَ مصرِ

يُهيئُ للبلادِ جديدَ عَصْرٍ ... ويكفِيها القلاقلَ والخُطُوبا

فهو ليس أي فتح وإنما هو فتح «يهيئ للبلاد جديد عصر».

أما قصائده التي تمس مظاهر التقدم السياسي فهي كثيرة.وقد مر معنا كيف أنه كان يحلم بتطبيق الدستور لحماية البلاد من المستعمرين. هذا بالإضافة إلى أنه كان لايألو جهدا بشعره إذا مارأى اختلافا بين الأحزاب من شأنه أن يعيق تطور البلاد. ورثاؤه لقادة التحرر الوطني

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٣٧٥.

داخل في هذا الباب ، لأنه يسجل فيه مآثرهم في خدمة البلاد وماهي إلا من مظاهر التقدم والازدهار.

وهاهو شوقي في المؤتمر الذي اجتمعت فيه الأحزاب المصرية لإنقاذ الدستور سنة ١٩٢٦ ، يصدح بقصيدة مطلعها:

صَرْحٌ على الوادي المباركِ ضاحي مُتَظاهرُ الأعـلامِ والأوضـاحِ[١]

فإذا ما ائتلفت الأحزاب وانتُخبت الوزارة الائتلافية يشيد شوقي بالزعيم سعد زغلول، وهي إشادة تغمرها الفرحة إذ يقول:

الأمَّةُ ائتلفتْ ورَصَّ بناءَها بانٍ زِعامتُهُ هُـدىً ومنـارُ[٢]

أَسَدٌ وراءَ السنِ معقودُ الحُبى يأبى ويغضبُ للشرى ويغارُ

وشوقي يلاحظ التغيرات التي تطرأ على المجتمع، ويحرص على كل ما ينهض ويرتقي بمستوى هذا المجتمع. من ذلك مثلا عندما رأى حاجة منطقة «المطرية» إلى مدارس للتعليم، فعبر عن ذلك بقصيدة يقول فيها مناشدا وزير المعارف:

يا ناشرَ العلمِ بهذي البلادْ وُفّقت نشر العلم مثل الجهادْ[٣]

بانيَ صرحِ المجد أنتَ الذي تبني بيوتَ العلم في كل نادْ

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٥٢٢.والأوضاح:جمع وَضَح وهو الغرّة(اللسان:١٥/٣٢٣).

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٦٠.

(٣) المصدر نفسه:٣/٢٥.

بالعلم ساد الناسُ في عصرِهِم واخترقوا السبعَ الطِباقَ الشِدادْ
أيَطلُبُ المجدَ ويَبغِي العُلا قومٌ لسوقِ العِلمِ فيهِم كَسادْ

فإذا ما بدا من هذا المجتمع ما يدل على وعي جيد وإدراك قوي لمعاني الترابط والتكاتف وأهميتها في النهوض بمستوى البلاد، كان ذلك محركا وباعثا عند شوقي. وللننظُر إليه يحيي الشباب الذين نهضوا بمشروع القرش[1] سنة ١٩٣٢م فيقول:

فتيةَ الوادي عَرَفنا صوتَكُم مرحباً بالطائرِ الشادي الغَرِد[2]
هوَ صوتُ الحَقِ لم يبغِ ولَم يَحمِلِ الحِقدَ ولم يُخفِ الحَسَد
وخلا من شَهوةٍ ما خالطت صالحاً من عَمَلٍ إلا فَسَد

فهذه الصفات التي يمتدحهم بها شوقي صفات المجتمع الراقي المتحضر، وقد وصفه شوقي بأبيات تالية يقول :

البنونَ استنهَضُوا آباءَهُم ودعا الشبلُ من الوادي الأَسَد[3]
أصبحت مصرُ وأضحَى مجدُها همةَ الوالِدِ أو شغلَ الوَلَد

---

(١) مشروع القرش:هو مشروع إنشاء مصنع للطرابيش في مصر بدلاً من استيرادها من خارج البلاد، قام به مجموعة من الشباب النشطاء، وجعلوا قيمة المساهمة فيه قرشاً واحداً(انظر:شرح إبراهيم الإبياري:الموسوعة الشوقية، ٣/١١٥).
(٢) الموسوعة الشوقية:٣/١١٥.
(٣) المصدر نفسه:٣/١١٨.

فهي همّة لايتصف بها إلا شعب واعٍ ومجتمع متكاتف.

ومن مظاهر التقدم التي نجد لها صدىً في شعر شوقي، التقدم الرياضي. من ذلك تهنئته بطل رفع الأثقال السيد نصير سنة ١٩٣٠م لفوزه ببطولة العالم. فيقول:

شرفاً نصيرُ ارْفعْ جبينَكَ عالياً وتَلَقَّ مِن أوطانِكَ الإِكْلِيلا[١]

يَهنِيكَ ما أُعطيتَ من إِكرامِها ومُنحتَ من عطفِ ابنِ إِسماعِيلا

اليومَ يومُ السابقِيْنَ فكُنْ فتىً لم يبغَ من قصب الرِهانِ بَديلا

وهكذا فإن شوقي عُني في شعره بوصف مظاهر التقدم والازدهار التي شهدتها البلاد. وهو وصف مدفوع بعاطفة تنبع من إحساس عميق بحب الوطن.

٢/حسه الديني :

تظهر العاطفة الدينية عند شوقي في كثير من قصائده. وهي عاطفة يبعثها الحس الديني عنده. ولعل «من أجل ما طرق شوقي من الموضوعات، وأحبها إليه، وأكثرها هيمنة على شعره، الشعر الإسلامي»[٢].

ومظاهر هذا الباعث تتجلى فيمايأتي:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٤٧٠

(٢) الأدب الحديث تاريخ ودراسات: د/محمد بن سعد بن حسين،١/١٨٢، دار عبدالعزيز آل حسين، ط٦، ١٤١٨.

أ- **المدائح النبوية**: لشوقي أربع مدائح نبوية نظمها بين سنة ١٩٠٩-١٩١٤م. «وإن مما يلفت النظر في هذه المدائح تقارب زمانها...، ولقد كان سن شوقي حين نظم هذه المدائح مابين الأربعين والخامسة والأربعين فهو في عنفوان الرجولة وكمال العقل»[١]. ولذلك تُعدّ من أقوى ما قال من الشعر الديني[٢].

وقصيدته «نهج البردة» هي أولى مدائحه، وتستغرق مائة وتسعين بيتاً، وهي معارضة لميمية البوصيري التي مطلعها:

أَمِنْ تذكُّرِ جيرانٍ بِذِي سَلَمِ مزَجتَ دَمعاً جَرى مِن مُقلةٍ بِدَمِ[٣]

وشوقي يبدأ قصيدته بقوله:

ريمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ أحلَّ سَفكَ دَمي في الأشهرِ الحُرُمِ[٤]

ومقدمتها غزلية كمقدمة البوصيري في قصيدته. وقد خلص شوقي بعد هذه المقدمة إلى أبيات من الحكمة اختتمها بالتوبة والرجوع إلى الله إذ يقول:

إن جَلّ ذَنبي عن الغُفرانِ لي أملٌ في اللهِ يجعَلُني في خيرِ مُعْتَصَمِ

---

(١) الإسلام في شعر شوقي:محمد علي مغربي، ٣٢، ط١، ١٤٠٤.

(٢) انظر:شوقي، شعره الإسلامي:د/ماهر حسن فهمي، ٨٣، دار المعارف، ط٢، بدون تاريخ.

(٣) ديوان البوصيري:تحقيق محمد سيد كيلاني، ٢٣٨، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢،

(٤) الموسوعة الشوقية:٥/٧٠.

إلى أن يقول:

لزمتُ بابَ أميرِ الأنبياءِ و من ... يُمسكْ بمِفتاحِ بابِ اللهِ يَغْتَنِمِ

فكلُّ فضلٍ وإحسانٍ وعارفةٍ ... ما بين مُستلَمٍ منه ومُلتزَمِ

«هنا يصل الشاعر إلى هدفه فينطلق بعد أن كان قد أنشد في الحكمة ماشاء له الإنشاد»[1]. فيقول:

محمدٌ صفوةُ الباري ورحمتُهُ ... وبُغيةُ اللهِ من خَلقٍ ومن نسَمِ

وصاحبُ الحوضِ يومَ الرسلُ سائلةٌ ... متى الورودُ وجبريلُ الأمينُ ظَمِي

سناؤُهُ وسناهُ الشمسُ طالعةٌ ... فالجِرمُ في فَلَكٍ والضوءُ في عَلَمِ

وفي القصيدة يتحدث شوقي عن ميلاد النبي ﷺ ومعجزته الخالدة: القرآن الكريم، وحادثة الإسراء والمعراج، وحال النبي ﷺ مع المشركين مما اضطره إلى الهجرة مع الصديق، ثم يتحدث عن الجهاد في الإسلام والمعارك التي خاضها ﷺ فيقول:

قالوا غزوتَ ورسْلُ اللهِ مابُعِثوا ... لقتلِ نفْسٍ ولاجاؤوا لسفكِ دمِ

جهلٌ وتضليلُ أحلامٍ وسفسطةٌ ... فَتَحْتَ بالسيفِ بعدَ الفتحِ بالقَلم

لما أتى لك عفواً كلُّ ذي حسبٍ ... تكفّلَ السيفُ بالجهّالِ والعَمَمِ[2]

---

(١) الإسلام في شعر شوقي:محمد علي مغربي، ٣٣.

(٢) العمم: اسم جمع للعامة(اللسان:٩/٤٠٦).

ويصف شوقي الشريعة الإسلامية وكيف أنها فجرت ينابيع العقول، ويقارن بينها وبين شرائع روما وأثينا والفرس والفراعنة فيقول:

دَعْ عنكَ رُوما وأثِينا وما حَوَتا ... كلُّ اليواقيتِ في بغدادَ والتُّوَمِ[1]

وخلِّ كِسرَى وإيواناً يُدِلُّ بِهِ ... هَوى على أثَرِ النيرانِ و الأُيُمِ[2]

واترُكْ رَعَمْسيسَ إن الملكَ مَظهرُهُ ... في نهضةِ العدلِ لا في نهضةِ الهَرَمِ[3]

دارُ الشرائعِ روما كلّما ذُكرتْ ... دارُ السلامِ لها ألقتْ يدَ السَلَمِ

ثم يصف الشاعر الخلفاء الأوائل كأبي بكر والفاروق وذي النورين وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنهم أجمعين وما امتازوا به عن غيرهم من الملوك . وفي الختام لاينسى شوقي أن يصلي ويسلم على النبي ﷺ وآله، ويدعو للخلفاء الأربعة الراشدين.

أما قصيدته الثانية البالغة تسعة وتسعين بيتا، فقد نظمها في ذكرى المولد النبوي سنة١٩١١م، ومطلعها:

بِهِ سِحْرٌ يُتَيِّمُهُ ... كِلا جَفْنَيْكَ يَعْلَمُهُ[4]

---

(١) التُّوَم :جمع تُومة، وهي الحبة تُعمل من الفضة على شكل درة(اللسان:٢/٦٥).

(٢) الأُيُم:جمع إيام وهوالدخان(اللسان:١/٢٩١).

(٣) رعمسيس: اسم لبعض ملوك الفراعنة.والمقصود جملة الفراعين.

(٤) الموسوعة الشوقية:٥/٤٩.

وتمتاز عن غيرها من المدائح النبوية بخفة إيقاعها، وتركيزها على حياة الرسول ﷺ .فأبياتها جميعها ـ باستثناء المقدمة الغزلية ـ تصوير لجوانب من حياة النبيﷺ سواء قبل النبوة أو بعدها .

فهو ﷺ:

نبيُ البـرِ والتَقـوى منـار الحـقِ معلمُـه
معاني اللـوحِ أشرفُها رسالتُـهُ ومقـدمُـهُ
لهُ في الرسلِ أكرمُهُم عريقُ الأصـلِ أكرمُـهُ
خـليـلُ اللهِ معدنُـهُ فكيف يزيفُ درهمُهُ

وعن أخلاقه ﷺ يقول:

أبـرُ الخلـقِ عاطفـةً وأسمحُـه وأحكمُـه
وأصـبرُهُ لنـائبـةٍ ومحـذورٍ يجشّمُـه
لكلٍ عنـدَهُ في البِرِ حـقٌ ليس يُهضمُـه
وفى للأهـلِ والأتبـاعِ والمسـكينُ يطعمُـه
سحابُ الجـودِ راحتُـهُ وفي بُـرديْـه عَيْلَمُـه[1]

أما معجزاته ﷺ فكثيرة منها تظليل الغمام له ﷺ، وكلام الظبية له،ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ، واستسقاؤه حين أقحط أهل المدينة فما لبث أن جاء من المطر ما جعل أهل الضواحي يشكون منه

(١) العيلم:البئر الكثيرة الماء(اللسان:٩/ ٣٧٤).

الغرق، وإسراء الله عز وجل به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعروجه ﷺ إلى السماوات :

ويظهـــر كـــل معجـــزة لشـــانيـــه فيـفحـمـــه
فـغـاديـــة تظـللـــه وبـاغـمـــة تـكـلمـــه
تـروِّي الجيـش راحتـه إذا استسقى عرمرمـــه
ويستهدي السمـــاء حيـاً لسـائلـــه فتسجُـمُـــه
ويرسـل سهـم دعوتـــه إلـى البـاغـي فيقصمـه
تبـارك مـن بـه أسـرى وجـــل الله مُكـرمـــه

. . . . . .

معارجه السمـاوات الـ ـعلى والعـرش سلّمـه

وفي ختام القصيدة يظهر دعاء شوقي ورجاؤه أن يكون من أهل الشفاعة، آملا أن تكون كلماته هذه سببا لنوالها:

أنـا المرحـوم يومئـذ بـدرٌ فيـك أنظمـه
ولامـنٌ عليـك بـه فمـن جـدواك منجمـه

أما ثالث المدائح النبوية، فقد نظمها شوقي سنة ١٩١٢م ومطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء[1]

---

(١) الموسوعة الشوقية:١/١١.

وهي معارضة ـ أيضاً ـ لهمزية البوصيري التي مطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماءً ما طاولتها سماء[1]

«والهمزية في مائة وثلاثين بيتا من الشعر وهي في مجموعها لاتخرج عن موضوعات نهج البردة»[2].

وفيها يخاطب شوقي النبي ﷺ طالبا شفاعته يوم القيامة فيقول:

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزه ماله شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه والحوض أنت حياله السقّاء
تروي وتسقي الصالحين ثوابهم والصالحات ذخائر وجزاء
ألمثل هذا ذقتَ في الدنيا الطوى وانشق من خلَق عليك رداء
لي في مديحك يا رسول عرائس تيِّمن فيك وشاقهنّ جلاء
هن الحسان فإن قبلت تكرما فمهورهنّ شفاعة حسناء[3]

وفي عام ١٩١٤م ظهرت قصيدة جديدة من مدائح شوقي النبوية ومطلعها:

---

(١) ديوان البوصيري: تحقيق محمد سيد كيلاني، ٤٩، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٣هـ. «ومعارضة شوقي لهذه القصيدة ليست تامة، حيث يختلف البحران الشعريان.»

(٢) الإسلام في شعر شوقي: محمد علي مغربي، ٤٤.

(٣) من المعلوم أن الشفاعة لاتُطلب من غير الله ـ عز وجل ـ حتى وإن كان المقصود شفاعة النبي ﷺ، فإنه يقال حينئذ: اللهم شفِّعه فيّ.

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا[1]

وهي تتألف من واحد وسبعين بيتا.فيها أبيات من الحِكَم جرى بعضها مجرى الأمثال بين الناس كقوله:

وما نَيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

والقصيدة مع أن موضوعها هو مدح الرسول ﷺ إلا أن الشاعر لم يأت على ذكره ﷺ إلا بعد مضي ثلثي القصيدة تقريبا. ذلك أن الشاعر اهتم في بداية قصيدته بالحديث عن الفقراء واليتامى وما يجب لهم من زكوات الأغنياء، وأن الناس سواسية في استحقاق العيش.

يقول:

ولم أر مثل جمع المال داءً ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته وزنها كما تزن الطعام أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذخرا وأعط الله حصته احتسابا
فلو طالعت حداث الليالي وجدت الفقر أقربها انتيابا
وأن البر خيرٌ في حياة وأبقى بعد صاحبه ثوابا

والمحور الأخلاقي والديني الذي تدور حوله بداية القصيدة يناسب الغرض الأساسي لها وهو مدحه ﷺ. وقد أحسن شوقي في الربط بينهما. فالرسول ﷺ كان فقيرا، يتيم الأب والأم، وهو خير الخلق وسيدهم:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢٥٧.

وأرسـل عائـلا منكـم يتيمـا دنـا من ذي الجلال فكان قابا

والناس بتفريطهم يبتعدون عن منهاجه ﷺ ويضلون سواء السبيل:

ولو حفظوا سبيلك كان نوراً وكان من النحوس لهم حجابا
بنيْتَ لهم من الأخلاق ركناً فخانوا الركن فانهدم اضطرابا

ولاينسى شوقي في مدحته الأخيرة أن يخاطب ممدوحه ﷺ فيقول:

أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمـدحك بيد أن لي انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان إذا لـم يتخذك لـه كتابـا
مدحت المالكين فزدت قدرا فحين مدحتك اقتدت السحابا

وفي بعض مدائح شوقي النبوية بعض الأخطاء العقدية فيما يخص التوسل بالنبي ﷺ، كما في قوله في مدحته الأخيرة :

سألت الله في أبناء ديني فإن تكن الوسيلة لي أجابـا

وهي ـ في ظني ـ ليست أخطاء صادرة عن اعتقاد منحرف من الشاعر. فشوقي لم يعرف عنه أنه متصوف أو صاحب مذهب منحرف يخالف مذهب أهل السنة والجماعة. وله أبيات يتأمل فيها حال المتوسلين بالصالحين والأولياء. يقول فيها:

لما رأيت جباه قومٍ في الثرى وشفاههم تُدلَى إلى الأعتاب[1]

وسمعت في طنطا ضراعة قائل يا أيها البدوي فرّج ما بي[2]

ولقيت في الحنفيِّ من يسعى له برسالة مفتوحة وكتاب[3]

وشهدت في روما كنيسة بطرسٍ تبلي الشفاة بها حديد الباب

وعلمت أن من القسوس مؤلهًّا يُرجى لمغفرة وحسن مآب

أيقنت أن الخلق ضلوا ربهم يا رب لا تأخذهم بعذاب

ب- تمسكه بالوحدة الإسلامية والحث عليها: يكثر في شعر شوقي حديثه عن الأمة الإسلامية وقضاياها؛ مما حدا بعض النقاد والدارسين إلى اعتباره شاعرا غيريا[4] أو شاعرا إسلاميا[5].

وعاطفته فياضة في هذا الباب، تشارك في كل حدث يمس جانب الأمة سواء في المسرة أوالحزن.

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/ ٣٨٠.

(٢) المقصود بالبدوي: أبو العباس أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسين كان أحد كبار المتصوفة. وله طريقة كان ينتسب إليها جمهور كبير. توفي بمدينة طنطا وله فيها ضريح يقصده الزائرون تبركاً.!! (انظر: شرح إبراهيم الإبياري: الموسوعة الشوقية، ٢/ ٣٨٠)

(٣) الحنفي: أي مسجد الحنفي، نسبة إلى الحنفي شمس الدين أبي محمود محمد، وهو الذي أنشأه في حياته بجوار داره سنة ٨١٧هـ، وكان من المتصوفة. (انظر: شرح إبراهيم الإبياري: الموسوعة الشوقية، ٢/ ٣٨٠). والشاعر يشير في البيت إلى ما اعتاده الناس من تضمين شكواهم رسائل يلقونها في ضريح من يعتقدونه وليا.

(٤) مثل د/شوقي ضيف في كتابه: شوقي شاعر العصر الحديث، ٣٩. والغيرية هنا معناها أن يعيش الشاعر في شعره لغيره، هذا الغير هو الأمة الإسلامية.

(٥) مثل د/محمد بن سعد بن حسين في كتابه: من شعراء الإسلام: ١٥١، ط١، ١٤٠٤هـ. و د/عبدالعزيز العمران في كتابه: الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث: ط١، ١٤٠٢.

فقد علا صوته الحزين عندما هاجم الأسطول الإيطالي بيروت تنكيلا في الخلافة العثمانية سنة ١٩١٢م، فكانت قصيدته الشاكية التي يقول فيها:

يارب أمرك في الممالك نافذ ... والحكم حكمك في الدم المسفوك[١]
إن شئت أهرقه وإن شئت احمه ... هـو لم يكن لسـواك بالمملوك
واحكم بعدلك إن عدلك لم يكن ... بالمُمترى فـيه ولا المشكوك
ألأجـل آجـالٍ دنت وتهيـأت ... قدّرت ضرب الشاطئ المتروك

وفيها يخاطب بيروت المنكوبة فيقول:

يا مضرب الخيم المنيفة للقرى ... ما أنصف العُجم الأولى ضربوك
ماكنتِ يوما للقنابل موضعاً ... ولو انها مـن عسجدٍ مسبـوك
بيروت يا راح النزيل وأنسه ... يـمضي الزمان عليّ لا أسلوك
الحسن لفظ في المدائن كلها ... ووجدتـه لفظـا ومعنًى فيـك

وفي نفس العام سقطت أدرنة العثمانية في يد البلغار، فيطلق شوقي أساه العميق بقصيدة تظهر فيها روح الوحدة الإسلامية :

يا أخت أندلسٍ عليكِ سلام ... هوت الخلافة عنك والإسلام[٢]
نزل الهلال عن السماء فليتها ... طُويت وعـمّ العالمين ظلام

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٢٣٨.
(٢) المصدر نفسه:٥/١١٨.

أزرى بـه وأزالـه عن أوجه قـدر يحـط البـدر وهـو تمـام
جرحان تمضي الأمتان عليهما هــذا يسيل وذاك لا يلتــام
بكما أصيب المسلمون وفيكما دفـن اليراع وغيِّب الصمصام
لم يُطو مأتمها و هذا مأتم لبسوا السواد عليك فيه وقاموا

فسقوط أدرنة يذكره بسقوط الأندلس ويبعث فيه الحسرة والأسى، خاصة وأن المغرب العربي أخذ في الأفول من خارطة الخلافة الإسلامية:

بالأمس أفريقا تولّت وانقضى مُلك على جيد الخضم جسام
نظم الهلال به ممالك أربعا أصبحن ليس لعقدهن نظام
من فتح هاشم أو أمية لم يضع آساسها تتر ولا أعجــام
واليوم حكم الله في مقدونيا لانقض فيه لنا ولا إبرام

ومن الأحداث التي تعرضت لها الأمة الإسلامية واهتز لها شعر شـوقي: نكبة دمشق، إثر قصف الأسطول الفرنسي لها سنة ١٩٢٥م. يقول:

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يُكَفكَف يا دمشق[1]
ومعذرة اليراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدق
وذكرى عن خواطرها لقلبي إليـك تلفّـت أبـدا وخفـق
وبي مما رمتـكِ بـه الليــالي جراحات لها في القلب عمق

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/١٩٤.

ويصف شوقي كيف تلقّى النبأ عبر وسائل الأخبار فيقول:

لحاها الله أنباء توالت ... على سمع الولي بما يشق
يفصلها إلى الدنيا بريد ... ويحملها إلى الآفاق برق
تكاد لروعة الأحداث فيها ... تُخال من الخرافة وهي صدق
وقيل معالم التاريخ دُكّت ... وقيل أصابها تلف وحرق
ألست دمشق للإسلام ظئرا ... ومرضعة الأبوة لا تعق

والبيت الأخير متضمن سبب جزعه على دمشق، فهي ليست مجرد مدينة، وإنما هي عاصمة الدولة الإسلامية في يوم من الأيام الخالية ولذلك فالاعتداء عليها اعتداء على الإسلام وتاريخه.

أما عن المستعمر الغاصب فيقول شوقي:

وللمستعمرين وإن ألانوا ... قلوب كالحجارة لا ترق
رماكِ بطيشه ورمى فرنسا ... أخو حرب به صلف وحمق
إذا ما جاءه طلاّب حق ... يقول عصابة خرجوا وشقوا

وقضية الاستعمار ـ الذي عم بلاؤه أغلب البلاد الإسلامية ـ نجد لها صدى واضحا في شعر شوقي. وهو في المقابل يرى أن الخلافة الإسلامية هي رمز الوحدة الإسلامية التي تناهض الاستعمار.

يدل على ذلك قصيدته التي قالها بمناسبة نجاة خليفة المسلمين السلطان عبدالحميد من محاولة لقتله. يقول مهنئا:

هنيئا أمير المؤمنين فإنما نجاتك للدين الحنيف نجاة[1]
هنيئا لطه والكتاب وأمة بقاؤك إبقاء لها وحياة

وشوقي يرى أن «العداوة التي يواجهها المسلمون تستهدف القضاء على الدين لا على الدولة لأنه يعرف ضراوة الصليبية في عدائها للإسلام ولكل مايتصل بالإسلام»[2]:

يعادون دينا لا يعادون دولة لقد كذبت دعوىً لهم وشكاة
ولا خير في الدنيا ولا في حقوقها إذا قيل طلاب الحقوق بغاة

وهو في ولائه للخلافة مدفوع بالعاطفة الدينية البعيدة عن مظان المصالح الشخصية، ولذلك فإنه يقول للخليفة في ختام القصيدة:

زهدت الذي في راحتيك وشاقني جوائز عند الله مبتغيات
ومن كان مثلي أحمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقات

ولما سقطت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م بكاها شوقي بكاء حارا. وله في ذلك قصيدتان: كانت الأولى في نفس السنة، وفيها يخاطب شوقي الخلافة :

عادت أغاني العرس رجع نواح ونُعيتِ بين معالم الأفراح[3]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤١٣.
(٢) الوحدة الإسلامية ومقوماتها في شعرشوقي: عبدالعزيز الربيع، بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين، ٣/٩٨١، مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز.
(٣) الموسوعة الشوقية:٢/٥٠٨.

كُفِّنت في ليل الزفاف بثوبه ودُفنتِ عند تبلّج الإصباح
شُيِّعتِ من هلعٍ بعبرة ضاحكٍ في كل ناحية وسكرة صاحي
ضجّت عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ وبكت عليكِ ممالك ونواحي
الـهند والهة ومصر حزينة تبكي عليكِ بمدمع سحّاح
والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماحي

وهو يعلن دائما أن حبه للعثمانيين :

حبٌّ لذات الله كان ولم يزل وهوىً لذات الحق والإصلاح

أما قصيدته الثانية فكانت سنة ١٩٢٦هـ ومطلعها:

بعثوا الخلافة سيرة في النادي أين المبايع بالإمام ينادي

وفيها يقول عن الخلافة واصفا سيرته معها:

وأنا الذي مرّضتها في دائها وجمعت فيه عواطف العوّاد
غنيتها لحنا تغلغل في البكا يارُبَّ باكٍ في ظواهر شادي
ونصرتها نصر المجاهد في ذرا عبدالحميد وفي جناح رشاد[1]
ودفنتها ودفنت خير قصائدي معها و طال بقبرها إنشادي
حتى اتُّهمت فقيل تركيّ الهوى صدقوا هوى الأبطال ملء فؤادي

---

(١) عبدالحميد يعني به السلطان عبدالحميد الثاني بن عبدالمجيد.ورشاد:هو السلطان محمد رشاد الذي خلفه.

وأخي القريب وإن شقيت بظلمه أدنى إلي من الغريب العادي
الله يعلم ما انفردت وإنما صوّرت شعري من شعور الوادي[1]
كنا نعظّم للهلال بقية في الأرض من ثكن ومن أجناد
ونسنُّ رضوان الخليفة خطة ولكل جيلٍ خطة ومبادي

ويظهر تفاؤل شوقي في آخر القصيدة حيث إنه يرى الوحدة الإسلامية لا تزال قائمة بعد سقوط الخلافة:

إن العلاقة بيننا قد وثّقت فكأن عروتها من الميلاد
جرح الليالي في ذمام الشرق في حبل العقيدة في ولاء الضاد

ومن القصائد التي تظهر فيها عاطفة شوقي تجاه الاستعمار وأربابه: قصيدته في رثاء البطل الشهيد عمر المختار عندما أعدمه المستعمرون الإيطاليون. يقول في أولها:

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء[2]
ياويحهم نصبوا منارا من دم يوحي إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غد بين الشعوب مودة وإخاء

وكذلك قصيدته التي يندد فيها بالاستعمار الإنجليزي لمصر.يقول فيها:

---

(١) يقصد بالوادي مصر.والشاعر هنا يشير إلى أن شعوره تجاه العثمانيين والخلافه ليس هو الوحيد الذي ينفرد به.
(٢) الموسوعة الشوقية:٢/١٤٤.

أعطى العهود وأقسم الأقساما أن لا يطول مقامه فأقاما[1]

خمسون عاما في البلاد يسوقها بالعنف عاما والهوادة عاما

مستعمر جعل الخلاف ذريعة ليهز رمحا أو يسل حساما

والشاعر لا يعفي المسلمين من مسؤوليتهم، فالاستعمار لن يزول ما لم يصحوا من سباتهم العميق:

لما أتى الوادي و عبّأ جيشه وجد الرعية والرعاة نياما

ومشى يقلّب في المعسكر عينه فيرى الصفوف ولا يحس إماما

قد أقبل التاريخ في محرابه يجزي الرجال وينطق الأحكاما

وكما أن شوقي بكى وتحسر فيما أصاب الإسلام والمسلمين من المكاره، فقد شدا وغنى بانتصارات الإسلام والمسلمين.فعندما انتصر المسلمون العثمانيون على اليونان سنة ١٨٩٧م عبر شوقي عن فرحة المسلمين بقصيدة تعد من أطول قصائده. فقد بلغت ٢٦٠ بيتا تشيع فيها روح الفخر والحماسة. ومطلعها:

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب ويُنصر دين الله أيان تضرب[2]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٦٠.

(٢) المصدر نفسه:٢/٢١١.

والقصيدة تعتبر من شعر الحرب، ذلك أنها تحكي تفاصيل المعارك التي دارت رحاها في هذه الحرب بين العثمانيين واليونان، وكأن شوقي حاضر معهم.

والشاعر يتخيل في هذه القصيدة حوارا له مع إحدى بنات الترك الأبطال، وهو تخيل أراد الشاعر به مدحهم:

تحذرني من قومها الترك زينب وتعجم في وصف الليوث وتعرب
وزينب إن تاهت وإن هي فاخرت فما قومها إلا العشير المحبب

وشوقي هنا يتوقع تساؤلا عن سبب هذه المحبة فيقول:

يؤلف إيلام الحوادث بيننا ويجمعنا في الله دين ومذهب

ولشوقي قصيدة أخرى في الموضوع نفسه يستهلها بقوله:

بحمد الله رب العالمينا وحمدك يا أمير المؤمنينا[1]
لقينا في عدوك مالقينا لقينا الفتح والنصر المبينا

وهي تشترك مع سابقتها في تبجيل القواد العثمانيين ووصف معاركهم الباسلة. وشوقي فيها يدافع عن العثمانيين «بعد أن أرجفت الصحافة ووكالات الأنباء الغربية إرجافا شديدا بصعوبة انتصار الأتراك،

(١) الموسوعة الشوقية: ٥/٢٩٤.

ثم حاولت تشويه الانتصارات التي حققوها وإلصاق تهم القسوة والوحشية بهم»[1]. وفي ذلك يقول:

أروتر لاتدس السم دسا ومهلا في التهوُّس يا هوسا[2]
سل اليونان هل ثبتت لارسا وهل حفظ الطريق إلى أثينا[3]

ويعقب بعد ذلك بقوله:

أمور تضحك الصبيان منها ولا تدري لها العقلاء كنهـا
فسل روتر وسل هافاس عنها فإن لديهما الخبر اليقينـا

وفي عام ١٩١٠م كان شوقي في الأستانة وشاهد بارجتين اشترتهما تركيا من ألمانيا فطرب لهذا الأمر و«فاضت به العاطفة إذ رأى الأسطول العثماني يزداد قوة ،وهو الذي كان أحد نقاط ضعف الدولة العثمانية في الحروب الماضية»[4] فنظم قصيدته التي يخاطب فيها السلطان محمد رشاد قائلا:

هـز اللـواء بعـزك الإسـلام وعـنت لقائم سيفك الأيام[5]

---

(١) التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي:محمد زاهد عبدالفتاح أبو غدة،٤٦،دار الرائد ، كندا ، ط١، ١٩٩٦م.
(٢) الموسوعة الشوقية: ٢٩٦/٥. وروتر:شركة إخبارية بريطانية.وهوسا:أي هافاس وهي شركة إخبارية فرنسية.(انظر:شرح إبراهيم الإبياري: الموسوعة الشوقية، ٢٩٦/٥)
(٣) لارسا:مكان كانت به موقعة حربية(انظر:شرح إبراهيم الإبياري:الموسوعة الشوقية، ٢٩٦/٥)
(٤) التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي:محمد زاهد عبدالفتاح أبو غدة،٦٨.
(٥) الموسوعة الشوقية:١١٣/٥.

وانقـادت الدنيا إليك فحسبها عـذرا قياد أسلست وزمام
ومشى الزمان إلى سريرك تائبا خجلا عليه الذل و الإرغام
عرش النبي محـمد جنباته نور ورفرفه الطهور غمام
لما جلست سما وعز كأنما هارون وابناه عـليه قيام
البحر محشود البوارج دونه والـبر تحت ظلاله آجام

ولأن شوقي مؤمن بضرورة الوحـدة الإسـلامية فقـد دعـا الـدول الإسلامية إلى دعم جهود العثمانيين في تعزيز أسطولهم البحري:

يا معشر الإسلام في أسطولكم عـز لـكم ووقايـة وسـلام
جودوا عليه بمالكم واقضوا له ما توجب الأعلاق والأرحام
لا الهند قد كرمت ولا مصر سخت والغرب قصر عن ندى والشام
سيل الممالك جارف من شدة وقوىً وأنتم في الطريق نيام
حب السيادة في شمائل دينكم والجـد روح منـه والإقـدام
والعلم من آياته الكبرى إذا رجعـت إلى آياتـه الأقـوام

وفي نهاية عهد الدولة العثمانية وبعد أن خارت قواها وانتُهب جزء كبير من أراضيها، أفلح القائد العسكري مصطفى كمال أتاتورك في استرداد قسم كبير من أراضي تركيا وإعادة الهيبة للدولة أمام الحلفاء. وكان من آخر انتصاراته التي كان يترقبها المسلمون بفارغ الصبر انتصاره على اليونان سنة ١٩٢٣م. وإذا بشوقي تتجدد مشاعره «التي يختلط فيها

الإخلاص للإسلام بمحبة آل عثمان والأتراك فيخاطب مصطفى كمال بقصيدته البائية التي تذكرنا ببائية أبي تمام لدى فتح عمورية»[1]:

الله أكبر كم في الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدّد خالد العرب[2]
صلح عزيز على حرب مظفرة ... فالسيف في غمده والحق في النصب

ويجلّي شوقي معاني الوحدة الإسلامية من خلال تصويره مشاعر المسلمين بهذا النصر المؤزر:

لما أتيت ببدر من مطالعها ... تلفت البيت في الأستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة ... إلى المنورة المسكيّة الترب
ومسّت الدار أزكى طيبها وأتت ... باب الرسول فمست أشرف العتب[3]
وأرج الفتح أرجاء الحجاز وكم ... قضى الليالي لم ينعم ولم يطب
وازّينت أمهات الشرق واستبقت ... مهارج الفتح في الموشية القشب[4]
هزت دمشق بني أيوب فانتبهوا ... يهنئون بني حمدان في حلب
ومسلمو الهند والهندوس في جذلٍ ... ومسلمو مصر والأقباط في طرب
ممالك ضمها الإسلام في رحمٍ ... وشيجة وحواها الشرق في نسب

---

(١) التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي:محمد زاهد عبدالفتاح أبو غدة، ١٠٤.
(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٢٤٠.
(٣) الدار:أي دار الخلافة.وفي البيت تصوير مغالٍ لايتفق مع العقيدة الصحيحة.
(٤) أمهات الشرق:أي حواضره ومدنه الرئيسية.والمَوْشِيّة:المنقوشة(اللسان:١٥/٣١٢).

وعندما ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة الإسلامية وحارب بعض المبادئ الإسلامية في البلاد صُدم العالم الإسلامي، وعبر شوقي عن هذه الصدمة في قصيدته الحائية السابقة التي بكى فيها الخلافة فقال:

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث بالشرع عربيد القضاء وقاح[1]
أفتى خزعبلة وقال ضلالة وأتى بكفر في البلاد بواح
إن الذين جرى عليهم فقهه خُلِقوا لفقه كتيبة وسلاح

«ثم بين شوقي موقفه الملتزم بالحق....وأن سابق مدحه لمصطفى كمال لن يمنعه من أن يتناوله باللوم والتعنيف»[2]:

الحق أولى من وليك حرمة وأحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولمهم أو خل عنك مواقف النصّاح

.....

أدوا إلى الغازي النصيحة ينتصحْ إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه كيف احتيالك في صريع الراح
نقل الشرائع والعقائد والقرى والناس نقل كتائب في الساح

رحم الله شوقي فقد كان لسان أمته الذي يعبر عن آمالها وآلامها، ولعله كان مستشعرا هذه المسئولية على عاتقه:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٥٠٨.

(٢) التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي:محمد زاهد أبوغدة،١١٢.

رب جارٍ تلفّتت مصر توليـ ـه السؤال عن جيرانه[1]
بعثتني معزّيا بمآقي وطني أو مهنئا بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ح وأن نلتقي على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه

ت- الحث على التمسك بمكارم الأخلاق: اهتم شوقي في شعره بالأخلاق وبيّن أنها ركنٌ من أركان الدين والحضارة. فهو القائل:

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا[2]

وهو القائل أيضا:

على الأخلاق خطّوا الملكَ وابنوا فليس وراءها للعزِّ ركن[3]

والأخلاق عنده من سمات الدين، ولذا فإن كل مصيبة تهون إلا المصيبة في الأخلاق:

ولا المصائب إذ يُرمى الرجال بها بقاتلاتٍ إذا الأخلاق لم تُصَب[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٤٦.
(٢) المصدر نفسه:٢/٣٧١.
(٣) المصدر نفسه:٥/٥٠١.
(٤) المصدر نفسه:٢/٢٤٨.

وهو يرى أن الشعوب بلا أخلاق إنما يسيرون في طريق الفناء والاضمحلال:

وليس بعامرٍ بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا[1]

وقوّتهم لاتُبنى بالسلاح مالم تؤازره الأخلاق:

وما السلاح لقومٍ كل عدتهم حتى يكونوا من الأخلاق في أهب[2]

لو كان في الناب دون الخُلق منبهة تساوت الأسد والذؤبان في الرتب

وكما خاطب الشعوبَ والجموع ونبههم على أهمية تمسكهم بالأخلاق ، فقد توجه أيضا للفرد مبينا له خطر الأخلاق:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم[3]

وتجدر الإشارة إلى أن شوقي قد اتخذ من المديح والرثاء وسيلة للحث على الفضائل ومكارم الأخلاق[4] وذلك من خلال تقديم نموذج صالح يُحتذى به:

يُظهر المدح رونق الرجل الما جد كالسيف يزدهي بالصقال[5]

رب مدح أذاع في الناس فضلاً وأتاهم بقدوةٍ ومثال

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه:٢/٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه:٥/٧٣.

(٤) الوحدة الإسلامية ومقوماتها في شعر شوقي:عبدالعزيز الربيع،بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين،٣/٩٩٦.

(٥) الموسوعة الشوقية:٤/٣٣٧.

ويقول أيضا:

وللناس في الماضي بصائر يهتدي عليهنّ غاو أو يسير رشيد[1]
إذا الميت لم يُكرم بأرضٍ ثناؤه تحيّر فيها الحي كيف يسود

وبعض الباحثين[2] قسم شعر الأخلاق عند شوقي إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

أولا: ما يتحدث فيه عن الأخلاق عموما، دون أن يسمي خلقاً بعينه. وذلك كقوله:

المجد والشرف الرفيع صحيفة جعلت لها الأخلاقُ كالعنوان[3]

ثانيا: ما يتحدث فيه عن خلق أو أكثر يسميه، ويركز الحديث عليه. وذلك مثل حديثه عن العزم و علو الهمة في قوله:

قل للشباب بمصر عصركم بطل بكلِّ غاية إقدام له ولع[4]
أسّ الممالك فيه همّةٌ و حِجاً لا الترّهات له أسٌّ ولا الخُدع
يعطي الشعوب على مقدار مانبغوا وليس يبخسهم شيئا إذا برعوا
ماذا تعدّون بعد البرلمان له إذا خِياركمُ بالدولة اضطلعوا

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/١٢٠.
(٢) انظر: الدين والأخلاق في شعر شوقي:علي النجدي ناصف،٢٦٨،مطبعة كوستاتسوماس وشركاه، ١٩٤٨ م.
(٣) الموسوعة الشوقية:٥/٣٥٦.
(٤) المصدر نفسه:٤/٦٩.

البرُّ لـيس لكم في طـوله لُجُمٌ والبحر ليس لكم في عُرضه شُرُع
هل تنهضون عساكم تلحقون به فليس يلحق أهل السير مضطجع

ثالثا : ما يتحـدث فيـه عـن بعـض الأخـلاق، متخـذا مـن الحـديث عـن أصحابها منفذا لذلك. وذلك كما أشرت سابقا في مدحه أو رثائـه لـبعض رجالات الأخلاق.

ث- **عقيدته** : وأقصد به الشعر الذي يتناول الدين أو إحدى جزئياته تناولا نابعاً عن اعتقاد ديني معين، بالإضافة إلى ما يتوجه فيه إلى الله سبحانه من دعاء وابتهال، من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قصيدته التي قالها متشوقا إلى الحج، والتي مطلعها:

إلى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله في عرفات[1]

وفيها يتأمل معاني الحج فيقول مخاطبا رب العزة والجلال:

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم لبيت طهور الساح والعرصات
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت لديك ولا الأقـدار مختلفـات
عنت لك في التُّرب المقدس جبهة يدين لها العاتي من الجبهات[2]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤٢١.

(٢) يقصد جبهة الخديو عباس .

ثم يعتذر شوقي إلى ربه الغفور الرحيم عن عدم ذهابه إلى الحج، متخذا ما يقدمه من الطاعات والعبادات سببا يعذره به رب العباد، كتسخير قلمه للدفاع عن الإسلام وأهله وغير ذلك، فيقول:

وفي راحتي ماضٍ إذا ما هززته ... تركت عدو الله في السكرات
أتيتَ به يارب نورا و حكمة ... ونـزّهتَـه عـــن ريـبـــة وأذاة
ويا رب لو سخّرت ناقة صالح ... لعبدك ما كانت من السلسات[1]
ويا رب هل سيارة أو مُطارة ... فيـدنـو بعيـد البيـد والفلـوات
ويا رب هل تغني عن العبد حجة ... وفي العمر مافيه من الهـفوات
وتشهد ما آذيت نفسا ولم أضِرّ ... ولم أبغِ في جهري ولا خطراتي
ولا غـلبتني شِقوة أو سعادة ... عـلى حكمـــة آتيتني وأنـاة
ولا جال إلا الخير بين سرائري ... لدى سُدّة خيرية الرغبـــات[2]
ولا بتّ إلا كابن مريمَ مشفقا ... على حسّدي مستغفرا لعداتي[3]
ولا حُمّلتْ نفسٌ هوىً لبلادها ... كنفسيَ في فـعلي وفي نفثاتي

---

(١) أي "إن ناقة صالح ،وهي من القوة بمكان،إذ كان يخصص لها شرب يوم لايشركها فيه غيرها،لو ذللنها يارب لي ركوبة إلى بيتك مالانت لي ولاذلت،لكثرة ما أحمل من خطايا".(انظر:شرح إبراهيم الأبياري،الموسوعة الشوقية،٢/٤٢٥).

(٢) السُدَّة :قيل هي الباب وقيل ما يُجعل على الباب كالظلة لتقيه المطر وقيل هي الساحة أمام الباب،والمراد حيث يستقر الخديو ويجلس(اللسان:٦/٢١٠).وخيرية:أي منسوبة إلى الخير.

(٣) كان الشاعر في غنىً عن هذه المبالغة ،حيث إن الأنبياء في مرتبة من الفضل اختصهم الله بها دون سائر البشر.

وإني ولا منٌ عليك بطاعةٍ أُجلّ وأُغلي في الفروض زكاتي
أبالغ فيها وهي عدل ورحمة ويتركها النسّاك في الخلوات
وأنت ولي العفو فامحُ بناصعٍ من الصفح ما سوّدتُ من صفحاتي

وللأمة الإسلامية وهمومها نصيب عند شوقي في هذه القصيدة، فهو يخاطب النبي ﷺ قائلا:

شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهفٍ في عميق سبات
بأيمانهم نوران ذكرٌ وسنةٌ فما بالهم في حالك الظلمات
وذلك ماضي مجدهم وفخارهم فما ضرّهم لو يعملون لآتِ
وهذا زمانٌ أرضه وسماؤه مجالٌ لمقدامٍ كبير حياة
مشى فيه قومٌ في السماء وأنشأوا بوارج في الأبراج ممتنعات
فقل ربِّ وفّق للعظائم أمتي وزيِّن لها الأفعال والعزمات

ومما يعبر كذلك عن حس شوقي الديني الأبيات التي أوردتها سلفا في تأمله حال المتوسلين بالصالحين والأولياء، وكيف أنه يرى هؤلاء على ضلال طالبا من الله الغفور الرحيم أن يتجاوز عنهم.[1]

وله تأملات أخرى تدل على نفس مؤمنة بالله تعالى. من ذلك نظرته في التوكل إذ يقول:

---

(١) انظر الأبيات صفحة ٨٢ من هذا البحث.

غالب الأمر بالتوكل غالب واطلب العون في جميع المطالب[1]
ربّ أمرٍ تضيق فيه المساعي لك منه إلى القضاء مذاهب

فهو يدعو إلى التوكل على الله عز وجل. كما يدعو إلى الإيمان بقضائه وقدره فرب أمر لا تقوى له مساعي ابن آدم يكون تمامه إلى قضاء الله وقدره.

كما أن له نظرة في تشييع الجنائز، حيث يرى عدم جدوى الغلو والإسراف فيها، فكفى بالموت ذاته جلالا:

أرى زمرا مشيِّعةً وأسمع أيما صوت[2]
ولو عقلوا لما فعلوا جلال الموت في الموت

وله أبيات في دعاء عند النوم تشيع فيها المعاني الإيمانية:

بذكرك يا إله العالمينا ننام من الحوادث آمنينا[3]
ننام وأنت حصن النائمينا ونسأل أن تجنبنا اللعينا
ننام على التندّم والمتاب ونسألك الهداية للصواب
وندعو للمريض وللمصاب وكل مجاهدٍ والغائبينا
إلهي قد أتيتك قبل نومي مقرا بالإساءة طول يومي
دعوتك والضمير يطيل لومي وأنت الله خير الراحمينا

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤٠٠.

(٢) المصدر نفسه:٢/٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه:٥/٢٣٩.

إلهي إن ظلمتُ وإن كذبتُ وإن يوما بلا سبب غضبت
فإني يا غفور إليك تبت وإنك أكرم المتجاوزينا
إلهي اعطف على وطني وداري وأكرم والديّ وراع جاري
وقصِّر ليلتي واجعل نهاري نهار العاملين الصالحينا

ومع أن الشعر الديني عند شوقي ليس كثيرا، إلا أنه يبقى من مظاهر الحس الديني عنده.كما يلاحظ أيضا أنه يمزج مشاعره الدينية بألوان من التأمل والحكمة، ويبدو ذلك واضحا في قصيدته «الله»[1]. فهي زاخرة «بالرموز إلى الأحداث الكبرى في تاريخ الإنسانية وقصة بحثها عن الإله الحق. وتزخر أيضا بالأسماء التي لها رصيد دلالي غني ـ في سياقها ـ في موضوع العلاقة بين الناس والله»[2] كأسماء بعض الأنبياء والفلاسفة والملوك.

وبداية القصيدة تحمل دفقة إيمانية صادقة، وذلك إذ يقول:

الحق حجته هي الغراء هيهات في فَلَك الصباح مراء[3]
لا يطلبنّ الغاية الشعراء لو نال كُنه جلالك الكبراء
آبت به سيناء و الإسراء
الوهم يبعد في الظنون ويقرب والعقل فيك مسافر متغرب

(١) هذا العنوان هو ماأطلق على القصيدة في الشوقيات المجهولة:د/محمد صبري،٢/١٧٧.أما في الموسوعة الشوقية فلم ترد أي إشارة إليه.
(٢) دراسات في الأدب الحديث:د/حسن عبدالسلام،٣١٢.
(٣) الموسوعة الشوقية:٢/٣٤.

والفكر يهرب حيث أنت المهرب والنفس غايتها إليك تقرب

وقصارها في عفوك استذراء

وتشيع في هذه القصيدة ـ على طولها ـ عاطفة صادقة ممتزجة بفكرٍ راقٍ متأمل في مظاهر القدرة الإلهية المبثوثة في الكون والحياة. ولكنها أيضا تشتمل على بعض المعاني التي ينبغي للمسلم الوقوف إزاءها بحذر مثل قوله: «أنت المهرب» و«العقل فيك مسافر متغرب» و«لو نال كنه جلالك الكبراء»، فهذه العبارات يُكثِر استخدامها المتصوفة.

٣/شغفه بالتاريخ :

إن الشعر ـ بوصفه فناً ـ يرتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ، «فالفن مصدر هام من مصادر المعرفة التاريخية، كما أن التاريخ، بأحداثه وظواهره وشخوصه وأبطاله منبع للوحي والإلهام في الفن»[(١)]. وقد مر بنا كيف أن التجربة الشعرية تتداخل مع التاريخ فتكون لنا تجربة تاريخية.

كان للتاريخ بصمات واضحة في شوقي وشعره. ذلك أنه آمن بأهمية التاريخ وخطره في حياة الأمم، وأيقن أن التاريخ معين لا ينضب للشعر يستمد منه ألوان العبر والأحداث، فالشعر عنده كما يراه «ابن أبوين: التاريخ والطبيعة»[(٢)] ولا شيء أدل على ذلك من شعره حيث يقول:

---

(١) الشعر والتاريخ:قاسم عبده قاسم، مجلة فصول بعنوان"شوقي وحافظ"،الجزء الثاني، ٢٣٥، ١٩٨٣م.

(٢) نقلا عن كتاب:أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ:د/فوزي عطوي،٥٧،دار الفكر العربي،ط١، ١٩٨٩م.

غال بالتاريخ واجعل صحفه ... من كتاب الله في الإجلال قابا[1]

قلب الإنجيل وانظر في الهدى ... تلق للتاريخ وزنا وحسابا

رُبّ من سافر في أسفاره ... بليالي الدهر والأيام آبا

واطلب الخلد ورمه منزلاً ... تجد الخلد من التاريخ بابا

عاش خلق ومضوا ما نقصوا ... رقعة الأرض ولا زادوا الترابا

أخذ التاريخ مما تركوا ... عملا أحسن أو قولا أصابا

ومن الإحسان أو من ضده ... نجح الراغب في الذكر وخابا

مثل القوم نسوا تاريخهم ... كلقيطٍ عيّ في الناس انتسابا

أو كمغلوبٍ على ذاكرة ... يشتكي من صلة الماضي انقضابا

وليس هذا الاحتفاء بالتاريخ مستغربا على شوقي، فقد «كان يعجبه أن يندمج في القديم ويوغل فيه إيغالا بعيدا، كان يزور الهرم أسبوعيا، ويلم بالمتحف المصري كثيرا للوقوف على التاريخ والنظر فيه بخيال شاعر، كان يستهويه القديم ويحب الماضي»[2].

وكان نتيجة لهذا الاهتمام بالتاريخ ألاّ تقع ـ في الغالب ـ «على قصيدة وطنية أو اجتماعية أو دينية أو وصفية لشوقي لا تتضمن تاريخا، أو إشارة إلى التاريخ، أو استعبارا بأحداث تاريخية معينة»[3].

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٣٠٧.

(٢) حياة شوقي:أحمد محفوظ:٩٥.

(٣) أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ:د/فوزي عطوي،٥٨.

وتاريخياته لا تقف عند حد معين، ولا تلتزم بوطنه مصر فحسب، بل تعدت ذلك لما هو أعم وأشمل حتى لامست المعاني الإنسانية التي لا تعرف الحدود. وقصيدته التي نظمها في نابليون تعد من الشواهد على ذلك، ومطلعها:

قف على كنز بباريس دفين من فريد في المعالي وثمين[1]

«وفيها يستعرض تاريخ نابليون، وما حفلت به حياته من مجد وانتصار، وما انتهت به من هزيمة وانكسار، ويسمي بعض مواقفه التي انتصر فيها، ويشير إلى غزوه مصر ووقوفه خاشعا أمام الأهرام،.....، وفي نهايتها يخاطب شوقي ساكن القبر، ويذكر العبر التي استخلصها من استعراض حياته، والوقوف على قبره»[2] فيقول:

يا كثير الصَّيد للصِّيد العلى قم تأمل كيف صادتك المنون
قم تر الدنيا كما غادرتها منزل الغدر وماء الخادعين
وتر الحق عزيزا في القنا هينا في العزَّل المستضعفين
وتر الأمر يدا فوق يد وتر الناس ذئابا وضئين[3]
وتر العز لسيف نزق في بناء الملك أو رأي رزين
سنن كانت ونظم لم يزل وفساد فوق باع المصلحين[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٢٥٢.

(٢) دراسات في الأدب الحديث:د/حسن عبدالسلام،١٦٣.

(٣) الضئين: الضأن، أي الغنم.

(٤) الباع: مسافة مابين الكفين إذا انبسطت الذراعان يميناً وشمالاً، وفوق باع المصلحين:أي فوق قدرتهم.

وقصيدته في شكسبير[1] تصب في نفس الاتجاه، وتشترك معها في عنصر الاستعبار وتأمل الموت. من ذلك قوله مخاطبا إياه:

يا صاحب العصر الخالي ألا خبر عن عالم الموت يرويه الألباء[2]
أما الحياة فأمر قد وصفت لنا فهل لما بعد تمثيل وإدناء
بمن أماتك قل لي كيف جمجمة غبراء في ظلمات الأرض جوفاء
كانت سماء بيان غير مقلعة شؤبوبها عسل صافٍ وصهباء
فأصبحت كأصيص غير مفتقد جفته ريحانة للشعر فيحاء

ويستمر في استفهاماته عما أصاب حواسه الأخرى من التغير مستلهما العبر من آيات الموت، ومتدبرا أحواله.

أما تاريخياته في مصر فقد وجدتها مدفوعة بحبه لوطنه أكثر من ميوله التاريخية، يدل على ذلك قوله:

وأنا المحتفي بتاريخ مصر من يصن مجده صان عرضا

لذا فقد أدرجتها ضمن الباعث الأول «حبه للوطن وولاؤه له» تحت مظهرين هما: وصفه لآثار البلاد قبل الإسلام وبعده، ووصفه لمظاهر التقدم فيها، ولا أرى جدوى من إعادة الحديث عنها هنا.

---

(١) هو وليام شكسبير، شاعر انجليزي، ولد سنة ١٥٦٤م، وتوفي سنة ١٦١٦م. له مسرحيات مشهورة مثل: هاملت، عطيل، تاجر البندقية وغيرها.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/١٧٣.

وتجدر الإشارة إلى أن التاريخ في شعر شوقي يتجلى لديه في مطولتين:

الأولى بعنوان «كبار الحوادث في وادي النيل» ومطلعها:

همت الفلك و احتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء[1]

وفيها يستعرض شوقي تاريخ مصر بكل مراحله وأطواره حتى العصر الحديث.

والثانية بعنوان «دول العرب وعظماء الإسلام» ومطلعها:

الحمد لله القديم الباقي ذي العرش والسبع العلى الطباق[2]

وهي تاريخ للدولة الإسلامية بدءاً بعصر النبوة ومرورا بعصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ثم العباسية في المشرق و الأموية في الأندلس وانتهاء بالدولة الفاطمية.

وشوقي فيها لا يقف موقف السارد وإنما يحلل المواقف والأحداث ويدلي بدلوه مبديا رأيه واعتقاده. وبعض الدارسين عد هذه المطولة من أعظم المآخذ على شوقي، ذلك أنها أقرب عندهم إلى باب المتون منه إلى باب الشعر.[3] ولعل الدافع إلى هذا الاعتقاد هو القالب الموسيقي لها، حيث إنها نظمت على بحر الرجز، وشوقي يرد على ذلك في نفس القصيدة بقوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤٢.

(٢) المصدر نفسه:٩/٥.

(٣) انظر:الإسلام في شعر شوقي:محمد علي مغربي،٨٢.

واخترت بحرا واسعا من الرجز قد زعموه مركبا لمن عجز
يـرون رأيـا وأرى خـلافـه الكـأس لا تُقـوِّم السـلافـة
وقيمـة اللـؤلـؤ في النحـور بنفسـه وليس بالبحـور

وأرى أن الشاعر لم يرتكب عيباً في ذلك، بل استجاب لرغبته وطبعه.

٤/إقباله على الحياة ورغبته في الاستمتاع بملذاتها :

عاش شوقي مقبلا على الحياة ولذائذها، وساعده على هذا السلوك وضعه المعيشي الذي أعفاه من قلق كسب العيش والكد من أجله. وهذا الإقبال منه على الحياة يتمثل في عدة مظاهر كالآتي:

أ- وصفه لمجالس اللهو والطرب: وهو وصف الحاضر لهذه المجالس، المعايش لما دار فيها، المستمتع بها.

ولننظر إليه وهو يصف أحد المراقص في قصر عابدين، كيف أن صوره وإيقاعاته وتراكيبه كلها تسري في جو واحد هو جو المنتشي المُطرَب.

يا ليلة البال ما خالوكِ راقصة إلا وأنتِ جمال الدهر والحقب[1]
كم لذةٍ بك ولت وانقضت وخلت وذكرها فيه لم يبرح ولم يغب
بالله بالكون بالنجم الرفيع بمن أحياك شائقة بالمنظر العجب[2]
طولي لضيفانه الأمجاد واتصلي فما ألذ المنى موصولة النسب

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٣٧٢.

(٢) لم يوفّق الشاعر في صياغة هذا البيت، حيث لا يجوز السؤال بغير الله.

ويبدو أن ليالي عابدين خلبت عقل الشاعر وإحساسه فإذا هو ينظم قصيدة أخرى في إحداها، مطلعها:

حف كأسهـا الحبب فـهي فضـة ذهـب[1]

وفيها ينطلق الشاعر في وصفه مابين الخمر والقصر والضيفان من الرجال والنساء، ويظهر تعلقه بهذه الليالي حين يصف ليلته هذه بقوله:

ليلـة علـت وغلـت ليت فجرهـا كـذب
يكفـل الأمـير لنـا أن تعيـدها الحقـب

على أن هذه القصيدة ليست الأخيرة في وصف مراقص عابدين، فله قصيدة متأخرة عنها بنحو سبع سنين، مطلعها:

مـال واحتجـب وادعـى الغضـب[2]

وتشترك مع سابقتها في جل معانيها، إلا أن شوقي في هذه القصيدة يصرح بباعث آخر جعله ينظمها وهو شعوره بالعرفان لراعي الحفل وهو الخديو، هذا إلى جانب ميله إلى متع الحياة كما أسلفت:

هـاك مدحـة الشـا عـر الأرب
زفـهـا إلـى خـير مـن خطـب

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٩٨.

فـــارسيـــــة بـــزت العـــرب
لـــم يـجىء بـهـا شـــاعـــر ذهـــب
إن تـراعـهـــا تسمـــع العجـــب
بيـــد أنـهـــا بعـــض مـــا وجـــب

وشوقي في إقباله على هذه الليالي لم يفتر ولم يتوان عنها حتى بعد أن تجاوزه الشباب، وهاهو يصف حفلا راقصا سنة ١٩٠٩م[١] فيقول:

عـلى منـازل غالـــي فـزنـا بصفـو الليـالي[٢]
تـزيـنـت وتجـلـــت فـي رونـــق وجـــلال
وأشـرقـت بـالـدراري مـن ســادة ومـوالـي
ومـن كـواكـب حسـن ومـن شـمـوس جمـال

ويمضي فيها على مثل سننه في قصائده السابقة، فيصف الخمر والنساء والدار وغير ذلك من مجالي المتع، ولسان حاله يقول:

طـربت والعيـش لهـو مـا للعـذول ومـالـي

ب- وصفه لمواطن الجمال والروعة: وهما يتوزعان ـ عند شوقي ـ على موطنين: الطبيعة بشتى أنواعها، والمرأة.

---

(١) عمر شوقي حينذاك في حدود إحدى وأربعين.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٤/٣٨٦.

أما الطبيعة فمر معنا كيف أن شوقي يرى الشعر ابنا لأبوين هي أحدهما. وقد تغنى شوقي بها في كثير من القصائد.

وكان من الطبيعي أن يحوز الربيع على اهتمام الشاعر، ويستفز شاعريته، ذلك أن الربيع هو سر من أسرار الطبيعة ورمز لروعتها ومدى تأثيرها في النفوس؛ فوصفه في قصيدة مطلعها:

آذار أقبل قم بنا يا صاح حيِّ الربيع حديقة الأرواح[1]

وهو في وصفه للربيع وروائعه يتذكر ربيع عمره الذي مضى وولى دون رجعة، خلافا لربيع الطبيعة الذي يعود كل عام فيتأسى به عما مضى من عمره :

إني لأذكر بالربيع وحسنه عهد الشباب وطِرفه الممراح[2]

هل كان إلا زهرة كزهوره عجل الفناء لها بغير جناح

وكانت رحلاته رافدا مهما في وصفه للطبيعة. إذ أتاحت له مشاهد خلابة تسبي خياله وفكره وأحاسيسه. وله أكثر من قصيدة تعبر عن مدى إعجابه بطبيعة تركيا[3]. من ذلك قصيدته التي يصف فيها مشاهد الطبيعة وهو في طريقه إلى الآستانة قادما من أوروبا، يقول:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٥١٤.

(٢) الطِرف:الكريم من الفتيان والرجال(اللسان:٨/١٤٥)، والممراح:النشيط(اللسان:١٣/٦٧).

(٣) لم تعرف بهذا الاسم حينذاك بعد.وانظر قصائد أخرى لشوقي في وصف مشاهد الطبيعة الأخرى في الموسوعة الشوقية٤:/٣٨، ٣/٣٠٨.

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري حتى أريك بديع صنع الباري[1]
الأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
من كل ناطقة الجواب كأنها أم الكتاب على لسان القاري

وهو في إعجابه بها متدبر لعظمة الخالق، فهذه المشاهد الخلابة:

دلت على ملك الملوك فلم تدع لأدلة الفقهاء والأحبار
من شك فيه فنظرة في صنعه تمحو أثيم الشك والإنكار

ومن صدى رحلاته الأخرى التي قام بها، اهتزازه لجمال الطبيعة في جنيف ـ عاصمة سويسرا ـ «فوصف أنهارها وأشجارها، وجداولها، وجسورها ومعابرها، وصوّر هيئة الغمام المتراكم فيها كالبيوت، وحركة الماء الذي يتخلل الديار والقرى، والفلك المواخر في الجداول والأنهار»[2]. كل ذلك بخيال قوي وإعجاب واضح.فجنيف في نظره:

أرض تموج بها المناظر جمة وعوالم نعم الكتاب لمن قرا[3]
وقرى ضربن على المدائن هالة ومدائن حلّيْن أجياد القرى
ومزارع للناظرين روائع لبس الفضاء بها طرازا أخضرا

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٢٩٧.

(٢) دراسات في الأدب الحديث:د/حسن عبدالسلام،١٧٣.

(٣) الموسوعة الشوقية:٣/٢٨٧.

وكما اهتم شوقي بمشاهدات الطبيعة التي أتاحتها له رحلاته حول العالم، اهتم أيضا بالمشاهد الطبيعية التي تمر علينا كل يوم، ولكن مرورها عند شوقي يختلف عنه عند غيره. ذلك أن الشاعر يتأثر بما لا يتأثر به غيره فيخلق شعرا من تجربة عادية ولكنها مؤثرة. ومثال ذلك عنده: وصفه للشمس والقمر والنخيل والبحر الأبيض المتوسط. فهي مشاهدات تمر على الناس كل يوم ولكن حب شوقي للطبيعة جعله مرهف الحس تجاه هذه المشاهدات. ولنتأمل وصفه للنخيل حين يقول:

أهذا هو النخل ملك الرياض ... أمير الحقول عروس العزب[1]
طعام الفقير وحلوى الغني ... وزاد المسافر والمغترب
فيا نخلة الرمل لم تبخلي ... ولا قصرت نخلات الترب
وأعجب كيف طوى ذكركن ... ولم يحتفل شعراء العرب
أليس حراما خلو القصا ... ئد من وصفكن وعطل الكتب
وأنتن في الهاجرات الظلال ... كأن أعاليكن القبب
وأنتن في البيد شاة المغيل ... جناها بحانب أخرى حلب
وأنتن في عرصات القصور ... حسان الدمى الزائنات الرحب
جناكن كالكرم شتى المذاق ... وكالشهد في كل لون يُحب

وإذا ما أتينا إلى الموطن الآخر من مواطن الجمال عند شوقي وهو المرأة، نجد أن الغزل يشغل حيزا لا بأس به من ديوانه، وذلك إذا ما

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/٣٥٦.

نظرنا إلى مقدماته الغزلية بعين الاعتبار، إضافة إلى قصائده الغزلية المستقلة والتي تربو على العشرين.وغزله أحيانا يطغى على مناسبة القصيدة. يلوح ذلك ـ على سبيل المثال ـ في قصيدته التي يهنئ فيها الخديو عباس بعيد الأضحى سنة ١٩٠٤م، والتي مطلعها:

شجوني إذا جُنّ الظلام كثير يؤلبها عادي الهوى ويثير[١]

وتقع في ستة وثلاثين بيتا استغرق منها الغزل والشكوى أكثر من النصف.

وهو في غزله معجب بذاته، مزهو بها، كما يبدو ذلك واضحا في قصيدته الشهيرة التي يقول فيها:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء[٢]
أتراها تناست اسمي لما كثرت في غرامها الأسماء
إن رأتني تميل عني كأن لم تك بيني وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء
ففراق يكون فيه دواء أو فراق يكون منه الداء
يوم كنا ولا تسل كيف كنا نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العفاف رقيب تعبت في مراسه الأهواء
جاذبتني ثوبي العصي وقالت أنتم الناس أيها الشعراء
فاتقوا الله في قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن خواء

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٣/٥١٢.

(٢) المصدر نفسه:٢/٩٧.

والجدير ذكره أن النقاد اختلفوا في صدق عاطفة شوقي في غزله، وسأبين ذلك ـ إن شاء الله ـ عند حديثي عن العاطفة لديه.

ت- شغفه بأولاده وتعلقه بهم: فالتعلق بالأولاد من مظاهر الإقبال على الدنيا ولذائذها. ولذلك فإن الله عز وجل عدّ ذلك من الفتن ـ إذا صرفت العبد عن الطاعات ـ في أكثر من موضع من القرآن الكريم فقال ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وقال سبحانه ـ أيضاً ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2].

كان شوقي مراقبا لمراحل نمو أبنائه متابعا لهم، فهاهي الفرحة تبدو ـ عندما بلغت ابنته أمينة السنة الأولى ـ في قصيدة يقول فيها:

فيا جبين السعد لي ... ويا عيون الفلك[3]
ويا بياض العيش في ... الأيام ذات الحلك
إن الليالي وهي لا ... تنفك حرب أهلك
لو أنصفتكِ طفلة ... لكُنت بنت الملك

---

(١) سورة الأنفال، الآية٢٨.

(٢) سورة الكهف، الآية٤٦.

(٣) الموسوعة الشوقية:٩/٢٣١.

وهي أبيات تنم عن اعتزاز عميق بابنته، فهي جديرة أن تكون بنت ملك، والمُلك ـ عند شوقي ـ درجة عالية من الشرف.

وعندما بلغت أمينة الثانية، يهنئُها بقوله:

أمينة يا بنتي الغالية ... أهنيك بالسنة الثانية[1]

وأسأل أن تسلمي لي السنين ... وأن تُرزقي العقل والعافية

وأن تُقسمي لأبر الرجال ... وأن تلدي الأنفس العالية

ثم يستعرض معها الذكريات خلال سنتها الأولى فيقول:

أتدرين ما مر من حادث ... وما كان في السنة الماضية

وكم بُلت في حُلل من حرير ... وكم قد كسرت من الآنية

وكم سهرت في رضاك الجفون ... وأنت على غضب غافية

وكم قد خلت من أبيك الجيوب ... وليست جيوبك بالخالية

وكم قد شكا المر من عيشه ... وأنتِ وحلواكِ في ناحية

وكم قد مرضت فأسقمتِه ... وقمتِ فكنتِ له شافية

ويضحك إن جئته تضحكين ... ويبكي إذا جئته باكية

ومن عجب مرت الحادثات ... وأنت لأحدثها ناسية

فلو حسدت مهجة وُلدها ... حسدتك من طفلة لاهية

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤٩٨/٥.

وتتكرر الفكرة ذاتها عندما بلغ ابنه علي السنة الثانية، ولكن شوقي هنا يقف من ابنه موقف المعلم أكثر من المدلل، ولعل ذلك يرجع - في رأيي - إلى ملاحظته الفارق بين مسؤوليات الابن ومسؤوليات البنت في المستقبل، حيث إن الرجل يحمل على عاتقه ما لا تحمله المرأة.

يقول في هذه القصيدة:

هـذه أول خطـوة ... هـذه أول كبوة[1]
في طـريقي لعلي ... عنه لـو يعلم غنوة
يأخذ العيشة فيـه ... مرة، آنـا وحلوة
يا علي إن أنت أوفيـ ... ـت على سن الفتوة
دافع النـاس وزاحم ... وخـذ العيش بقوة
لا تقل كـان أبي إيـ ... ـاك أن تحذو حذوه

وحبه لأحفاده لا يقل عن حبه للأبناء، وله أبيات في حفيده أحمد علي يقول فيها:

سلالتي مـن علي ... ولـدتـه مـرتـين[2]
أحببتـه كـأبيـه ... وزدتـه حبتـين
طفـل علينـا أميـر ... مقبَّـل الـركبتين
رضـاه غـير قليـل ... وسخطه غير هـين

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٤٥٢.

(٢) المصدر نفسه:٥/٣٩٨.

يفي ويُقصى بأولى إشارة الراحتين
ويزدهي بخداع وقول زور ومين

ث- تشاؤمه وخوفه من الموت: وهو رد فعل طبعي لمن أقبل على الحياة وملذاتها وتعلق بها[1].

ولا أكاد أقرأ قصيدة لشوقي في الرثاء إلا وأجد فيها تساؤلات عن الموت وعالمه تنبي عن خوف شديد يسكن بين جوانحه، ويبعثه على التشاؤم.

ففي رثاء أستاذه إسماعيل صبري، يسأل الدنيا متعجبا من حالها، فهي لا تدوم لراغب ولا تصفو لشارب أبدا:

ما أنتِ يا دنيا أرؤيا نائم أم ليل عرس أم بساط سلاف[2]
نعماؤك الريحان إلا أنه مست حواشيه نقيع زعاف
مازلت أصحب فيك خلقا ثابتا حتى ظفرت بخلقك المتنافي

ثم يصور حال الموتى في القبور تصويرا يبين مدى خوفه من الموت. يقول:

في منزل دارت على الصيد العلى فيه الرحى ومشت على الأرداف
وأزيل من حسن الوجوه وعزها ما كان يُعبد من وراء سجاف[3]

---

(١) شوقيات وشوكيات: عبدالعزيز الربيع، إعداد وتقديم محمد صالح البليهشي، ٨٢، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٤/١٥١.

(٣) السجاف: الستر (اللسان: ٦/١٨٠)، يعني الجميلات في المقصورات. والمقصود بالعبادة في البيت مجرد الإجلال.

من كل لـمّاح النعيم تقلبت ديباجتاه عـلى بلىً وجفـاف
وترى الجماجم في التراب تماثلت بعـد العقـول تماثل الأصـداف
وترى العيون القاتلات بنظرة منهوبـة الأجفـان والأسيـاف[1]
وتُراع من ضحك الثغور وطالما فتنت بحلـو تبسـم وهتـاف

وهذه الروح الصادقة في رثائه لا تتزعزع في مجمل مرثياته، «ولعل ذلك يرجع إلى خوف هذا الرجل من الموت وإدامة التفكير في مصيره. فكأنه كان يرثي نفسه ويتصور جثمانه مدرجا في تابوت محمول على أعناق الرجال».[2]

ولعله من شدة تهيبه للموت رثى نفسه وهو لم يتجاوز الثالثة والثلاثين[3] من عمره فقال:

كأني بالحمام أصاب ركني فمـال وأي ركـن لا يميـل[4]
وأدركني ونجـم صباي عـال فخـر النجـم وازدوج الأفـول
فـلا يغـرر كما ولـديّ بعـدي زهـا الدنيـا ومنظرهـا الجميـل

٥/رغبته في المحافظة على مكانته الأدبية والاجتماعية والسياسية: خاصة بعد أن بويع بإمارة الشعر سنة ١٩٢٧م من شتى الأقطار العربية، فأصبح بذلك ذا مكانة مرموقة بين طبقات المجتمع.

---

(١) الأسياف: أي الألحاظ. على التشبيه بجامع الفتك في كل.
(٢) حياة شوقي: أحمد محفوظ، ١٠٨.
(٣) نظمها سنة ١٩٠١م، اعتمادا على تأريخ جامع الموسوعة الشوقية.
(٤) الموسوعة الشوقية: ٤/٣٥٣.

وقد ألقت عليه هذه المكانة ـ في رأيي ـ عبئا كبيرا. ذلك أنه أصبح لسان الأمة العربية والإسلامية عامة، ولسان الشعب المصري خاصة، وذلك يستلزم منه المشاركة في كل خطب يمس كيان الأمة والوطن.وقد رأينا كيف أنه نظم كثيرا في هذا المجال [1]. وكان ـ كما أسلفت ـ مستشعرا هذه المسئولية على عاتقه. يقول:

رب جارٍ تلفّتت مصر توليـ ـه السؤال عن جيرانه[2]
بعثتني معزّيا بمآقي وطني أو مهنئا بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ح وأن نلتقي على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه

ومن جهة أخرى فإن مكانته السياسية حتمت عليه عدة أمور:

١) أن يكون ناطقا بلسان القصر الحاكم أحيانا.فالبيت الخديوي ذو فضل كبير عليه، لا يستطيع أن ينكره أو يقلل من شأنه. بل إنه ذكر فضله عليه في أكثر من قصيدة، وذلك في مثل قوله:

أ أخون إسماعيل في أبنائه ولقد وُلدت بباب إسماعيلا[3]
ولبست نعمته ونعمة بيته فلبست جزلا وارتديت جميلا
ووجدت آبائي على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال دليلا

---

(١) وذلك عند الحديث عن وطنيته وحسه الديني فيما سبق.
(٢) الموسوعة الشوقية:٥/٣٤٦.
(٣) المصدر نفسه:٤/٣١٥.

ومن قصائده التي يعلو فيها صوت القصر الخديوي، قصيدته في هجاء عرابي، والتي مطلعها:

صغار في الذهاب وفي الإياب أهـذا كـل شأنك يـا عرابي[1]

«ولم يذهب عرابي صاغرا ولا آب صاغرا، بل كان الشعب المصري ولا يزال يعده بطلاً في الذهاب وفي الإياب. ولكن شوقي لم يكن يشعر شعور الشعب، وإنما كان يشعر شعور القصر. وكان القصر غاضبا على عرابي منذ توفيق، فغضب شوقي عليه»[2]، وقد ذكر شوقي نفسه لسكرتيره أحمد محفوظ أن الخديو عباس هو الذي أمره بهجو عرابي ففعل.[3]

٢) اتخاذ سبل المجاملات التي تفرضـها العـلاقات السياسية والاجتماعية ـ أحياناً ـ. فليس كل من مدحهم شوقي أو رثاهم على صلة وثيقة به، تسوغ هذا المديح أو الرثاء. وهذا مما يطعن في صدق التجربة عند شوقي ـ أحياناً ـ.

٣) اللجوء إلى الرمز في شعره، وذلك عن طـريق القصص عـلى لسان الحيوان. فكلمة الحق ـ أحيانا ـ تلح عليه، ولكنه لا يستطيع التصريح خوفاً من غضب الحاكم.

---

(١)الموسوعة الشوقية:٢/٣٦٦.

(٢) شوقي شاعر العصر الحديث:د/شوقي ضيف،١٩-٢٠.

(٣) حياة شوقي:أحمد محفوظ،٨٦.

ولننظر إلى قصيدته التي نظمها حين حُكم على الشاب إبراهيم الورداني[1] بالإعدام بعد اغتياله بطرس غالي الذي أراد تجديد امتياز شركة قناة السويس لمدة أربعين سنة أخرى. وقد رمز له بالبلبل الصدّاح كي يخرج من دائرة المساءلة، وكأنه يراه صادحا بالحق. وفيها يخاطبه آسياً على حاله بين القضبان فيقول:

يـا ليـت شعـري يـا أسيـ ـرشجٍ فؤادك أم خلي[2]
وحليـف سـهد أم تنـا م الليل حتى ينجلـي
بالـرغـم مني مـا تعـا لج في النحاس المقفـل
حرصي عليك هوىً ومن يـحـرز ثمينـا يبخـل

وله قصيدة أخرى يجري فيها حوارا بين الغزال الحائر الباحث عن رضا الناس والكلب الأمين الخبير. فالغزال يسأل «كيف حال الورى وكيف الرجال» والكلب المجرب العارف يجيب:

سائلي عن حقيقة الناس عذرا ليس فيهم حقيقة فتقال[3]
إنما هم حقد وغش وبغض وأذاة وغيبة وانتحال
ليت شعري هل يستريح فؤادي كم أداريهم وكم أحتال

---

(١) كان صيدليا، وينتمي إلى جمعية التضامن الأخوي، وهي جمعية سرية قد ضاقت بالانحرافات السياسية التي كانت تحدث آنذاك ومنها توجه بطرس غالي المذكور أعلاه والذي عدته خيانة. "الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري، ٤/٣١٩"

(٢) الموسوعة الشوقية: ٤/٣١٩.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٤٨٣.

فرضا البعض للبعض سخط ورضا الكل مطلب لا ينال
ورضا الله نرتجيه ولكن لا يؤدي إليه إلا الكمال
لا يغرنك يا أخا البيد من مو لاك ذاك القبول والإقبال
أنت في الأسر ما سلمت فإن تمـ ـرض تُقطَّعْ من جسمك الأوصال
فاطلب البيد وارض بالعشب قوتا فهناك العيش الهني الحلال
أنا لو لا العظام وهي حياتي لم تطب لي مع ابن آدم حال

والأبيات ـ في رأيي ـ وصف أمين من شوقي لشعوره تجاه القصر ومتطلباته. فهو قد سئم هذا النمط من العيش، وهو في الوقت ذاته قد اعتاده فلا يستطيع فكاكا عنه، وهذا ما يعبر عنه البيت الأخير.

ومما يدلل على شعوره هذا، أبيات ينصح فيها ابنه علي، يختتمها بقوله:

لا تقل كان أبي إيَّـ ـاك أن تحذوَ حذوه[1]
أنا لم أغنم من النا س سوى فنجان قهوه
أنا لم أجز عن المد ح من الأملاك فروه
أنا لم أجز عن الكتـ ـب من القراء حُظوه
ضيع الكل حيائي وعفافي والمروه

(١) الموسوعة الشوقية: ٤٥٢/٥

٦/خلق الوفاء عنده: وقد عبر عنه ـ مثلا ـ بعلاقته مع شكيب أرسلان[١] فقال:

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها ... سواي على أن الصحاب كثير[٢]

حرصت عليها آنة ثم آنة ... كما ضن بالماس الكريم خبير

فلما تساقينا الوفاء وتم لي ... وداد على كل الوداد أمير

تفرق جسمي في البلاد وجسمه ... ولم يتفرق خاطر وضمير

ويلوح وفاؤه في مرثياته ومدائحه لمعارفه، كما يلوح أيضا في خواطره عبر الذكريات التي تبحث عن آثار رفاقه وزملائه أيام الشباب.

فمن مرثياته ـ على سبيل المثال ـ رثاؤه لإسماعيل صبري أستاذه، حيث يقول:

أأبا الحسين تحية لثراك من ... روح وريحان وعذب نطاف[٣]

وسلام أهل ولّهِ وصحابة ... حسرى على تلك الخلال لهاف

هل في يدي سوى قريض خالد ... أزجيه بين يديك للإتحاف

ما كان أكرمه عليك فهل ترى ... أني بعثت بأكرم الألطاف

هذا هو الريحان إلا أنه ... نفحات تلك الروضة المئناف[٤]

---

(١) هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من نسل التنوخيين ملوك الحيرة، أديب سياسي مؤرخ، ولد سنة ١٨٦٩م وتوفي سنة ١٩٤٦م. وقد ألف كتابا عن شوقي أسماه "شوقي أو صداقة أربعين سنة". (الأعلام: ٣/١٧٣)

(٢) الموسوعة الشوقية: ٣/٤٩٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٥٦.

(٤) المئناف: يُطلق في الأصل على الرجل الذي يأنف المراعي والمنازل ويرعى ماله أول الكلأ. وهو في البيت للدلالة على عزة الروضة وشرفها (اللسان: ١/٢٣٨).

والدرّ إلا أن مهد يتيمه بالأمس لجة بحرك القذاف
أيام أمرح في غبارك ناشئا نهج المِهار على غُبار خِصاف[1]
أتعلَّم الغايات كيف ترام في مضمار فضل أو مجال قوافي

وعندما مر بالدار التي كان يقيم فيها الخديو إسماعيل بعد نفيه في مدينة نابولي بإيطاليا؛ قال متذكرا لصنيعه معه ومتدبرا في حاله:

أبكيك إسماعيل مصر وفي البكا بعد التذكر راحة المستعبر[2]
ومن القيام ببعض حقك أنني أرقى لعزك والنعيم المدبر
هذي بيوت الروم كيف سكنتها بعد القصور المزريات بقيصر
ومن العجائب أن نفسك أقصرت والدهر في إحراجها لم يُقصِرِ
ما زال يُخلي منك كل محلة حتى دُفعت إلى المكان الأقفر
نظر الزمان إلى ديارك كلها نظر الرشيد إلى منازل جعفر

ويتذكر شوقي أحد رفاق الدرس والتحصيل في فرنسا وقد أنشبت المنية أظفارها فلم تدع لهما فرصة للالتقاء من جديد؛ فيقول:

ما بين دمعي المسبل وبين ثرى علي[3]
عهد البقيع وساكنيـ ـه على الحيا المتهلّل

---

(١) المهار: جمع مُهر، وهو أول ما ينتج من الخيل (اللسان:١٣/٢٠٧). وخصاف: اسم فرس مشهور (اللسان:٤/١١٢).
(٢) الموسوعة الشوقية:٣/٤١٠.
(٣) المصدر نفسه:٤/٤٣٧.

ويلتفت إلى الأيام العذاب التي جمعتهما في فرنسا للدراسة، فيقول عنها:

ذهبت كحلم بيد أن ... الحلم لم يُتأوَّل
إذ نحن في ظل الشبا ... ب الوارف المتهدّل
جاران في دار النوى ... متقابلان بمنزل
أبكي وأبكك ضاحكا ... ن على خمائل منبلي[1]
والدرس يجمعني بأفـ ... ـضل طالب ومحصل
أيام تبذُل في سبيـ ... ـل العلم ما لم يبذل
غض الشباب فكيف كنـ ... ـت عن الشباب بمعزل

ومن معانيه الجميلة في الوفاء،أنه كتب على صورة أهداها لصديق:

سعت لك صورتي وأتاك شخصي ... وسار الظل نحوك والجهات[2]
لأن الروح عندك وهي أصل ... وحيث الأصل تسعى الملحقات
وهبها صورة من غير روح ... أليس من القبول لها حياة

٧/حبه للفكاهة والتندر والممازحة:ويظهر ذلك جليا من خلال قصائده الدعابية مع صديقه د/محجوب ثابت.من ذلك مثلا أنه «كان لمحجوب عربة يجرها حصان أبيض أعجف لا يكاد يخطو من الهزال....وكان لهذا

---

(١) منبلي:أي مونبليه وهي المدينة الفرنسية التي كان شوقي يتلقّى فيها العلم مع المرثي.
(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٤٧١.

الحصان سائق عجوز فقير الثوب والحال، يشبه الحصان في سوء حاله وبؤسه»[1]، فلم يزالا على حالهما هذه حتى فرجت كربتهما بأن اشترى محجوب سيارة قديمة بدلاً من الحصان. ولشوقي قصيدة في هذه القصة مطلعها:

لكم في الخط سيارة حديث الجار والجارة[2]

ويصف فيها السيارة الجديدة المتهالكة فيقول:

إذا حركها مالت على الجنبين منهارة
وقد تحرن أحيانا وتمشي وحدها تارة
ولا تشبعها عين من البنزين فوارة
ولا تروى من الزيت وإن عامت به الفارة[3]
ترى الشارع في ذعرٍ إذا لاحت من الحارة
وصبيانا يضجون كما يلقون طيارة
وفي مقدمها بوقٌ وفي المؤخر زمارة
فقد تمشي متى شاءت وقد ترجع مختارة

ثم يخاطب الحصان قائلا:

---

(١) حياة شوقي: أحمد محفوظ: ٨١.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٣/٤٤١.

(٣) الفارة: الوعاء، والأصل فيها أن تكون للمسك (اللسان: ١٠/١٦٦).

لقـد بـدلك الـدهـر من الإقبـال إدبـاره
فصبرا يـا فتى الخيـل فنفس الحـر صبـاره
أحـق أن محجـوبـا سـلا عنـك بفخـاره
ويـاع الأبلـق الحـر بأوفـرلانـد نعّـارة[1]

ولـه قصائد أخرى تغمرها روح الفكاهة،وهي متصلة بصديقه محجوب ثابت.[2] كما أن بعض قصائده الرمزية تحمل طابعا فكاهيا واضحا من مثل قوله:

سقط الحمار من السفينة في الدجى فبكى الرفاق لفقده وترحموا[3]
حتى إذا طـلع النهار أتـت بـه نـحو السـفينة موجة تتقدم
قالـت خذوه كـما أتاني سالما لـم أبتلعه لأنـه لا يـُهضم

٨/اعتزازه بنفسه وشعره وافتتانه بهما: فقد افتخر بشاعريته في كثير من قصائده، في مديحه ورثائه ووصفه، وفي مخاطبته للملوك والأمراء والبلدان. ولم يفته حين صدر ديوانه في طبعته الأولى سنة ١٨٩٩م «أن يصنع له تاريخا شعريا بحساب الجمل ـ كما كان الشعراء يفعلون بالتواريخ الشعرية في ذلك العهد ـ فجعل ديوانه معجزا، وأسماه: معجز أحمد، وجعل عبارة تاريخه:أليق ديوان ظهر»[4] وذلك حيث يقول:

---

(١) أوفرلاند: اسم سيارة أمريكية عرفت في ذاك الوقت. والنعار: أي الكثير الصياح والتصويت بخيشومه (اللسان:١٤/١٩٢).

(٢) انظر على سبيل المثال :الموسوعة الشوقية:٤/٢٢١-٣٩٨/٤- ٥/٢٢٦ -٥/٢٢٧ -٥/٤٦٧.

(٣)الموسوعة الشوقية:٥/٢٢٠.

(٤) في صحبة الشعر والشعراء:محمد عبدالغني حسن،١١٦،عالم الكتب،القاهرة.

مجموعة لأحمدٍ معجزه فيها بهر[1]
تعد في تاريخها أليق ديوان ظهر

ولعله من الجدير أن أذكر بعض الشواهد من شعره التي تؤيد افتتانه بشاعريته.ففي رثائه لجدته يقول:

ولو لم تظهري في العرب إلا بأحمد كنت خير الوالدات[2]

وهو هنا يتابع المتنبي في رثائه لجدته أيضا وذلك حيث يقول:

ولو لم تكوني بنت أكرم والدٍ لكان أباك الضخم كونك لي أما[3]

وشوقي بعد بيته السابق يستأنف ذكر صفاته التي جعلت من جدته قمينة بالفخر به:

وأحكمِ من تحكم في يراع وأبلغ من تبلغ من دواة
وأبرأ من تبرأ من عداء وأنزه من تنزه من شمات
وأصون صائن لأخيه عرضا وأحفظ حافظ عهد اللدات
وأقتل قاتل للدهر خبرا وأصبر صابر للغاشيات

---

(١) الموسوعة الشوقية:٩/١٩٨.
(٢) المصدر نفسه:٢/٤٤٩.
(٣) ديوان المتنبي، شرح عبدالرحمن البرقوقي:٤/٢٢٦، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٧هـ.

أما مدائحه فيتكرر فيها فخره بشكل ملحوظ، من ذلك أبياتـه الـتي مرت معنا في وصفه لمجالس اللهو، ومنها قوله:

هـاك مـدحـة الشا عـــــر الأرب[1]
زفـهـــــا إلـــى خـير مـــن خـطـب
فـارسـيـــــــة بـزت العـــــرب
لـم يـجـيء بـهـا شـاعـر ذهـــــب
إن تـراعـهـــــا تسمـــع العجـب
بيـــد أنـهـــا بعـض مـا وجـب

ومن هذا أيضا قوله مادحا السلطان عبدالحميد:

لي في ثنائك وهو باق خـالد شعر على الشعرى المنيعة زاري[2]

ومنطقه هذا لا يختلـف حـتى في خطابـه للمـدن والبلـدان، فهـو يخاطب زحلة ـ على سبيل المثال ـ قائلا:

أحللتُ شعري منكِ في عليا الذُرى وجـمـعتُه بروايـةِ الأمـلاك[3]
إن تُكرمي يا زحلُ شعري إنني أنـكرتُ كـل قـصيـدة إلاك

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢٩٨.
(٢) المصدر نفسه:٣/٣٠٥.
(٣) المصدر نفسه:٤/٢٥٠.

ومن مظاهر اعتزازه بشعره أنه يشبه نفسه برموز الشعر العربي القديم من الشعراء البلغاء أمثال حسان[1] وجرير[2] والبحتري وأبي تمام والمتنبي وغيرهم. من ذلك قوله للسلطان عبدالحميد:

ملكت أمير المؤمنين ابن هانئ بفضل له الألباب ممتلكات[3]

ومازلت حسان المقام ولم تزل تليني وتسري منك لي النفحات

«فشوقي يرى مقامه من الخليفة مقام حسان من الرسول ﷺ، في مدحه والدفاع عنه..... ووحد في البيت السابق بين نفسه وبين أبي نواس في قوله «ملكت أمير المؤمنين ابن هانئ» فهو إنما يريد نفسه»[4].

ومن الجدير بالذكر أن هذا الشعور من شوقي تجاه شعره وشاعريته له ـ في رأيي ـ تأثير قوي في غزارة نتاجه الأدبي. حيث إنه استلهم من طريق قناعته بقوة شاعريته، أنه لابد من المشاركة في أحداث الأمة، والدفاع عن الإسلام، والذب عن الوطن. ولذلك فهو مبعوث مصر للعالم أجمع وهو الناطق بلسانها لأنه شاعر النيل[5] وشاعر العزيز[6]:

---

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري، صحابي جليل، وشاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. اشتهر بمدح الغسانيين وملوك الحيرة قبل الإسلام. وكان شديد الهجاء فحل الشعر. توفي رضي الله عنه سنة ٥٤هـ. (الأعلام: ٢/١٧٥)

(٢) هو جرير بن عطية الخطفي (٢٨-١١٠)، عده البعض أشعر أهل عصره، عاش عمره كله يناضل شعراء زمنه فلم يثبت له إلا الفرزدق والأخطل، وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. ونقائضه مع الفرزدق مشهورة. (الأعلام: ٢/١١٩)

(٣) الموسوعة الشوقية: ٢/٤١٠.

(٤) عناصر التراث في شعر شوقي: ناصر الدين الأسد، ٢٧، مجلة فصول بعنوان «شوقي و حافظ»، الجزء الأول.

(٥) من المعلوم أن حافظ إبراهيم عُرف بهذا اللقب، ولكن شوقي أطلقه على نفسه حين قال مخاطبا نفسه:

شاعر النيل لو ذهبتَ يمينا في ربى النيل أو ذهبت شمالا

لرأيت الزمان حين تعدى حمل السهل ما يدك الجبالا

الموسوعة الشوقية: ٤/٤١٤.

(٦) لقب نفسه بذلك في قوله: « شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب » الموسوعة الشوقية: ٢/٢٩٢.

رب جارٍ تلفّتت مصر توليـ ـه السؤال عن جيرانه[1]
بعثتني معزّيا بمآقي وطني أو مهنئا بلسانه
كان شعري الغناء في فرح الشر ق وكان العزاء في أحزانه

وبعد، فقد تبين لنا مما سبق كيف أن بواعث الشعر تعددت لدى شوقي، فأنتجت لنا شعراً غزيراً تختلف مضامينه وموضوعاته واتجاهاته. وكان نتيجة لهذا الاختلاف أن تنوّعت التجارب الشعرية عنده على النحو الآتي:

أنواع التجربة الشعرية عند شوقي :

١. **التجربة الذاتية :** وتشمل تجاربه الشخصية في شعره التي تلامس جانباً من جوانب حياته الخاصة، كحبه لأسرته أو رثائه لأقاربه، أو إعجابه بمنظر من مناظر الطبيعة أو رمز من رموز التعليم أو الأدب أو الحُكم أو غير ذلك مما يكون من منطلق الإعجاب .

وتجدر الإشارة إلى أن غرض المديح في شعره يدخل تحت الذاتية، وهذا لا يعني أنها على درجة متساوية في شعره، فهي تتفاوت قوة وضعفا. وكذلك الغزل والهجاء والفكاهة، فهي أغراض يستحيل أن تنفك عن الذات وبواطنها.

٢. **التجربة الوطنية :** وهي تغطي مساحة واسعة من شعره، كما تتداخل في كثير من القصائد مع تجارب أخرى كالدينية والتاريخية وغير ذلك.وقد مر معنا كيف أن حبه لوطنه يشكل أقوى باعث لديه.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٤٦.

٣. **التجربة الدينية** : وتظهر في قصائد مستقلة كالمدائح النبوية، كما تظهر ـ أيضاً ـ في أبيات متفرقة من القصيدة الواحدة، وذلك كحثّه على التمسك بالأخلاق الفاضلة ـ على سبيل المثال ـ.

٤. **التجربة التاريخية** : وقد وُجدت عنده في قصائد مستقلة مثل مطولته «كبار الحوادث في وادي النيل»، كما وُجدت أيضا متداخلة مع أنواع أخرى من التجارب الشعرية كما في كثير من قصائده الوطنية والدينية.

٥. **التجربة الفكرية** : ويندر أن تنفرد بقصيدة مستقلة كما في مجمل قصيدته «الله» التي سلف ذكرها. وهي غالبا تتجلى في حكمه المنثورة في شتى قصائده، وفي تساؤلاته التي امتاز بها في الرثاء خاصة عن الموت وأسراره .

٦. **التجربة الرمزية** : وقد امتاز بها شوقي عن سائر الشعراء في عصره. وهي ما تجلت عنده في القصص على لسان الحيوان. وهو فن يغطّي ما يربو على خمسين قصيدة في شعره.

٧. **التجربة الاجتماعية** : وتتجلى في عدة مضامين اجتماعية في شعره. منها على سبيل المثال: رعاية الأطفال المعاقين ـ دور المرأة في المجتمع ـ الدعوة إلى نبذ التحزب العنصري ـ الدعوة إلى التضامن الاجتماعي ـ نظرات في العادات الاجتماعية المنحرفة-قضية الحجاب والسفور للمرأة وغير ذلك من المضامين.

٨. **التجربة الخيالية** : وتكون غالبا عندما يتحدث على لسان غيره، كالأم أو المدرسة أو جماعة معينة من الناس ذوي نشاط معين. ذلك أنه يتخيل نفسه مكان هؤلاء فيشعر كما يفترض أن يشعروا. فإن كان

الطرف الآخر جمادا كالمدرسة فإنه يسبغ عليها من المشاعر المتخيلة ويجعلها شاعرة كما يشعر البشر.

٩.**التجربة الأسطورية** : ولم أجدها لديه إلا في قصيدة واحدة وهي في المرأة الهندية.ويبدو أن شوقي لا يستهويه هذا النوع من التجارب. بدليل أن شعره ضمن هذه التجربة على قلته ـ وهو قصيدة واحدة كما ذكرت ـ ترجمة عن الفرنسية وليس إبداعا من روحه. والقصيدة يبدؤها شوقي بقوله:

أروي لكم خرافة ... في غاية اللطافة[1]

أتت من الهند لنا ... وترجموها قبلنا

إلى لغات جمة ... لأن فيها حكمة

---

(١) الموسوعة الشوقية:٩/٢٢٤.

الفصل الثاني
بواعث التجربة الشعرية
وأنواعها لدى الغزاوي

كان الغزاوي صاحبَ موهبةٍ شعريةٍ قوية. وشاعريّتُه «قويةٌ قادرةٌ على العطاء متى ما أحسّت موضوعاتِ الشعر الوجدانّي وأحسّت شعرَ المناسبات، كما تتّسِم بالقدرة على الارتجال والتطويل»[1].

وقد نمت هذه الموهبةُ وترعْرعت ـ كما أشرتُ ـ في حضنِ مؤثراتٍ عديدة أثْرتها وأمدّتْها بشتّى المعاني والموضوعات كالتّعليم الدينيّ واللغويّ والاتصال بأدباء البلدان العربيّة الأخرى، والرّحلات، والاطّلاع على دواوينِ الشعر المحافظِ في العصرين: القديم والحديث.

وقد تنوّعت التجربةُ الشعريّةُ عند الغزّاوي تبعاً لتنوُّع البواعثِ والمثيرات من حوله، ويمكن حصرها لديه حسب الآتي: حبُّه للوطن، حسُّه الديني، رغبته في المحافظةِ على مكانتِه السياسيةِ والأدبيةِ والاجتماعيةِ، خلق الوفاء.

١/حبُّه للوطن وولاؤُه له:

ومفهوم الوطن عند الغزاوي يتدرج على مستوياتٍ عدّة تبدأ بمكةَ مكانِ ولادتِه ونشأتِه ثُمَّ الحجازِ في العهدِ الهاشميّ ثمّ باقي أطرافِ الوطنِ في ظلِّ العهد السعوديّ.

وتتجلّى مظاهرُ وطنيّة الغزاويّ فيما يأتي:

---

(١) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد: د/إبراهيم الفوزان، ٣/١٢٣١.

١) وصف مظاهر التقدُّم والازدهار والحثّ على تحقيق المزيد منهما: وله في هذا المعنى باعٌ طويل، وخاصّة أنّه وُجد في عصرٍ تنهضُ فيه البلاد في شتى الميادين، فكان بذلك واصفاً لعصره وشاهداً عليه.

ووصفه لمظاهر التقدّم يشمل الجوانبَ العلميةَ والعسكريةَ والاقتصاديةَ والحضاريةَ.

فممّا يمثِّل الجانبَ العلميَّ قصيدتُه التي قالها يحيي مديرَ المعارف آنذاك الشيخَ محمدَ بنَ مانع، وفيها يقول:

كأني بآفاقِ البلادِ تبلَّجتْ ... بكلِّ شهابٍ دونه الشمسُ تُكْسَفُ[1]

كأني وميدان المعارف واسعٌ ... وتلقاءَه الشعبُ السعوديُ يزْحفُ

أرى الغد وضّاحَ المحيَّا لأمّة ... تكفِّر عن ماضٍ كريهٍ وتصدف

أراها وفي الدنيا دويٌّ بمجدِها ... وأعلامُها بالدينِ حقاً ترفرف

وإحساس الشاعر بوطنيته يجعله يشيد بدُوْر العلم والصحافةِ الأدبيةِ التي أسْهمت في بناءِ الوطن. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ إشادتُه بالمدرسة الصَّوْلتيّة[2] التي تأسست سنة ١٢٩٠هـ وفيها يقول وقد لقّبها بأم المدارس:

أمَّ المدارسِ لا برحْتِ عظيمةً ... بالنُّور يبزُغُ من سناك ويُنشَرَ[3]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٢٥.

(٢) ومثل المدرسة الصولتية في ذلك مدرسة الفلاح و مدرسة النجاح والمعهد العلمي السعودي.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٠٠.

قـد خلَّدَ التاريخُ عنكِ مآثراً يزهو بها العلمُ الصحيحُ ويفخر
قد كنتِ أوَّلَ معهدٍ باهتْ بِهِ أمُّ القرى وهفا إليها الأكثر
وتثقَّفتْ فيكِ الرجالُ على التُّقى والشرقُ في فوضى الهوى يتدهْور
حتى بلغتِ بذاك أفضلَ غايةٍ في المجد تُذكرُ بالفخارِ وتُشكرُ
فامضي إلى الأهدافِ واسعةَ الخُطى فلأنتِ أحرى بالثناءِ وأجدر
وجزى الإلهُ الخيَر من هُو بهداكِ أفضلَ ما يثاب ويؤجَر

ومن ذلك أيضا قصيدته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨١هـ، ومطلعها:

حيِّ المدينةَ مربعاً وصحائفا وأشِدْ بها فوقَ المنابر هاتِفا[1]

وفيها يستعرض موقع المدينةِ من الحضارةِ الإسلامية، حتى يأتي على الجامعة الإسلامية فيقول:

أعْظِم بجامعةِ المدينةِ مشرعا كالسلسبيلِ وقدْ تسلسلَ واطِفا[2]
يحبو الإمامُ بها سعودٌ منّةً للمسلمين وقوةً وتعارُفا
ويعيدُ فيها الدينَ سابقَ عهدِهِ نضراً بهيجاً صامداً متكاتِفا

أمادُوْر الصحافةِ الأدبيةِ فقد كان الغزاوي مشجِّعا لدَورها وحاثّاً لها على متابعة النهوض بالثقافة، ولقد حظيت مجلة المنهل ـ بماكانت تُسهم به من جهود علمية أدبية ـ بقدرٍ كبيرٍ من احترامِ الغزاوي، لاسيما

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٨٦.
(٢) واطفاً: أي كثيراً، من قولهم: بعير أوطف أي كثير الوبر سابغه. (اللسان: ١٥/٣٣٨)

وأن صاحبها من كبار رجال الأدب في البلاد وهو عبدالقُدُّوس الأنصاري[1]. ومما قاله فيها قصيدته التي مطلعها:

هُمُ اخْترقوا جبالَ الألبِ نحْتا ونحن نهيمُ في الأحلامِ بحتا[2]

وهو يتخذ من هذه القصيدة منبرا يدعو فيه إلى التقدم والجد ومسابقة الغرب، وذلك في أسلوب محاورة طريف:

أقولُ لصاحِبي ماذا صنعْنا وأين من الكفاحِ أنا وأنْتا
ويضحكُ ساخراً مني وأبْكِي لأنّا لن ننالَ المجدَ حتّى
فصِحْ بالطّامحِين أباً وإبْناً وربّاتِ البرى أمّاً وبِنْتا[3]
بأنَّ العِلْم بالإيمان أهْدى وأنَّ الجهْل بالملكوتِ أعتى

والغزاوي حين يدعو إلى رفع راية العلم إنما يعني العلم المُؤَسَّس على خشيةِ الله وتقْواه، والمُقامَ على أساسٍ متينٍ من الجدِّ والاجتهاد، ثم هو العلمُ الذي يشمل كل إبداع:

وما العلمُ إلا أنْ تصِحَّ عقائدٌ ويسلمُ إيمانٌ لنا ويقين[4]

---

(١) عبدالقدوس قاسم الأنصاري:ولد في المدينة المنورة سنة ١٣٢٤هـ.وتلقى مبادئ علومه على الشيخ محمد الطيب الأنصاري.ثم التحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة فنال شهادتها العالية سنة ١٣٤٦هـ.أنشأ مجلة المنهل سنة ١٣٥٥هـولاتزال تصدر.وله عدة مؤلفات وتحقيقات منها «التوأمان» أول رواية سعودية.كما أن له ديوان شعر يُعرف بالأنصاريات.توفي- رحمه الله-سنة ١٤٠٣هـ.(معجم الشعراء السعوديين: عبدالكريم الحقيل،١١)

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٦٧.وبحتا:أي أنهم غارقون في الأحلام وحدها دون عمل وجد يحققانها.

(٣) لا يرى الشاعر فرقا بين الرجل والمرأة في الأخذ بزمام النهضة العلمية في البلاد.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٠٢.

ولا العلم إلا ما بنى صرحَ أمَّةٍ على هامةِ الجوزاءِ وهو فُنون
وليستْ قُصاراهُ كلامٌ مُزَخْرَفٌ ولا هو وهمٌ باطلٌ وظنون
ولا هو في الجلّى قصيدة شاعر ولا هو لهو زائف ومجون
ولكنه في حومة البحث حجة وبين ميادين الكفاح حصون
وفي معرض الإنتاج حرث ومنجل به الجدب خصب والهشيم غصون
ونسجٌ وتعدينٌ وحذق صناعةٍ تلوذُ بها أمثالها وتدين

وفي إشادته بالتقدُّمِ العسكري نجدُ الحماسةَ تفيضُ في شعره، لا سيما أنَّ البلادَ كانتْ ما تزالُ تعاني بعضَ القلاقل القبليّة، فكان النهوضُ بالقوّةِ العسكرية رمزاً لأمْن البلادِ واطمئنانِ العبادِ. وله في هذا المعنى الكثيرُ من القصائدِ في شتى المناسبات. فهاهو عند تخريجِ أوَّلِ دُفعةٍ من سلاحِ الطيرانِ يصدحُ مفتخرا فيقول:

حيٍّ بالإعجابِ أحفادَ الصقور واشدُ بالفخر وقُلْ حان النشور[1]
واتخذْ من كلِّ قلب صيغة بالتّهاني وانتظِمْ دُرَّ النُّحور
وقلِ الحمْدَ لِمَنْ هيَّأها فُرَصاً أوْدى بها الماضي العثور

وتظهر وطنيته في فخرِه بهذا الجيل من الشباب حين يقول:

قد شفاني اليومَ مِمّا أشْتكي رهطُنا القادمُ في نعْتِ النُّسور
وتولاني شعورٌ صادقٌ ملأ القلبِ اغْتباطاً وسرور

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٦١٥.

إنَّكُم ما كنتُ قبلاً أرتجِي في مجالِ الجدِّ إدلالَ الفَخور

وهو يرى في هذا المجد امتداداً لمجدِ الأجدادِ الأبطالِ الذين خرجوا من الجزيرة العربية وفتحوا بلادَ كِسْرى والرُّوم:

ألسْنا من القومِ الذين تراثُهم على الدّهر لا يبلى وتجلى عجائبُه[1]
أباحوا حِمى كسرى وقيصرَ عُنوةً بعزمٍ تعالى الله جلّت مغالبه
وشاعرُهُم يشدو فخاراً وعزةً بآثارهِم والجهلُ سودٌ غياهبه
وتاريخُهُم زاهٍ يفيضُ شعاعُه كما غمر البدرُ الدُّجى وكواكبه

ثم يعود ويؤكد صلتَه بهذه الأمجاد العريقة، ولكنها صلةٌ لا تُغْني عن الجدِّ والمثابرة. فالماضي مهما كان مشرقاً، لا يستطيع دون جهاد منا أن يخلق حاضراً مجيداً:

بلى نحن أحفادُ الصقورِ و إنما فخارُ الذي يبغِي الفخارَ مكاسبُه
وما الفخرُ بالعظْمِ الرميمِ مجادةٌ ولكنها الذكرى لمن لم يجاذبُه[2]
وليس بواقٍ أيَّ سبعٍ أصولُه إذا لم تحدَّد في النضالِ مخالبه

ومن المناسبات التي ظهر فيها احتفاؤه بقوة الجيش، العرض العسكري الذي تم سنة ١٣٧٣هـ بحضور الملك سعود. وقد شارك فيه بقصيدة وطنية مطلعها:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٦٢٨.

(٢) الفعل «تجاذب» مجزوم في البيت، فكان حقه التسكين لا الضم.

المجدُ والفخرُ والتاريخُ والأدبُ ما يعرضُ الجيشُ لا ما تسرُد الكتب[1]

والغزاوي يدعو في قصيدته إلى حسن إعداد الجيش وتطويره وعدم التهاون في ذلك الأمر فيقول:

لا بدّ للشعبِ من جيشٍ يدجِّجُه نسجُ الحديدِ ومنهُ البغيُ يرتعب
وما السلاحُ كما قد كان من زردٍ ولا هو الرمحُ والمزراقُ واليلبُ[2]
لكنّما هو فوقَ الشَّمس قاذفةٌ وتحت كل شفيرٍ للعِدى لهبُ

وثَمَّ يتوجه الشاعر إلى الملك راجياً منه آمالاً كبيرة فيقول:

فانهض بها أمةً تزهُو بعاهِلِها فما لغيرِك بالإخلاص تنجذب
وارفعْ لها كلَّ مضمارٍ وجامعةٍ ومصنعٍ فيه للمستهْتِرِ العطب
واملأ بها ثكناتِ الجيشِ عاليةً بها المطامحُ والأهدافُ والرغب

وعندما أُنشئت مصانعُ الجيشِ في الخرج سنة ١٣٧٣هـ شارك الغزاوي بقصيدة وطنية مطلعها:

رقْرِقِ الشعرَ سلْسلاً والروائعْ واشدُ ماشئتَ واغتبطْ بالمصانعْ[3]

يقول فيها:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٩٥٢.

(٢) المزراق:الرمح القصير(اللسان:٦/٣٩).واليلب:الدروع(اللسان:١٥/٤٥٥).

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٩٤٢.

قـوّةُ الجيشِ بالـيقين ولكن سنـةُ الله أنْ تُعــدَّ المدافــعْ
إنَّ من يطـلبُ البقاءَ ضعيفاً لهو في شِـرعةِ العُتاةِ قطائـعْ
كـلّ حقٍ وإن تـنزل وحياً دون قصفِ الرعودِ أهون ضائعْ
حيٍّ بالخرجِ من معاقلِ نجدٍ قاذفاتِ اللهيبِ حيٍّ الطلائعْ
واملأِ الأرضَ والسماءَ اختيالاً أيْنما استشْرفتْ إليكَ المجامعْ

وإشادة الغزاوي بالانتصارات الحربية التي حققتها البلاد لصيقة بهذا الباب، ذلك أن الانتصار الحربي شاهدٌ ودليلٌ على التقدم العسكري، من ذلك ـ على سبيل المثال ـ تهنئتُه الأميرَ فيصلَ في شوال سنة ١٣٤٨هـ على الانتصار الذي حققه باليمن في قصيدته التي مطلعها:

شفى القلبَ عيدٌ بالمسراتِ باهِرِ ونصـرٌ مكينٌ للـمليكِ مؤازِرِ[1]

وهو يفخر بفيصل وجنوده الذين حققوا هذا النصر بعد الله، ويرى فيهم درعاً يحمي البلاد، كما يعلن أن هذا الانتصار من مظاهر «النهضة» التي منَّ الله بها على الوطن:

فمرْحى لأبناءِ الجزيرةِ نـهضةٌ قد ارتفعت منها الصُّوى والمآثر[2]
وحيّ هلا بالبعثِ من بعد رقدةٍ ويا نعم ما أوحتْ إلينا الفواقِر[3]
ويا حبذا التوحيدُ في كـلّ حلّةٍ ومـا المجدُ إلا ما حمتْه البـواتِر

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٨٩.وانظر أيضا:٢/٥٩٤.
(٢) الصوى:الأعلام المنصوبة المرتفعة(اللسان:٧/٤٤٧).
(٣) الفواقر:جمع فاقرة وهي الداهية من الأمور(اللسان:١٠/٣٠٠).والمعنى:أن في المصائب التي أصابتنا عبراً يُستحسن بنا أن نتعظ بها.

وقد صَفّت الأجنادُ في كلِّ بلدةٍ وغصّت بآسادِ الكفاحِ المغاور[1]

والتقدم الاقتصادي الذي حظيت به البلاد كان من محفزات شاعريته، كيف لا وهو يشهد تغيرا شاملا في شتى ميادين الحضارة من عمران وصناعة ورعاية صحية وتقنية وغير ذلك من مظاهر التقدم .ولذلك يُلحظ عليه في كثير من قصائده الوطنية مقارنته ماضي البلاد بحاضرها المشرق.[2]

فمن المناسبات التي افتخر فيها: افتتاح ميناء جده الجديد سنة ١٣٦٩هـ. يقول في ذلك مخاطبا البحر:

لستَ يا بحرُ والقوافي رخاءُ قِرنَ بحرٍ رويُّه الأحياءُ[3]
لا أرى البحرَ غيرَ موجٍ وفلكٍ لا الذي خوّضتْ بهِ الشعراءُ
ذاك من فتنةِ الخيالِ و هذا مسبحٌ فيه للقوى إِسْراء

ثم يخاطب مدينة جده ملقباً إياها بـ «عذبة اللمى» ويعجب من التطور الذي حصل فيها فيقول:

إيه يا عذبةَ اللّمى كيف شعَّتْ في دياجِيكِ تلكُمُ الأضواءُ
كنتِ ظمْأى وتشربينَ أُجاجاً فجرى فيكِ بالفُراتِ الماءُ
واستبدّ الظلامُ فيكِ دُهُوراً ثم نصّتْ عقودَها الكهرباءُ

---

(١) المغاور: جمع مِغْوار وهو المبالغ في الغارة (اللسان:١٠/١٤٢). وفاعل الفعل «غصت» في البيت: بلدة. والمغاور صفة لآساد الكفاح.

(٢) انظر على سبيل المثال:الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٣٩، ١٥٨/١، ٨٩٩/٢.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٨٦٦.

وبكِ افترّت الإذاعةُ تُزْجي ثمراتِ العقولِ وهي جلاءُ
واسبطرَّ العمرانُ من كلِّ قصرٍ بين أبْهائِهِ يشيعُ البهاءُ

وأما الميناء فقد سرد الغزاوي تاريخه القديم حيث يقول:

رفَّ قبل الشراعِ من عهدِ نوحٍ وهو طفلٌ ومهدُه الأنواء[1]
تارةً باسماً وأخرى كئيباً بين جنبيْهِ تعبثُ الأهواء
شفَّهُ السُّقْم والبخارُ نعاهُ وهو شلوٌ تشفَّه النكباء[2]
تتوخّى الأسماكُ فيهِ اصطياداً ولها فيهِ طُرفة وحِباء[3]
برزخٌ للحجيجِ يرقصُ فيهِ شبحُ الموتِ أو هوَ الهيجاء[4]
يستجيب الجناحُ للشدوِ منه وتجافيهِ إن سجا الورقاء[5]
كلما انساب زورقٌ فيه طارتْ خافقاتٌ ورُوّعت أحشاءُ

ولكن الحال تبدل ـ بفضل الله ـ بعد الحكم السعودي والأمن والأمان:

وقضى اللهُ بالأمانِ فشيدتْ دون عامِيْن هذه الميناءُ
بُنيتْ بالحديدِ والصلبِ حتى رُفعَ السمكُ واستطالَ البناءُ

---

(١) في البيت إشارة إلى عراقة مدينة جده في التاريخ.
(٢) شلو:مفرد أشلاء، وهي الجلد والجسد من كل شيء،وكل مسلوخة أُكِل منها شيء فبقيتها شلو(اللسان:٧/١٨٦).جعل للميناء شلواً على الاستعارة المكنية.
(٣) الطُرفة:أن تعطي شخصا مالم يُعط من قبل(اللسان:٨/١٤٥). والحِباء: العطاء بلامنٍ ولاجزاء(اللسان:٣/٣٧).
(٤) هذا البيت والذي يليه غير مذكورين في الأعمال الكامله بشكل صحيح فنقلتهما من كتاب:أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، القسم الثاني،١/١٢٢٤.والبرزخ:مابين كل شيئين (اللسان:١/٣٧٥).فجعل الميناء برزخاً، لأنه الحاجز بين الحجيج القادمين وبين اليابسة.
(٥) الورقاء:الحمامة(اللسان:١٥/٢٧٦).وسجا:بمعنى ركد وسكن(اللسان:٦/١٨٥).

دُحِيت قبلَه الصخورُ ومُدَّتْ في القرارِ الجسورُ والأطواءُ[1]
واستُبِيحتْ أعماقُه وهي بِكْرٌ لم تُمزِّق أديمَها الآناءُ
وأُنِيْطَتْ بها البواخرُ تدنو في مِراحٍ وزالت الأعباءُ
فإذا المرفأُ الأمينُ فِناءٌ وإذا البيتُ والفناءُ سواءُ

ولا ينسى الغزاوي أن يشكر صاحب الفضل بعد الله فيقول:

نفخَ الله صورَهُ بعدَ يأسٍ وبه انبثَّ في القلوب الرجاءُ
والمشاريعُ رائحٌ إثرَ غادٍ في اضطرادٍ وكُلُّهنّ ابتداءُ

ثم يخاطب الملك قائلا:

يا مليكي العظيمَ دونَكَ وانظُرْ كيف تشدو بشكرِكَ الأرجاءُ
مظهرٌ فيهِ للإلهِ امتنانٌ وعليهِ من السعودِ لواءُ
كانَ أُمْنِيةً فأصْبَحَ بُشرى لجّ فيها الأثير وهو عناءُ

وفي عام١٣٧٤ هـ يشدو الشاعر في الاحتفال التاريخي بأكبر ناقلة للزيت السعودي في العالم، معبرا عن عاطفة المواطن المفتخر بوطنه الناظر إلى مستقبل البلاد نظرة أمل ورجاء. يقول يصفاً الناقلة:

شدى بها اليمُّ واستجْلى مُحَيّاها وبارك اللهُ مجريها ومرساها[2]

---

(١) دُحيت: أي بُسِطت. ومنه قوله تعالى في سورة النازعات ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ (اللسان: ٤/٣٠٣).
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٩٦٩.

سفينةٌ تفْتِنُ الـدنيا محـاسنُها ويهتدي النجْمُ حيراناً بسِيْماها
كأنها فـوق متْن البحرِ ماخرةً مدينةٌ جنةُ الفردوْسِ مـأواها
تعلو بأبراجِها كـالطّود معلنةً أن الجزيرةَ شقّ المَوجَ رضواها[1]
وتزْدَهِي باسمك الميمونِ تحملُه أضـلاعُها وتحـيّيه زوايـاها[2]

ومن المناسبات التي احتفل بها الشاعر: تشييد المحـاجر الصـحية بجدة سنة ١٣٧٥هـ، وفيها يقول:

قـرةٌ للعـيونِ بين المحـاجِر هذه البيِّناتُ في ذي المحاجِر[3]
أتراهـا حـدائقاً قـد أُعِـدَّتْ للمـلبِّين أمْ حمىً أم مخابِر
وسِعت في رحابها الخضرِ دنيا بـورِكَتْ في عباقر ومجاهر
يجفُل الـموجُ أن يمسَّ ثراها مشفـقاً أن تميز منه العناصر
لا الـجراثيمُ بالتَّحاليلِ تنجُو من يديْه ولا الرّسِيْسُ الماكِر[4]
في مروجٍ من الرياحِين عبْقى ونسيـمٍ هـو الثـناءُ العاطِر
وضيـاءٍ يمحو الحوالكَ حتى لـكأنّ النجـومَ فيـه سـوائر
يسبحُ الطير في رُباها ويشدو بالـتّرانيمِ مـن مُقيـمٍ وعـابر

ولقد وصف الشاعر ـ في رأيي ـ هذه المحاجر ببيت واحد وهو قوله:

---

(١) رضواها: لعل المقصود هنا جبل رضوى بالمدينة.
(٢) يخاطب الملك في هذا البيت.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٠١١/٣. والمحاجر الأولى: الغرف الصحية أما الثانية: فهي التي بمعنى الحدائق.
(٤) الرسيس الماكر: أي بقية الجراثيم وأثرها.

عملٌ صالحٌ ورمزٌ جديدٌ بل هما الفرقُ بين ماضٍ وحاضِر

وفي القصيدة وصف للتقدم الذي توصل إليه الطب من النظريات والأجهزة المتطورة والمختبرات الدقيقة، وهو تقدم باهر تضمنته هذه المحاجر. وذلك خلاف المحاجر التي وجدت في الماضي إذ يصفها الغزاوي بقوله:

أمسِ ما أمسِ بالبعيدِ ولكنْ هو كالليلِ قائمِ الأفقِ كاشر
كانَ ـ لاعادَ ـ حسرةً وجموداً وتعاويقَ من نكيرٍ وناكِر
ظللٌ ضلّت العناكبُ فيها ما يقيها وبؤرةٌ للصراصِر
تخِذوها خلالَ قرنٍ طويلٍ محشراً أُطلِقتْ عليه المحاجر
بينما لا تزيد طولاً وعرضاً عن كهوفٍ كئيبةٍ ومغاوِر
ذلكم شأنها وللموتِ بذرٌ وحصادٌ وللوباءِ فواقر

ومن مظاهر التقدم الحضاري أيضاً التي احتفى بها الغزاوي بدافع وطنيته: الإذاعة، وله قصيدتان فيها: الأولى في بداية تشغيلها سنة ١٣٧١هـ ويقول فيها:

إيهِ يا يومَ الإذاعة أنتَ أمْ عصرُ الطِّباعة[1]
أمنياتٌ فيك حقّتْ أم تباشيرٌ مُشاعة
أم كتابُ الله يُتْلى في خشوعٍ وضراعة

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٦٣٣.

أم فنونُ العِلم زفّت واستهلّت للجماعة

ثم يصف الإذاعة وصفاً طريفاً قائلاً:

أنتِ يا نبضَ جهازٍ منح الكونَ انتفاعَه
خافقٍ كالبرقِ يملي كوكبَ الأرضِ رِقاعَه
في حبالٍ وشباكٍ وحراكٍ من صِناعة
سرّه كالهمْسِ جهرٌ كهربيٌّ في جماعة
يبْهِر الإلهامُ منه وهو ومضٌ وبراعة
ويشيعُ الفنُّ فيه قيْد شبرٍ أو طِلاعه[1]

وفي عام ١٣٧٧هـ تشهد الإذاعة تطوراً ملموساً، فيحييها الغزاوي بقصيدته الثانية التي مطلعها:

حيِّ الإذاعةَ في الجهازِ الأوسعِ واستقبل الدُّنيا به في مسْمع[2]

وهو لا يرى فيها مظهراً حضارياً فحسب بل وقوةً ناصرةً لدين الله:

عشرون ضِعْفاً في الإذاعةِ بُوركَتْ ومشتْ على هامِ السماكِ الأرْفَع
في سرعةِ الصوتِ التقتْ بطموحِها ونـدائِها المتكرّرِ المترجِّع
«الله أكبر» والخلائقُ كلُّها تُصْغي إليه في تقىً وتخشُّع

---

(١) طِلاع كل شيء: ملؤه (اللسان:٨/١٨٤). و«طلاعه» في البيت أي بقدر الشبر.وهي من الحشو لأن «قيد» تغني عنها.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٣٩.

وتبثَّ دينَ اللهِ أبلَجَ ناصعاً في غيرِ تحْريفٍ وغير تنطُّع
تدعو إلى الرحمن جل جلاله وإلى الهدى المتدفق المتدفع

ثم يقول:

لا هجنةٌ فيهِ ولا عصبيَّةٌ أبداً ولا عبثٌ يُعاب بمقْطَع
سيماؤه تقوى الإلهِ ودأبُه بذلُ النصيحةِ وابتغاءُ المشْرع
وهتافُه الإسلامُ في أمجادِه والوحدةُ الكُبرى به في منجع

وفي سنة ١٣٧٩هـ يسافر الملك سعود إلى الطائف ليتفقد المشروع الضخم الذي أمر به، وهو تشييد طريق الهدا الذي يربط مكة بالطائف من أعالي الجبال. وفي هذه المناسبة يصدح شاعرنا قائلا:

حُلمٌ تزاورَ في الكرى أم سيفُ عزمِكَ في كرى[1]
ما كان في خلدِ القرو نِ ولا حديثاً يُمترى
أنّ السراةَ صباحُها قد عاد محمودَ السُّرى
شاقتْ بها جنباتها وتمهَّدتْ منها الذَّرى
ومشى السحابُ خِلالها متقطِّعاً متعثِّرا

ويتوجه ـ بعد أن وصف الصعوبات التي واجهها المشروع ـ إلى وادي وج المتاخم للطائف ليهنئه بالطريق الجديد الذي سيكشف للناس ما فيه من طبيعة خلابة تملك القلوب وتأسر العقول:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١١١٥. والكرى الأولى: النوم، والثانية: اسم جبل بين مكة والطائف.

بشـــراكَ وجٌّ وليفِـــضْ فيـك السحـابُ مسخّـرا
وسقـاك منبجِس الحيـا غـيثـاً ملثـاً ممـطِـــرا
مـا أنتَ إلا جـنـةٌ وبكَ المصيفُ تطوّرا
بل أنتَ أزهى عندنا مما حـوتْـــهُ سُـويْسِرا
ومـن المصايـفِ كلِّهـا إن صـوفراً أو أسمرا[1]
ستـكونُ أبهـى زينـةً منـهـا وأجمـلَ منْظـرا

وهو يعبر بسين الاستقبال في البيت السابق ليبين أن الطريق المعبدة الجديدة هي التي ستظهر هذا الحسن للناس.

هذا، وعمارة الحرمين الشريفين مع ما تتضمنه من إيحاءات دينية إلا أنها تدل دلالة واضحة على مدى تطور البلاد ونهضتها. وقد تغنى الغزاوي بالتوسعة الموفقة التي تمت في عهد الملك سعود، من ذلك قصيدة طويلة يبتدؤها بقوله:

كلَّ شعرٍ وإن شفى في بيانه دونَ هذا المدى ودونَ رهانه[2]
عظُمت نعـمةٌ من اللهِ تنْمُو في سعودِهِ وعـصرهِ وأوانِه
تشرئبُّ الأبصارُ فيها وتعلُو هـامةُ المجدِ في ذُرى بنيانه
أيُّ يومٍ هذا على الدّهر باقٍ وجـلالٍ زهـى على أقْرانه

---

(١) ذكر د/العطوي أن صوفر من منتزهات لبنان الجميلة، وأسمر منطقة في أعالي جبال أريتريا.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٤٧٩/٤، وانظر أيضا قصيدته الأخرى: ١٠٨٣/٣.

والقصيدة تعمها المشاعر الإيمانية الصادقة، وفيها يصف الحرمين الشريفين بعد التوسعة وقد أصبحا آيتين في البهاء والعظمة وصارا يستقبلان أضعافا من المسلمين دون زحام، ولذا فإن الشاعر يتوجه بالشكر والدعاء لصاحب الفضل بعد الله:

عمْرُكَ الله يا أبا الفهدِ واهْنأْ ... بالبناءِ العتيدِ واسْتحْسانه
بالذي تأرزُ العبادُ إليهِ ... ويشعّ التوحيدُ من عمدانه
إنّه في الخلودِ آيةُ صدقٍ ... كسطوعِ النهارِ في بُرهانه
قربةٌ للسعودِ ترْبو وهذا ... صرحُه المشمخرّ في طيْلسانه
شاده مرمراً وغشّاه تِبراً ... واسبطرّ الإسلامُ في عمرانه
لأبيهِ العظيمِ فضلُ ابتداءٍ ... وله ما أتمَّ في حسبانه

وطبعي من شاعر كالغزاوي ـ وهو الحريص على تقدم البلاد وتطورها ـ أن يحتفي بما يحفظ لها تاريخها قديما وحديثا، فيقدمه للناس ليتأسوا بالماضي ويعتبروا به ويستعدوا للمستقبل ويعملوا له. ولذا فقد رحب بصدور كتاب «قلب جزيرة العرب» التاريخي، وذلك بقصيدة طويلة يقول فيها:

لمن التاريخُ عن ملْك العربْ ... يتهادى في جلالٍ وأدبْ[1]
يبعثُ النورَ إلى ما حوْله ... مِثْلَما البدرُ تدلّى واقتَربْ
ويعيد الذكرَ صافٍ وِردُه ... كالحميَّا في أباريقِ الذهبْ

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٢١٥.

فهو للمـاضي شرابٌ سائغٌ ولهذا الحاضر الظامي حَبَبْ
ولِـما يأتي نـهـارٌ سـاطِـعٌ يتـجلّى بين آفـاقِ الحِـقـبْ

ويتصفّح الكتابَ في قصيدته منبهاً على ضرورة الاعتبار من الماضي فيما سيأتي على البلاد، آملا ـ بعد الله ـ في الملك عبدالعزيز:

ومناري في الذي أدعو لهُ سيِّدُ الأمـلاكِ طُراً والرحب[1]
باعثُ النّهضةِ من مرْقَدِها ومشيدُ الصّرحِ كرْهاً ورغب
إنّ من أنْصَفَنا من أعْجمٍ وفصـيحٍ قـال ذاكَ المُنْتَخب
فاحفظِ اللهمَّ عالي المرتقى وبنيهِ الصّـيدَ جمراتِ العرب
واحبُه التّـوفيقَ في أعمالِه ما أطاعَ اللهَ في سِلْمٍ وحرْب
واجزِهِ الحُسْنى ثواباً خالداً فهـو للإسلامِ جمعاً خيرُ أب

وتتكرر هذه المشاعر الدافئة منه ـ أيضاً ـ حين صدر كتاب «تاريخ مكة» لأحمد السباعي[2]، فيخاطبه قائلاً:

مـؤرِّخَ مكّـةٍ مـا أنتَ إلا بقيةُ أهلِهـا روحـاً ومعْنى[3]
تصبّتك المشاهدُ في رُباها وقد فصَّلْتها مغنىً فمغْنى

ثم يقول:

---

(١) طراً: أي جميعاً.

(٢) أحمد محمد السباعي: ولد بمكة المكرمة سنة ١٣٢٣هـ.تلقى علومه في مدرسة الصفا الابتدائية بمكة،أول من دعا إلى عمل مسرح إسلامي في مكة.أصدر مجلة قريش، ورأس تحريرها فترة من الزمن.توفي في ١٤٠٤/١٢/١٦هـ.(تتمة الأعلام:١/٥٩)

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٤٣.

تجشّمْتَ المتاعبَ غيَر وانٍ وقلتَ إلامَ قـد كنّـا وكنّـا
علينا أن نغـذَّ السـيَر حتّى نقـول لمـنْ وعـى أنّـا وأنّـا
تطاولت القرونُ ونحنُ نأسى على ما فاتَ أو نبكيهِ حزْنا
وهاهي أعيُن الأسْلافِ ترْنو إلينا وهي تُحْصي ما صنعْنا

كما أنه من الطبعي ـ أيضا ـ أن يتوجه بشعره إلى شباب الوطن ليشعل فيهم مشاعر الوطنية ويبعث فيهم الحماسة، فهم أمل البلاد في المستقبل، وهم من يستطيعون ـ بعون الله ـ أن يفتحوا آفاقاً مشرقةً جديدةً للوطن. وقصائده الموجهة للشباب تحمل طابع الأناشيد، ولعل الغزاوي كان يقصد ذلك قصدا، لأن الأناشيد تُحفظ بسهولة، فتلتصق بالفكر والوجدان أكثر من غيرها، وقد عده بعض الدارسين من شعراء الأناشيد الرواد[1].

ومن هذه الأناشيد ـ على سبيل المثال ـ قصيدته التي يقول فيها:

نحـن أشـبالُ العـرين[2]
نحـن أصحـابُ اليمـين
نحـن أبطـالُ اليقـين
كلَّنـا نفْـدي حِمـاه

* * * *

(١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر: د/حسن الهويمل، ٢٩٠، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٢١٩/٣. وانظر أيضا قصائده الأخرى: ١٢٠٧/٣، ١٦٢٤/٤.

كمْ بنيْنا من صُرُوح
وبلغْنا من طُموح
واقتحمْنا من فُتُوح
رغم آنافِ الطَّغاة

* * * *

هديُنا هديُ النبوّة
سعيُنا سعيُ الأبوّة
عزمُنا عزمُ الفتوّة
حسبُنا ما قدْ تراه

وفي القصيدة مقطع متكرر يحمل شحنات قوية من الفخر والحماسة، وهو قوله:

نحن جندُ اللهِ أبناءُ الأُلى بايعوا اللَه ونعْمَ المُشْترى
ومشوا بالنُّورِ في الأرضِ على هامتيْ كِسْرى ودنيا قيْصرا

ثم يذكّر الشباب أن هذا المجد القديم لابد أن يعانقه الجد والكفاح:

قد خُلِقْنا للكِفاح
واستبَقْنا للفَلاح
وابتدرْنا للسِّلاح
غاية الموتِ الحياه

* * * *

قـــد بـــذلْنا للجِهـــاد
مـــا ملكْنـــا مـــن عَتـــاد
وادّخرْنـــــا للمَعـــــاد
أيّ فخـــــرٍ للنّجـــــاه

وقد يعدل الغزاوي عن قالب النشيد كما يبدو في قصيدته التي يحيي فيها العشرة الأوائل، والتي مطلعها:

ما العشرُ أنتمْ ولكنْ ألفُ عِشْرينا وكلُّكم رابحٌ بيعاً ليندينا[1]

وفيها يوضح نظرته في الشباب فيقول:

إنّ الفتوّة ليستْ في سواعدِكُمْ مفتولةً بلْ هي الإيمانُ يُحْيِينا
لَواحدٌ صدقتْ منـهُ عزائمُهُ في العلمِ ينقذُ آلافاً ويهدينـا

والقصيدة حتى نهايتها تدعو إلى الأخذ بكل أسباب العلم والنهضة.

وختاما فقد كان الغزاوي شاهداً على عصره واصفاً لمظاهر التقدم المختلفة التي طرأت على البلاد، ولذا فإن بعض الدارسين يعُدُّ شعرَه وثيقةً تاريخيةً للتطورات التي حصلت في عصره.[2]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ٤/١٦٦٤.

(٢) مثل د/محمد بن سعد بن حسين في كتابه:الأدب الحديث تاريخ ودراسات ، ٢/١٨٤، و د/إبراهيم الفوزان في كتابه:الشعر الحجازي الحديث بين التقليد و التجديد ، ٣/١٢٢٤، ود/مسعد العطوي في كتابه: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية، القسم الأول/٢٦٠.

٢) **الحنين إلى الوطن** : وهو يختلف عند الغزاوي عن حنين شوقي إلى مصر، لأن الحنين يحتاج إلى مثيرات قوية متدفقة، تتمثل في النفي والإبعاد عن ذرى الوطن الحبيب.

فالغزاوي لم يعانِ مثل شوقي مرارة النفي عن الوطن، وإن كان قد هرب بأهله مدة إلى السودان ـ خوفا على نفسه ـ بعد أن سيطر الملك عبدالعزيز على مكة المكرمة، ولكنّ أثرَ النفي على النفس أشدُ وطأةً من أثر الهرب. إضافة إلى أن الغزاوي ظلّ بعيدا عن موطنه مدةً أقلَ بكثير من مدة إبعاد شوقي عن مصر. ولذا فإن الحنينَ إلى الوطن عند الغزاويّ نراه فاتراً إذا ماقرنّاه إلى حنين شوقي.

ويظهر الحنين عند الغزاوي على شكل مقطوعات قصيرة، قالها في مناسبات مختلفة، منها: «عندما كان في السودان أثناء الحرب بين الشريف حسين والملك عبدالعزيز آل سعود»[١] فقال متألماً لبعده وراجياً كل خير لوطنه:

حمائمَ الأيكِ إن أبكاكِ ذو فننٍ ... أصفيتِهِ الحبَّ إسراراً وإعلانا[٢]

وبتِّ فيه على ذكرى وموجدةٍ ... تذرين دمعكِ أسجاعاً وألحانا

وظلّ دأبُكِ في الأسحارِ أغنيةً ... يخالها السمعُ بالتوقيعِ عِيــدانا

فما بنفسي ممّا تشْتكي حُرَقٌ ... ولا تعـشّقتُ آراماً وغــزلانا

لكن سكبتُ دمي دمعاً على وطني ... قد كان في المجدِ والتاريخِ ما كانا

---

(١) الشعر الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد: د/ إبراهيم الفوزان، ٣/١٢٥٨.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٣٨١.

ومن شعر الحنين كذلك ماقاله وهو على رصيف ميناء ينبع متشوقا إلى مكة المكرمة:

وباخرةٍ أرستْ بينبعَ ساعــةً ... وددتُ لو اني كيْ أراكُم فنارُها[1]
تولّتْ ولولا خشْيتي لكفيتُها ... بوجْدي لوْ يُذكي عليها بخارها
فما لوعةُ الباكي يثورُ بهِ الجوى ... وقـد حطّمتْهُ بالـصبابةِ نارُها
بأعظمَ مني حسرةً إذْ رأيتُهـا ... تُيَمّمُ داراً شـطَّ عني مـزارها

٢/حسه الديني:

وهو باعث قوي جدا عند الغزاوي، تغذيه التنشئة الدينية التي تربى عليها. و مظاهر هذا الباعث كالتالي [2]:

١. ولاؤه لآل سعود: وهو مظهرٌ يذكّرنا كثيراً بولاء شوقي للعثمانيين. فالغزاوي يعلن ـ في غالب مدائحه لآل سعود ـ أن ولاءه لهم من باب موالاة الدين ونصرته ،وذلك في مثل قوله مخاطباً الملك عبدالعزيز:

وأنا الذي أرجو بحبِّكَ ذِمّةً ... في الله لا تخفى ولا هي تُخْفر[3]
ملكتْ عليَّ جوانحي وجوارحي ... أفأنْت تعلـمُ ما أسرُ وأضْمر
اللهُ يعلـمُ أنّـني لك مخلصٌ ... فيهِ وأني بالخـوالـجِ أجْـهر
ما قلتُ إلا ما عـلمتَ تطوُّعا ... وغدا أُوفّى ما احتسبْتُ وأُوْجَر

---

(١) المصدر نفسه:٤/١٦٨٣.

(٢) مقياس الأهمية هنا يعتمد على كثرة القصائد التي تندرج تحت مظهر من المظاهر.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٥١.

وقوله :

وها أنا ممّن قدْ ملكتَ قلوبهم ... على أنّني منهمْ ومدْحيكَ لي دأبُ[1]

أقدِّمُهُ زُلْفى إلى اللهِ مخلصاً ... لهُ الدينَ لاشكٌّ لديّ ولاريْب

كأني به للهِ فيكَ مسبِّحٌ ... وللمرءِ ما ينْوي وللساحر التّبُّ

ملأتُ بكَ الآفاقَ نشراً مؤرّجاً ... وحسبُكَ ما أشْدو به صادقاً حسْبُ

وقوله كذلك:

أمولايَ إني في هواكَ مجاهدٌ ... وما عشتُ أشْدو باسمِهِ وأشايعُهُ[2]

أردتُ بشعْرِي فيكَ ما لستُ بالِغا ... ولو حلّقتْ بي في الثريّا روائعُه

...

نظمتُ فؤادي في هواكَ عقيدةً ... وهاهي تحدو بي إليك سواجعُه

فلازلتَ للإسلامِ كهفاً وعصمةً ... ومنكَ تهانيه وفيكَ مجامِعُه

وقوله أيضا:

إني ومن جعلَ الدُّنيا مداولةً ... وصيّرَ الخلقَ في أكنافِها شيعا[3]

لم أشْدُ فيكَ لغيرِ اللهِ محتسباً ... زُلفى نفاقٍ ولا أنشدتها طَمَعا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٣٨.

(٢) المصدر نفسه:١/١٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٦٣٦.

ولا تخيّرْتُ ألـفاظي لأنثرَهـا ... دراً لـديكَ ولا أنـفقتُها سِلعا
لكنّما هي قلبي فيكَ أسكبُهُ ... من مُضغةٍ صلحتْ فاستمثلتْ قطعا
عقيدةٌ قهرتْ نفْسي وما برِحتْ ... تسْمو بروحي شُعاعاً كلّما اصطرعا
أبْغِي بها وجهَ من أرجُو مثوبتَه ... يومَ الحِسابِ وحسْبي منه ما صنعا

إلى غير ذلك من شعره الذي يفيض بهذا المعنى.

والحق أن عاطفة الإعجاب في شعر الغزاوي تلوح بشدة.ذلك أنه معجب بشخصية الملك الجديد الذي وحّد البلاد وآلف بين أهليها تحت راية واحدة دون تناحر أو تعصب، إضافة إلى أن الملك عبدالعزيز استطاع بحنكته أن يكسب الغزاوي ويجعله سلاحا فاعلا في وجه معاديه، فإطلاقه لقب «حسان صاحب الجلالة» على الغزاوي يحمل دلالاتٍ كثيرةً ويشير إلى المسئوليات المناطة بشاعر الملك، كما كان حسان رضي الله عنه متقلدا مسئولياته تجاه النبيﷺ.

والشواهد على إعجاب الغزاوي كثيرة في شعره، من ذلك مقارناته العديدة بين عهد عبدالعزيز وعهد سابقيه في شتى أرجاء الجزيرة، ولننظر إليه وهو يقر بمنن الملك على البلاد بعد الله في قوله:

يا مليكي بأي فضلِك أشْدو ... وهو بالشكرْ كلَّ يومٍ يزيد[1]
أبما أجـمعتْ عليْـه البرايـا ... أنك الطائعُ الحليمُ الرشـيـد
أم بما حُزتَ من ضُروب المعالي ... حيثُما اخترْتها وكيف تُريد

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٨٥.

أم بأخلاقكَ التي هي كنزٌ ... من هُدى الوحيِ توأم وفريد
أم بتاريخك الذي هو عصرٌ ... عمـــريٌّ أساسُــه التّوحيــد
أم بـتأمينك البــلادَ جميعــاً ... وهي مـن قبـلُ صائدٌ ومَصيد
أم بتوحيدهـا وكانتْ شتاتـاً ... يهدمُ الجهلُ صرحَها والجمـود
أم بإحـيائِها وكانتْ مواتاً ... ينعـبُ البـومُ فوقهـا ويـرود
أم بتـدويخك الطغاةَ غلاباً ... وهُـمُ الرمـلُ كثرةً والصّعيـد
أم بإكـرامك العفاةَ إذا مـا ... حملتهمْ إلى ذراكَ القعـــود
أم بتعـميرك المساجدَ زُلْفى ... وهـي للهِ ركـّعٌ وسُجُــود
أم بإنشـائك المعـاهدَ فينـا ... وهي للعلمِ حوضُك المورود
أم بإيوائك اليتامى احتساباً ... هـذا الكرْمُ ضمّهُ العنقـــود
أم بإشراقك الذي هو فيضٌ ... مـن رضا الله ظلُّه ممــدود
أم بإيمانك الذي هـو طــوْدٌ ... طأطـأتْ دونــه الأبـاةُ الصِّيد
أم بآبائك الألى أنتَ منهــم ... وهـم منـك عـترةٌ وجُــدود
أم بأبنائِكَ الكماةِ وحسْبي ... فيصلٌ منهـم ومنهـم سعــود
أو تَحْصِي النجومَ في الأفْقِ عداً ... جلّ ذو القدرةِ القويّ المجيد
كـلّ مـا فـيكَ قـرةٌ لعيـونٍ ... أنت منـها المحبّبُ المنشــود

ونعيه الشديد على من يحاول أن يخرج عن الجماعة أو يشق عصا الطاعة داخل في هذا الباب، كقصيدته التي يهزأ فيها من أعداء عبدالعزيز والتي مطلعها:

شفى القلبَ عيدٌ بالمسرّاتِ باهر ونصرٌ مكينٌ للمليكِ مـؤازر[1]

وفي القصيدة يدور ذكر لشخصيات وقبائل عديدة كانت مناوئة لعبدالعزيز مثل «ثابت مطير» و«العجمان» و«الدويش» و«ابن لامي» و«ابن حثلين» وغير ذلك.

وفي حج عام ١٣٥٣هـ نجا الملك عبدالعزيز من محاولة اعتداء منكرة، فيهنئه الغزاوي بقصيدة مطلعها:

أبى الله إلا أن يُتمَّ ضياءَه ويرفعُ للدّينِ الحنيفِ لواءَه[2]

ويوضح الغزاوي شعوره تجاه هذا الحادث فيقول مخاطباً الملك عبدالعزيز:

وأُقْسِم لو أن الأخاشبَ زُلزِلتْ وماد ثبيرٌ أو شـهدْنا انكفاءَهُ
لما كان مـن تأثيرِه في قـلوبنا كرجفةِ غاوٍ قـد فريْت حشاءه
فقرّت بما استلْهمتَ أركانُ بيتِه وقد كاد يعدو للقصاص وراءه[3]
ولو أننا نهوي إلى الله سُجّداً مدى الدهر شكْرا لم نؤدِّ ثناءه

وعلاقة الغزاوي الطيبة مع آل سعود لا تقف عند المؤسس الملك عبدالعزيز فحسب، بل كانت قوية كذلك مع الملك سعود والملك فيصل

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٨٩.

(٢) المصدر نفسه:٢/٦٠٣.

(٣) الضمير في «وراءه» يعود على المعتدي، فالشاعرجعل البيت الحرام يطالب بالقصاص من المعتدي على الملك، لأن في هذا الاعتداء تعدٍ على الدين الحنيف الذي قوم أركانه عبدالعزيز.

والملك خالد والأمير فهد آنذاك، وغيرهم من الأمراء والوزراء. وقصائده الكثيرة جداً تشهد بذلك من مديح ورثاء وتهنئة.

٢. التمسك بالوحدة الإسلامية والحث عليها:وهو في هذا المظهر يقف مع شوقي جنبا إلى جنب. وقضية فلسطين من أهم القضايا التي عني بها الغزاوي، وهو في تناوله لهذه القضية لا يهتم بالجانب العاطفي فحسب بل يهتم كذلك بالجانب الفكري المتمثل في تفنيد مزاعم اليهود أحقيتهم بفلسطين، وذلك في مثل قوله:

وفلسطينُ مـا فلسطينُ إلا ... وطنُ العرب لا عبيد الحطام[١]

إنّ من دونها ودون بنيها ... وهجَ النارِ واشتعالَ الضّرام

زعـموا أنها لهـم مـن قديم ... قبلَ كسرى وقيصر وابنِ حام[٢]

نحن أيضا لـنا بلاد وعنها ... قـد نزحنـا مـنيعة الآطـام[٣]

علم الغرب أنها بين مدريـ ... ـد وروما ومـا وراء سيام[٤]

قد أقمنا بها عصورا وعدنا ... بعـد ألـفٍ مقرّن الأعـوام

وبنو الحمر من زنوج بناما ... لهـم الحق وحـدهم في بنام[٥]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٣٦.

(٢) كسرى:لقب ملك الفرس.وقيصر :لقب ملك الروم.والمقصود في البيت: قبل عهد الروم والفرس.

(٣) يقصد الشاعر دولة الأندلس التي فقدها المسلمون.

(٤) مدريد:عاصمة أسبانيا،وروما:عاصمة إيطاليا،وسيام:ذكر د/العطوي أنها أحد أقاليم الهند ولاأدري ماالذي يربطها بالأندلس.

(٥) بنام:تقع بين الأمريكيتين،وبها قناة حُفرت سُمِّيت باسمها.

فاهجروا دارهم وخلوا حماهم واسكنوا الصين أو كهوف جوام[1]

ثم يتساءل الغزاوي مستنكرا فيقول:

أين كان اليهود أيام رفت في ربى القدس راية الإسلام
أين كانوا غداة أصبح فيها عمر الفتح آخذا بالخطام
أين كانوا من أمية يترى في ذراها الوليد بعد هشام
أين كانوا وللخلائف فيها كل يوم مشارف في دعام
أين كانوا وآل عثمان منهم في التلابيب من رقاب وهام
أين كانوا وكانت قراهم بعد موسى وقبل عيسى وسام
أين كانوا وما علمنا بشيء علمنا أنهم أذل الأنام
أين كانوا وما علمنا بشيء علمنا أنهم ألد الخصام
ترّهات وراءها سفسطات أين منها طرائق الإلزام

والغزاوي لا يرى في اليهود قوة باهرة، ولكنّ أعوانهم في الخفاء هم من حقّق لهم أسباب هذا الاحتلال المقيت:

ولو كانت بمفردها يهود لما لبثت وأفظع بالمصاب[2]
ولكن الكوارث لم تؤتّى بغير عقارب خلف الثياب
تغر ظواهرا وتروع خلسا وتجنح بين ذلك للعقاب

(١) جوام: وردت عند ياقوت «جويم» بالياء وهي مدينة بفارس تحفها الجبال. (معجم البلدان ٢/٢٢٣).
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/٢٧٣.

ولا يفتأ الغزاوي أن يذكّر المسلمين في كل مناسبة جامعة بهذا المصابِ الجلل الذي حل بالمسلمين:

يا أمـة التوحيد إن أمامكم ... ووراءكم كيدا يُحاك ويفتل[1]
نزلت بإسرائيل أفـدح نكبـة ... في المسلمين وبالذين تسرألوا
وهناك معراج النبي مراغم ... والمسجد الأقصى يراع ويفصل
وبكل سارية عـليه مناحـة ... منهـا تعـل الثاكلات وتنهـل
شعب تشرد في العراء وماله ... غير الفداء وقد تحدى الأرذل
والأرض تعلم والسماء بأنه ... منا الوريد وشيجة والأكحل
أنراه يرسف في القيود ويصطلي ... وبنا المضاجع بعد ذلك تخمل
كلا فإن عديدنا شروى الحصى ... والله أغير والقـضـاء يـمهـل
ستحدث الأحجار عمن خلفها ... ممن يهود رمت بهم و الجندل
وعدٌ مـن الله العـظيم وإنـه ... لمنـجّـز ومـعـزز ومـنزل

ويبين الغزاوي أن في الاعتصام بالله والعمل بشرعه تكمن أسباب النصر بإذن الله:

يا معـشر الإسلام إن سبيلنا ... هو في المثاني محـكم ومفصل
بالحب بالإيثار بالنصح الذي ... عن كـل ما هـو قربـة لا يعدل
والله يعـلم ما تكن صدورنا ... ورقيبنـا فيمـا نقـول ونفـعـل

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/٤٣٧.

فتمسكوا بكتابه وتعوذوا من كل شيطان مريد يختل
ولأنتمو الأعلون ما كنتم به حقا وصدقا مؤمنين فأعجلوا

ولم يقتصر شعر الغزاوي في حديثه عن مآسي الأمة على فلسطين، بل تعداها إلى غيرها من جروح الأمة مثل: الجزائر ومعاناتها مع الاستعمار الفرنسي الذي أراد محوها من خارطة العرب والمسلمين. وقد دعا في أكثر من قصيدة للوقوف إلى جانب مجاهدي الثورة الجزائرية. وهو في ذلك يصور معاناة الشعب الجزائري من جهة، كما يصور إباءه وكرامته من جهة أخرى. يقول:

لو رأيتم بني أبيكم كفاتا في كهوف عميقة ومغاور[1]
لو نظرتم إلى العواتق مسرى ثاكلات مستهتكات الستائر
يتفيّأن في العراء ركاما من جليد وصرصرا من هواجر
تحت طلٍّ من الجحيم ووبل وحميم مباغت وقنابر
وجراح تسيل من كل قلب ودموع تنشق عنها المرائر

ولكنهم لم ييأسوا أو يستسلموا بل جاهدوا واستبسلوا :

كم شباب قضوا هناك وشيب آثروا الموت واكتووا بالمخاطر
نبذوا الدور للكفاح وباتوا في الصحارى وأصبحوا في المقابر
لم تكن شققت لحودا ولكن في بطون السباع وهي كواسر

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ٤/١٤٣٣.

ولم ينفرد الرجال بهذه البطولات بل كانت المرأة الجزائرية تدافع عن دينها ووطنها أيضا:

كم مهاة هي الملائك طهرا ذات حسن تغمدته المآزر
يتحدى عفافُها الخلق طرا ويحاشي جمالها كل ناظر
برزت للقتال تنثال بأسا وتجر الذيول وهي خناجر
تنقل الخطو في ثبات وتعدو بين أترابها خلال المجازر
في وقار وعصمة وحياء ينثني عنه كل أشرس صاغر
ما تخيّرن أن يحقن إماء في هوان وقد خُلقن حرائر
فاتخذن القتام في الروع كحلا وادّرعن الحسام بعد الحرائر

ويكرر الغزاوي دعوته في قصيدة أخرى مستنكرا أي تباطؤ لإعانة المجاهدين الجزائريين بالمال:

ما نومنا ما قضمنا ما هضمنا ما مشرب نلهو به أو مأكل[1]
وبنو الجزائر بائس ومشرد ومطرّد ومرمل ومثكل
إن البقاء هو التواصي بالحمى والويل للمنبتّ وهو يولول
ما المال مهما فاض إلا قطرة في الدمع يهدر والنفوس تجندل
وأرى المروءة والشهامة والندى فيكم ومنكم روحها تتمثل
يأبى لنا الإيثار إلا نجدة وإجابة فيها الكفاح يسربل

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ٤/١٤٣٦.

ولقد بكى الشاعر مدينة بنزرت الجزائرية المجاهدة لما كانت تعانيه ضد العدوان الفرنسي، وذلك في قصيدته التي مطلعها:

لا الدمع يجدي ولا الآهات تجزينا تفـجر الغيظ والرحمن يشفينا[1]

ويفصح الغزاوي عن شكواه فيقول:

أغرى العلوج بنا التفريطُ فانطلقوا ردحا من الدهر أشتاتا يسومونا
إذا السـلالات حيرى في تفرقنا والجهل ينشـرنا طورا ويطوينا
وللهوى والنوى بطـش وسيطرة اللهـو يوصمنا والقهر يصمينا
حتى تيقـظ منا كـل ذي كبد حرّى ولـجّ بنا الإيمان يهدينا

ويتساءل الشاعر متعجبا ومستنكرا:

ويحاً أبنزرت في البـلواء غارقة والعرب من حولها تسعون مليونا
تبيت والهـول في آفاقها رصد والبأس يحصدها والبؤس يشجينا
وللشـكالى بها والغـيد همهمة هي الصـريخ هي التقريع يعنينا
فلذاتنا هن لـولا أنهن مـها وكلهن إلى الخنساء[2] ينـمينا
كأنما بثّهن البحر مصطبخا والـموج مضطربا والثأر مجنونا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ١١٩٥/٣.

(٢) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية. من أشهر شواعر العرب ، وأشعرهن على الإطلاق. عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. كان لها أربعة بنين شهدوا حرب القادسية سنة ١٦هـ فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعا فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم. توفيت رضي الله عنها سنة ٢٤هـ. (الأعلام: ٨٦/٢)

ويخاطب الشاعر فرنسا المعتدية، يسألها عن حضارتها قائلا:

أهكذا هي لا عاشت حضارتكم عصفا وقصفا وتزويرا وتلوينا
أم أنها القتل والتدمير في قرن وهل تعدون [هذا] البغي تمدينا[1]

وهو يرى أن فرنسا أجدر أن تعتبر بما عانت من العذاب على يد ألمانيا وإلا فسوف تجابه نفس المصير على يد المسلمين:

بالأمس فرت بها الأقدار جافلة من هتلر[2] وغدا من بطش أيدينا
أبناء حسان[3] مازالت جحافلهم كثيفة بالظبى والبيض تروينا

وفي إطار حرص الغزاوي على الأمة الإسلامية، فإنه ماانفك يدعوها إلى التكاتف والوحدة من جهة، والتمسك بشرع الله وسنة نبيه ﷺ من جهة أخرى. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قصيدته التي أنشدها الملك عبدالعزيز يهنئه فيها بعيد الأضحى، ويخاطب الأمة الإسلامية قائلاً:

يا بني الشام والعراق ومصر وطراز التاريخ في عنعناته[4]
وبني الضاد حيثما امتد أفق نحن منه وفخرنا ببزاته[5]

---

(١) هناك سقط في البيت، ولم أجد القصيدة ضمن ما جمعه د/مسعد العطوي، فقدرت السقط بما بين القوسين.

(٢) هتلر: هو أدولف هتلر زعيم ألمانيا النازية، حوّل ألمانيا إلى حالة حرب وأشعل نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، وقد هَزمت قواتُه معظمَ أوروبا بما في ذلك فرنسا.(الموسوعة العربية العالمية:٢٦/٦٩)

(٣) المقصود بحسان:حسان بن النعمان الأزدي أول من دخل إفريقية من أمراء الشام في زمن بني أمية، توجه إلى أرض الروم غازياً وتوفي بها سنة ٨٦هـ.(الأعلام:٢/١٧٧)

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٦٠.

(٥) البُزاة جمع البازي وهو ضرب من الصقور (اللسان:١/٤٠٣).

بردى والفرات والنيل جسم نتشكّى جميعنا من شكاته
يتحسى الرضيع منا هواه في أغاريده وفي ألهياته
كلنا أمة إلى الخير تسعى في صراط وكلنا من رعاته
وطن جامع ودين قويم ولسان موحّد في لغاته
مهبط الوحي قلبه وهو منه بمكان الضياء من باصراته
وبلاد الإسلام طراً مهادٌ لتعاليمه وهدي حماته
إنما المؤمنون إخوة فاستجيبوا دعوة الحق واقتدوا بدعاته[1]
واتقوا الله ما استطعتم جهارا وأفيضوا في السرّ من بركاته
واسلكوا سنة النبي سبيلا والكتاب المبين في آياته
ذلك العز إن أردتم علوا فاستنيروا بالأخذ من ملهماته

وفكرة الوحدة الإسلامية تتكرر في كثير من قصائد الغزاوي، خاصة في حولياته[2] وبالأخص فيما يحيّي به حجاج بيت الله الحرام سواء أكانوا من الزعماء أو غيرهم. من ذلك قصيدته التي أنشدها أمام الرئيس الباكستاني محمد علي جناح[3] والتي مطلعها:

---

(١) البيت مكسور الوزن.

(٢) انظر: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر: د/حسن الهويمل، ٣٥٠.

(٣) ومحمد علي جناح مؤسس دولة باكستان الإسلامية، كان من قادة الهند في نضالها لنيل استقلالها. ولد سنة ١٢٩٣هـ في كراتشي. أظهر ذكاء حادا في ثقافته مما أهله للحصول على القبول للدراسة الجامعية في بومباي؛ إلا أن أباه اختار له الالتحاق بالجامعة في انجلترا وقد حصل على شهادة القانون من هناك. مارس المحاماة بعد عودته إلى بومباي وعين نائبا لقاضيها. له جهود واضحة في ولادة دولة باكستان الإسلامية في أغسطس سنة ١٩٤٧م. وأصبح هو أول حاكم عام لها. ولكنه لم يلبث أن توفي بعد عام من توليه الحكم وذلك سنة ١٣٦٨هـ. انظر: الأعمال الشعرية الكاملة، ١١٢٩/٣.

أخا سعود بك الإسلام يفتخر والشعر يهتف والإلهام ينهمر[1]

ويبدي الشاعر افتخاره بباكستان الإسلامية فيقول:

عظيمة هي باكستان مشرقة بها البصائر وهي الشمس والقمر
لم تألُ جهدا ولم تبرح محافظة على التراث الذي ينمو وينتشر
كم شع منها ضياء الفن وائتلقت بها الأصائل واعتزت بها البكر
وجاش باللغة الفصحى فطاحلها كالبحر تقذف من أعماقه الدرر
وكم لها في مجال العلم من منن أودى بها الجهل واستهدت بها الفكر
في دولة نتمنى أن تكون غدا للدين حرزا به الإلحاد يزدجر

وهو يرى رابطة الدين ـ بين الدول الإسلامية ـ أقوى من أي رابطة أخرى:

أخوة بكتاب الله راسخة بها العقائد وهي الظل والثمر
جاشت بها مهج الأجيال صاعدة والذكريات التي زانت بها العصر

وهذه المشاعر الطيبة من الغزاوي نتلمسها أيضاً حين يرحب بالرئيس جمال عبدالناصر[2] والملك أحمد البدر ملك اليمن بحضور الملك سعود، وذلك في أكثر من قصيدة.من ذلك قوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١٢٩.

(٢) هو جمال عبدالناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبدالناصر،ثائر عسكري.حكم مصر ثمانية عشر عاما.ولد في قرية بني مر بأسيوط سنة ١٣٣٦هـ،وانتقل إلى القاهرة وعمره ثماني سنوات،وتعلم بها ثم بالإسكندرية وحصل على البكالوريوس سنة١٩٣٦.دخل الكلية الحربية وتخرج فيها سنة ١٩٣٨م ودرّس فيها.قام مع زملائه بثورة سنة١٩٥٢م،ومالبث أن تولى رئاسة الوزراء.ثم انتُخب رئيسا للجمهورية سنة ١٩٥٦م.توفي سنة ١٣٩٠هـ إثر سكتة قلبية مفاجئة.انظر:الأعمالَ الشعرية الكاملة،٣/١٠١٩.

في سعـود وأحمد وجمال جمـع الله شملنا في شتاته[1]
وحـدة وثـق الإلــه عراهــا واجتباها تذب عن حرماته
تنظم العرب للكفاح سلاحا وصفاحـا على هــدى بيناتـه
وتعيد الصواب أبلج ضاحٍ في عقــول تعـلقـت بغـواتـه

.....

فليبارك لقـاءكم مـن إليــه يُرجـع الأمـر كله في براتـه
وليقرب من فتحه ما وعدتم وليزدكم مــن فضلـه وهبــاته
وليوحــد صفوفنــا وليـؤيّــد بكمُ الـدين وليحطـه بشاته[2]

وحين يجتمعون ثلاثتهم متحالفين لتوقيع الميثاق الثلاثي يشدو الغزاوي مستبشرا واصفا هذا اليوم بقوله:

إن ذا اليوم في العروبة يوم خالـد تـالـد طـريف أثيـل[3]
بل هو العيد كلما مر عيد ما انتشى حاضرٌ وكبّر جيل
لكـأني بمثلـه قـد تجلـى مقبـلا في غـد وفيـه نصـول
حيث يحظى بنو أبينا جميعا باتحـاد نعلـو بـه ونطــول
إنهم قـرة العيون شمـالا وجنوبـا فروعهـم والأصـول
أخت مراكش لدينـا عمـان ودمشـق وطنجــة والجليــل

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٠٢١.

(٢) لم أجد في كتب المعاجم معنى للشاة يناسب مقام البيت.وقد ورد في بعضها "أشاه"بمعنى ألجأه.ولعل الشاعر يريد هذا المعنى الذي يدور حول الملجأ والاعتصام.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠٢٥.

إن عمّان للرياض الصنو ولبغداد حبها المجدول
هدف واحد ونهج قويم هو للمجد غرة وحجول
كلنا في الكفاح زند أخيه وعلى الله قصده والسبيل

ومن ترحيبه بالحجاج من غير الزعماء قصيدته التي يقول فيها:

مرحبا بالحجيج في أقطابه وبإهلاله وحسن مآبه[1]
مرحبا بالتقاة في حرم الله وبالقانتين من كل نابه
مرحبا بالهداة من كل شعب في أساطينه وفي نوابه
وسلاماً على الملبين طرا في حمى الله رغبة في ثوابه

والحج عند الغزاوي يمثل رمزا من رموز الوحدة والتئام الصف واجتماع الكلمة:

كل مصر وكل جنس ولون وحدة فيه بوركت في إهابه
تتحدى الجبال قوة بأس والضلال المبين في أنصابه
وتشق السماء والأرض شقا لو هي استعصمت بفصل خطابه

ولا يفوت الغزاوي ـ في مناسبة عظيمة كهذه ـ أن يحث المسلمين على الأخذ بأسباب العز وأولها الرجوع إلى الله:

ما لنا والثناء لله نخشى والصراط السوي وحي كتابه

(١) المصدر نفسه: ١/ ٢٧٥.

فلماذا ونحن أسنان مشط في التآخي نشيح عن محرابه
هو نبراسنا نعيش ونفنى حول إفرنده ودون قرابه
عزة المؤمنين أول شرط فيه والعز دون دراكه باغتصابه

وللغزاوي منهج مميز في حثه على الوحدة الإسلامية، وهو أنه يمزج هذا الحث ـ أحياناً ـ بمدحه ولي الأمر. الذي يصوره حريصاً على الأمة الإسلامية ووحدتها، كل هذا على سبيل الإغراء، مثال ذلك قوله:

ما كصنعاء غير مصر ومصر منك عيناها والحنايا زبيد[1]
إنما النيل زمزم ما احتسينا بهما الحب والبطاح الصعيد
مزجتنا الدماء صهرا وصهرا وتلاقت هنا المنى والجهود
وبنو الضاد حيث كانوا سياج وعتاد وجحفل وجرود[2]
كل قطر مصاقب[3] عربي هو منك الشغاف والتأييد
وحدة المسلمين في الدين فرض دونه اللون واللغى والحدود

٣. الشعر الديني: وقد كان الغزاوي ـ في شعره ـ صاحب عقيدة صحيحة بعيدة عن الغلو أو البدع، يدل على ذلك نعيه على ذوي الأفكار المنحرفة، وذلك مثل قوله على أثر ما رآه بعض الناس من ضرورة الإنشاد من جوف الكعبة يوم إتمام عمارتها في ١٣٧٧/٨/١٢هـ:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٣٢٨.
(٢) الجرود:جمع جرْد وهو الترس(القاموس المحيط:١/٥٥٢).
(٣) مصاقب :أي مقارب ،من أصقبت الدار إذا دنت(اللسان:٧/٣٧٢).

أنزّه بيت الله عن قول شاعر ورجع أناشيد وسجع قـواف[1]
وألهج بالتسبيح فيه مهـللا وأكبره عـن ضجـة وهتـاف
وأتلو به السبع المثاني وأنطوي على شجني من خشيتي بشغافي
وأضرع للرحمن جل جلاله بما أنا أرجـوه من الألطـاف
وألتمس الغفران والعفو والرضا وحسبي صـلاتي فيه ثم طوافي

والشعر الديني كثير عند الغزاوي. ولعل حولياته التي ينشدها في الحج تعدّ كافيةً للدلالة على تلك الكثرة، ففيها يتأمل الركن الخامس من أركان الإسلام، ويكثر من التكبير والتلبية .

وقصيدته التي أنشدها أمام الملك عبدالعزيز سنة ١٣٥١هـ تعد من الأمثلة الشاهدة على ما أقول. فالعاطفة الدينية سائدة فيها، كما أن للتأمل نصيباً وافرا منها. وفي بدايتها يقول:

جل من سبحت له الأجرام وتجلّـى بفـضلـه الإسـلام[2]

وهو مطلع يحمل دفقة إيمانية واضحة، مدارها تعظيم الإله العظيم وتنزيهه، وبيان فضله على الإسلام والمسلمين. وتتجلى هذه الفكرة أكثر مع قراءة الأبيات التالية، وهي في مجملها تأكيد وترسيخ للفكرة السابقة:

فاطر الأرض والسماء اقتدارا فاتق الرتـق والأديم ركـام

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٨٤.

(٢) المصدر نفسه:١/١١٨.

باعث الروح في العوالم من قبـ ـل أن توجد الأرحام[1]
جامع الناس باليقين إذا ما أزف البعث واستحر الزحام

ثم ينطلق الشاعر واصفا يوم الحساب بعدة صور:

يـوم لا ينفـع البنـون ولا ما لٌ ويشتد في الحساب الخصام
يوم تلقى النفوس بين يديها هفـوات شهـودهـا الأجسـام
يـوم لا سـرّ كـل سـرّ وجهـر صـفحة صرفت بهـا الأقـلام
يوم لا نستطيع غير اعتراف بـذنـوب كأنهـا الآكـام
يـوم نرجـو من الغفـور امتنانـا يمـحق الخوفَ ضوؤه المعتام
يوم يمضي على الصراط تقاة صدقوا الله طاعـةً واستقاموا
يتبـارون للجنـان صـفوفـا وتحاياهـمُ لـديهـا سـلام

وبعد هذا الوصف لمشاهد يوم القيامة، يتوجه الشاعر إلى اتخاذ الحج معنى من معاني تعظيم الله عز وجل فيقول:

جَلّ من كمّل الحنيفة بالحـ ـجّ وفي الحجّ حكمةٌ وذمام
إنما الحجّ قـربةٌ وائتـلافٌ واجتمـاعٌ وعـزةٌ واعـتزام
لو وعى المسلمون معناه حقاً لا نقضى الخلف واستعزّ الوئام
إن أسـراره العظيمة دقّت فهي من دونها يضيق الكلام

(١) البيت مكسور الوزن في شطره الثاني، وقد نبه د/ العطوي على هذا.

هي نورٌ يضيء في كل صدر وسـرورٌ تحسّه الأفـهـام
هي كالوحي يغمر الروح قدساً وجـلالٌ يُفيـضـه الإلـهـام

ثم يأخذ الشاعر في تفصيل بعض أسرار الحج العظيمة قائلا:

ما وقوف العباد في عرفات وانتبـاذ العـراء والإحـرام
ذاك ضعـفٌ وذلـةٌ ودمـوعٌ تتـلاشـى بكسبهـا الآثـام
كلنا نادمٌ على مـا تقضّى عـازمٌ توبـةً بهـا يلـتـام
ماحسرنا الرؤوس إلا امتثالا لأداء الفـروض كيمـا تقـام

ويلجأ الغزاوي في بعض قصائده إلى الإكثار من التلبية والتكبير مستلهما ذلك من أجواء الحج الدينية، وذلك في مثل قصيدته التي يبدؤها باستفهام يلفت الانتباه، فيقول:

لمن الجموع تنشّرت بالوادي متخشعين على هدىً ورشاد[1]
ولـمن تحدرت المدامع خيفة وتضـرعا في لهـفـة وتنـادي
ولمن عنت هذي الوجوه كريمة وتجردت في الموقف المعتاد
ولمن مشت كل الفجاج وأقبلت بالوفـد يهتف باسمه وينـادي

وبعد كل هذه التساؤلات المشوِّقة تأتي الإجابة التقريرية:

لله للرحمـن جـل جلالـه هـذا الخضـوع يلـج بالعبّـاد

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/١٦٧.

ثم يبدأ الغزاوي ينشد عبارات التلبية والتكبير بروح المؤمن فيقول:

لبيك يا رب السماوات العلى ... لك ما تشاء وأنت بالمرصاد
لبيك من أعماقنا وقلوبنا ... من كل ذي روح وكل جماد
لبيك يا من لا معقب دونه ... في الخلق والتكوين والإيجاد
لبيك رغم المشركين وزعمهم ... وذوي الهوى والزيغ والإلحاد
لبيك جئنا مهطعين ومالنا ... إلاك يا قيوم كهف معاد
الله أكبر كلما طلعت ضحىً ... سبل الحجيج برائح أوغادي
الله أكبر كلما تهوي إلى ... البيت العتيق جوانح الأكباد
الله أكبر كلما ازدحمت على ... هذا الصعيد مناكب الوفاد
الله أكبر كلما انطلقت بنا ... آياته الكبرى إلى الترداد
الله أكبر كلما عدنا به ... في السر والنجوى وفي الأشهاد
غفرانك اللهم أنت نصيرنا ... في السر والنجوى وفي الأشهاد

وكما تأمل الغزاوي الحج وما فيه من أسرار عظيمة، فقد نال الصوم كذلك من شعره نصيباً طيباً، ولنستمع إليه وهو يتمنى أن يكون العام كله شهر صوم داعماً هذا التمني بالأسباب التي تجعل المؤمن متعلقاً بهذا الشهر الكريم:

ليت ذا العام كله شهر صوم ... وخشوع وخشية واقتراب[1]

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٠٣.

هو للجسم صحة من فضول ... وطعام ذي غصة وشراب
تتسامى الأرواح فيه انطلاقا ... في رضاء المهيمن التوّاب
إنما نصوم جُنةً وهو برءٌ ... من سقام وعصمةٌ من عذاب
بل هو النور للبصائر تعلو ... في السماوات من أديم التراب
ينضح الخير ما أطل علينا ... ويعيد الرشاد للألباب
شفيت فيه من ضناها قلوبٌ ... ضارعاتٌ تمور مور السحاب
وصلات القربى به تتلاقى ... بعد قطعٍ وجفوةٍ واضطراب
تلك والله نعمةٌ فيه تمت ... وتجلّت في أطهر الأثواب
رحمة الله كلها في هداه ... وهو في الحق ذخرنا للثواب

وفي قصيدة أخرى يتأمل الشاعر شهر رمضان متعمقا أكثر في معانيه التي تسحر نفوس المؤمنين التقاة فيقول:

فلله ما أزهى لياليه في الورى ... وأيامه اللاتي بها نتورع[1]
وِجاءٌ لمفتون وِقاء لمُترف ... سخاء لمحروم نعيم موزع
تواصى به الأبرار وانطلقوا به ... إلى الخير والدنيا بهم تتضوّع
وكم قائمٍ لله فيه بطاعة ... تجافى عن الجنب الذي هو مضجع
يودّ لو أن الدهر قد عاد كله ... صياما فلا يلغو ولا يتصنّع
فيا حبّذا شهر الصيام وحبّذا ... مواعظه الكبرى وما هي تجمع

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٦٩.

أرى الناس فيه بين شادٍ بفضله ... وآخر يعدو للسجود ويركع
حفيّين بالمعروف يخشون ربهم ... وكل امرئ منهم إلى الله يخضع
كأن قلوب المؤمنين خلاله ... ملائكة الرحمن إذ هي تخشع
تطير بهم نحو السماء عصائبا ... وتشدو بألحان الخلود وتسجع
خماصا عن الفحشاء ظمأى إلى التقى ... سراعا إلى الخير الذي تتوقع
يخافون إسراف النفوس وما جنت ... ويرجون عفو الله فيما تقطعوا

وكما وصف الغزاوي تأثير الصوم على نفوس المؤمنين فإنه وصف ـ كذلك ـ حال المؤمن مع الصلاة. وقد خص صلاة الفجر بذلك في قصيدة يغلب عليها الطابع القصصي، وأغلب الظن أن الغزاوي هو بطل هذه القصة. يقول فيها:

تحرّى انبلاج الفجر والخيط أسود ... وفي قلبه نجوى التّقى تتجدّد[1]
وخف إلى مولاه يلتمس الهدى ... وما كان يسعى بل انقض يحفد[2]
تسابقه الأقدام وهي طليقة ... ويحفزه الإيمان وهو مقيد

وفي القصيدة وصف دقيق لحال المؤمن في مغالبة النوم والتحفز لصلاة الفجر، وذلك في قوله:

وينهض في أجفانه سنة الكرى ... وفي كل عضو وثبة وتشهّد

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٤٧٢.
(٢) يحفد: من الحفْد وهو الإسراع (٣/ ٢٣٤).

وينظر في كبد السماء كواكبا مصابيح منها للرجوم مسدد
إذا هي ألقت في الدياجي شعاعها رأيت بها القهّار كيف يمجَّد
كأني به والذكر يملأ قلبه ملاكا سوى أن ابن آدم يجهد

كما يصف الشاعر مشهد دخول الحرم المكي والناس أغلبهم نيام، وكيف أن حلاوة الإيمان تعمر قلب المؤمن في تلك اللحظات:

مشى وكأن الأرض تُطوى أمامه وطاف ببيت الله والقوم هجّد
ودوّى أذان الصبح من كل كأن به أم القرى تتحرد[1]
وسالت ربى الوادي بكل مهلل عليه من اللألاء باء مجدد[2]

ثم يقول:

رنا فتجلت كعبة الله حوله مهدّلة الأستار وهي تأوّد
عليها ثياب الخز لا هي سندس ولا هي ديباج ولا هي مجسد[3]
ولكنها رَوْحٌ من الله سابغ يفيض بإشعاعٍ بها الروح تنجد[4]

ثم يأتي الشاعر إلى مشهد بديع آخر، مشهد الإمام و المصلين من ورائه، كلهم يرجون رحمة الله:

---

(١) تتحرّد: من قولهم هذا حي حريد، أي منفرد لما لعزته (اللسان: ٣/١١١).
(٢) الباءة في الأصل بمعنى المنزل والدار(اللسان: ١/٥٣٢).والمقصود في البيت الهيئة التي تحيط بمن يقصد البيت الحرام.
(٣) مُجْسَد: الثوب المجسد أي المصبوغ بالزعفران (اللسان: ٢/٢٨٢).
(٤) تُنجد: من النجدة. والضمير في قوله «بها» يعود حسب المعنى إلى الرَّوْح السابغ فكان الأولى أن يقول: «به» بتذكير هاء الغائب.

وأقبل تلقاء الصفا في وقاره إمامٌ كأن الدين فيه مجسّد
يرتل في المحراب آيات ربه مثاني غرا قد تلاها محمّد
إذا ما اقشعرت من صداها جلودنا خررنا كما يهوى إلى الأرض مقعد
كأن صفوف المؤمنين وراءه مواكب في الفردوس تدنو وتبعد
أو ان قلوب المخبتين تجاوبت خمائل فيها الصادحات تغرد

وفي آخر القصيدة يخلص الشاعر إلى نتيجة إيمانية حول صلاة الفجر مفادها:

ألا إنها سر الحياة وإنما بها المرء ينأى عن هواه ويصمد
وما خير عيش يغمض المرء عليه إذا فات الرقيبان مشهد[1]

ودعاء اللهَ عزَّ وجلَّ يشكل ظاهرة في شعر الغزاوي. فأغلب قصائده في المديح يختتمها بالدعاء، كما أن حولياته سواء في عيد الفطر أم عيد الأضحى لا تخلو - في مجملها - من الدعاء. هذا بالإضافة إلى بعض قصائده التي يأخذ الدعاء منها حيزاً كبيراً. وذلك مثل قوله في انتظار الساعة:

جُنّت الأرض فرُجّت أم تمارت بالسماء[2]
أم هي ازدانت فحانت بصواريخ الفناء

(١) المعنى: ما خير عيش يغمض فيه الإنسان جفنيه عن صلاة الفجر، حتى يفوت الملكين الرقيبين مشهد الصلاة العظيم في الحرم المكي. وعلى هذا المعنى فإن ثمة خطأ نحويا في رفع «الرقيبان».
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٨٥.

أنهـا الساعـة تـأتي دون ريب فـي خفـاء
هـي لا تنقـضّ إلا بغتـة بعـد ازدهـاء
ربنـا إنـا ظلـمنـا فانتـثرنـا كـالهبـاء
ربنـا عـذنـا ولـذنـا بـك مـن سـوء القضـاء
ربنـا ارحـمنـا فـإنـا مـن بقايـا الرحمـاء
واهـدنـا وامـنن علينـا يـا سـميعـا للـدعـاء
واحمنـا من كـل بـأس وقنـا شـر البـلاء

ومن أمثلة الدعاء عنده ـ أيضاً ـ قوله:

يا منشئ الأحياء من علقٍ ومن طين وماء[1]
يـا باعث الأشـلاء من أجداثهـم بعـد العفـاء
يـا مـن لـه آيـاتـه تُجلى وتنبض بالضياء
ها نحن منك بما وعدت تجيب في هـذا الدعـاء
إنـا لنطمـع فـي رضـا ك فهب لنا منك الرضاء
يـا صاحب القول الذي لجلالـه تعنـو الجبـاه
يـا من إليـك مصيرنـا المـوت أمـرك والحيـاه
يـا حـي يـا قـيـوم يـا مـن لا إلـه لنـا سـواه
يا مالك الملك استجب لـدعائنـا واهـد الغـواه

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٩٣.

ثبت قلـــوب المؤمنيـ ـن وولّهم سبل النجـاه

وللغزاوي نظرات مؤمنة حول الحياة من مثل قوله:

هيهات يغني عن الإنسان في مرضٍ الجاه والمال والسلطان والولد[1]
وإنمـا هـــو والآلام تعصـــره مســـخر وبما يمنى لـه الكبـد
يود لو أن ما في الأرض ينقذه وليس ينجيه إلا الواحد الصمد
وخير ما هـو بالنجوى يلـج بـه تضرع القلب ثم الصبر والجلـد
ما قلت ذلك إلا بعـد تجربة بها وجدت الذي قد كنت أفتقد
آمنت بالله كم حشرجت مختلجا وقاب قوسين مني الموت ينجرد
وكم توعدني من حيث أرعدني وما به غير إيقاظي بما أجـد
وها أنا اليوم أرثي كل ذي بطر يختال في الناس أو يطغى به اللدد[2]
وما أرى هذه الدنيا و زخرفها إلا غرورا به الـمفتون ينحصد

وعندما شعر أن المادة طغت على الحياة، وأن البشر اغتروا بقدرتهم خاصة بعد صعود الإنسان على سطح القمر، نجده يتأمل هذا الوضع بقصيدة يمتزج فيها الفكر بالعاطفة الدينية فيقول:

كأنما الناس غير الناس مابرحت قلوبهم برسيس الحقد تنفطر[3]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥١١.

(٢) اللدد:أي الخصام ،وهو كناية عن الكبر وسوء الأخلاق في البيت.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٢٠.

يجابهون الأذى في كل ما سمعوا ويشتكون القذى من كل ما نظروا
أودى بهم أنهم ظنوا بقدرتهم أن لا يضيق بهم في غزوه القمر
وهم من الطين والصلصال قد خلقوا وما لهم ويلهم نفع ولا ضرر

ويصف في القصيدة مظاهر تغير الحياة وصفا يميل إلى التشاؤم قائلا:

فالبؤس مرتكس والخوف ملتبس والضعف مبتئس والجو معتكر
والسلم محتلس والحرب مفترَس والخير منعكس والشر منتشر[1]
والفسق منطلق والشمل مفترق والظلم منطبق والعدل مندعر[2]
والإفك في لجج والشك في هوج والقحط والجدب والإضرار والضرر

ويتساءل الغزاوي في نفسه عن سبب تغير الحياة إلى هذه الصورة، ثم يخلص إلى معرفة السبب وهو:

تجاهل الناس وحي الله وانغمسوا في الموبقات وما بالوا ولا ازدجروا
كأنهم لن يموتوا ثم يبتعثوا بما هم اكتسبوا وزنا وما ادخروا
ولا نجاة لهم مما يحيق بهم إلا بتوبتهم من كل ما فجروا

وهذا التساؤل الحائر نلمحه عنده أيضا في قصيدته التي مطلعها:

---

(١) مُحتلِس: من الإحلاس بمعنى الإفلاس (القاموس:٢/٣٠٢). أي أن السلم مفتقر إلى من يظهره.
(٢) مُندعِر: من الدَّعَر وهو الفساد (اللسان:٤/٣٥٢).

لا الغيم مختـلف كلا ولا المطر فما الذي جد حتى استحكم المطر[1]

وفي القصيدة يصف الشاعر مشاعر الناس تجاه الغيث الذي لا يكاد ينقطع عنهم، وكيف كانت الطبيعة تتجاوب مع هذه النعمة العظيمة من السيول والخضرة والجو الصافي الجميل. وقد كان الناس في ذاك الزمان:

كأنما هم غداة الدجن ما خُلقوا إلا لما هو صفـو ما به كدر
لا يحقدون ولا ينسوَن بارئهم ولا يزحزحهم عن شكره بطر

ثم يتساءل قائلا:

فما لنا اليوم غير الأمس في وجل وفي جـوانحنا الآلام تُعتصر
وما بالنا كلما مـر السحاب بنـا نلـوذ بالله منـه وهـو ينتشـر

وفي ختام القصيدة تطمئن نفسه إلى سبب زوال نعم الله فيقول:

لا ريب ذلـك مـما فيه أنفسنا قد أظلمت وبه ألوى بنا الضجر
فما نرى بالمعاصي وهي مطبقة في عارضٍ شيم إلا أنه الخطر
وما تبدل إسفار ولا غلس ولا نهار ولا ليل ولا سحـر
وإنما هـي أوزار تـزاورنا ومالنا دونها غير الـهدى وزر
أحنت على كل نفس فهي مشفقة أن لا تحيط بها الأحداث والغير
ورحمة الله تغشانا بما وسـعت فهل عسانا عن الآثام نزدجر

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٧٦٦/٤.

ومن نظراته التي تعبر عن حسه الديني ـ أيضاً ـ قوله:

رأيت حياتي بالهدى مطمئنة وعند اقتراف السيئات تزلزل[1]
وبالله أستهدي إليه وإنه غفور رحيم قادر متطول

وله قصيدة يوضح فيها طريق السعادة لمريديه، فيقول:

أهنأ الناس بالحياة مخفٌّ يتقي ربه ويرجو معاده[2]
لم يزده البلاء إلا اصطبارا وهو ما عاش مخلص في العباده
خاشعا في صلاته وهو بَر مستحثا إلى الصلاح جهاده
قانعا بالذي به هو يحيا في كفاف به يصون اعتقاده
مطمئنا بما به يتزكى وبه للخلود يذخر زاده
ليس يُغرى بثروة أو بجاه أو بما يملك الغرور قياده
يدرأ الشر ما استطاع لخير ويكف الأذى ويرضى الزهاده
أين هذا مني ويا ليت أني كنته لو أطقت كابن عباده[3]
والأُلى وعدهم من الله حسنى أنهم آمنوا به وزياده
ذاك ما نهتدي إليه لو انّا لم نكاثر ونختلس أشهاده
قل لمن يطلب النجاة رويدا إنما هذه سبيل السعاده

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٩١.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٥٢٢.

(٣) ابن عباده:يقصد سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، الصحابي المشهور. كان سيد الخزرج وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار كما شهد أحدا والخندق وغيرهما. وكان أحد النقباء الإثني عشر. توفي رضي الله عنه بحوران سنة١٤هـ (الأعلام:٣/٨٥).

وقد يتأثر الغزاوي من مشهد عادي تأثراً يذكّره بخالق الكون عز وجل. من ذلك تأمله حركات النمل وتصرفاته، وفي ذلك يقول:

سبحان ربي كم جلت آياتِه ... سننُ الحياة وحكمة الأقدار[1]
في كل ما هو ماثل من خلقه ... سر البقاء وسطوة القهار
النمل يدرك بالغريزة كل ما ... يعنيه من رغد ومن أضرار
فتراه صفا واحدا متكتلا ... تحت الأديم وفوق كل جدار
أبصرته متسلسلا في غزوة ... متعجلا في قوة وبدار
وقذفته بالماء منحدرا به ... كالسيل منطلقا إلى الأغوار
فتحاجز القسم الذي من فوقه ... متوقفا وأراغ في استبصار[2]
وكأنما هو في النكوص إلى علٍ ... قضبان خط أو مرور قطار
حتى اطمأن إلى السلامة موقنا ... بالأمن أقبل في هدى وحذار
يا ليت من وُهبوا العقول تمثلوا ... بالنمل في الإيراد والإصدار

وهذا الباعث ـ أعني الحس الديني ـ لايقف عند الغزاوي على النماذج السابقة، بل يتعداها إلى كثير من المعاني الأخرى التي طرقها بشعره، مثل حال الإنسان إن تخلى عن عقيدته[3]، وحاله مع الحياة

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٤٩٠.
(٢) أراغ: أي خادع (اللسان: ٥/ ٣٧٣).
(٣) انظر: المصدر نفسه: ٣/ ١٢٧٦.

المليئة بالمغريات واللذائذ[1]. وكذلك مقارنته بين أحوال العصاة والمتقين[2] وغير ذلك مما يراه بعين شاعرة ومؤمنة بالله تعالى.

٤. مدحه النبي ﷺ: وذلك في قصيدة واحدة بلغت تسعة وخمسين بيتا، ومطلعها:

الأرض تطرب والسماء تغرد وعلى الورى أم القرى تتسود[3]

وهي في ذكرى مولده ﷺ، ولعله في ذلك متأثر بشوقي، وقد تقدم أن لشوقي أربع مدائح في النبي ﷺ.

والغزاوي في هذه القصيدة يرى مولده ﷺ تخليصا للبشرية من الضلال إلى النور، ومن العذاب إلى الرحمة:

أعظم بميلاد النبي محمد وبكل ما يدعو إليه محمد
هو رحمة للعالمين ونعمة للمتقين وعصمة وتزوُّد
أحيا به الله العباد بشرعه وسبيله للسالكين ممهّد
لا خير فيما دونه ولو انه في الأرض عيش بالنعيم مخلّد
بوركت من يوم به الدنيا ازدهت وجلاله في الكائنات مؤبّد
أقبلت بالفتح المبين وبالهدى والعدل والإحسان أنّى ينشد
بهواتف النجوى شعاعك ملهَم وبموقف الذكرى أديمك مسجد

(١) انظر: الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٢٤٠، ١٢٤١/٣، ١٢٦٦/٣، ١٢٨٠/٣.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ٣/١٢٣٩، ١٢٥٧/٣.
(٣) المصدر نفسه: ١٤٧٥/٤.

ثم يخاطب الرسول ﷺ قائلا:

آمنت أنك يـا محمـد عبـده ورسـولـه والطـيّب المتـــودّد
أنشأت بالتوحيد أفضل دولـة لله فيـهـا الحـــق لا يتعـــدد
ووُصِفت بالخلق العظيم كرامة ممن له تعنـو الجبـاه وتسجـــد
لمكارم الأخلاق جئت متمما ورفعت منها السمْك فهو مشيّد

والحق أن الغزاوي لم يتعمق في سيرته ﷺ وإنما أصاب منها قشورها فحسب، وقد كان حريا به ـ وهو من هو في المدح ـ أن يبذل في هذا الموضوع عصارة فكره وخلاصة خبرته في الشعر.

٥. حثه على التحلي بالأخلاق الفاضلة: وذلك نابع من تمسكه بالقيم الإسلامية. وقد مر معنا قبل قليل مدحه للنبي ﷺ حين قال:

ووُصِفت بالخلق العظيم كرامة ممن له تعنـو الجبـاه وتسجـــد
لمكارم الأخلاق جئت متمما ورفعت منها السمْك فهو مشيّد

ويتجلى اهتمامه بهذا الجانب المهم في عدة قصائد مستقلة.من ذلك قصيدته التي يتحدث فيها عن حرصه على الأخلاق، وتمسكه بها فيقول:

ولهـت بها طفلا غريرا ويافعا وكهـلا وشيخـا واهنـا يترفـق[1]

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٧٥.

وسددت خطوي نحوها متطلعا لمـا هـو حـق مستقيم ومنطق
أحصّن أخلاقي إذا هي جوبهت وألتمس الحسنى وأحنو وأشفق
تمرست بالآفاق وهـي مريرة بها كل حلقوم يغص ويشرق
ومازلت رغم اللائمين أسوغها وأرغـم أنـف الكبريـاء وأطـرق
أحاول أن أحيـا سـليمـا مبرأ من الحقـد لا ألغو ولا أتملق
توقيت من نفسي الولوع شرورها وقيـدتها عن كل ما هو مطلق
مثاليّـة تـجني عـلـيّ لأنني بها أنا أبغي المستحيل وأخفق

إذا فهو يدعو إلى أمر قد بدأ فيه بنفسه. والحق أنه كان محبوبا بين الأدباء لتواضعه وخلقه الرفيع، ولاشك أن تمسكه هذا يلقي على عاتقه قدراً كبيراً من مجاهدة النفس، ولذلك فهو يقول عن هذه المثالية في الأخلاق:

وبالرغم مما حملتني من الضنى فمـازلـت فيهـا ثابتـا أتوثّـق

وحرصه على التمسك بالأخلاق الفاضلة يجعله يقارن بين أخلاق الحاضر والماضي، ليخلص من هذه المقارنة إلى الحث على التخلق بالخلال الكريمة. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قصيدته التي يتحدث فيها عن آداب مجلس العلم قديما وحديثا فيقول:

أدركت من قبلنا الأسلاف مجلسهم روض من العلم أو زهر من الخلق[1]

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٣٢٩.

إذا تـحدث منهم ناطق سـكنوا ... إليه واستوعبوا بالسمع والحُدُق[1]

يصغون حتى إذا استوفى مُحاضرهم ... حديثه اغتبـطوا في غير ما ملق[2]

وأقبلوا بعده يروون ما سمعوا ... وما رأوا في بيـان شيّـق غدق

لا يسبـق القول إلا من يفصّله ... من دون مقت ولا كبت ولا نزق[3]

وليس يجسُر أن يلغو أخو هوس ... حتى يُعزّر بين الناس في الطرق

منزّهين عن الدعوى، شمائلهم ... ذوب اللجين وعين الشمس في الألق[4]

حتى الملحّن إذ يشدو فإنّ له ... حق السماع وصغو الرأس والعنق[5]

أو يخرج الناشز الجعجاع منكسرا ... من ندوة القوم مدحورا على حنق[6]

ثم يقول واصفاً مجالس اليوم:

واليوم ينطق رأي العين أربعة ... وسبعة كلهم يعدون كالسّـبَـق

كأنمـا بابـل فيـهم منشّـرة ... كعهدها بأشورٍ وابن ذي عنق[7]

---

(١) الحَدَق:سواد العين الأعظمو المراد هنا الأعين(اللسان:٣/٨٧).

(٢) الملق:الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ماينبغي(اللسان:١٣/١٨١).

(٣) النَزَق :الخفة و الطيش(اللسان:١٤/١١٠).

(٤) اللجين :الفضة (اللسان:١٢/٢٤٣).والألَق: من قولهم: ألق البرق أي لمع وأضاء (اللسان:١/١٨٢).

(٥) أشار د/العطوي أن صغو الرأس المقصود به إمالة الرأس للانتباه.

(٦) الحنق: شدة الاغتياظ (اللسان:٣/٣٦٤). والنشوز:هو في الأصل خروج المرأة عن طاعة زوجها (اللسان:١٤/١٤٢)،والمراد هنا المخالفة والخروج عن رأي الجماعة، والجعجاع في الأصل: الفحل الكثير الرغاء أو المكان الضيق الخشن(اللسان:٢/٢٩٨)، وقد استُعير في البيت للشخص شديد الخصام، لا يعرف أدب الحوار.

(٧) بابل: عاصمة الدولة الآشورية في العراق. وأشور: قوم سكنوا العراق وأنشأوا برج بابل المشهور. وابن ذي عنق: يقصد به الحجاج بن ذي العنق خويلد بن هلال البجلي، وهو شاعر جاهلي، لقب أبوه بذلك لغلظ رقبته.(القاموس:٣/٣٨٩)

أو أنهم ضوعفوا في الخلق ألسنة أو أن آذانهم شدّت إلى الحلق

والغزاوي وإن كان منزعجا من هذا التغير الذي طرأ على مجالس العلم في عصره إلا أنه لايزال متفائلا بوجود طلاب العلم الفضلاء. يظهر هذا التفاؤل في ختام قصيدته حين يقول:

وما يزال بحمد الله أكثرهم معوّذا بالضحى والناس والفلق

هذا، وقد نالت المرأة نصيبا من اهتمام الغزاوي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة. وذلك ـ على سبيل المثال ـ من خلال حديثه عن الحجاب في قصيدة ابتعد فيها عن التقرير المباشر والحث الصريح، وانتهج الأسلوب القصصي المقبول لدى النفس والمحبب لديها. يقول:

وفاتنة تصدّت وهي ترنو بلحظيها وتفتنّ اجتذابا[1]
تأطّر في الضحى مرحا ودلا وتحكي الموج خطوا واضطرابا[2]
يلجّ بها السفور وكان أحرى لو اعتصمت وأسدلت الحجابا
حَصان تستبي الألباب نشوى بروعتها وتستهوي الشبابا[3]
نحاذر أن نلمَّ بها وتأبى وتحرص أن نضلّ وأن نُرابا
ألم تعلم بما لقيت وتلقى وقد برزت وأطمعت الذئابا
تعالى الله آمنّا جميعا بحكمته وصدّقنا الكتابا

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٠٨.
(٢) تأطّر: أي تتأطر على حذف التاء. وهي مأخوذة من قولهم: تأطر الرمح إذا تثنّى (اللسان: ١/١٥٨).
(٣) الحَصان من النساء: المتزوّجة أو العفيفة (اللسان: ٣/٢٠٩) والمقصود في البيت العفيفة.

إذا امتنع الجمال فلم يرنّق فأجدر أن يطاع وأن يُهابا
فأما ما تعرّى فهو عار تطرّف أو تظرّف أو تغابى
معاذ الله نرميها بسوء وقد ألقت عن الحسن النقابا
علينا صونها ولها تقاها ولكن غيرةً نبكي انتحابا

فالمرأة مطالبة عند الغزاوي بكل أسباب الحياء، ولذلك فإنه يستنكر تجرؤ بعض البنات على الشكوى أو السؤال في شؤون الأسرة الخاصة من خلال الإذاعة والصحافة، وذلك في قصيدته التي يقول فيها:

ما كان من أحد ليجرأ سائلا عن أهل صاحبه وبيت صديقه[1]
بل لا يكاد من الحياء لسانه في ذاك يسعفه اللعاب بريقه
حتى الرعاع فإنهم درجوا على سنن النبي وصحبه وطريقه
لا يسألون عن المقاصر ما بها والمرء لا يرضى فضول شقيقه
أدب الشريعة بينهم متمكن والكل مستبق إلى تحقيقه
وأشدّ ما يُبلى به ذو غيرة ترويعه في عُقره وعروقه

وكما أن الغزاوي قد أفرد القصائد الكاملة للحديث عن الأخلاق، فإن له كذلك إشارات عابرة إلى أهمية التمسك بأخلاق الإسلام في كثير من قصائده. وذلك في مثل قوله مخاطبا الملك فيصل:

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٣٨.

هي الأخلاق أسبغها دروعا وأفرغها وإن ثقلت ثيابا[1]

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

فإن ذهبت وحاشانا فزور وإن بقيت فلن نشقى ثوابا

ومن الجدير بالذكر أن البيت الثاني هو بيت شوقي الشهير في الأخلاق[2].

٣/رغبته في المحافظة على مكانته السياسية والأدبية والاجتماعية :

كان الغزاوي يتمتع بمكانة سياسية عالية، حيث حصل على ثقة آل سعود جميعاً، وكانت له صداقات مع شخصيات سياسية متعددة لها وضعها المرموق في المجتمع. ومنصبه السياسي العالي جعله من مشاهير المجتمع الذي يعيش فيه، فأصبح مقصدا لطلاب الجاه والمال.

ولابد أن الغزاوي كان مستشعراً لهذه المنزلة الرفيعة التي بلغها، ومن طبع الإنسان العاقل أن يحافظ على مجده ولايفرّط فيه. فكان أن سلك الغزاوي مسلكاً معينا في شعره يغذي أواصر صلته بالآخرين ويحافظ على التواد بينه وبينهم. من ذلك ـ مثلا ـ أغلب قصائد التهنئة التي نجدها في ديوانه، وتقريظه للكتب وإشادته بمؤلفيها، وبعض مديحه للأمراء والوزراء وغير ذلك مما تغلب عليه روح المجاملة، ويفرضه عليه وضعه السياسي والاجتماعي.

فمن القصائد التي تلوح فيها روح المجاملة ما قاله في حفلات تسمية بعض الأمراء خاصة أبناء الملك فيصل (رحمه الله) وأحفاده[3].

وكما أن هذا الباعث قد دفع الغزاوي إلى مسلك المجاملات

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٧٣٥.

(٢) هذا البيت ضمنه الغزاوي في قصيدة أخرى له. ولعل هذا من الدلائل على إعجاب الغزاوي بشعر شوقي.انظر:الأعمال الشعرية الكاملة:١/١١٢.

(٣) انظر على سبيل المثال:الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٩٤، ١٥٩٦/٤، ١٦٠١/٤، ١٦٠٤/٤، ١٦٠٧/٤، ١٦١٠/٤، ١٦١٩/٤، ١٦٢٢/٤.

أحيانا، فإنه دفعه أيضا إلى الخوض فيما يصيب الأمة من الأمور الجليلة والخطوب العظيمة، وذلك نظراً لاستشعاره مدى ما وصل إليه من مكانة عالية ومسؤولية كبيرة تستلزمان منه أن يكون ذا صوت مسموع في كل ما يستجد على ساحة الأحداث.

وليس هذا معناه أن الشاعر لم يشارك في وصف أحداث أمته إلا من هذا الباب، بل المقصود أن هذا الباعث يتضافر لديه مع بعض البواعث الأخرى التي سلف ذكرها ليدفعه إلى التعبير عن آلام أمته وآمالها. وهو يشترك في هذا الجانب مع شوقي .

ومما يصدق عليه هذا القول، مديحه لرموز الأمة الإسلامية السياسية والفكرية والأدبية أو رثاؤه لهم. كمديحه أو رثائه لرؤساء الدول الإسلامية أمثال: محمد علي جناح رئيس الباكستان، وجمال عبدالناصر رئيس مصر وغيرهما من الزعماء، وأدبائها أمثال: حافظ إبراهيم وأحمد شوقي شاعري مصر، ومحمد إقبال[1] وأبي الحسن الندوي[2] شاعري باكستان.

فمن شعره الذي قاله في الزعماء قصيدته التي يرحب فيها بزيارة الرئيس اللبناني كميل شمعون سنة ١٣٧٩هـ ومطلعها:

---

(١) هو السير محمد إقبال، عالم وفيلسوف وشاعر. ولد سنة ١٢٨٨هـ، وتعلم الآداب العربية والفارسية. أكمل دراسته في أوروبا وتخرج محاميا وحاز على درجة الدكتوراة في الفلسفة.كان يحث في شعره على الوحدة بين جميع الشعوب الإسلامية.توفي سنة ١٣٥٥ عن عمر يناهز السابعة والستين. انظر: الأعمال الشعرية الكاملة، ١٥٦٠/٤، ١٥٦٣/٤.

(٢) هو أبوالحسن علي الحسني الندوي. من أكبر الدعاة إلى الإسلام. ولد سنة ١٣٣٣هـ وقد نشأيتيما فاهتم به أخوه الأكبر عبدالعلي الذي كان مديرا لندوة كبار العلماء. حفظ القرآن الكريم وتعلمه في البيت. وبدأ تعلم العربية والفارسية والإنجليزية في الثانية عشرة من عمره. ثم التحق بقسم آداب اللغة العربية بجامعة لكناو وكان أصغر الطلاب سنا. وبعد تخرجه عمل مدرسا ثم رأس تحرير مجلة الندوة العلمية وأصدر مجلة التعمير. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ. توفي رخمه الله سنة١٤٢٢هـ.انظر: الأعمال الشعرية الكاملة، ١٤٩٠/٤.

مطالع المجد في أفيـاء عدنـان أم الطلائع من فردوس لبنـان[1]

وفيها يخاطب الممدوح قائلا:

يا صاحب المحفل المشهود في بلد ما أنت من سـاحة إلا بلبنان
لك التحية تزجيها الرياض شذى من شِعب يعرب لا من شِعب بوان[2]
في كل طرفة عين أنت مكتشف معنى من الودّ موصولا بشريان
نُورٌ ونَور بك الدهناء يغمرها نفح الخزامى وعرف الرند والبان
تبثك الشوق جذلى وهي معجبة بالعبقـرية في أعطـاف إنســان

ومن شعره في أدباء الأمة الإسلامية، مرثيته في حافظ إبراهيم. ومطلعها:

زجرت البكـاء وعِفت الحـزن وقلـت لقلـبي إلام الـوهـن[3]

وفيها يشبه نفسه بشوقي في جزعه على حافظ، وذلك حيث يقول واصفا دموعه الباكية:

فمـا كان إلا كلمـح البصـر تغشّى السحـاب بـه وانهمـر
كشوقي غـداة رثـى حافظـا وكالنيـل يـوم نعـاه القـدر

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٩١٣.

(٢) لا من شِعب بوان: أعتقد أن الشاعر هنا يشير الذي بيت المتنبي التي يتحسر فيه ويصف مغاني شعب بوان بقوله:

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

فأراد الشاعر أن ينفي هذه الصفات عن شِعب يعرب والمقصود مكة، فالعربي فيها بين أهله وذويه وليس غريبا.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٢٥.

فخلت الدموع نجوم الدجى توارى الظلام بها وانحسر

ثم يخاطب حافظا فيها فيقول:

أحافظ شعبك أهل الحجاز وأهل العراق وأهل اليمن
وأنت لمصر كما للشآم ولو لم يوفّ إليك الثمن
يرف بوحيك نور الزهور ويشدو بنوحك طير الفنن
ويُشرب نخبك في السابقين حماةِ البيان وكنز اللسن
وأنت فحسبك هذا الخلود وتلك الحياة وهذي المنن

وفي ختام القصيدة يقول له:

نقلت إليك تحايا الحجاز كنسج الرياض ولون الورود
وما كان ذلك مستغربا وأنت عليه العزيز الودود
وفاء لحقك في أمة تحب لمصر علوّ الجدود
فعش في خلودك يا حافظ فمصرك أضحت عرين الأسود
وفيها الكماة وفيها الكفاة كما كنت تنشد خير العهود

٤/خلق الوفاء عنده :

وتتجلى مظاهر هذا الباعث في مرثياته لأصدقائه ورفاقه، أو تهنئاته لهم. أو في شكره لمن كان ذا يد عليه في يوم من الأيام.

فمن رثائه الصادق المؤثر قصيدته التي قالها في صديقه عبدالله الفضل، وقد ذيلها بقوله: صديقك المفجوع أحمد إبراهيم الغزاوي. يقول فيها:

أدمْعةٌ هـي تذريها فتنـهمل ... أم جمرة بسواد القلب تشتعل[1]
وهل عيونك غاضت أم هي انصهرت ... وهل بحورك جفت أم هي الوشل
الله أكبر ما في الموت من حذر ... ولا احتيالٌ إذا ما استُوفي الأجل
هيهات منه التوخّي وهو منطلق ... من حيث لا الريث يثنيه ولا العجل

ثم يقول متعجبا من الموت:

عجبت للموت يستصفي على بصر ... خير الرجال ومن ضحّوا ومن بذلوا
من كل ذي نسب عال وذي حسب ... غال ومـن هو في أخـلاقه المثل

ويخاطب صديقه الراحل فيقول:

يا راحلاً وعليه المجد منتحب ... والقـلب منفطر والحزن منتخل
ويا أبـا الفتية الأمجاد ما فتئوا ... شروى أبيهم ومن أخلاقه انتهلوا
لأنت في الحق حيّ في شمائلهم ... وليس منهم وقد أرضوك متّكِل
بل هم ثناؤك في دار الفناء وفي ... دار البقاء بك الفردوس يحتفل

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٥٥٠.

ومن ملامح الوفاء في هذه القصيده دعاؤه لصاحبه، واستبشاره له بالخاتمة الطيبة، وذلك حيث يقول:

طـوبـاك أنـك عبدالله في سفـر ... وخـير يـوم وشهر فيـه تنتقل[1]
شهادة لك بالرضوان ناطقـةٌ ... وذلك الفوز فابشر أيها الرجل
سقى ضريحك في الأبرار مُرتجَس ... من رحمة الله وهو العارض الهطل[2]
للمستظل جنـان الخلـد متكئـاً ... على الأرائك لا زيفٌ ولا زَغَل[3]
وليعْظم الله فيك الأجر ما ذرفت ... لك العيون وما راعت بك المُثُل

ومن مراثيه الوفيّة ـ أيضاً ـ قصيدته التي أنشأها في وفاة الشاعر فؤاد الخطيب[4]. يقول واصفا هول الصدمة عليه:

عصى اليراع يميني فهي راعشةٌ ... كأنما هي شُلّت أو هو انقضما[5]
ينأى ويشهق ملتاعـا ويبهظني ... وقـرا ويزفر في آهاته كظمـا
يقول ماذا عسى تجديك مرثيةٌ ... والموت حق ولن يعدوك مرتغِما

---

(١) لأن الوفاة حصلت في شهر رمضان، ومعلوم ما لأيام رمضان من الفضل.

(٢) مرتجس: ارتجست السماء إذا أرعدت وتمخضت(اللسان:٥/١٤٧). وقد فسر الشاعر معنى الكلمة في آخر البيت حين قال: «وهو العارض الهطل» أي السحاب الممطر.

(٣) زغل: الزُغلة ما تمجه من فيك من الشراب، وكذلك يأتي بمعنى البول والاست. فهي لفظة تدور معانيها حول ما يستكره . وهو ينفي هذه الصفة عن المطر الذي يسقي قبر صاحبه(اللسان:٦/٥٤).

(٤) هو فؤاد باشا الخطيب ولد سنة ١٢٩٦هـ.وكان شاعرا نقي الديباجة، محكم المعاني، وهو من أعضاء المجمع العلمي في دمشق. تغنى في شعره بالثورة الحجازية التي قام بها الشريف حسين ضد الأتراك. وبعد زوال حكم الهاشميين استقدمه الملك عبدالعزيز إلى الرياض سنة ١٩٤٥م وعينه سنة ١٩٤٧م وزيرا مفوضا ثم سفيرا في كابل عاصمة أفغانستان. توفي سنة ١٣٧٦هـ.(الأعلام:٥/١٦٠)

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٥٣.

أكلّما انهدّ ركن أو هوى علم بخعت نفسك في آثاره ندما
آهٍ وآهٍ وما أدري أمن كبد مقروحة أم هي التفجير مضطرما
أكاد أبلغ أسباب السماء بها تضرُّعاً وطباق الأرض مرتطما

وهو حين يرثيه إنما يرثي أستاذا كبيرا، له فضله على الأدب في السعودية ـ في نظر الغزاوي على الأقل ـ. يظهر ذلك في الصفات التي رثاها فيه، وذلك مثل قوله:

أودى الخطيب الذي عز البيان به والشعر والنثر ما حلاّ وما نظما

وقوله:

ويحي وويح بني الفصحى بمن ثكلت فيه البلاغة والإعجاز معتصِما
بمن أراه وقد أودى بمنطقه ملء الجوانح نبلا والعلى شيما

وقد دافع الغزاوي عن منهج المرثي في أشعاره، وهو منهج المحافظين واحتسب له انشغاله بقضايا الأمة في شعره حين كان الشعر في أكثره:

..... ألهية بين اللها واللهى تستهدف الأدما

وختم القصيدة بالدعاء للمرثي، وذلك حيث يقول:

يا من فقدناه أستاذا لنا وأبا ومن وجدناه في آثاره علما

سقى ثراك على لبنان كل غد ماء السماء يروّي السهل والأكما[1]
وجادك الغيث سحّاً صيّباً غدقاً برحمة الله من أم القرى ديما

ووفاء الغزاوي أنتج كثيرا من قصائد التهاني والإخوانيات. من ذلك قصائده التي يحيي فيها صديقه عبدالقدوس الأنصاري مؤسس مجلة المنهل. وذلك ـ على سبيل المثال ـ حين يقول:

يا رائد الخير والمعروف في بلد به اشمخرّت صروح العلم والأدب[2]
كفى بمنهلك الفياض تزكية ما فيه من سؤدد الإسلام والعرب
فكم سهرت وروح العلم غافية بين المجلات والأسفار والكتب
مستبشرا بالشباب الغضّ تؤثره حينا وتحفزه بالمال والنشب

ثم يقول :

إني لأشهد معتزّا ومحتسبا بأنك المدلج المحبوّ بالأرب
جاهدتَ في الله حقا وارتضيتَ بما يجزيك من فضله في غير ما لغب
ولست أزعم هذا دون بينة فإنها بالنهى موصولة السبب

فالوفاء ـ في هذه القصيدة ـ يتمثل في الإقرار بالإنجازات الأدبية والعلمية التي قدمها صاحب مجلة المنهل[3].

---

(١) الأكم:جمع أكمه وهي ماارتفع من الأرض عما حوله(اللسان:١/١٧٣).
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٦٩.
(٣) انظر أيضا:٤/١٦٧١، ٤/١٦٧٣.

ومما يمثِّل وفاء الغزاوي ثمثيلا صادقا، قصائده التي تشيد بالمدرسة الصولتية التي تخرج فيها، فكان لها فضل كبير عليه في إعداده وتنشئته[1].

وأخيرا، فإن إخوانيات الغزاوي تعمها جميعاً روح الوفاء، كما يظهر ذلك واضحاً في قوله لصديقٍ له وقد انتقل بعيداً عنه:

على الرغم منّا غبت عنا ولم نزل ... نعيد ونبدي في حماك ونلهج[2]
وآونة يعلو صداك كأنه ... رعود تحدى أو صخور تدحرج
وأخرى يكاد اللطف والبشر كله ... بوجهك يهمي أو بسمتك يبهج
فإن كنت آثرت انتقالك مؤثرا ... سوانا فإنّا لاقتباسك أحوج
وإنا لنرضى ما ارتضيت وترتضي ... وذكراك فينا بالشذى تتأرّج

وقصائده في سليم اليعقوبي[3] شاعر فلسطين من أشهر إخوانياته، منها قصيدته التي يقول فيها مرحبا بقدومه:

أبا الإقبال لو نبِّئتُ يوما ... بأنك وافد نحو البطاح[4]
إذا لاجتزتُ متن البحر شوقا ... إليك وخضت أمواج الرياح

إلى أن يقول:

---

(١) انظر:الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٠٠، ٤/١٤٤٧، ٤/١٤٥١، ٤/١٤٥٢.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٣٢٨.

(٣) هو أبو الإقبال سليم بن حسن اليعقوبي، ولد بفلسطين سنة ١٢٩٧هـ، شاعر كثير النظم ،له علم بالفقه والأدب.تعلم بالأزهر ،وعُيِّن مدرسا في جامعة يافا فمفتيا لها. توفي بمكة بعد تأدية مناسك الحج سنة ١٣٥٩هـ.وكان يُنعت بحسان فلسطين.(الأعلام:٣/١١٧)

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٣٠٩.

وقم بالفرض في أهل وسهل وترحيب وأمـــن وارتيـــــاح
ونحـن بنـوك لا نألـــوك بـرا سـواء في الغـدو أو الـــرواح
ولست أخاف إلا من قصـور وشيمتـك التفضـــل بالسمـــاح
فإن لم نستطع نوفيـك حقـا فهـــل نحظى بعفـو مستمـاح

ومن الجدير بالذكر أن الغزاوي رثى حسان فلسطين بعد وفاته بقصيدة جميلة مطلعها:

المـــوت حـــق يصـــرع والجـــون كـــأس متـــرع[1]

وفيها يتألم لفراقه، ولكن ما يلبث أن تهدأ نفسه حين يتذكر أن صديقه مات في إحرامه، بجوار بيت الله:

قـد مـات في إحرامـه في تربـة تتضـوّع
وقضـى وكـان ملبيـا يـا حبـذا هـو مطمـع
بجـوار أقـدس بقعـة فيهـا المشاعـر أجمـع
فـي يـوم عيـد أكـبر أضحى بـه لا يسمـع

أنواع التجربة الشعرية عند الغزاوي:

تتنوع التجربة الشعرية عند الغزاوي تبعا لتنوّع المؤثرات والبواعث إلى ما يأتي:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٥٤٠.

أ- **التجربة الذاتية**: والتجارب الشخصية التي تتخذ من حياته مادة للشعر هي أحرى التجارب بأن تكون تحت لواء التجربة الذاتية. ومثالها في ديوانه: قصائده ومقطوعاته التي يتحدث فيها عن همومه الذاتية[١]، أو يصف فيها شعوره تجاه الناس[٢]، أو شعوره تجاه أهله وذويه[٣]، أو مذهبه الذي يسير عليه في أمر من الأمور، كشعره مثلا.[٤]

والمديح يندرج تحت التجربة الذاتية. وكذلك الغزل والوصف والرثاء، لأنها من الأغراض التي لا تنفك عن بواطن الذات بأي حال من الأحوال. وإن كانت الذاتية تختلف بين قصائدها قوة وضعفا.

ب- **التجربة الوطنية**: وهي مدفوعة بباعث قوي لديه، ولذلك نجدها تغطي قصائد كثيرة في ديوانه. وتختلف مضامين هذه التجربة فيما بينها على نحو ما بينت في حديثي عن «حبه لوطنه».

ت- **التجربة الدينية**: وهي تظهر بوضوح في حوليات الحج لديه عموماً، كما تظهر أيضاً في مديحه لولاة الأمر. أما في غير ذلك فإننا نجدها مبثوثة في ثنايا التجارب الشعرية الأخرى كالاجتماعية والذاتية وغيرهما.

ث- **التجربة الاجتماعية**: وفيها يعالج الغزاوي عددا من القضايا الاجتماعية المهمة مثل: أهمية التعليم[٥]، آداب طلب العلم[٦]، قضية

---

(١) انظر ـ على سبيل المثال ـ: المصدر نفسه: ٤/١٧٠٩، ٤/١٧١٥، ٤/١٧٢٣.

(٢) انظر ـ على سبيل المثال ـ: الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٢٥.

(٣) انظر ـ على سبيل المثال ـ: المصدر نفسه: ٤/١٧٣٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ٤/١٦٩٤.

(٥) دعوة الغزاوي إلى التعليم تظهر في أغلب قصائده الوطنية، وهي كثيرة جدا كما أسلفت في حديثي عن وطنيته.

(٦) انظر- على سبيل المثال -: الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٣٢٩.

الحجاب والسفور[1]، الآداب الإسلامية التي ينبغي للفتاة المسلمة الالتزام بها[2]، الحث على الزواج[3].

كما اهتم في إطار التجربة الاجتماعية بقضايا أخرى تمس فئات معيّنةً من المجتمع، كالأيتام والفقراء. وفي قصيدته «فاطمة» خير مثال لاهتمامه بمثل هذه القضايا. وهي تحكي قصة فتاة عانت الفقر والبؤس في حياتها. وفيها يقول:

نشأت تحت سماء غـائمة ... طفلة تحيا وتفنى صائمة[4]
عالهـا حيناً فلمّـا أينعـت ... واشـرأبّـت للأمـاني الحائمـة
عـاد كهـلاً يعـثر الخطـو بـه ... وهـي تشـدو فـي رؤاهـا واهمـه
ورأت أترابهـا مـن حولهـا ... يتنـافسـن الـمـروط الناعمـة
يتحسين كؤوسـا قـد صفت ... ويداعـبْن الثـغـور الباسمـة
وهـي فـي ريعانهـا مبهـورة ... تارةً تسـلـو وأخـرى نادمـة
وهي مـن نسج المنى كاسيةٌ ... وهي مـن سؤْر المآسي ناعمه
راعهـا فقـر أبيهـا فبكـت ... وانطوت تشكو الهموم الجاثمه

ثم تتطور الأحداث، فتتزوج من رجل لا يعرف معنى الرحمة فتزداد بؤساً على بؤسها:

---

(١) انظر: الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٠٨.
(٢) انظر: المصدر نفسه: ٤/١٤٣٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه: ٤/١٦٣٧.
(٤) المصدر نفسه: ٤/١٦٩١.

أين منها ذو فؤادٍ خافقٍ يرقأ الدمع ويخشى اللائمه
أين منها شطرها الحاني لها أين ذات العطف أين الرائمة[1]
أجلب الضنكُ عليها خيله وتغشّاهـا وأغْضت واجمـه
ثم أرداهـا أبـوهـا غيْلـة بقـرينٍ ذي قيـودٍ ظالمـه[2]
لم يسعْها وهي في عصمته غير أن ترضى وتمْضي راغمه
زوِّجت مـن مقترٍ معتسفٍ يحسب الزوجة منـه خادمه

ثم يقول:

وجفاهـا الـزوج في لأوائهـا بعـد شهـرين وريعـت فاطمـه
وأبوهـا معـوزٌ ذو عيلـةٍ أكلتْ منـه الضـروس القاضمـه
بلغ السنُّ بـه أقصى المـدى فهـو يحكـي المومياءَ النائمـه

ويصرّح الغزاوي عن سبب ذكر هذه القصة في ختام قصيدته فيقول:

قصّـةٌ لـم أروهـا تزجيـةً لفـراغٍ فـي قـوافٍ كاظمـه
إنهـا الواقـع لا نـدري بـه لـو دريْنـا لاتّقينـا الحاطمـه
أيُّهـا المـثرون مـا أغفلكـم هلْ على الأرض ظلالٌ دائمـة
فاتّقـوا الله وآتـوا حقّـه وأعِينـوا كـلَّ نفسٍ هائمـه

---

(١) الرائمة: أي الحنون العطوفة(اللسان: ٥/٨٣) ويقصد الأم بذلك.

(٢) في الأعمال الشعرية الكاملة و الديوان الذي جمعه د/العطوي ورد البيت بـ «أرادها»، ولكن وجدت البيت ينكسر حينئذ، كما أن المعنى المراد يتلاشى. وقد رجّحتُ أن الشاعر أراد "أرداها" في البيت فهي أسلم للمعنى والوزن، وأن خطأً طباعياً طرأ عليها.

وللوصف دورٌ هامٌ في التجربة الاجتماعية عند الغزاوي. فهي لم تقتصر على الحث والإرشاد، أو تبيين الصواب من الخطأ والفضيلة من الرذيلة، بل تعدت ذلك إلى وصف المظاهر الاجتماعية القديمة متمثلة في التراث والتقاليد، والموازنة بينها وبين نظيرتها في العصر الحاضر. وذلك ـ على سبيل المثال ـ في قصيدته التي مطلعها:

نصفُ قرنٍ خلا ومن قبلُ كُنّا نتوخّى الكفاف عيشا وكِنّا[1]

والقصيدة طريفة في موضوعها، كما أنها تحمل في طياتها روح الفكاهة. وقد عرض فيها لكثير من مظاهر تغيّر المعيشة في الملبس، ووسائل الترفيه، ووسائل النقل، وطريقة الزواج. كما عبّر عن رأيه في آخر القصيدة حين قال:

هودجٌ فوق بازلٍ يتهادى هو خيرٌ من كدلكٍ لو فطنّا[2]
هي رجعيةٌ ولكن صداها كل ما حبّب اليقين لدينا
يوم لا مجد في الخلائق إلا ما رفعنا به الهدى وبنينا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة، ٤/ ١٤٥٧. والكِنّ في البيت: الستر ومايقي من البرد والحر (اللسان: ١٢/ ١٧٢).

(٢) هودج فوق بازل: الهودج هو مركب للنساء مقبّب وغير مقبّب (اللسان: ١٥/ ٤٩) والبازل: الجمل الذي بزل نابه في السنة التاسعة (اللسان: ١/ ٤٠٠). والشاعر يقصد اتخاذ الجمل وسيلة للنقل. وكدلك: نوع من السيارات الأمريكية الفارهة.

ج- **التجربة الفكرية** : وتتجلى في حكمه المبثوثة في شعره.وهي ليست من الحكم ذوات الأبيات المفردة. بل تجدها في المقطوعة كاملة، تدور في فلك واحد وتؤدي إلى نتيجة واحدة. وذلك في مثل قوله:

الناس قد ضربوا من قبلنا مثلا ... من قدم السبت لاقى بعده الأحدا[1]

مهما بذرت من الإحسان تحصده ... أو الإساءة إن غدرا وإن رغدا

فاحرص على الخير مهما اسطعت معتقدا ... بأن يومك قرض اقتضيه غدا

كما يُلحظ على الغزاوي أن التأمل عنده يمتزج بالحس الديني امتزاجا قويا، وذلك في مثل قصيدته التي يخاطب فيها البدر قائلا:

لله في ملكوته ... يا بدر سرٌّ مستتر[2]

هيهات يدرك كنهه ... إلا العظيم المقتدِر

ولكل ما يبدو لنا ... يوماً معاد قد قدر

والغيب لا يدري به ... متقهْقِر أو منتصِر

وأرى الحياة فهل ترى ... مثلي الحياة لمُعتبِر

يا بدر دونك فاحصِ لي ... ما قد شهدت من الدهور

وإن استطعت فناجني ... وأمِطْ عن الماضي الستور

أنا لا أخالك ناطقا ... فالشعر مبعثه الشعور

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٦٨٨.

لكنّ صمتك حكمةٌ عيّت بها كل الصدور
فاسطع وإلا فاحتجب إن كنتَ تملك أن تدور

وبعد أن سبح الشاعر في تأملاته الدينية؛ نجده يختم قصيدته بوقفةٍ إيمانيةٍ يسبِّح فيها ربَّ العباد:

سبحان ذي العرش الذي جعل الحياة هي الفتون
لا شيء إلا ما أراد ولو تعارضت الظنون
لم يغْنِ عند قضائه حذرٌ ولم تجْدِ الفنون
فإلى الصراط المستقيم فقد يراه المبصرون
هي نفثةٌ ولعلّها ذكرى لقوم يؤمنون

وقصيدته التي يتأمل فيها أحوال النمل[1]، وكيف أنه يجدر بالإنسان التعلم من هذا المخلوق الضعيف؛ مثال آخر لامتزاج الفكر بالعاطفة الدينية عند الشاعر.

وهذا الارتباط الشديد بين الفكر والعاطفة الدينية لايقتصر على القصائد الطويلة، بل يتعداها ـ أيضاً ـ إلى المقطّعات القصيرة. وذلك ـ على سبيل المثال ـ في مثل قوله:

يستهلّ الغلام وهو وليدٌ باكياً والحياة تضحك بشرا[2]

(١) مرّت معنا عند الحديث عن الحس الديني لدى الشاعر ص ٨٧. وهي في الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٩٠.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٤٥.

ليتـه في معـادِه الحـقِّ يلـقى ربَّـه ضاحكـاً بمـا هـو أجـرى

وقد ينفرد التأمل في شعر الغزاوي عن العاطفة الدينية، وذلك في مثل قصيدته التي يتأمل فيها حال نبتة العطره قائلا:

عُنيت بغرسـة كالزهر طيبا ويُدعى نوعُها في النّبت عِطْرا[1]
وظلّـتْ بعـض أيـامٍ وكانتْ مـع الإرواء تـأبى أن تطـرى
وكنـتُ أحبُّهـا صبّـاً معنّى بـأن تحيـا طـويلاً وهـي تعْـرى
ومـا فتِئتْ بهـا الأدواء حتـى ذوتْ وتنـاثرتْ فرعـاً وبـذرا
سوى غصنٍ تماسك في عنادٍ وقاوم كي يعيش فكان نضـرا
تألّـب ضـده المـوت انتقامـا وأمْعـنَ فـي نكايتـه وأزرى
أبت منـه عناصـره التـلاشي وكـان كفاحُـه جلـداً وصـبرا
وذبّت عنـه وهـو يكاد يقضي قـوى حيـواتـه سـرّاً وجهـرا
كذلك نحن ما كُنّا صحاحا نعيش وإن عرانا السُّقم نذرى

وبعد، فلعله قد اتضح مما سبق كيف أن بواعث الشعر لدى الغزاوي تتعدد في جوانبها، منتجةً موضوعاتٍ متباينة ومتنوعة. أوجدت لنا أشكالا مختلفة من التجارب الشعرية.

وثمّة فوارقُ بين بواعث التجربة الشعرية وأنواعها لدى الغزاوي وشوقي. ولعلي أوجزها فيما يلي:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٤٦.

أولا: بواعث الشعر لدى شوقي أكثر منها لدى الغزاوي. فقد رأيتُ بواعث للشعر عند شوقي لم توجد عند الغزاوي. مثل: الإقبال على ملذات الحياة والاستمتاع بها، والخوف من الموت، والافتخار بالشعر، وحب الفكاهة والممازحة، والشغف بالأولاد والتعلق بهم، والحنين إلى الوطن والشوق إليه.

والحق أن ظروف الحياة والمقادير قد تتسبب في بعض هذا الاختلاف بينهما. فالغزاوي قد نشأ نشأة دينية محافظة تختلف عن نشأة شوقي المترفة. كما أن الغزاوي لم يرزق بأبناء، ولم يُرزق ـ أيضاً ـ ببنات يراعين ظروفه ويحفظن معروفه. وأخيرا فإن الغزاوي لم يُنفَ من بلده مدة طويلة، ولم يعانِ الغربة في بلد لا يعرف العربية؛ خلافا لشوقي الذي ذاق مرارة الغربة وعانى أوارها.

ثانيا: لم يكن للتاريخ شأن مع الغزاوي مثل شأنه مع شوقي. فالغزاوي لم يؤرِخ من خلال وطنيته لأمجاد الجزيرة العربية وحضارتها القديمة. خلافاً لشوقي الذي طالما تغنّى بحضارة مصر قبل وبعد الإسلام.

وهذا القصور في جانب التاريخ عند الغزاوي، لايعني انعدام الحس التاريخي عنده. فقد توجد بعض الرموز التاريخية المبثوثة في شعره ولكن ليس بقدر ما هي عند شوقي.

ثالثا: يتنافس الشاعران في مظاهر الحس الديني لديهما، غير أن شوقي يتغلب على الغزاوي في مدائحه النبوية الرائعة، أما الغزاوي فلم أجد لديه سوى مدحة نبوية واحدة، تُعدّ وليدةً لمدائح شوقي الأربعة.

ومن جهة أخرى نجد أن الغزاوي قد تغلب على شوقي من خلال حديثه المستفيض عن شعائر الإسلام، خاصة الحج. وقد مر بنا أنه كان ينشد حولياته في حج كل عام، وهي حوليات مليئة بالمعاني الدينية

السامية. ولشوقي ـ أيضاً ـ قصائد في الحج، ولكنها لم تبلغ في الكثرة قصائد الغزاوي.

رابعا : لم يلجأ الغزاوي نتيجة لرغبته في المحافظة على مكانته السياسية والاجتماعية إلى شعر الرمز كما فعل شوقي حين كتب شعرا على لسان الحيوان.

خامسا : التجارب الشعرية لدى شوقي أكثر تنوعاً منها لدى الغزاوي. فالتجربة التاريخية لا تشكل ظاهرةً في شعر الغزاوي، وكذلك التجربة الخيالية والرمزية.

الباب الثاني

مضامين التجربة الشعرية بين الشاعرين

الفصل الأول : العاطفة.

الفصل الثاني : المعاني والأفكار.

الفصل الثالث : وحدة القصيدة.

الفصل الأول

العاطفة

تُعدّ العاطفةُ أهم عنصر من عناصرِ القصيدة. ذلك أنها مفتاحُ التأثير في السامعِ والمتلقّي. والعمل الأدبيّ إذا لم يكن مؤثرا؛ فإنه لا يستحق أن يُنسب إلى الأدبِ في شيء. وقد أُثر عن عامر بن عبدقيس[1] قوله: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان[2]. وفي الأثر أن الحسن ﷺ «سمع رجلا يعظ، فلم تقع موعظته بموضع من قلبه، ولم يرقّ عندها، فقال له: يا هذا إن بقلبك لشرا أو بقلبي»[3]. والعاطفةُ هي حلقةُ الوصلِ بين بواعثِ الشعر والشعرِ ذاته. فالبواعث هي التي توجد لنا عاطفةً قادرةً على خلقِ عملٍ أدبيّ مؤثرٍ. فإن عُدمت هذه البواعث عُدمت العاطفةُ معها. وكان العمل الأدبي حينئذٍ قليلَ الماء[4].

وقد اهتمّ النقد قديماً وحديثاً بالعاطفة، من خلال بعضِ المقاييسِ التي وُجدت في تقييمه لها. فالعاطفةُ ينبغي أن تتّسِم بالصدق، والقوةِ، والسموِّ، والثباتِ، والتنوّعِ.

---

(١) هوعامر بن عبدالله المعروف بابن عبدقيس العنبري، تابعي .هاجر إلى البصرة وتلقن القرآن من أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.قيل عنه:أول من عُرف بالنسك من عبّاد البصرة.توفي رحمه الله في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة ٥٥هـ.(الأعلام:٣/٢٥٢)

(٢) البيان والتبيين:الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، ١/٨٣، مكتبة الخانجي، مصر، ط٤، ١٣٩٥هـ.

(٣) المصدر نفسه:١/٨٤.

(٤) قليل الماء:أي لاعاطفة فيه فهو كلامٌ جاف.

أما الصدق فيُعنى به تعبير الشاعر عما جاش في صدره تعبيراً صادقاً، دون تعمّل أو تزيّد. وصدق العاطفة يعتمد اعتماداً كبيراً على مدى تأثير الباعث في الشاعر وانفعاله به.

وإحساسنا بقوة العاطفة يرتكز على أمرين هما: طبيعة الأديب وقوة أسلوبه. فالأديب لابد أن يكون قوي الشعور فيما يكتب وإلا فلن يستطيع أن يحرك عواطف سامعيه.كما أن للأسلوب دوراً هاما في إحساسنا بقوة العاطفة، لأن الأديب وإن كان قوي العاطفة فإنه يحتاج إلى أسلوب قوي لنقل عواطفه إلى السامعين[1] دون لجوء إلى المبالغة[2].

وأما سموّ العاطفةِ فإنه يرتبطُ ارتباطاً وثيقاً بالمقياسِ الديني والأخلاقي. فالعاطفة التي لا تربّي النفوسَ ولا تحثّ على الفضيلة لا تدخلُ ضمنَ العواطف السامية، فهي لابدّ أن تسمُو عن الانفعالات الدنيئةِ كالحقد والحسد. والانفعالاتِ الشخصيةِ: كطلب النوال والجشع وغير ذلك[3].

وثباتُ العاطفة واستمرارها يعني بقاءَها مؤثرة في نفوس السامعينَ زمناً طويلاً. كما يعني حسنَ الربطِ بين العواطفِ المختلفةِ في القصيدةِ الواحدةِ[4]. ولعل من أهم أسبابِ عدم ثباتها: الانخداعَ بالتفخيمِ اللفظيِّ والتكلفَ من جهة. وعدمَ اعتبارِ موضوعِ القصيدةِ وحدةً كاملةً يتأثرُ كلُ عنصرٍ من عناصرِه اللفظيةِ و المعنويةِ بالانفعالِ الأساسيِّ من جهة أخرى[5].

---

(١) النقد الأدبي:أحمد أمين، ٤٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٣٨٧هـ.

(٢) أصول النقد الأبي: ١٩٢.

(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث:مصطفى عبداللطيف السحرتي، ٩٤.وأصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، ١٨٢- ١٨٣.والنقد الأدبي، أحمد أمين، ٥١.

(٤) النقد الأدبي:أحمد أمين، ٤٩.

(٥) أصول النقد الأدبي:أحمد الشايب، ١٩٩.

هذا، وقد فطن النقادُ منذُ القديم إلى اعتمادِ تنوُّع العاطفةِ مقياساً لتقديم بعض الشعراءِ على بعض، لأن تنوّعَها يعني تنوّعَ الأغراض. ولاشك أن هذا التنوع يستلزم قوةَ الشاعرية، فهو يتطلَّب الغوصَ في أعماقِ النفسِ البشريةِ والتعمُّقَ في بواطنِ الأمور[1]. والجديرُ بالذكرِ أن العواطفَ قد تتنوّع في القصيدة الواحدة ولكن يجمعُها جوٌّ عاطفيٌّ واحد[2].

الصدق والكذب ـ القوة والضعف

وحين ننعم النظر في شعري شوقي والغزاوي. نجد أن صدق العاطفة يتوافر لديهما بقدر كبير في الشعر الوطني. وقد تبين لنا في الباب السابق أن حبهما للوطن يشكّل لديهما أقوى باعثٍ من بواعث الشعر، فكان من الطبعي أن يتسم شعرهما الوطني بصدق العاطفة.

وشوقي في وطنياته أقوى عاطفة وأشد تأثيرا من الغزاوي، وذلك لأنه عانى في سبيل وطنيته ما لم يعانِه الغزاوي. فقد رأى بلاده وهي محتلة من الإنجليز وقاوم هذا الاحتلال بلسانه وقلمه، كما أنه نُفي إلى إسبانيا خمس سنوات بعيدا عن وطنه، فكان من أثر ذلك كله أن ظهرت عاطفة شوقي بوضوح أكبر من عاطفة الغزاوي. وأقوى وطنيات شوقي تأثيرا ما نظمه في المنفى متحرّقا للقاء وطنه[3].

ولقد أدت المكانة السياسية والاجتماعية لكلا الشاعرين إلى صدورهما في كثير من شعر المديح والتهنئة عن الرغبة في المجاملة

---

(١) أصول النقد الأدبي:أحمد الشايب، ٥٠.

(٢) المصدر نفسه:أحمد الشايب، ١٩٨.

(٣) انظر:الحنين إلى الوطن ضمن بواعث الشعر لدى الغزاوي في الباب الأول.

لبعض ذوي النفوذ والأصدقاء، كما صدر شوقي في بعض رثائه عن هـذا الباعث[1]. وقد هيأ هذا الأمـر لـبعض النقـاد والدارسـين أن يأخـذ علـى الشاعرين ضعف العاطفة أو تزييفها خاصة فيما عُرِف بشعر المناسبات[2].

وشعر المناسبات ليس مرفوضا على الإطلاق، وإنما يقبـل أو يـرد على قدر ما فيه من العاطفة والفكر، شأنه شأن أي شعر آخر.

والمجاملة في مديح شوقي والغزاوي أو رثائهما لا ينفي وجود قصائد لديهما نبعت عن إحساس قوي وصادق، يدفعه عرفـان بالجميـل أو إعجـاب حقيقي بالممدوح. وقد يكون المدح من باب الإغراء بفعل الخير.

فمن المـديح الصـادق عنـد شـوقي والمفعـم بالعرفـان بالجميـل قصيدته التي يهنئ فيها السلطان حسين كامل بتوليه الحكم:

الملك فيكـم آل اسماعيـلا ... لا زال بيتكـم يُظـل النيـلا[3]

يقول فيها:

النيل إن أحصى لكم حسناتكم ... مـلأ الزمـان محاسنـا والجيـلا

أحيـا أبـوكـم شـاطئيـه وابتنى ... مجـدا لمصر على الزمـان أثيـلا

نشر الحضارة فوق مصر وسوريا ... وامتـد ظـلاً للحجـاز ظليـلا

وأعاد للعـرب الكـرام بيانهم ... وحمى إلى البيت الحرام سبيلا

حفظ الإله على الكنانة عرشها ... وأدام منكـم للهـلال كفيـلا

---

(١) انظر:النزعة الدينية في شعر شوقي:رجاء محمد منصور،٨٦،مخطوط-رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية في الأزهر بالقاهرة.

(٢) انظر:المتنبي وشوقي:عباس حسن،٢٣٦.و الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية:د/عبدالله الحامد،٨٩،دار الكتاب السعودي،الرياض،ط٢، ١٤١٣هـ.

(٣) الموسوعة الشوقية:٤/٣١٢.

ومن أيادي آل إسماعيل البيضاء التي لا ينساها شوقي، رعايتهم له وحفاظهم عليه:

أأخـون إسمـاعيـل فـي أبنائـه ولقـد وُلـدت ببـاب إسماعيـلا
ولبستُ نعمتـه ونعمـة بيتـه فلبست جـزلاً وارتديت جميـلا
ووجدت آبائي على صدق الهوى وكـفـى بآبـاء الـرجـال دليـلا

فهو يستنكر فكرة خيانته لمن أسدى له المعروف وتربّى في بيتـه.والمـراد بالخيانة هنا نسيانه فضل آل إسماعيل عليه. والبيت الثاني فيه إيحـاء قـوي يدل على صدق شعور شوقي، حيث يقول: «لبسـت نعمتـه ونعمـة بيتـه» فاللبس يتضمن معاني كثيرة. منها ـ على سبيل المثـال ـ أنـه وجـد منـهم العطاء الحسي الذي يظهر أثره عليـه في هيئتـه ومنظـره ولم يبخلـوا عليـه بشيء، وأن عطاءهم وإغداقهم عليه لم ينقطع عنه بل يتجدد ويتكرر شأنه شأن اللباس مـع لابسـه.كمـا أن تكـرار النعمـة في البيـت وإضـافتها مـرة للخديو وأخرى لبيته فيه دلالة على أن شوقي وجـد العطـف والإكـرام لا من الخديو فحسب بل من أهل بيته أيضا وهـذا دافـعٌ لشـوقي علـى عـدم نسيان هذا المعروف الذي وصفه بالجزل والجميل. فعطاؤهم ليس جمـيلا فحسب بل وكثير أيضاً، وهـي صـفتان جميلتـان في العطـاء. وفي البيـت الثالث نجد دافعا آخر يدفع شوقي لموالاة آل إسماعيل، حيث وجد آباءه «على صدق الهوى» فتربى على ذلك ونشأ صادقاً في ولائه لهم. ولاشـك أن للوالدين أثـراً كـبيراً في تشـكيل شخصـيات أبنـائهم ومعتقـداتهم وفي

الحديث «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1]. وهو دليل على عظم أثر الوالدين في أبنائهم.

ومن مدائح شوقي الصادقة ـ أيضاً ـ قصيدته التي قالها في ثورة سنة ١٩١٩م إذ يقول:

قم إلى الأهرام واخشع واطّرح ... خيلة الصيد وزهو الفاتحين[2]
وتمهّل إنما تمشي على ... حرم الدهر ونادي الأولين
وارتق الأحجار واصعد منبراً ... لم يُسخّر لأمير المؤمنين
ادعُ قومي من ذُرى أعواده ... لخلالٍ كالصباح المستبين
قل لهم عهدي فيكم أمة ... عرفوا الحق وقوماً صابرين

وهذه الأبيات التي تمثل مقدمة القصيدة ، يلوح فيها الفخر جلياً بمظهر تاريخي عريق من مظاهر مصر، وهو الأهرام. وأرى أن هذا الفخر الذي ابتدأ به الشاعر قصيدته ينبع من اقتناعه بثورة ١٩١٩م وصدق عاطفته تجاهها.

ويتابع الشاعر خطابه للوطنيين الثائرين فيقول مادحا:

عطف الدهر على ثورتكم ... ولوى الناس عليها مُعجبين
هزّت الليث ولمّا يصح من ... دم غليومٍ[3] وصِيدٍ آخرين

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري:أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،٣/٢٦٠.
(٢) الموسوعة الشوقية:٥/٣٩٢.
(٣) غليوم:امبراطور ألمانيا.

فـرأى مـا لم يقـع في وهمـه مصر تستكبر والألمان دين[1]
ثورةٌ أقبلـت السّـلمُ بها عَجَبُ الرائين سحرُ السامعين
قـام رهـطٌ منكـم فاقتحمـوا كـبريـاء الفـاتحـين الظافـرين
جحدوا السيف وردوا حكمه عـزّلاً إلا مـن الحـق المبـين
همّـة تكـتبهـا مصـر لهـم إن أبيتم أن تكونوا الكاتبين
استخـفّ اللـيث إجماعكـم وهـو ناب العجم الداهي الرزين
مـذ زأرتـم زأرةً أقعى لها وأجـال اللحـظ فيهـا يستبـين

ثم يصف هؤلاء الثائرين على اختلاف مراتبهم فيقول:

نفـرٌ تـأوي إليـهـم أمّـةٌ ووزيـرٌ يتـولـى الثـائـرين
وشبابٌ من رآهم عُصبةً قـال نحـلٌ أوذيت بالمعتـدين
وجمـوعٌ عـزّلٌ مـا اكـترثت لجمـوعٍ بالمـواضي معلنـين
زادهـم سعـدٌ شبـاتيْ هِمـةٍ كالحسام العضبِ والرمح السَنين

أما الغزاوي، فقصيدته التي وفـد بهـا إلى الملـك عبـدالعزيز أول مرة، تعد مثالاً لمديحه الصادق. يقول فيها:

ألا لا تلمني اليوم أن أتـكلما فإن فؤادي بالأسى قد تكلما[2]
لعلي إذا أبثثت ما بي من ضنى أفرِّج عن قلبي الذي قد تجهّما

(١) دِين: من دان بمعنى ذل وأطاع(القاموس: ٤/٣٢١)، أي خاضعون وولاؤهم لمصر.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٥٤٥.

فإني امرؤٌ قد أخلق الدهر جدّتي وثقّفني حتى غدوتُ مُقوَّما

.....

فدع عنك تأنيبي ودونك نفثةٌ تريك معانيها الخفيّ المكتّما
إمامَ الهدى لازلت للدين موئلاً يُعزُّ بك الإسلامُ والعرْبُ والحمى
فسرْ في طريق الرّشدِ تجني ثماره قريباً فقد ما فاز من قد تقدّما

ثم يقول:

أقمتم صروف العدل والفضل والتُّقى وأعليتُمُ بُنيان شرعٍ تهدّما
وأطلقتُمو ما قيّد البغيُ والهوى وقيّدتُمو ما أطلقاه تحكُّما
حكمتُم بما قد أنزل الله في الورى ويا حسن ما يقضي به الله مُحكما
وأحييتُمُ بالنهج سُنّة أحمد نبيّ الهُدى فارتاع من كان مُجرما
قفوتُم على آثار طه وصحبه فضاء بذاك الأُفق إذ كان مُظلما

فالمديح في هذه الأبيات مدفوع بإعجاب صادق من الشاعر، بأن يرى دولة تقوم على العدل وتحكيم شرع الله. وعاطفة الإعجاب تلوح ظاهرة من خلال الأفعال التي أتى بها الشاعر «أقمتم ـ أطلقتم ـ أعليتم ـ قيدتم ـ حكمتم ـ أحييتم سنة أحمد ـ قفوتم على آثار طه» وهي تنتهي بميم الجمع مع أنه يخاطب شخصاً واحداً، وذلك من باب التعظيم.

ومن المديح الصادق عنده ـ أيضاً ـ قصيدته التي ألقاها أمام الملك عبدالعزيز إذ يقول:

أيّ لفظٍ يحيط معنى الثناء ... ولسان يبثّ نجوى الولاء[1]

للمليكِ المحبوبِ في كلِّ قلبٍ ... والملاكِ المطلِّ بالنعماء

فبكَ الله ألبس الدين عزا ... وحبانا بأعظم الآلاء

عصرك اليوم بالهدى ذهبيٌّ ... وهو لا شكّ مظهرُ الخلفاء

أمّة فيك أصبحتْ تتهادى ... بعد أن أطرقت على الأقذاء

زخرت بالشّعور فهي حياة ... تطلبُ المجدَ والعلا في السماء

لم تكن قبلك الجزيرة إلا ... مسرحَ الفتكِ أو مجالَ الشقاء

فإذا الخوفُ في حماها أمانٌ ... وإذا العدلُ ملجأُ الضعفاء

وإذا الجهلُ هائمٌ يتوارى ... وإذا العلمُ مُشرقُ الأرجاء

وإذا الشعبُ ما تحبّ وترضى ... وحدةٌ جاوزت مدى الجوزاء

.....

قد عجزنا عن شكر فضلك لكن ... خير ما نستطيع بذل الدعاء

فسح الله في حياتك عمرا ... فيه نحظى بالعزة القعساء

وتولاك بالرشاد وأبقى ... لك أبصارنا من الأمراء[2]

فالأبيات تنم عن شعور قوي هو العرفان بالجميل والرغبة في أداء الشكر لمن يستحقه. ويظهر ذلك من خلال تعداد مآثر الممدوح.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/ ٦٤٤.

(٢) في هذا البيت يشبه الأمراء بالعيون المُبصرة.بجامع الرفعة والأهمية في كل.

والمقابلة بين ماضي البلاد وحاضرها هي الأساس الذي أنبت عاطفة الإعجاب لدى الغزاوي في مديحه لعبدالعزيز، وهذا ماجعله يفتتح أبياته بالاستفهام التعجبي. فهو يتساءل: هل يوجد كلامٌ يمكن أن يشكر هذا الملك بما يستحق؟ أو لسان يستطيع أن يعبر له عن مدى ولائنا له؟ وقد كرر الفكرة نفسها في ختام الأبيات حين قرر عجزه عن شكره. وبين أن الدعاء هو الوسيلة التي يقدر عليها. والغزاوي يرى الممدوح سببا حقيقياً لنهضة البلاد ورقيها. يظهر ذلك من تكرار ضمير الخطاب في الأبيات الظاهر والمضمر في مثل «فبك ـ عصرك ـ فيك ـ قبلك ـ تحب ـ ترضى ـ فضلك ـ حياتك».[1]

أما الرثاء، فأول ما نلحظ فيه أنه عند شوقي أكثر منه عند الغزاوي، فقصائد الرثاء عند شوقي تربو على أربع وتسعين قصيدة ومقطوعة بينما لا تتجاوز عند الغزاوي تسع عشرة قصيدة. وهذه القلة عند الغزاوي وما يقابلها من كثرة عند شوقي قد تعطيان إشارة إلى صدق الغزاوي في رثائه وتنوع رثاء شوقي مابين صادق ومجامل وغير ذلك.

ولكي نتبين ذلك بشكل أوضح، سأوازن بين مرثيتين هما مرثية شوقي في حافظ إبراهيم ومرثية الغزاوي في أحد أصدقائه المقربين «محمد الغنيمي». والذي جعلني أختار هاتين القصيدتين مايغلب على ظني من أن الغزاوي متأثر بقصيدة شوقي، لاسيما وأنها متقدمة عن قصيدته بثلاث سنوات، وسأسوق الأدلة على هذا التأثر من خلال الموازنة.

يقول شوقي:

---

(١) للغزاوي قصائد أخر تمثل صدق العاطفة لديه في المديح ،انظر مثلاً:٢/٦١٧، ٢/٥٨١.

قد كنتُ أوثر أن تقول رثائي ... يا منصف الموتى من الأحياء[1]

لكن سبقت وكل طول سلامةٍ ... قدر وكل منية بقضاء

الحق نادى فاستجبت ولم تزل ... بالحق تحفل عند كل نداء

وأتيت صحراء الإمام تذوب من ... طول الحنين لساكن الصحراء[2]

فلقيتَ في الدار الإمام محمداً ... في زمرة الأبرار والحنفاء

أثر النعيم على كريم جبينه ... ومراشد التفسير والإفتاء

فشكوتما الشوق القديم وذقتما ... طيب التداني بعد طول تنائي

إن كانت الأولى منازل فرقة ... فالسمحة الأخرى ديار لقاء

ووددت لو أني فداك من الردى ... والكاذبون المُرجفون فدائي

الناطقون عن الضغينة والهوى ... الموغرو الموتى على الأحياء

من كل هدّامٍ ويبني مجده ... بكرائم الأنقاض والأشلاء

ما حَطّموك وإنما بك حُطِّموا ... من ذا يحطم رفرف الجوزاء

انظر فأنت كأمسِ شأنك باذخٌ ... في الشرق واسمك أرفع الأسماء

بالأمس قد حلّيتني بقصيدة ... غرّاء تُحفظ كاليد البيضاء

غِيظ الحسود لها وقمتُ بشكرها ... وكما علمتَ مودتي ووفائي

في محفلٍ بشّرت آمالي به ... لمّا رفعتَ إلى السماء لوائي

يا مانح السودان شرخ شبابه ... ووليَّه في السِّلم والهيجاء

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/١٥٣.

(٢) صحراء الإمام: أي مقابر الإمام الشافعي حيثُ دُفِن الإمام الشافعي هناك.

لمّا نزلتَ على خمائله ثوى ... نبع البيان وراء نبع الماء

قلّدته السيف الحسامَ وزدته ... قلماً كصدر الصعدة السمراء

قلمٌ جرى الحقبَ الطوال فما جرى ... يوماً بفاحشةٍ ولا بهجاء

يكسو بمدحته الكرام جلالةً ... ويشيّع الموتى بحسن ثناء

إسكندريّةُ يا عروس الماء ... وخميلة الحكماء والشعراء

نشأتْ بشاطئكِ الفنون جميلةً ... وترعرعت بسمائك الزهراء

جاءتك كالطير الكريم غرائباً ... فجمعتِها كالربوة الغنّاء

قد جمّلوكِ فصرتِ زنبقة الثرى ... للوافدين ودرّة الدأماء[1]

غرسوا رباكِ على خمائل بابلٍ ... وبنوا قصوركِ في سنا الحمراء

واستحدثوا طرقاً منوّرة الصوى ... كسبيل عيسٍ في فجاج بداء

فخذي كأمس من الثقافة زينة ... وتجمّلي بشبابك النجباء

وتقلّدي لغة الكتاب فإنها ... حجر البناء وعدة الإنشاء

بنت الحضارة مرتين ومهّدت ... للمُلْك في بغداد والفيحاء

وسمت بقرطبةٍ ومصر فحلّتا ... بين الممالك ذِروةَ العلياء

ماذا حشدتِ من الدموع لحافظٍ ... وذخرتِ من حزنٍ له وبكاء

ووجدتِ من وقع البلاء بفقده ... إن البلاء مصارع العظماء

الله يشهد قد وفيتِ سخيةً ... بالدمع غيرَ بخيلة الخطباء

---

(١) الزَنبقة: واحدة الزنبق. وهو دهن الياسمين (اللسان: ٦/٨٩) ولعل المقصود هنا نبتة الياسمين ذاتها. والدأماء: البحر (القاموس: ٤/١٥٤).

وأخذتِ قسطاً من مناحة ماجدٍ جمٍّ المآثر طيّب الأنباء
هتف الرواة الحاضرون بشعره وحدا به البادون في البيداء
لبنان يبكيه وتبكي الضاد من حلبٍ إلى الفيحا إلى صنعاء
عرب الوفاء وفَوا بذمّةِ شاعرٍ باني الصفوف مؤلّف الأجزاء
يا حافظ الفصحى وحارس مجدها وإمام من نجَلَتْ من البلغاء
مازلتَ تهتف بالقديم وفضلِه حتى حميْتَ أمانة القدماء
جدّدت أسلوب الوليد ولفظه وأتيتَ للدنيا بسحر الطائي
وجريْتَ في طلب الجديد إلى المدى حتى اقترنْتَ بصاحب البؤساء[1]
ماذا وراء الموت من سلوى ومن دعةٍ ومن كرمٍ ومن إغضاء
إشرح حقائق ما رأيت ولم تزل أهلاً لشرح حقائق الأشياء
رتب الشجاعة في الرجال جلائلٌ وأجلّهنّ شجاعة الآراء
كم ضِقْتَ ذرعاً بالحياة وكيدِها وهتفتَ بالشكوى من الضراء
فهلمّ فارق يأس نفسك ساعةً واطلُع على الوادي شُعاع رجاء
وأشر إلى الدنيا بوجهٍ ضاحكٍ خُلِقتْ أسرّته من السراء
يا طالما ملأ النديّ بشاشةً وهدى إليك حوائج الفقراء
اليوم هادنْتَ الحوادثَ فاطّرح عبءَ السنين وألقِ عبء الداء
خلّفْتَ في الدنيا بياناً خالداً وتركتَ أجيالاً من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ولم يزلْ للدهر إنصافٌ وحسن جزاء

---

(١) يقصد رواية البؤساء التي ترجمها حافظ لفكتور هوجو.

أما الغزاوي فيقول:

قد كنتَ توعدني بقرب لقائي ... فزلفتَ للأخرى وخاب رجائي[1]

ودوى بنعيك في الأثير مهدّج ... همر الشؤون وعجّ بالأرزاء

بغت القلوب كصعقةٍ منقضةٍ ... كادت تكون كديمةٍ وطفاء

كادت تكون كديمةٍ منهلّةٍ ... لو رحت تخطر في ربى البطحاء

وقطعتَ شوطك في الوجود مجاهداً ... ومناشداً في العزة القعساء

وسكبتَ قلبك داعياً ومهللاً ... ومبشراً بالدين والإهداء

ولكم تهلّلت المنابر بهجةً ... بالمصقع المتلوِّم البكّاء

فتحوّلتْ بأساً ممضاً حائراً ... مُنيتْ به روحي وأعجل دائي

لم ترض أن ترقَ السماء وتنتمي ... فعرجتَ للفردوس دون عناء

ومضيْتَ لاتخشى الحياة وأهلها ... وتمتّ بالحسنات في الأصداء

وقضيت عمرك طاعةً ومبرةً ... في الله والفرقان والأسماء

ولطالما صغت المسامع والنُّهى ... فيما تصوغ لملهِم الحكماء

ولئن نسيتُ فما نسيتُ مواقفاً ... أوتيتَ فيها رقيةَ الشعراء

إذ أنت تهزِج في حماسةِ مغرمٍ ... بالشرق والإسلام والعرباء

وتثير في أعماق كلِّ موحدٍ ... شجواً ينهنه فتكة الأدواء

والناس حولك خشّعٌ فكأنهم ... تلقاء فرضٍ قائمٍ وأداء

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٣٣.

يوحى إليك بما تقول كأنما هو ومضة القبسات في الظلماء
وتطل بالآمال في أفق المنى حتى كأنك بسمة الأرجاء
فإذا بكيتك في الصميم فإنما أبكي كميّاً مال في الهيجاء
أمحمدٌ حسبي بذكرك حسرة غربت بها في الحزن شمس هنائي
أمحمدٌ من للقلوب مذكرٌ بالأجر والحسنات والآلاء
ذهب الغنيمي في الجهاد ضحيةً وأرق ما استصفاه حسن ولائي
من للمواعظ و الجوامع والتقى في مصر وهي كنانة الأبناء
من للمجامع والمطامح والعلى والمجد والتحبيذ والإغراء
كنتَ الموفقَ في سبيلك صادقاً في النصح والإخلاص والإبلاء
فغدوتَ ذكرى للعباد وعبرةً بالموت تُخرس ألسن الأحياء
الله أكبر خطب موتك صارمٌ متغلغلٌ في الروح والأحشاء
ذهبت به الألباب فهي سليبةٌ لا تستريح إلى حجىً وعزاء
فلو انتظمت لك الدموع مراثياً ما كنت فيك أفيك برح رثائي
إني ومن آمنت أنك خلقُه لأحسّ آلاماً تدكّ بنائي
وأعود أدّكر الفناء ومن مضى فألوذ بالترجيع والإفضاء
وأريق من دمعي المعذّب دمعةً تهمي عليك مفيضةً بذمائي
لو أمّلت لك قبل موتك خلتَها نجما تهاوى صارخا كندائي
إني لأغبطك النعيم ومثله هذا الخلود وفضلك المترائي
فسقى الحيا جدثا ثويتَ بلحده ما ردّد التاريخ صوت بكائي

فمما يلفت النظر في القصيدتين التشابه الواضح في المطلعين، حيث إن كلا الشاعرين يعبر عن خيبة الأمل الشديدة جرّاء فقد الصاحب العزيز. وهذا التشابه في المعنى يؤازره تشابه الوزن والقافية، كما يؤازره تشابه التركيب ـ أيضاً ـ في «قد ـ كنت». وهذا كله مما يرجح تأثر الغزاوي بشوقي.

أما العاطفة وهي موضوع الموازنة، فإني أرى أن الغزاوي أشد عاطفة وأصدق. ودلائل ذلك من القصيدتين، ما يلي:

أولاً: كلا الشاعرين يوجه الخطاب إلى مرثيِّه بالنداء. ولكن الغزاوي ينادي صاحبه باسمه، إضافة إلى أنه يناديه بالهمزة وهي أداة النداء للقريب، خلافاً لشوقي في ندائه لحافظ، حيث نداؤه له لم يكن بالاسم الصريح وإنما بصفات مكتسبة مثل: يا مانح السودان..، يا حافظ الفصحى..، يا منصف الموتى...، إضافة إلى أن نداءه لصاحبه بالياء. فنداء شوقي يُلمح فيه التعظيم، ونداء الغزاوي تلوح فيه عاطفة الحب والتحسر.

ثانياً:حزن الغزاوي عميق منبعث من نفسه. يظهر ذلك في كثير من أبياته مثل قوله:

فلو انتظمت لك الدموع مراثياً ما كنت فيك أفيك برح رثائي
إني ومن آمنت أنك خلقُه لأحسّ آلاماً تدكّ بنائي

وقوله:

الله أكبر خطب موتك صارمٌ متغلغلٌ في الروح والأحشاء

فخبر موت صاحبه يدكّ البناء وهو كالسيف الصارم الذي تغلغل في الأحشاء فقطّعها.

أما شوقي فنراه يتوجه إلى إشراك غيره معه في بكائه على حافظ، كلبنان ودمشق، بل ويتوجه إلى الإسكندرية فيقول:

ماذا حشدت من الدموع لحافظٍ وذخرت من حزنٍ له وبكاء

فالموقف موقف حزن، وكان ينبغي على الشاعر أن يبين فيه حزنه هو، وألمه هو، لا أن يبحث عن أمور أخرى تقوّي من موقفه الحزين، فيجعل البلدان تبكي معه، لتؤازره. ويبدو أنها حيلة يلجأ إليها شوقي ليهرب من إفلاسه العاطفي.

ثالثاً: لم يدع شوقي لصاحبه خلافاً للغزاوي، والدعاء للميت من علامات صدق الوفاء له.

رابعاً: يختتم شوقي أبياته ذاكراً أن الزمان لن ينسى فضل حافظ في يوم من الأيام، أما الغزاوي فإنه يؤكد أن التاريخ لن ينسى صوت بكائه المستمر على الغنيمي، وبين الأمرين فرقٌ كبير.

سادساً: من مطلعي القصيدتين يتبين أن الغزاوي كان يأمل في تحقق لقاء صاحبه فحسب، أما شوقي فكان يأمل من حافظ إنصافَه من الناس، وهذا فيه ذكر صفة نبيلة من صفات حافظ ولكن غاية شوقي نفعيّة وأمنية الغزاوي حاجةٌ نفسية.

سابعا:يقول شوقي:

فهلم فارق يأس نفسك ساعةً واطلع على الوادي شعاع رجاء

وكان الأولى أن يجعل راحة مرثيه من اليأس أبدية مادام أنه في الحياة الأخرى، أو على الأقل يدعو له بذلك. أما الغزاوي فإنه يغبط صاحبه على النعيم الخالد:

إني لأغبطك النعيم ومثله هذا الخلود وفضله المتراثي

ثامناً: يتطرق شوقي في قصيدته إلى تاريخ الإسكندرية، ويتصفح تاريخها العريق، وذلك نظراً لأن حفل التأبين كان مُقاماً فيها. وهذا أدّى إلى انقطاع العاطفة وفتورها، وشوقي وقع في هذا المأخذ في أكثر من قصيدة[1]. من ذلك ـ مثلاً ـ قصيدته في رثاء أمه[2]، «وقد حاول الشاعر أن يستر ... الفقر العاطفي فيها حين أحس بضآلتها وهزالها، فنسج في ثناياها ستراً من حكمة هزيلة، وفخر مسرف، اعتمد في التعبير عنهما على اللفظ المتأنق، والصياغة البطيئة المتمهلة، والاستسلام التام لشخصية أبي الطيب»[3]. وليس في ضعف عاطفة شوقي تجاه حافظ مايثير الاستغراب، فشوقي وحافظ ندّان ولطالما كان للمنافسة بينهما شؤون[4].

---

(١) انظر: الرثاء بين شوقي وحافظ، محمد قمر عالم بن عبدالسبحان:٢١٥، مخطوط، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالأزهر، ١٩٨٢م.

(٢) ومطلعها: إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى.

(٣) المعارضة في شعر شوقي :إبراهيم محمد إسماعيل عوضين، ٢٩٩، مخطوط-رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالأزهر.

(٤) انظر:أحمد شوقي:د/زكي مبارك، ٣٩، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ.وانظر ـ أيضاً ـ حديث القلم:د/محمد رجب البيومي، ١٥١-١٥٢، النادي الأدبي الثقافي بجده، ١٤١١هـ.

أما صدق العاطفة في رثائه ـ أعني شوقي ـ فيظهر في قصائده التي قالها في خلصائه المقربين كعبدالرحمن رشدي وإسماعيل صبري وغيرهم.

يقول في رثاء عبدالرحمن رشدي:

يقولون رشدي مات قلت صدقتم ... ومات صوابي يوم ذاك وآمالي[1]

وركني الذي للنائبات أُعِدُّه ... وذخري في الماضي وعوني على الحال

وسعدي إذا خان الزمان وطالعي ... وفخري إذا ألقى الرجال وإجلالي

أرشدي لقد عشتَ الذي عشتَ سيداً ... ولم تك عبد الجاه والأمر والمال

ولم تك كتب العلم درساً ومطلباً ... ولم تكُ عنها في الثمانين بالسالي

وكنتَ تحل الفضل أسمى محلةٍ ... وتنزل أهل الفضل في المنزل العالي

ولم تتخيّر ألف خلٍ وصاحبٍ ... ولكنّ من تختاره الواحد الغالي

حببتك والدنيا تحبك كلها ... وزدتك حبا عندما كثر القالي

وقست بك الأعيان حيّاً وميتاً ... فوالله ما جاء القياس بأمثال

ولو أن إنساناً من الموت يُفتدى ... فديتك بالنفس النفيسة والآل

فقد أضفى على مرثيِّه الصفات النبيلة التي يبكيها فيه، وهذا أمر معتاد في المراثي. ولكن الجديد في ذلك إضافتها إلى ياء المتكلم مما جعل الأبيات تنم عن تأثر صادق وذلك في «صوابي ـ آمالي ـ فخري ـ طالعي ـ ذخري ـ ركني ـ عوني ـ سعدي ـ إجلالي». وكأن الشاعر يرثي شيئاً في

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٩٦.

نفسه لا إنساناً آخر. والأبيات الثلاثة التي في النهاية صادقة الشعور لأنها عفوية غير متكلفة، ومما يناسب العاطفة ويؤيدها في القصيدة المدود في القافية فهي تناسب الحزن.

وإذا انتقلنا إلى الغزل، فإننا نجده عند شوقي على صورتين: صورة تقليدية تتمثل في مطالع القصائد. وصورة أخرى تتمثل في قصائد أو مقطوعات مستقلة[1]. وقد اختلف الدارسون في غزل شوقي بشقيه. فمنهم من نفى عنه صدق العاطفة كلياً[2] ومنهم من رأى تحقق ملامح شخصيته وعاطفته في غزله عموماً[3]. ومنهم من قصر صدق عاطفته على الغزل المستقل عنده[4].

وأرى أن «لشوقي شخصيته الخاصة في مفهوم حبه، وأن غزله ينم عن تجربة حب فريدة، تلونت بطباعه وظروف حياته. أما مفهوم حبه الذي تتضح فيه شخصيته الخاصة؛ فيمكن تلخيصه في هذه العبارة: عاشق حائر بين التزامات القصر والسياسة، ونداءات الحب والجمال، .... ولعله لهذا السبب عمد عن وعي أو عن لاوعي إلى شطر معظم قصائده السياسية، وقصائد المدح، وأحيانا قصائد الوصف شطرين: الشطر الأول لقلبه ومشاعره الفياضة بالحب والجمال، والشطر الثاني

---

(١) انظر: الغزل في شعر شوقي:د/عبده إبراهيم أحمد حسن،٢٥٣، بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر،ع ١٧، ١٤١٩هـ.

(٢) مثل عباس العقاد في كتابه :"شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي" حيث نفى وضوح الشخصية في كل شعر شوقي وليس في غزله فحسب،وكذلك سكرتيره أحمد محفوظ في كتابه:"حياة شوقي".

(٣) مثل د/سامي الدهان في بحثه"الغزل والوصف في شعر شوقي".نقلاً عن الغزل في شعر شوقي لـ د/عبده إبراهيم أحمد حسن.ود/سعد دعبيس في كتابه"الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر ١٨٥٠-١٩٦٧".ود/عبده إبراهيم أحمد حسن في بحثه"الغزل في شعر شوقي".

(٤) مثل عباس حسن في كتابه "المتنبي وشوقي".

للمناسبة. وذلك حتى لايؤخذ عليه انصرافه إلى أشياء قد يعتبرها بعض كبار المسئولين عبثا»[1].

وأرى أن عاطفة الحب تلوح بشكل أوضح في قصائده المستقلة، وذلك مثل قصيدته التي يقول فيها:

رُدّت الروح على المُضنى معك ... أحسن الأيام يومٌ أرجعك[2]
مرّ من بُعدك ما روّعني ... أتُرى يا حلوُ بعدي روّعك
كم شكوتُ البين بالليل إلى ... مطلع الفجر عسى أن يُطلعك
وبعثت الشوق في ريح الصبا ... فشكا الحرقة مما استودعك
يا نعيمي وعذابي في الهوى ... بعذولي في الهوى ما جمعك
أنت روحي ظلم الواشي الذي ... زعم القلب سلا أو ضيّعك
موقعي عندك لا أعلمه ... آه لو تعلم عندي موقعك
أرجفوا أنك شاكٍ موجعٌ ... ليت لي فوق الضنى ما أوجعك[3]
نامت الأعين إلا مقلة ... تسكب الدمع وترعى مضجعك

فالأبيات مبنية على كاف الخطاب، وهذا فيه إشارة إلى اهتمام الشاعر بالمُخاطب، إضافة إلى أن وقوع هذه الكاف مسكّنةً في قافية الأبيات يشير

---

(١) الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر ١٨٥٠-١٩٦٧، د/سعد دعبيس، ٢١٧، دار النهضة العربية، ط٣.

(٢) الموسوعة الشوقية، ٤/ ٨٠.

(٣) الضنى: المرض (اللسان: ٨/ ٩٥).

إلى شيءٍ من الألم والتحسر، للمرض الذي أصاب المُخاطب. وهذا الألم يظهر أيضاً في قوله:

موقعي عندك لا أعلمه آه لو تعلم عندي موقعك

كما تظهر عاطفة شوقي في قصائده التي يحن فيها إلى الماضي وذكريات الشباب.وذلك في مثل قصيدته التي مطلعها:

صحا القلب إلا من خمار أماني يجاذبني في الغيد رث عناني[1]

يقول فيها:

حنانيك قلبي هل أعيد لك الصبا وهل للفتى بالمستحيل يدان
تحنُّ إلى ذاكَ الزمانِ و طيبِه وهل أنتَ إلا من دمٍ وحنانِ
إذا لمْ تصُنْ عهداً ولم ترْعَ ذمةً ولم تدّكرْ إلفاً فلستَ جناني
أتذْكر إذْ نُعْطي الصبابةَ حقها ونشرب من صرف الهوى بدنان
وأنت خفوقٌ والحبيب مباعدٌ وأنت خفوقٌ والحبيب مداني
وأيّامَ لا آلو رهاناً مع الهوى وأنتَ فؤادي عند كلّ رهان
لقد كنت أشكو من خفوقك دائباً فولّى فيا لهْفي على الخفقان

فالأبيات تشير إلى ما كان له في الماضي من مغامرات الحب والشباب، وهو يتلهف على هذه الذكريات تلهّف الشاعر الذي لا يعرف قلبه معنى للجمود .

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٣٥.

ومن تذكره لأيام الصبا الممزوجة بذكريات الأحبة، قصيدته التي يخاطب فيها غاب بولونيا بباريس حيث يقول:

يـا غـاب بـولونٍ ولي ... ذمم عليكَ ولي عهودْ[1]
زمـنٌ تقضّى للهـوى ... ولنا بظلّكَ هـل يعـودْ
حلُـمٌ أريـد رجوعـه ... ورجوع أحـلامي بعيـد
وهبِ الزمـان أعادهـا ... هـل للشبيبةِ من يعيـد
يـا غـاب بولـونٍ وبي ... وجـدٌ مع الذكرى يزيد
خفقت لرؤيتكَ الضلـو ... عُ وزُلْزِل القلب العميد
وأراكَ أقسى مـا عهـدْ ... تُ فـما تميـل ولا تميـد
كـم يـا جمادُ قساوة ... كم هكذا أبداً جحـودْ
هـلاّ ذكرتَ زمان كنّـا ... والـزمـان كمـا نـريـد
نطوي إليك دجى الليا ... لـي والدجى عنّـا يذود
فنقول عنـدك مـا نقـو ... ل وليس غيرك من يعيد
نُطْـقـي هـوىً وصبابةٌ ... وحـديثهـا وترٌ وعـود
نسري ونسرح في فضـا ... ئك والرياح به هجود
والطيُر أقعدها الكرى ... والناس نامت والوجود
فنبيت في الإيناس يغْـ ... ـبطنا به النّجم الوحيد

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٣٥.

في كـل ركـنٍ وقفـةٌ وبكـلّ زاويـةٍ قعـود
نسقي ونُسْقى والهوى مـا بـين أعيننا وليـد
فمـن القلـوب تمائـمٌ ومن الجنوب له مهود
والغصن يسجد في الفضا ء وحبّذا منـه السجـود
والنّجـم يلحظنـا بعيْـ ـنٍ لا تحول ولا تحيد
حتّى إذا دعت النـوى فتبدّد الشمْـل النضيـد
بِتْنـا ومـمّـا بيـننـا بحرٌ ودون البحـرِ بيـد
ليلـي بمصـر ولـيلهـا بالغربِ وهو بها سعيد

وهذه القصيدة ـ في رأيي ـ تردّ على من نفى عن شوقي صـدق العاطفة في غزله[1].

وهي ـ أي القصيدة ـ وإن كانت في الحنين إلى الماضي إلا أنها مشحونة بعاطفة الحب. والشاعر يعيش في الماضي كالحاضر وينسى أنه يتذكر، يظهر ذلك في قوله:

نطوي إليك دجى الليا لي والدجى عنّـا يـذود

إلى آخر الأبيات. وهو يصف لقاءه بمحبوبته وصفاً دقيقاً. فالرياح هاجدة، والطير أقعدها الكرى، والناس نائمة، وهو ومحبوبته لا يقرّان

(١) وله قصيدة أخرى يتذكر أياما له بباريس، وفيها يعترف صراحة بمغامراته مع النساء ويتوب إلى الله ومطلعها: أما وزهر الأنجم وطول ليل المُغرم. الموسوعة الشوقية٩/٢٤١.

في مكان واحد من الغاب بل «في كل ركن وقفة، وبكل زاوية قعود». حتى إذا حان الفراق نحس بالشاعر حسرة شديدة إذ يقول:

حتّى إذا دعت النوى فتبدّد الشمْل النضيد
بِتْنـا وممّـا بيننـا بحرٌ ودون البحرِ بيد
ليلي بمصر وليلها بالغربِ وهو بها سعيد

وفي قوله «وهو بها سعيد» تجسيد لمدى ولوعه بمحبوبته، وكأنه يحسد هذا الغرب الذي استأثر بها.

أما الغزاوي فإنه مقلٌ في الغزل مقارنة بشوقي، فليس له إلا تسع قصائد وثلاث مقطوعات مع ما يعتري بعض هذه القصائد من النظرة الاجتماعية التي تهدف إلى الإصلاح الاجتماعي وتعالج قضايا اجتماعية كالتبرج والسفور. وقد عزا بعض الدارسين سبب هذه القلة إلى احتمال أنه آثر إبقاء شعره العاطفي في طي الكتمان مراعاة لوقاره الاجتماعي ومنصبه السياسي[1].

ولكن يُحسب له أنه كان صادقا في غزله، فهو ـ إجمالا ـ يعبر عن وقائع عايشها وتأثر بها. كما أنه لم يجعل من الغزل مقدمةً لقصائده مخالفاً بذلك شوقي. من ذلك مقطوعته التي يصف فيها بدوية حسناء فيقول:

بأبي من رأيتها فاسترابت نظرتي نحوها فقالت علامك*[2]

(١) انظر: أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د/مسعد العطوي، القسم الأول، ٣٧٩.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٣٨. وعلامك؟: كلمة عامّية بمعنى: مابك؟.

قلتُ صبٌّ أصيب بالعين قالت ... روَّع الله من عـلى الحب لامك
أنت مـن ليّة بـدارة عـوفٍ ... حيث فرط العفاف يُذكي غرامك
إن فـيها من الظـباء لحـوراً ... يتناجـين في المـروج مرامـك
فاغضض الطرف إن علقتَ وخالس ... نظرة الـحب واستذم آثامك
لا تغرنْكَ بسـمةٌ من كـعابٍ ... فتـؤاتي عـلى اغـترار حِمامـكْ

وكذلك قصيدته في حسناء رآها في موسم الحج، إذ يقول:

شُغفت بها خلف الستائر ظبية ... مفـلّجة لمياء سكرى عـيونها[1]
كأن الدجى في سالفيها مُضفّر ... وشمس الضحى إشراقها وجبينها
.....
تنائى بها عزّ الحجاب عن الخنا ... وكالقـدر المنقضّ منها فتونها
إذا بصرٌ مـنها تنوّل خـلسةً ... وقتها من الطرف الحسير يمينها
نظرت إليها وهي تُغضي تجاهلاً ... وتعـلم أني في هـواها رهينها
وشى بي إليـها خافقٌ متهافتٌ ... يكـاد على عـلاّتها يستبينهـا
قستْ ثم لانت وانطوت وتبّرجت ... وأعلن بالـسرِّ المصون كمينهـا
وما راعني إلا بـها ذات سجدة ... وثيـرٌ مصـلاّها أثيرٌ يقـينهـا
وتحسبـها في سمتها وابتـهالها ... وفي بثّها ثكـلى تردّى خدينهـا
وما هـي إلا بـرهة ثم تـنثني ... كغـانية هـيفاء شـتى فنونهـا

---

(١)الموسوعة الشوقية: ٤/ ١٧٠٠.

تمعّن في المرآة طوراً وتارةً تأوّد فوق الرّقمتين غصونها[1]
ترى البدر منها مستعيراً تمامه وما غررتها وهي نشوى ظنونها
وما امتشطت إلا وسالت دعابةً وران عليها لهوها ومجونها
من البيض لو لا أنها عربيةٌ من الحور بين الأرض تمرح عينها

.....

وما نلت منها يشهد الله مأثماً ولكنّ عيني ما اشرأبّت تخونها
مرنّمة الأعطاف آمنت أنها هي الكاعبُ الحسناءُ والحق دينها
وما حسرتي إلا الفراق و نفرها وإذ هي تمضي والوشاح يزينها
إذا ما غدوا نحو المحصّب وانقضت ليالي منى والعيس لجّ حنينها[2]
وقفت ودمعي حائر مترقرقٌ وللقلب آهاتٌ تمرّ شجونها
وأكتم وجدي زافراً وأبيحه وأشفق أن يبغي عليّ عرينها
فكيف ومسراها السماء عشيةً بذات جناحٍ كالبراق متونها[3]
ألا إنما الحب الحياة وإنما من النفس ما شطت نراها منونها
عدتها العوادي أينما هي يمّمت وحيث استقلّت واستهلّت مزونها
وددت لو اني خلفها و أمامها وأنيَ في دار الخلود قرينها

---

(١) الرّقمتان: مثنى رَقمة وهي جانب الوادي(القاموس:٤/١٧١).

(٢) المحصّب: موضع رمي الجمار.وقيل :هوالشعب الذي مخرجه إلى الأبطح،بين مكة ومنى ،يُنام به ساعة من الليل ثم يُخرج إلى مكة.وقد سميا بذلك للحصى الذي فيهما(اللسان:٣/١٩٧).

(٣) يقصد الطائرة.

فالغزاوي المحافظ يعجبه في المرأة ـ إضافةً إلى جمالها وحسن مظهرها ـ سمتها ووقارها وحشمتها. وذلك حيث يقول:

تنائى بها عزّ الحجاب عن الخنا وكالقدر المنقضّ منها فتونها
إذا بصرٌ منها تنوّل خلسةً وقتها من الطرف الحسير يمينها

ويقول ـ أيضاً ـ:

وما راعني إلا بها ذات سجدة وثيّر مصلاّها أثيرٌ يقينها
وتحسبها في سمتها وابتهالها وفي بثّها ثكلى تردّى خدينها
وما هي إلا برهة ثم تنثني كغانية هيفاء شتى فنونها

والقصيدة ليس فيها مبالغة أو أحداث مختلقة، وهي عفوية تحكي أمراً صادف الشاعر فوصف شعوره تجاهه. وقد عُثر عليها ضمن أوراق الشاعر الخاصة التي ضن بها عن النشر، وما ذاك في رأيي إلا لأنها تكشف القناع عن جانب من جوانب شخصيته البسيطة. والأبيات الأخيرة تلوح فيها عاطفة الأسى نظراً لسفر الفتاة التي أُعجب بها بعيداً عنه.وهو يدعو في ختام قصيدته فيقول:

عدتها العوادي أينما هي يمّمت وحيث استقلّت واستهلّت مزونها
وددت لو أني خلفها وأمامها وأنيَ في دار الخلود قرينها

وأما الوصف فإنه مثل باقي الأغراض له، مؤثرات خارجية تدفع الشاعر إليه، وهذه المؤثرات أو البواعث تختلف من شاعر لآخر ـ كما أسلفت[1] ـ. وهي عند شوقي في الوصف أكثر منها عند الغزاوي.

إن الوصف عند شوقي مدفوع بشغفه التاريخي وميله للطبيعة[2]. فمن هذين الباعثين أغلب وصفه. أما الغزاوي فإن الوصف عنده ناتج عن حس ديني عميق، يظهر في أغلب وصفياته.

فمن وصف شوقي التاريخي قوله عندما اكتُشفت مقبرة توت عنخ آمون:

خليليّ اهبطا الوادي وميلا ... إلى غرف الشموس الغاربينا[3]

وسيرا في محاجرهم رويداً ... وطوفا بالمضاجع خاشعينا

وخُصّا بالعمار وبالتحايا ... رفات المجد من توتنخمينا

وقبراً كاد من حسنٍ وطيبٍ ... يضوع حجارةً ويضوع طينا

يُخال لروعة التاريخ قُدّت ... جنادله العلى من طور سينا

وكان نزيله بالمَلْك يُدعى ... فصار يلقّب الكنز الثمينا

وقوما هاتفين به ولكن ... كما كان الأوائل يهتفونا

فثمّ جلالة قرّت ودامت ... على مرّ القرون الأربعينا

---

(١) انظر: بواعث التجربة الشعرية في الباب الأول.

(٢) صرح شوقي بذلك حين قال: الشعر مولود لأبوين: التاريخ والطبيعة. وسوف أقتصر هنا على بعض النماذج لأني أسهبت الحديث في هذا الجانب في بواعث الشعر لديه. وانظر: أحمد شوقي: إيليا الحاوي، ٥٩/٣، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

(٣) الموسوعة الشوقية: ٢٧٩/٥.

فعاطفة شوقي في الأبيات فخورة منبهرة، وهي أيضا عاطفة المحتفي بالتاريخ كما يقول:

وأنا المحتفي بتاريخ مصر ... من يصن مجده صان عرضا

ومن تصويره البديع قوله في قصر أنس الوجود:

أيها المنتحي بأسوان داراً ... كالثريّا تريد أن تنقضّا[1]

اخلع النعل واخفض الطرف واخشع ... لا تحاول من آية الدهر غضا

قف بتلك القصور في اليم غرقى ... ممسكا بعضها من الذعر بعضا

كعذارى أخفين في الماء بضا ... سابحاتٍ به وأبدين بضا

مشرفاتٍ على الزوال وكانت ... مشرفاتٍ على الكواكب نهضا

شاب من حولها الزمان وشابت ... وشباب الفنون مازال غضا

رُبّ نقشٍ كأنما نفض الصا ... نع منه اليدين بالأمس نفضا

ودهانٍ كلامع الزيت مرت ... أعصرٌ بالسراج والزيت وضّا

وخطوطٍ كأنها هدب ريمٍ ... حسنت صنعةً وطولاً وعرضا

وضحايا تكاد تمشي وترعى ... لو أصابت من قدرة الله نبضا

ومحاريب كالبروج بنتها ... عزماتٌ من عزمة الجن أمضى

شيدت بعضها الفراعين زلفى ... وبنى البعضَ أجنبٌ يترضى

ومقاصير أبدلت بفتاتِ المسـ ... ـك تراباً وباليواقيت قضّا[2]

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٥٢.

(٢) القضّ: الحصى الصغار (اللسان: ١١/٢٠٤). أي: أصبحت بعد تهدمها ترابا كالمسك وحصى كالياقوت.

فالعاطفة في هذه الأبيات ساكنة خاشعة، تقضي واجب الإجلال لأثر تاريخي عظيم. وحرف الروي في الأبيات يلائم جو القصيدة، حيث فيه تفخيم وقوة تناسب عظمة التاريخ وقوته.كما أن البحر فيه تؤدة تناسب تأمل الشاعر وخشوعه. ولقد أخذ سيد قطب[1] على شوقي تناقض الجوّ النفسي في قوله:

قف بتلك القصور في اليم غرقى ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين في الماء بضاً سابحاتٍ به وأبدين بضا

حيث إن البيت الأول يجسد صورة في ذهن السامع من الذعر والخوف، أما البيت الثاني فإنه يثير شعوراً مناقضاً من الأنس والمرح والسرور.

وأما وصف شوقي المدفوع بحبه للطبيعة. فقد أسلفت الحديث عنه في الباب الأول[2]. ولكن لا بأس أن أشير هنا إلى بعض النماذج عنده.

من ذلك وصفه لزحلة اللبنانية إذ يخاطبها قائلا:

بنتَ البقاع وأم بردونيِّها طيبي كجلّق واسكبي برداك[3]
ودمشق جنات النعيم وإنما ألفيت سدة عدنهنّ رباك
قسماً لو انتمت الجداول والربى لتهلل الفردوس ثم نماك
مرآك مرآه وعينك عينه لمَ يا زحيلة لا يكون أباك

(١) انظر:النقد الأدبي أصوله ومناهجه:سيد قطب، ٣١.
(٢) راجع الباب الأول ضمن الحديث عن بواعث التجربة الشعرية لديه.
(٣) الموسوعة الشوقية:٤/٢٥٥.

تلك الكروم بقيّة من بابل هيهات نسّى البابلي جناك
تبدي كوشي الفرس أفتن صبغة للناظرين إلى ألذ حِياك
خرزات مسكٍ أو عقود الكهربا أودعن كافوراً من الأسلاك
فكّرت في لبن الجنان وخمرها لمّا رأيت الماء مسّ طلاك
لم أنس من هبة الزمان عشيّة سلفت بظلك وانقضت بذراك
.....
ضمت ذراعيها الطبيعة رقةً صِنِّينُ والحرمونُ فاحتضناك[1]
والبدر في ثبج السماء منوّر سالت حلاه على الثرى وحلاك
والنيّرات من السحاب مطلة كالغيد من سترٍ ومن شباك
وكأن كل ذؤابةٍ من شاهق ركن المجرّة أو جدار سماك

فشوقي في هذه الأبيات يندمج مع الطبيعة بكل مشاعره حتى ليُخيّل للسامع أنه يتغزل بها، فهو يخاطبها خطاب الشاعر لمحبوبته[2].

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي، نجد الحس الديني مسيطراً ـ كما أسلفت ـ على غالب وصفه. فهو عندما يصف إشراق الشمس ـ مثلا ـ، نجده يمزج إحساسه بجمال منظر إشراقها بإحساس ديني كامن وذلك حيث يقول:

نظرت إليها والعتام يحوطها وقد حجب الأحداق منها شعاعها[3]

---

(١) صنين والحرمون: جبلان يحيطان بزحلة.
(٢) انظر وصفه مغاني الطبيعة التركية ٢٩٧/٣، ووصفه "كوك صو" بالآستانة ٣٨/٤.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة، ١٧٦٢/٤.

فما خلتها والصبح فيها فما انجلى سوى أنها في التمِّ بدرٌ أشاعها
هي الشمس والأقمار منها ولائد فكيف بها منها تغشّت قناعها
لئن هي يوماً بالغمام تلفّعت فيا طالما في الصحو مدّت شراعها
كذلك شأن الناس تبدو صفاتهم وتخفى ويستوحي الذكاء طباعها

.....

وما النفس إلا كائنٌ في محيطه عوالم شتى و هي تبغي انتزاعها
وما إن لها في الأرض إلا اهتداؤها إلى الله والدنيا تزيغ متاعها
وما أحسب الأعمار إلا وسيلة إلى الخير مهما استقبلته أطاعها

فمنظر الشمس وهي تخفى تارة خلف الحجب، وتبدو تارة أخرى، يذكر الشاعر بطبائع النفوس التي قد تخفى أحياناً، وهنا يتحدث الشاعر عن النفوس بمنطق الإنسان المؤمن كما يظهر في الأبيات الثلاثة الأخيرة.

ومن ذلك أيضا قصيدته التي يصف فيها عاصفة هوجاء ثارت بمكة فيقول:

وعاصفة كأن بها جنونا تعاوت صرصراً وعتت حطوما[1]
حسبتُ بها الجبال الشمّ دكت وعادت بالذرى منها تخوما
هي الغيلان في هوسٍ وعصفٍ وإطباق وقد طاشت حلوما

.....

تعيث بكل ما مرت عليه فساداً ثم تذروه هشيما

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٦٥.

وتخترق الفجاج كأن منها ... هزيم الرعد قد أمسى عقيما
أعاذ الله منها كل أرض ... تباغتها وتجعلها رميما
وما هي غير ترهيب لمن لم ... يخف يوما من الله الحسوما
أجرنا ربنا واغفر ذنوباً ... كأن سهامها انقضّت رجوما

أما وصفه للحج فالحس الديني ظاهر فيه جدا، ولنستمع إليه وهو يقول عن عيد الأضحى والحج والحجاج:

هل العيد إلا به الشمل يُجمع ... وإشراقه إلا الهدى وهو يسطع[1]
وهل في بلاد الله طراً بأسرها ... مشاعر إلا هذه تتضرع
فما ثمّ إلا مهبط الوحي والهدى ... وإلا القلوب القانتات تضرّع
مواقف جل الله بالدين بوركت ... وبالبر والتقوى تضيء وتلمع

ثم يصف الحجيج، فمنهم من يقطع الصحارى ومنهم من يدافع أمواج البحار ومنهم من يركب السحاب، كلهم يتقابلون عند بيت الله الحرام بقلوب خاشعة تائبة:

مواكب عباد إلى الله أقبلوا ... وأفئدة تهوي إليه وتخضع
ومثوى رسالات ومأوى ملائك ... ومسبح أرواح إلى الله ترجع
أطلّت بها عبر البحار قصيةٌ ... سفائنها من كل فج تقلع
وأخرى بهم ذات الجناحين حلّقت ... وشقّت بها الأجواء وهي تطلّع

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/٣٥٨.

وثالثةٌ تفري الصحارى كأنما رواحلها تحدو بها وتسمّع

.....

وقد حسر الإحرام منهم رؤوسهم كما زانها الإطراق إذ هي تهطع

بداراً إلى البيت الحرام وزلفةً إلى الخالق الديّان وهي تخشّع

تكاد بهم تعدو الرياح على الربى وتسبقهم أشجانهم تتشفّع

مدامعهم منهلّة وجفونهم مقرّحة تشكو قذاها وتفزع

سقى الله أرجاءً بها الحج جامعٌ ومنها وفيها فضله يتوزّع

ويا حبّذا جمعٌ ويا حبّذا منىً ويا حبّذا هذا الضياء المشعشع

فالعاطفة بادية في الأبيات، والمعجم الشعري فيها يدل على ذلك مثل «الهدى ـ بلاد الله ـ مشاعر ـ تتضرع ـ مهبط الوحي ـ القلوب القانتات ـ الدين ـ بوركت ـ البر ـ التقوى ـ عرفات ـ الحجيج ـ مكة ـ العرض ـ مواكب عبّاد ـ تهوي ـ أفئدة ـ تخضع ـ رسالات ـ ملائك ـ أرواح ـ الإحرام ـ تهطع ـ البيت الحرام ـ الخالق ـ الديان ـ تخشع ـ تتشفع ـ أشجانهم ـ مدامعهم ـ تشكو ـ تفزع».

وإذا التفتنا إلى العاطفة الدينية عند الشاعرين عموماً، وجدنا لها حضورا قويا في شعريهما. فهما يشتركان في العاطفة التائبة المبتهلة إلى الله. والشعور المسرور لنصر دين الله وإعلاء كلمته. والعاطفة الإيمانية المتألمة الحزينة كما في بكاء شوقي للخلافة العثمانية وتوديعه مدينة أدرنة وتذكره أمجاد المسلمين في الأندلس ورثائه عمر المختار.استمع إلى نواحه على سقوط الخلافة العثمانية إذ يقول:

عادت أغاني العرس رجع نواح ونُعيتِ بين معالم الأفراح[1]
كُفِّنت في ليل الزفاف بثوبه ودُفنتِ عند تبلّج الإصباح
شُيِّعتِ من هلعٍ بعبرة ضاحكٍ في كل ناحية وسكرة صاحي
ضجّت عليكِ مآذنٌ ومنابرٌ وبكت عليكِ ممالك ونواحي
الهند والهة ومصر حزينة تبكي عليكِ بمدمع سحّاح
والشام تسأل والعراق وفارس أمحا من الأرض الخلافة ماحي

فالعاطفة هنا متألمة حزينة شاكية، والروي في الأبيات «الحاء» فيه من الألم ما فيه، وهو علاوة على ذلك مكسور كانكسار نفس الشاعر المصاب في الخلافة الإسلامية. ومما زاد من سطوة الألم اجتماع الحزن والسرور في آن واحد وذلك بعد الانتصارات التي حققها أتاتورك. فلم يلبث الناس إلا وخبر سقوط الخلافة يدك حصون أفراحهم. وقد أحسن شوقي في وصف هذا الشعور حين قال:

كُفِّنت في ليل الزفاف بثوبه ودُفنتِ عند تبلُّج الإصباح
شُيِّعتِ من هلعٍ بعبرة ضاحكٍ في كل ناحية وسكرة صاحي

ومثل هذه العاطفة المتألمة الباكية نجدها عند الغزاوي في حديثه عن فلسطين والجزائر. وذلك مثل قوله عن شعب الجزائر في محنته التي عاناها:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٥٠٨.

لـو رأيتـم بني أبيكـم كفاتـا في كـهوف عميقـة ومغـاور[1]
لو نظرتم إلى العواتق مسرى ثـاكـلات مستهتكـات الستـائر
يتفـيّـأن في العـراء ركـامـا من جليد وصرصرا من هواجـر
وجراح تسيل من كل قلب ودمـوع تنشـق عنهـا المرائـر
وشتيت الأشلاء ينهـش فيهـا كـل وحشٍ وكـل وغـدٍ وغـادر

فالألم والحزن هنا يمتزجان برفض الظلم والقهر، والمد في القافية يناسب العاطفة الحزينة المتألمة. وقد عبر الشاعر عن عاطفته إذ يقول:

غصّ ريقي وها يراعيَ يبكي ولسـاني وراء قـلـبي عـاقـر

كما عبر عن دور شعره في إذكاء الهمم ورفض الظلم والاستبداد فقال:

موقف عنده القوافي وشـيجٌ مـن رمـاحٍ وصيحةٌ مـن بـواتـر
ليس للشعر في المعارك صوت غير خوض الوغى وزجر الغوائر

ومن مظاهر تشابه العاطفة الدينية بينهما اشتراكهما في مدح النبي ﷺ، ولعل من المناسب أن أوازن بينهما في هذا الجانب.

لقد مدح شوقي النبي ﷺ بأربع قصائد طوال[2]، بينما لم يمدحه الغزاوي إلا بواحدة فحسب. وحين ننعم النظر في مدحهما للنبي ﷺ يتبين لنا مايلي:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٣١.

(٢) انظر: المدائح النبوية في الباب الأول ضمن الحديث عن بواعث التجربة الشعرية.

أولاً: أن شوقي تناول حياة النبي ﷺ في شتى مراحلها، فقد تعرض لحياته ﷺ حين كان طفلا رضيعا وتتبّع سيرته الزكية منذ طفولته ﷺ وحتى نبوّته. أما الغزاوي فلم أجده يركز على جانب من جوانب حياة النبي ﷺ .بل إن مولد النبي ﷺ وهو موضوع قصيدته لم يتناوله كما فعل شوقي، بشمول وتركيز بل راح يصف وقع خبر ولادته على «قريش مكة»:

وقريش مكة في بطون شعابها ما بين مـرتابٍ وآخر يحسد
متحيرين كأنما اضطربت بهم نُذُر القيامة والجحافل تحصد

كما وصف حال البلاد والناس قبيل ولادته.

ولعل هذا التقصير من الغزاوي منبعه أنه يعيش في مجتمع لا يرى الاحتفال بالمولد النبوي، ويبدّعه لأنه لم يرد عند السلف الصالح. أما شوقي فكان يعيش واقعاً سياسياً ودينياً يحتفل بالمولد، ويقيم له السرادق الخطابية، والولائم وغير ذلك. فهو احتفالٌ عامٌ يشارك فيه العالم والعامي والسياسي وغير ذلك.

ثانياً: اتخذ شوقي من المديح النبوي منبراً للرد على أعداء الإسلام فيما أثاروه من شبهات، مثل ادّعائهم أن الإسلام انتشر بقوة السيف، ومناداتهم بإلغاء الملكية الخاصة وتطبيق الشيوعية الغالية، وذلك إذ يقول:

قالوا غزوت ورسل الله ما بُعِثوا لقتل نفس ولاجاؤوا لسفك دم[1]
جهل وتضليل أحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

---

(١) الموسوعة الشوقية، ٥/٧٠.

لمّا أتى لك عفواً كلُ ذي حسبٍ تكفّل السيف بالجهّال والعمم

ويقول ـ أيضاً ـ:

الاشتراكيون أنت إمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء
داويتَ متئداً وداووا طفرةً وأخفّ من بعض الدواء الداء

ثالثاً: لقد قصّر الغزاوي حين لم يتطرّق إلى معجزات النبي ﷺ، والمديح ـ في رأيي ـ يستوجب ذلك. ومن العدل أن أذكر بيتين قالهما في القرآن الكريم وهما:

سورٌ من الفرقان في إعجازها نهض الدليل وأذعن المتمرّد
طُويت سجلات القرون ولم تزل تُجلى به أسراره وتُجدّد

ولكن أين هذا من قول شوقي في القرآن:

الذكر آية ربك الكبرى التي فيها لباغي المعجزات عناء
صدر البيان له إذا التقت اللغى وتقدّم البلغاء والفصحاء
نسِخت به التوراة وهي وضيئةٌ وتخلّف الإنجيل وهو ذُكاء
لمّا تمشّى في الحجاز حكيمه فُضّت عكاظُ به وقام حراء
أزرى بمنطق أهله وبيانهم وحيٌ يقصّر دونه البلغاء
حسدوا فقالوا شاعرٌ أو ساحرٌ ومن الحسود يكون الاستهزاء

.....

دينٌ يشيّد آيةً في آيةٍ لبناته السورات والأضواء

الحقّ فيه هو الأساس وكيف لا والله جـلّ جـلالـه البنّـاء

رابعا : عاطفة شوقي في مدحه النبي ﷺ تبدو أصدق، وأقوى من عاطفة الغزاوي. وشوقي يصرّح بأنه يبتغي الأجر من وراء هذا المديح، وهي غاية شريفة تدل على رغبة ملحّة قوية أنتجت لنا أربع مدائح جيدة. أما الغزاوي فكأنه أحس بوجوب مشاركته في هذا الميدان وهو إمام المحافظين في بلاده فجاءت قصيدته مشوبةً بفتور العاطفة مقارنةً بمدائح شوقي. ولنستمع إلى شوقي يخاطب النبي ﷺ بقوله:

لي في مديحك يارسول عرائسٌ تُـيِّـمـن فيـك وشاقهـنّ جـلاء
هنّ الحسان فإن قبلتَ تكرّماً فمهورهـنّ شـفـاعـةٌ حسنـاء

وقوله:

أبا الزهراء قد جاوزت قدري بمـدحك بيـد أنّ لي انتسابا
فما عـرف البلاغـة ذو بـيـانٍ إذا لم يتـخـذْك لـه كتـابا
مدحت المالكين فزدت قدراً فحين مدحتك اقتدت السحابا

وقوله:

أنـا المرحـوم يومئـذ بـدرٌ فيـك أنظمـه
ولا مـنٌّ عليـك بـه فمـن جـدواك منجمـه

وإذا انتقلنا إلى عاطفة الفخر الذاتي فإن الشاعرين يتشابهان فيها من حيث إنها مستمدّة ـ غالباً ـ من المكانة الأدبية التي حظيا بها،

فشوقي شاعر القصر أو شاعر العزيز كما يقول هو، والغزاوي حسان صاحب الجلالة كما سماه الملك عبدالعزيز، ولذلك فهما يفخران بشعرهما أكثر من أي شيء آخر.

وشوقي تتضح عنده هذه العاطفة بشكل أكبر، بل وتظهر أحيانا في مواطن لا يحسن ظهورها فيها. ففخره «بشعره في قصائد الرثاء التي نظمها في توديع الراحلين من خلصائه، أو من ذوي القدر والمكانة في العالم كله، هو ظاهرة تلفت الأنظار إليها، وتستحق الوقوف عندها.فقد يفتن الشاعر ويفخر بشعره في معرض المنافرة أو المفاخرة أو المناظرة التي لا غنى فيها عن التعبير عن الذات، وقد يُفتن بشعره وهو في مقام امتداح أمير أو كبير إكبارا لنفسه عن أن يظن فيها العجز، أو يتوهم فيها الضعف.....ولكن أي معنى للفخر بالشعر، والافتتان بالقلم والقريض في مجال لا مجال فيه للزهو والفتنة حيث تركزت كل حكمة الحياة، وكل صحيحها وباطلها في كلمة واحدة هي (الموت)؟»[1]. ولقد آخذه على ذلك سيد قطب حيث يقول: «أترى لو أنك في مأتم، وجلس أحد الحاضرين ليمدح نفسه بما شاء....أو ليتباهى بملبسه وحسن بزته، بينما الجمع يتحدث في الفجيعة وفي النكبة، ترى أكنت تطيق أن تصبر على هذا المشعوذ؟ ألا تحس أن هذا القائل دجال مهرج مزيّف العاطفة لايحسن هذا التزييف؟ إن الطبيعة الإنسانية الصادقة لا تفكر في ساحة الحزن الناجع في أشياء شخصية حقيرة»[2].

---

(١) في صحبة الشعر والشعراء: محمد عبدالغني حسن،١٠٩-١١٠.

(٢) مهمة الشاعر في الحياة :سيد قطب،٤٥،نقلاً عن "الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان،٢٢٢،رسالة دكتوراه-مخطوط بكلية اللغة العربية في الأزهر بالقاهرة.

ومع ذلك كله فإني أرى فخره في مقام الرثاء وإن كان منافياً لأدب الرثاء والذوق، إلا أنه نابع عن شعور قوي منه. فإن إعجابه بنفسه طغى عليه وأصبح متغلغلاً فيه، فلا يشعر وهو يرثي إلا وقد أخذ يلح عليه الشعور فيظهر ضمن القصيدة في بيت أو بيتين أو أكثر.

من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قوله في قصيدته التي رثى فيها إسماعيل صبري:

هل في يديّ سوى قريض خالد أزجيه بين يديك للإتحاف[1]

وكذلك قوله في مرثيته في جرجي زيدان:

لي دولة الشعر دون العصر وائلة مفاخري حكمي فيها وأمثالي[2]
وأشكر الصنع في سري وفي علني إن الصنائع تزكو عند أمثالي

وقوله في رثاء مصطفى كامل:

وأنا الذي أرثي الشموس إذا هوت فتعود سيرتها إلى الدوران[3]

وقوله ـ أيضاً ـ في رثاء سعيد زغلول:

ربّ حر صنعت فيه ثناء عجز الناحتون عن تمثاله[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية: ١٥٦/٤.
(٢) المصدر نفسه: ٤٤٢/٤.
(٣) المصدر نفسه: ٣٥٥/٥.
(٤) المصدر نفسه: ٤٥٣/٤. وانظر -أيضا- فخره بنفسه في رثائه جدته ٤٤٦/٢.

أما الفخر في غير مقام الرثاء فهو كثير. من ذلك عند شوقي قوله يخاطب السلطان العثماني:

ملكتَ أمير المؤمنين ابن هانئ بفضلٍ له الألباب ممتلَكات[1]
ومازلتُ حسان المقام ولم تزل تليني وتسري منك لي النفحات
زهدت الذي في راحتيك وشاقني جوائز عند الله مبتغَيات
ومن كان مثلي أحمد الوقت لم تجز عليه ولو من مثلك الصدقات
ولي درر الأخلاق في المدح والهوى وللمتنبّي درةٌ وحصاة

وقوله ـ أيضاً ـ مخاطبا أم الخديو عباس:

لا ترومي غير شعري موكباً إن شعري درجات الخالدين[2]
كل حمدٍ لم أصغه زائل خالد الحمد بما صغت رهين

وقوله من قصيدة يمدح فيها الخديو عباس حلمي:

شعراءَ الزمان مهلاً رويداً إن في مصر شاعراً لا يُجارى[3]
حاملاً في الصبا لواء القوافي مسترقّاً لملكه الأشعارا[4]

وقوله أيضاً:

---

(١)الموسوعة الشوقية:٢/٤١٩.والفخر في الأبيات لايخفى أنه عالي النبرة شديد اللهجة.
(٢)المصدر نفسه:٥/٢٦٢.
(٣) المصدر نفسه:٣/٣٤٤.
(٤) مسترقا:من الرِق أي مالكاً.

أنـا إن عجـــزت فـإن فـــي بـرديّ أشـــعـر مـــن جـريـر[1]

وقوله كذلك:

إن الذي قد ردّها وأعادها في بردتيك أعاد فيّ البحتري[2]

ومن ذلك عند الغزاوي قوله مخاطبا الملك عبدالعزيز:

فإن لم أكن في حبك اليوم واحدا فحسبي أني في بلاطك شاعره[3]

وقوله مفتخرا بقصيدةٍ يخاطب فيها الملك عبدالعزيز:

وإليكها يحكي الصباح سفورها عـربيـة كالريـم أو هـي أرشـق[4]
البحتري يـود لو هـي نسجـه وجـرير لـو نحلت لـه وفـرزدق
وضّاحة القسمات تشهد أنني بك ما حييتُ المدنف المتعلق
أبشتـهـا قلـبي وحـسبي أنـــه يمري ويسكب في رضاك ويهرق[5]

وتتكرر عاطفة الفخر ذاتها عندما يمدح الملك سعود فيقول:

وإليكهـا عربيـة حرميـــــة يصبو القريض لها ويمدح معبد[6]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٣/٢٣٦.
(٢) المصدر نفسه:٣/٢٧٢.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٧٦.
(٤) المصدر نفسه:٢/٨٣٣.
(٥) يفخر الشاعر هنا بأنه صادق فيما يقول.
(٦) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٤٠٨.

ويود لو نسج الفرزدق بردها وجرير وهي بدلّها تتأوّد
كان العفاف وشاحها وأمدّها منك البيان الثرُّ وهو مجسّد

وأسلوب الفخر في الأبيات السابقة متأثر فيه الغزاوي إلى حد بعيد بشوقي في مثل قوله:

يا أيها الملك الأريب إليكها عذراء هامت في صفات علاكا[1]
فطوت إليك البحر أبيض نسبة لنظيره المورود من يمناكا
قدمت على عيدٍ لبابك بعدما قدمت عليّ جديدة نعماكا

وعاطفة الفخر تتكرر عنده أكثر من مرة في تشبيه نفسه بحسان بن ثابت الشاعر رضي الله عنه، من ذلك قوله:

فأنت فوق الذي يسطيعه قلمي ولو تمثّل في بُرديّ حسان[2]

وقوله يخاطب ملك الأردن :

فاهنأ بإقبال السعود وفألـه وتقبّل الترحيب من حسانِ[3]

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٦٤.
(٢)الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٦٥١.
(٣) المصدر نفسه:٢/٨٨٩.

ولعله تبين مما سبق أن صدق العاطفة وقوتها يظهران بوضوح في كثير من شعر شوقي والغزاوي على اختلاف بينهما في بعض الجوانب كما أوضحت. ولكنهما مع ذلك قد يقعان في بعض العيوب التي تشكك في صدق العاطفة لديهما ـ أحياناً ـ أو قوتها أو ثباتها.

فسذاجة المعنى أو تفاهته مما يشكك في صدق العاطفة. وذلك مثل قول شوقي في رثائه لعثمان غالب[1]:

ضجّت لمصرع غالبٍ ... في الأرض مملكة النبات[2]
أمست بتيجانٍ عليـ ... ـه من الحداد منكّسات
قامت على ساقٍ لغيـ ... ـبته وأقعدت الجهات
في مأتمٍ تلقى الطبيـ ... ـعة فيه بين النائحات
وترى نجوم الأرض من ... جزعٍ موائد كاسفات
والزهر في أكمامه ... يبكي بدمع الغاديات
حُبِستْ أقاحيُّ الربى ... والعهد فيها مومضات
وشقائق النعمان آ ... بت بالخدود مخمّشات

فتفاهة المعنى في الأبيات السابقة يدل ـ في رأيي ـ على فتور عاطفة شوقي، فقد حصر بكاءه فيها على النباتات لأنه عالم نبات. وهذا فيه من التفاهة ما فيه. فلو كان المرثي عالم معادن مثلا فإن الشاعر قد

---

(١) هو عثمان غالب بن محمد بن حسن الخربوطلي ولد بالجيزة سنة ١٨٤٥م وتخرج في المدرسة الحربية ثم في مدرسة الطب، ثم ابتُعث إلى فرنسا وعاد منها فتولى أعمالاً اقتصر منها على تدريس التاريخ الطبيعي إلى سنة ١٨٨٦م. مات في سويسرا سنة ١٩٢٠م. (الأعلام: ٤/٢١٢)

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/٤٦٥.

«يجعل اسوداد الفحم حدادا عليه، وصلابة الحديد جمودا لهول المصيبة فيه، وكان يجعل اصفرار الذهب وجلا، واحمرار النحاس احتقاناً، ولين القصدير ذوبانا، إلى آخر ما هنالك من ألوان العذاب التي تلم بالمعادن الصلاب»[1]. ومن جهة أخرى أرى شوقي وكأنه أحس بعدم صدق مشاعره فهرب من وصفها إلى إشراك مظاهر الطبيعة معه في الحزن[2].

ومن المعاني المبتذلة التي تشكك في صدق عاطفة الغزاوي، وصفه للصيام بقوله:

أصبح الناس صائمين وكلٌ ... قانتٌ خاشعٌ تقيٌ منيب[3]
ذاكرٌ شاكرٌ سميعٌ مطيعٌ ... وبه خشيةٌ وفيه وجيبُ
راهبٌ راغبٌ يعيد ويبدي ... بالمثاني وللرشاد يثوب
يرتجي العفو من جوادٍ كريمٍ ... هو من كل من دعاه قريب

فالشاعر كل ما استطاع أن يفعله هو مجرد إخبارنا بصيام جميع الناس. ثم أخذ بسرد صفات الصائمين دون أن نشعر منه بعاطفة أو انفعال.

والمبالغة أكبر العيوب التي تشكك في العاطفة عند الشاعرين. ولقد وجدت شوقي كلفا بها إلى درجة كبيرة. فقد كثر عنده التشبيه بالأنبياء والصحابة وبعض الكتب السماوية. من ذلك مثلا قوله يخاطب السلطان العثماني:

---

(١) الديوان في الأدب والنقد: عباس العقاد وإبراهيم المازني، ٢٨، دار الشعب، القاهرة، ط٤.

(٢) الرثاء بين شوقي وحافظ: محمد قمر عالم بن عبدالسبحان، رسالة ماجستير، مخطوط بكلية اللغة بالأزهر-القاهرة، ١٤٠٢هـ.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٥٠٩/٤.

مازلتَ بالأمر حتى قام معتدلاً كأنه في يد الصديق أو عمر[1]

ويكرر ذلك في قوله للسلطان محمد رشاد مادحاً:

فكأنك الفـاروق في كرسيه نعمت شعوب الأرض تحت ظلاله[2]

أو أنـت مثل أبي تراب يُتّقى ويـهابه الأمـلاك في أسماله[3]

وقوله مادحا سعد زغلول:

ميلي انظريه في النـديِّ كأنـه عثمان عن أم الكتاب يلاحي[4]

أو قوله يرثي أحد الأدباء:

وكـأنـه فـي كـتبـه عثمان في ظل الكتاب[5]

وقوله ـ أيضاً ـ يرثي الفيلسوف الروسي تلستوي[6] فيشبهه بعيسى عليه السلام، ويشبه كتبه بالإنجيل:

تطوف كعيسى بالحنان وبالرضا عليهم وتغشى دورهم وتزور[7]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٣/٣٢٠

(٢)المصدر نفسه:٤/٣٠٠.

(٣) الأسمال:الثياب البالية الخلقة(القاموس:٣/٥٨٢).

(٤) الموسوعة الشوقية:٢/٥٢٤.

(٥) المصدر نفسه:٢/٣٣٥.

(٦) هو تولستوي ليو ولد سنة ١٨٢٨م.فيلسوف روسي كان ينزع إلى الإصلاح الاجتماعي ،من مؤلفاته كتاب «الحرب والسلام» و«الطفولة» و«الصبا» و«الشباب» و«ما الفن؟»، مات سنة ١٩١٠م(الموسوعة العربية العالمية:٧/٣٢٦).

(٧) الموسوعة الشوقية:٣/٣٩٢.

ويأسى عليك الدينُ إذ لك لبّه وللخادمين الناقمين قشور
أيكفر بالإنجيلِ من تلك كتبه أناجيلُ منها منذرٌ وبشير

ومما يلفت النظر أنه لم يتورّع عن تشبيه نفسه بعيسى عليه السلام حيث يقول:

خُلِقت كأنني عيسى حرامٌ على قلبي الضغينةُ والشمات[1]

وحيث يقول أيضا مخاطبا ابنته أمينة:

يا شبه سيّدتي البتو ل وصورة الملك الطهور[2]

ومن الصور الأخرى للمبالغة عنده، قوله مخاطبا الخديو توفيق:

بايعتك القلوب في صلب إبرا هيم إذ دلّها عليك الرجاء[3]
ورأت مصر ليلة الوضع رؤيا فسّرتها بحكمك الحكماء

وقوله في رثاء جدته يصف نعشها:

فلم أر قبله المريخ ملقىً ولم أسمع بدفن النيّرات[4]

---

(١) المصدر نفسه:٢/٤٦٢.
(٢) المصدر نفسه:٣/٤٣٢.والبتول:العذراء المنقطعة عن الرجال(القاموس:٣/٤٨٧).
(٣) المصدر نفسه:٢/١٨٩.
(٤) الموسوعة الشوقية:٢/٤٤٦.

«فلا المريخ بحجم النعش، ولا النعش بحجم المريخ. بل لست أدري ما الشبه بينهما إلا أن يكون أراد التشابه في اللون، وهذا خيال جامح لا أجزم به».

ورثاؤه مصطفى كامل داخل في هذا الباب حيث يقول:

إن كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا فأنت الباني

فما الذي يمكن أن يقال في من بُعث متمماً لمكارم الأخلاقﷺ؟ [1].

ومما يُلاحظ عليه في هذا الجانب ـ أيضاً ـ ميله إلى المقارنات التي تودي به إلى مزالق المبالغة الممقوتة. كقوله في قصيدته التي يرحب فيها بالطائرَين الفرنسيين:

لكِ خيلٌ بجناح أشبهت خيل جبريل لنصر الأنبياء[2]

أو قوله يصف هؤلاء الطيارين:

لسليمان بساطٌ واحدٌ ولهم ألف بساطٍ في الفضاء

فخيل جبريل عليه السلام وبساط سليمان من المعجزات الإلهية التي يخص بها الله سبحانه من يشاء، وليس لبشرٍ أن يضاهي شيئا من ذلك.

أما الغزاوي فإنه لم يبلغ ما بلغه شوقي في مبالغاته. ولكنه لم يسلم منها على أي حال كما في قوله يخاطب الملك عبدالعزيز:

---

(١) انظر: الديوان: عباس العقاد، ١٤٣.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/ ٨٥. والخطاب في البيت للطائرة.

أم بتاريخك الذي هـو عصرٌ عمـريٌّ أسـاسُـه التوحيـــدُ[1]

فمهما بلغ بنا العصر من الخير فإنه لا يُقارن بعصر الخلفاء الراشدين، الذي عاشه الصحابة والتابعون خيرُ القرون.

ومن مبالغاته ـ أيضاً ـ قوله:

وأعاد عصرَ الراشدين تديُّنـاً وهفـتْ إليـهِ ربيعـةٌ ونـزار[2]

وقوله ـ أيضاً ـ:

ولقد سمعتُ فلمْ أجدْ من ناطقٍ إلا بعصْرِك مُعْجبا بك يفْخر[3]
هاجت به الذِّكْرى ولجّ بنفسه مـا كان في عَهـد النُّبُوّة يُذكـر
فرآكَ معجزةَ القرونِ وقد خلتْ والدينُ من جور التغرُّب يجْـأر

وقوله كذلك:

واهـنَ يـا خـيرَ عاهـلٍ عرفتْـهُ أمَّة الخيْر منذُ عهدِ الصّحابه[4]

وتشتد عنده المبالغة ـ أحياناً ـ في مثل قوله:

إني أرى الصّديقَ فيكَ مُمَثّلا حسنَ اعتِقـاد وادّخـارَ عَتـادِ[5]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٨٥.
(٢) المصدر نفسه:١/١٠٢.
(٣) المصدر نفسه:١/١٥٠.
(٤) المصدر نفسه:٢/٦٦٦.
(٥) المصدر نفسه:١/١٧٠.

ولا أدري أكان الغزاوي غافلاً عن الأحاديث الواردة في فضل أبي بكر رضي الله عنه؟ وهو الذي يقول عنه الرسولﷺ «إنّ أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبوبكر. ولو كنتُ متخذاً خليلاً غير ربي لاتّخذتُ أبابكرٍ ولكن أخوة الإسلام ومودته».[1]

ومن مبالغاته الشديدة ـ أيضاً ـ قوله مرحبا بالرئيس الأندونيسي في حج عام ١٣٧٤هـ:

وبأن تحج بعصر خير مملّكٍ ... يحبوك منه بحبه المتدعّم[2]

وبأن ترى الحرمين تسعى فيهما ... وتطوف بين حفاوةٍ وتنعّم

بشعائر الله التي شرفت به ... بالحج والبيت العتيق وزمزم

فالبيت الثالث يشتمل على مبالغةٍ كان من الأولى أن لا يقع فيها الشاعر.

والحق أن مثل هذه المبالغات لا تصدر إلا عن قحط في عاطفة الشاعر، فهو يريد أن يوصل الفكرة للممدوح وليس لديه عاطفة تعينه على ذلك فيلجأ إلى مثل هذه المبالغات التي لا طائل منها.

ومن مبالغاته التي تابع فيها القدماء قوله:

فلو أن قلباً كشّف الحبُّ وجده ... تضاءلتُ حتى ما أكاد أبينُ[3]

هذا ومن الدلائل ـ أيضاً ـ على فتور العاطفة أو كذبها، **أن يقول الشاعر ما لا يعتقد، أو ما يخالف الواقع على وجه التأكيد.** مثال ذلك عند

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٥/٧.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٩٩٥/٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٠٢/٤. وهو فيه يتابع أبا الطيب المتنبي حيث يقول:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ ... لولا مخاطبتي إياكَ لم ترني

شوقي وصفه لعيسى عليه السلام بأنه حامل الآلام إشارة إلى صلبه، وذلك في قوله:

يا حامل الآلام عن هذا الورى كثرت عليه باسمك الآلام[1]

ومثل ذلك عندما يحيي الهلال والصليب الأحمرين فيقول مخاطباً جبريل عليه السلام:

وزد الهلال من الكرامة والصليب من الرعاية[2]

فهما لربك راية والحرب للشيطان راية

وشوقي مسلم ولا يعتقد صلب المسيح أو يعتقد أن الصليب راية لله تعالى، وهو القائل:

لو كنتُ أعتقد الصليبَ وخطبَه لأقمت من صلب المسيح دليلا[3]

ويدخل في هذا الباب تناقض الشاعر مع نفسه في القصيدة الواحدة، وذلك مثل شوقي، إذ يصف أبا الهول في قوله:

تهزأتَ دهرا بديك الصباح فنقّر عينيك فيما نقر[4]

.....

(١) الموسوعة الشوقية:٥/١٢١.

(٢) المصدر نفسه:٥/٤٧٥.

(٣) الموسوعة الشوقية:٤/٣٢٦.والمعنى:لو كنت مسيحيا لجعلت من صلب المسيح دليلاً على تمسك أهل الحق برأيهم والموت دونه.

(٤) المصدر نفسه:٢/٢٥٧.

كأنك صاحب رملٍ يرى خبايا الغيوب خلال السطر

.....

تطل على عالم يستهلّ وتوفي على عالمٍ يحتضر

ثم يقول:

فعينٌ إلى من بدا للوجود وأخرى مشيّعة من غبر

«فأبو الهول تارة أعمى نقر ديك الصباح عينيه، وتارة صاحب رمل يرى خفايا الغيوب وينظر للوافدين ويشيع الغابرين»[1].

وقد «يكون كل تشبيه بمفرده حسنا في ذاته، ولكنهما باجتماعهما يتعارضان، ويدلان على أن هذا الشاعر لم يكن صادقا فيما يحس. لأن الصادق لا يتناقض أول كلامه بآخره».[2]

ومثال ذلك ـ أيضاً ـ عند الغزاوي قوله يمدح الملك فيصل رحمه الله:

إلى فيصل آمنت بالله أنه هو الطائع البرّ العفيف المهاجر[3]

فأيّ معنى للهجرة هنا وهو في بلده وبين ذويه.

وللعاطفة في المطالع ـ في رأيي ـ دور كبير في الكشف عن صدق الشاعر. فالمطلع ينبغي أن يمثل الطاقة الشعورية الكامنة لدى الشاعر. وهو رمز لنفسيته إزاء الموقف الذي قال فيه القصيدة.[4]

---

(١) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان، ٢٣٤.

(٢) مهمة الشاعر في الحياة:سيد قطب، ٦٨، نقلاً عن المصدر السابق.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٢١.

(٤) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية:د/عبدالحليم حنفي، ٨٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دون تاريخ.

فشوقي عندما يرثي فيفتتح قصيدته بقوله:

اجعل رثاءك للرجال جزاء وابعثه للوطن الحزين عزاء[1]

فإن الجزاء والثواب والعقاب من الأمور التي يهتم بها العقل ولا يلتفت إليها القلب. فالشاعر الصادق إنما يرثي لأنه شعر بالحزن والأسى لا لأنه أراد أن يجزي المرثي على أمر طيب فعله ولننظر إلى مطلع مرثية أخرى له من نفس الوزن والقافية لنتبين الفرق الكبير بينهما:

من ظن بعدك أن يقول رثاء فليرثِ من هذا الورى من شاء[2]

فالعاطفة في هذا المطلع حزينة بائسة، والاستفهام زاد هذا الشعور تأكيدا وقوة.

ومن مطالعه الباردة كذلك قوله في رثاء قاسم أمين:

يا أيها الدمع الوفيّ بدارِ نقضي حقوق الرفقة الأخيار[3]

فالرثاء الصادق مبعثه الحزن الشديد والحسرة المؤلمة، لا إرادة الشاعر في قضاء الحقوق ورد الجميل. وهذا المعنى شائع في كثير من رثاء شوقي. ثم إن طلب الدمع من العيون لا معنى له، لأن الحزن إن كان موجودا في الأصل لا يُحتاج معه إلى طلب البكاء.[4]

ومن ذلك أيضاً ابتداؤه مرثيته في الأميرة فاطمة إذ يقول:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/١٢٢

(٢) المصدر نفسه:٢/١١٩.

(٣) المصدر نفسه:٣/٣٨٥.

(٤) انظر:مطلع القصيدة العربيةودلالته النفسية:د/عبدالحليم حنفي، ٢٣١.

حلفت بالمستّرة والروضة المعطّرة[1]

ومجلس الزهراء في الحظائر المنوّرة[2]

مراقد السلالة الطيّبة المطهّرة

ما أنزلوا إلى الثرى بالأمس إلا نيّرة

فالشاعر استخدم القسم بطريقة ملفتة للنظر، وذلك لتأكيد حزنه وتأثره. و«أسلوب التأكيد إنما يستخدم في موقف الشك،....وهذا الشك في حقيقة الأمر لا ينبع من السامع، وإنما ينبع من المتكلم نفسه،....فلو كان واثقاً من صدق ما يقول لم يكن في حاجة إلى التأكيد».[3]

أما الغزاوي فقد كان شديد الاهتمام بمطالع قصائده[4]. ولكنه لم يسلم من الوقوع في النثرية التي تشي ببرودة العاطفة وفتورها في مثل قوله:

على طاعة الرحمن قد قُضِي الشهر ومن فضله حلّ الغداة لنا الفطر[5]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٩/٢٠٩.والمقصود بالمستّرة:الكعبة المشرفة.

(٢) الحظائر المنورة:يقصدحجرات الرسول ﷺ .

(٣) مطلع القصيدة العربيةودلالته النفسية:د/عبدالحليم حنفي،٢٣٢.

(٤) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥-١٣٩٥):د/عبدالله الحامد،٧٦،دار الكتاب السعودي،الرياض،ط٢، ١٤١٣هـ.

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٨٣.وستأتي أمثلة أكثر لبعض المطالع ذات المعاني التافهة خلال الحديث عن سطحية المعاني إن شاء الله.

التنـوع

وإذا نظرنا إلى عاطفتي شوقي والغزاوي بمقيـاس التنـوع نجـد أن شوقي هو المقدَّم في هذا الباب.

امتاز شوقي ـ في وطنياته ـ عـن الغـزاوي بتنـوع العاطفـة. فشـعره الوطني لا يقتصر علـى عاطفـة المُفـاخر بمظـاهر التقـدم، أو المـتحمس الداعي إلى مواصلة البناء الحضاري، أو الشاكي لوعة البعد عن الـوطن ـ كما نجد عند الغزاوي ـ، بل تضمن ـ أيضـاً ـ عاطفـة المعجـب المتأمـل الـذي يغـوص في أعمـاق تـاريخ وطنـه. ومـثال ذلـك مطولتـه «كبـار الحوادث في وادي النيل»[1] وقصيدته التي يخاطـب فيهـا أبـا الهـول[2]، وقصائده التي نظمها عند اكتشاف مقـبرة تـوت عـنخ آمـون[3]، وكـذلك قصيدته في الأزهر الشريف[4] وغيرذلك من قصائدة التاريخية الوطنية.

وعاطفة شوقي أكثر تنوعاً ـ أيضاً ـ في المديح فهي لم تقتصر على الحاكم وأولي الأمر بل تعدت ذلك إلى الخلافة الإسلامية والترك، «ونحن نلمس في القصائد التي مدح فيها الترك حساً أدق من العاطفة، ... وقوة نكاد نعتقد معها أن شوقي إذ يتحدث عن الترك إنما يملي ما

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/٤٢. ومطلعها:

همّت الفلك واحتواها الماء وحـداها بمـن تُقِلّ الرجـاء

(٢) المصدر نفسه: ٣/٢٥٤. ومطلعها:

أبا الهول طال عليك العصر وبُلِّغتَ في الأرضِ أقصى العمر

(٣) المصدر نفسه: ٥/٢٧٥. ومطلعها:

قفي يا أختَ يوشعَ خبّرينا أحـاديث الـقرون الغابرينا

وأيضا ٥/٣٠٣ ومطلعها:

درجتْ على الكنز القرون وأتتْ عـلى الدنّ السنونْ

(٤) المصدر نفسه: ٣/٢٧٣. ومطلعها:

قُم في فم الدنيا وحيّ الأزهرا وانثُر على سمع الزمان الجوهرا

يكنه فؤاده، وإنما يندفع بقوة كمينة هي قوة دم الجنس»[1] التي تمتزج بالباعث الديني. كما أننا نجد مديحاً للحيوان عنده في قصيدة كاملة.

كما أن عاطفة شوقي في رثائه لم تتوقف على الإنسان بل رثت الحيوان ـ أيضاً ـ . يظهر ذلك في رثائه الحصان «مكسي». حيث يقول:

يا مكس دنياك عاره والموت كأسٌ مداره
والدهر يوماً ويوماً والحال طوراً وتاره
والعيش زهر ربيع قصير عمر النضاره
إذا بلغن التراقي فكل ربح خساره
يا مكس قل لي أحقٌ قد وسّدوك الحجاره
وغيّبوك طويلاً أشمّ مثل المناره[2]

ومن جهة أخرى فإن شوقي رثى كثيراً من الأدباء الذين لم يتصل بهم وإنما اطّلع على نتاجهم الأدبي، كشكسبير وفكتور هيوجو وغيرهما فكانت عاطفة الإعجاب واضحة في رثائه لهم.

هذا وشوقي يسبق الغزاوي ـ أيضاً ـ بعاطفته تجاه الأطفال فيما يخص النهوض بتعليمهم وتثقيفهم عن طريق تقريب المسائل لأذهانهم وتبسيطها لهم، وقد تجسدت هذه العاطفة عنده في القصص على لسان الحيوان، حيث كان الهدف التعليمي منها هو الغاية المرسومة لديه[3].

---

(١) الشعر السياسي عند شوقي: علي أحمد محمد أحمد، ٦٥، مخطوط-رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالأزهر.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٣/٥٢٧.

(٣) انظر: القصة على لسان الحيوان في الشعر المصري الحديث: رفعت بركات محمد سرور، مخطوط-رسالة ماجستير-كلية اللغة بالأزهر. ١٩٨٦م.

السمو والضعة

وأخيراً فإن العاطفة عند شوقي والغزاوي تعد من العواطف الأدبية السامية على وجه العموم. وذلك إذا استثنينا عندهما عواطف الاستجداء الصريح والتذلل الواضح للممدوح، إضافة لماورد عند شوقي على الخصوص من وصف للمراقص والخمر[1] وهو قليل مقارنة بحجم نتاجه الشعري فليس له في هذا الجانب سوى قصائد ومطالع معدودة.

ومن الدلائل على سمو العاطفة عندهما تقدم الحس الديني لديهما على البواعث الشعرية الأخرى.

(١) انظر: "إقباله على ملذات الحياة ورغبته في الاستمتاع بها" ضمن بواعث التجربة لديه في الباب الأول.

الفصل الثاني
المعاني والأفكار

الفكر عنصر مهمٌ من عناصر التجربة الشعرية، فالشعر ميدانه العواطف المؤثرة، وبالمواءمة بين العاطفة والفكر يستطيع الشاعر الموهوب التعبير عن مشاعره ومواقفه وأفكاره.

ولا ينبغي للشاعر أن يُسرف في الفكر فيميل إلى الفلسفة والمنطق، حتى لايفقد شعره دفء العاطفة وينضب فيه الوجدان.

ويتناول النقد الأفكار والمعاني الشعرية من عدة جوانب، ويعرضها على عددٍ من المقاييس، فيقوّمها من حيث الوضوح والغموض، ومن حيث الابتكار والتقليد، ومن حيث العمقُ والسطحية، ومن حيث الصواب والخطأ.

وسأعرض هنا للمعاني والأفكار بين شوقي والغزاوي. مبيناً سماتها في ضوء تلك المقاييس.

الوضوح والغموض

إن المعاني والأفكار ينبغي ألاّتغوص في الغموض لأنها إن غمضت تستغلق على المتلقي فلا تؤثر فيه حينئذ، لأن الشعر الغامض لايُفهم ولا يُتذوّق. وهي «بطبيعتها معرضة للغموض، وخاصة في الشعر لضيق مجاله بسبب الوزن، وبسبب التكثيف الذي يستدعيه ضيق مساحة البيت المكانية ومسافته الزمنية»[1].

---

(١) الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم: عبدالرحمن محمد القعود، ١٥٢، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

ولغموض المعاني أسباب عديدة يعود بعضها إلى نفسية الأديب ذاته، ويعود بعضها الآخر إلى استخدام ألفاظ صعبة أو تراكيب معقدة أو خيال موغل، وقد يكون منشأ الغموض المستوى الثقافي والفكري لدى السامع والمتلقي.

والوضوح سمة عامة في شعري شوقي والغزاوي، ولعل ذلك راجع إلى أن كلاً منهما يخاطب في شعره ـ غالباً ـ جمهورا عريضا يتمثل في الأمّة، وهذا مقام لايحسن فيه الغموض أبداً.

ومع هذا فقد شاب الغموض بعض المعاني عندهما. وتختلف أسبابه ودواعيه عند شوقي عنها عند الغزاوي.

فغالباً ماينشأ غموض المعاني الشوقية عن **الرموز التاريخية التي يضمنها شوقي شعره**[1]. والجدير بالذكر أن الشخصيات والأحداث التاريخية تختلف فيما بينها في الذيوع والشهرة. فالأنبياء من الشخصيات التاريخية الذائعة الشهرة، فلايخفى ـ غالباً ـ على السامع ماصاحبها من الحوادث والسير. ولكن بعض الشخصيات ليس لها من الشهرة مايجعل السامع يتعرف عليها، «فيذهب الخفاء بمزيتها وبقيمتها في وصل الحاضر بالماضي»[2]. وذلك مثل شوقي عندما يقول:

وتقدّمَتْ تُزجي الصفوفَ كأنها جاندركُ في يدها اللواء مظفرا[3]

---

(١) الصراع الأدبي بين القديم والجديد:علي العماري، ٢٩٦، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ.

(٢) المتنبي وشوقي:عباس حسن، ٢١٤.

(٣) الموسوعة الشوقية:٣/ ٢٨٠.وجان دارك (١٤١٢-١٤٣١م) فتاة فرنسية كانت ترى رؤى وتتخيل أصواتا تطالبها بطرد أعداء فرنسا وتتويج ولي العهد ملكا.ومضت في تنفيذ ذلك واطمأن لها ولي عهد فرنسا وجعلها على رأس جيشه، ودخلت في معركة مع الإنجليز وانتصرت عليهم.وبعدها أصبح ولي العهد ملكا على فرنسا.وشوقي يشبه قضية المطالبة بالاستقلال بجاندارك.(الموسوعة العربية العالمية:٨/ ١٦٨)

فجاندرك هذه فتاة فرنسية عُرفت بالشجاعة والوطنية. ولكن هل هي معروفة لدى السامع العربي لكي يثبت المعنى في روعه؟

ومثل ذلك ـ أيضاً ـ عندما يقول:

ولما أتيت القيصرين ويوسفاً وأوسكار والمختار في قومه الندبا[1]

فحشده لخمس رموز تاريخية في بيت واحد كسا المعنى غموضا وإن كان بعض هذه الرموز مما لايخفى على السامع.

ومن الأمثلة ـ أيضاً ـ قوله في حريق ميت غمر يعزي القرية:

ما جل خطبٌ ثم قيس بغيره إلا وهوّنه القياس وصغّرا[2]
فسلي عمورة أوسدوم تأسّياً أو مرتنيق غداة ووريت الثّرى
مدنٌ لقين من القضاء وناره شرراً بجنب نصيبها مستصغرا

فعمورة وسدوم ومرتنيق رموز تاريخية،لم يكشف عنها شوقي تماما وإنما أشار إشارة خفيفة إلى حقيقتها[3].

وكذلك قوله في قصيدة توت عنخ آمون:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤٠٤.والقيصران :قيصرا روما.ويوسف أي يوسف العظمة من كبار الشهداء في سبيل استقلال سوريا.وأوسكار:هو أوسكار الثاني ملك السويد.والمختار هو عمر المختار رحمه الله من شهداء ليبيا.

(٢) المصدر نفسه:٣/٤١١.

(٣) عموره: المقصود عامورة وهي مدينة قديمة على البحر الميت أمطرها الله بغضبه النار والكبريت مع مدينة سدوم.وسدوم من مدن قوم لوط عليه السلام خسف الله بها وبأهلها الأرض جزاء فعلهم.ومرتنيق: المقصود مارتينيك وهي من جزر الهند الغربية،وقد حصل بها بركان عنيف سنة ١٩٠٢م أودى بحياة ثلاثين ألف قتيل. (الموسوعة الشوقية:شرح إبراهيم الإبياري، ٣/٤١١)

أمن سرق الخليفة وهو حي يعف عن الملوك مكفنينا[1]

فالشاعر يقصد بالخليفة السلطان وحيد الذي ألجأه الكماليون إلى النزول عن العرش. فحملته مدرعة بريطانية إلى مالطة ليفلت من المحاكمة وهذا ماأراده شوقي بسرقة الخليفة حيا. والبيت إشارة إلى اتهام العالم الإنجليزي كارنرفون الذي لم يفصح عن محتويات المقبرة الفرعونية واتهم بسرقة بعض محتوياتها.

وقد ينشأ الغموض عند شوقي لأسباب نفسية خاصة به.كأن يتحرج من الإفصاح عن أمور سياسية أوغير سياسية. وذلك مثل قوله عن البرلمان الذي أسماه حصن الحق:

احتل حصن الحق غير جنوده وتكالبت أيدٍ على المفتاح[2]

فهو لم يرد تسمية المحتلين وأصحاب الأيدي الخفية، والشاعر يشير إلى الجنود الذين احتلوا مجلس النواب لكي يمنعوا النواب من الاجتماع فيه.

وهذا الأمر ـ أعني عدم إرادة الشاعر الإفصاح ـ جعله يلجأ ـ كما ذكرت سابقاً ـ إلى الشعر الرمزي والقصص على لسان الحيوان[3]خاصة عند ما يتحدث عن نفسه وأحواله مع الحكم والسياسة. وقصيدته في الشاب إبراهيم الورداني ـ التي أشرت إليها سابقاً ـ خير مثال لذلك. وسأذكر جملة من أبياتها هنا لنتبين مواطن التلميح المتعمَّد فيها. يقول شوقي بعد المقدمة:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه:٢/٥٢٦.

(٣) انظر الباب الأول في الحديث عن الشعر الرمزي عند شوقي.

يا ليت شعري يا أسيـ ـرشجِ فؤادك أم خلي[1]

وحليف سهد أم تنا م الليل حتى ينجلي

بالرغم مني ما تعا لج في النحاس المقفل

حرصي عليك هوىً ومن يحرز ثمينا يبخل

والشحّ تحدثه الضرو رة في الجواد المُجزل

أنا إن جعلتك في نضا رٍ بالحرير مُجلّل

ولففته في سوسنٍ وحففته بقرنفل

وحرقتُ أزكى العود حو ليه وأغلى الصندل

وحملتُهُ فوقَ العيو ن وفوق رأس الجدول

ودعوت كلَّ أغرّ في مُلك الطيور مُحجّل

فأتتكَ بين مُطارحٍ ومحبِّذٍ ومدلِّل

وأمرت بابني فالتقا ك بوجهه المتهلِّل

وحملتُهُ فوقَ العيو ن وفوق رأس الجدول

بيمينه فالوذجٌ لم يُهدَ للمتوكل

وزجاجةٌ من فضةٍ مملوءةٌ من سلسلِ

ما كنتُ يا صدّاح عنـ ـدك بالكريم المفضل

شُهْدُ الحياة مشوبةٌ بالرّقّ مثل الحنظل

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٣١٩.

والقيد لو كان الجُما ... ن مُنظّماً لم يُحمل
يا طيرُ لو لا أن يقو ... لوا جُنّ قلتُ تعقّل
إسمع فربّ مُفصِّلٍ ... لك لم يُفِدْك كمُجمِل
صبراً لما تشْقى به ... أو ما بدا لك فافعل
أنتَ ابن رأيٍ للطبي ... عة فيك غير مبدّل
أبداً مروعٌ بالإسا ... رِ مهدّدٌ بالمقتل
إن طِرْتَ عن كنفي وقعْـ ... ـتَ على النسور الجهّل

فمن الأبيات يتبين، أن التعريض يكمن في عدة جوانب. وهي كما يلي:

أولاً: الكناية عن الورداني بالبلبل الصدّاح. وكأنه يراه صادحاً بالحق، رافعاً صوته به دون خوف، خلافاً لمن خاف وآثر السلامة فصمت.

ثانياً: لايستطيع شوقي أن يصرّح عن مدى إعجابه بهذا الشاب وإشفاقه عليه، ولكنه كنّى عن هذا الشعور بأمور كثيرة. فهو لن يوفي هذا البلبل الصداح حقه حتى ولو ألبسه الذهب والحرير ولفّه بالسوسن، وحفّه بالقرنفل، وعطّره بثمين العود والصندل، وحمله فوق العيون، وجعل الجداول تجري من تحته، وحمل كرام الطير تأتيه وتحييه وتدلّله. كل هذا في نظر شوقي لايوفي مكانة البلبل الصداح، يظهر ذلك في قوله مخاطبا إياه:

ما كنتُ يا صداح عنـ ... ـدك بالكريم المُفضل

ثالثاً: يظهر في القصيدة مدى سيطرة الوضع الاجتماعي والسياسي على

شوقي، وهما اللذان يمنعانه ـ أحياناً ـ من إبداء رأيه صراحةً ودون خوف. مما يجعله يلجأ إلى الرمز والتعريض.

يتبين ذلك في قوله:

يا طير لو لا أن يقو لوا جُنَّ قلتُ تعقّلِ

أي لولا يتهمونني بالجنون قلت لك احكم بمايمليه عليك عقلك. فهو يهتم لما يقوله الناس عنه، وهو لم يحدد الفاعل في يقولوا، فقد يشمل عامة الناس وكبراء الدولة وأهل الصحافة وغيرهم.

رابعاً: يظهر سخط شوقي على من حكم بإعدام الشاب في قوله:

إن طِرْتَ عن كنفي وقعْـ ـتَ على النسور الجهّل

فهم جهّال، وهم أيضاً كالنسور التي تأكل الجيف ولا تتحرّى عن فرائسها، وإنما تفرح بما يبقى من صيد غيرها. ولعلّ هذه هي نفسها نظرة شوقي للجنة الحكم، حيث لم يغيروا من مجرى التحريات شيئاً وإنما دُفعت إليهم الفريسة «الشاب» فأكلوها.

خامساً: يلجأ الشاعر ـ كعادته ـ إلى التاريخ ليُؤيد وجهة نظره، ولأن التاريخ فيه من التلميح مايُغني عن التصريح.وذلك حيث استشهد بحادثة التحكيم التي حصلت بين معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص من جهة وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري من جهة أخرى رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

والشاعر يخرج من خضمّ هذه الحادثة بحكمة مريرة، حيث يقول عن الدنيا:

جُعلـــت لحـــرِ يُبتـلى في ذي الحيـاة ويبتلي
يرمي ويُرمى في جها دِ العيش غـير مغفّـل
مستجمـعٍ كالليث إن يُجهـلْ عليـه يَجهـل

والغموض عند شوقي ينشأ ـ أحياناً ـ من صعوبة الألفاظ. وقد ذُكر أنه في بعض المرات «أحبّ أن يظهر للناس مقدرتـه اللغويـة فكـان يـأتي بالغريب ليبهر الناس. فكان غير موفق».[1] في ذلك.

ومن أمثلة ذلك قوله:

خلّوا الأكاليل للتاريخ إن له يداً تؤلفها دراً ومخْشَلَبا[2]

وقوله ـ أيضاً ـ:

إذا مـا بلـغ المجلـس أمثـالك فـي النُطْـسِ[3]

وقوله كذلك في القصيدة نفسها:

تأمّـل حـالـة الدنيـا بعـين الفهِـمِ النِّـدُسِ[4]

وقوله في سينيته المشهورة:

---

(١) حياة شوقي:أحمد محفوظ،١٠٣.

(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٢٧٢. المخْشَلَب:خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ(شرح إبراهيم الإبياري : الموسوعة الشوقية ،٢/٢٧٢).

(٣) المصدر نفسه:٤/٢٤.والنُطُس:الأطباء الحذاق(القاموس:٢/٣٧١).

(٤) النِّدُس:الفطن (القاموس:٢/٣٧٠).

غشيت ساحل المحيط وغطّت لُجّة الرومِ من شراعٍ وقلس[1]

ومن الطريف أن شوقي سُئل يوماً عن المراد بالقلس فلم يتذكر معناها[2] مما يدل على غرابة الكلمة.

وإذا التفتنا إلى معاني الغزاوي فإننا نجد غموضها ـ غالباً ـ ينشأ عن **صعوبة الألفاظ وتعقيد التركيب**، وليس المقام مناسباً للحديث عن الألفاظ أو التراكيب ولكن لابأس أن أشير إلى بعض الأمثلة.

فمن ذلك قوله يمدح الملك:

يكاد فيك الدجى ينفي غلائله ويكتسي بالضحى بُرُداً ويبترج[3]

وقوله:

لنا مثلٌ أعلى عليه ازدحامنا هو الوحي لاما أحدثوه وبذرقوا[4]

والعجيب في الأمر أن الغزاوي استخدم هذه المفردة الغريبة في قصيدة أخرى فقال:

ومن أمر ربي الروح ماهو كنهها فإن هم وعوا أسرارها فليبذرقوا[5]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٣٢.والقَلْس:حبل غليظ ضخم من حبال السفينة(القاموس:٢/٣٥٢).

(٢) انظر:حياة شوقي:أحمد محفوظ، ١٢٤.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/٩٩١.ويبترج:يفتعل من البرَّج وهو أن يكون بياض العين محدقاً بالسواد كله(اللسان:١/٣٥٩)، وقد استعار الشاعر المعنى فجعل سواد العين لظلمة الليل وبياضها للضحى وهذا تكلّفٌ واضح من الشاعر.

(٤) المصدر نفسه:٣/١٠٤٦.

(٥) المصدر نفسه:٣/١٠٨٢.والبذرقة:الخفارة في الطريق(اللسان:١/٣٥٢).

وكأنه لايرى غرابة في مثل هذه الألفاظ، نظرا لاتساع قراءاته في اللغة والمعاجم.

ومن الشواهد ـ أيضاً ـ على غرابة الألفاظ عنده قوله يدعو للممدوح:

وعش طويلاً وزد طولاً وفض نعماً وانشر ضحاك ومن يشناك يجتدع[1]

وقوله كذلك يصف المقاتلين البسلاء:

لن يهابوا الموت إن سوق الوغى أرخص الأنفس فيها ذو ذلق[2]

وقوله يصف المصلين يوم العيد:

كأنما هم وقد ضاقت سرائرهم من السجود جباهٌ زانها الشغن[3]

وغرابة الألفاظ ـ غالباً ـ تنشأ من عزلتها عن اللغة المتداولة، كما يتضح ذلك فيما سبق، أو عن مخالفة الشاعر لقواعد اللغة المعتبرة كما سأبين ذلك بالشواهد عند الحديث عن الألفاظ إن شاء الله تعالى .

وقد ينشأ غموض المعاني عند الغزاوي عن **الإشارات والتلميحات إلى بعض الشخصيات أو الأماكن أو الأحداث التاريخية** التي قد تخفى على السامع.وذلك في مثل قوله يصف طلاب مجالس العلم في زمنه وكيف أنهم لايتروون في إبداء آرائهم:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠٥١.ويجتدع:من الجدع وهو القطع(اللسان:٢/٢٠٧).يدعو على شانئ الملك بالقطع.

(٢)المصدر نفسه:٢/٥٨٣.والذلق:حد كل شيء من سكين ونحوه(اللسان:٥/٥٤).

(٣) المصدر نفسه:١/٢٤١.والشغن:ذكر د/العطوي أن الشغن ماتفرق من الأوراق بعد يبسه، وهو يقصد آثار السجود. وانظر:المرصاد، إبراهيم هاشم فلالي، ١٧٤، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠٠هـ.

كـأنما بـابـلٌ فيهـم منشرةٌ كعهدها بأشورٍ وابن ذي عنق[1]

وهو ممن يكثر إيراد أسماء الأماكن في شعره[2]، وقد يكسب المعنى ذلك بعض الغموض خاصة إذا كان المكان ليس مشهوراً. ومن هذا قوله ـ على سبيل المثال ـ يرحب بعاهل المغرب عند زيارته:

تحييك منا يابن يوسف مكة وطيبة والبيت الحرام المخلّق[3]
تحييك أبها والرياض وحائلٌ وكل أديمٍ تحت وطئك يورق
بها لك أخطأت الرباط وطنجة ومكناس والبيضاء وهي تبلّق
إذا الطير من فوق الغصون شدا أعاد حراء شدوها وشرقرق
ولجت بها تهفو إليها مليخة دمشق وبغداد ومصر وطبرق

فأين هي شرقرق؟. كما أن معنى البيت الثالث يكتنفه بعض الغموض، وأرى الأسلوب سببا في ذلك حيث إن تعاقب الجار والمجرور في أول البيت أضاع المعنى.

والاستفهام عند الغزاوي ـ أحياناً ـ يكون مطية الوقوع في عدم توفية المعاني حقها.مثال ذلك قوله:

ما الأرض ما الأجرام ما فوق الثرى ما تحته ما الناس ما الأطوار[4]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٣٢٩. وابن ذي عنق:يقصد به الحجاج بن ذي العنق خويلد بن هلال البجلي، وهو شاعر جاهلي، لقب أبوه بذلك لغلظ رقبته (القاموس:٣/٣٨٩).

(٢) الشعرالحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن:د/عبدالله الحامد، ٦٩.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠٤٤.

(٤) المصدر نفسه:١/٣٢٢.

خلْـقٌ يصير إلى الفنـاء و إنمـا هـي جـنـة مـوعـودة أو نـــار

فالبيت الثاني لم يجب على كـل الاسـتفهامات المتواليـه في البيـت الـذي سبقه، وهذا أدى إلى عدم توفية المعنى وغموضه.

العمق والسطحية

وإذا كان الوضوح سمة مطلوبة في المعاني ـ كما أسلفت ـ فإن ذلك لايعني أن تكون هذه المعاني سطحية تافهة لاعمق فيها.

والتطويل في القصائد مظنة الوقوع في المعاني السطحية التي لاطائل تحتها. فنجد الأبيات حينئذ رصفاً من الكلمات الجوفاء التي أشبه ماتكون بفقاعة صابون كما يقول بعض النقاد[1].

ومعاني شوقي والغزاوي في مرتبة متوسطة بين العمق والسطحية . ولكن شوقي لمّا كان للتاريخ والسياسة عنده شأنٌ هام، أصبحت معانيه أقرب إلى العمق.

وقد اتجه شوقي في شعره إلى مايؤكده ويمكّنه في نفس السامع. فاستخدم الجناس والسجع والطباق [2].

من ذلك قوله في مدح النبي ﷺ:

أنصفتَ أهل الفقر من أهل الغنى فالكلّ في حـق الحـياة سواء[3]

وقوله في وصفه لتوت عنخ أمون:

---

(١) انظر:الشعر في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن:د/عبدالله الحامد،٦٦.

(٢) انظر:دراسات منهجية في علم البديع:د/الشحات أبوستيت، ٥٠، ١١٢، ٢١٨، ط١، ١٩٩٤م.

(٣) الموسوعة الشوقية:٢/٩.

هـو مـن قبـور المُتلفـين ومـن قصـور المـترَفـين[1]

.....

ميتٌ تحيـط بـه الحيـا ةِ زمانـه معـه دفـين

ثم يقول واصفاً الكنوز التي وُجِدت في القبر:

صـورٌ تـريـك تحركـاً والأصل في الصور السكـون

ويمـرّ رائـع صمتهـا بالحـس كالنـطـق المبـين

وانظر إلى الطباق كيف أكّد المعنى إذ يقول:

بـلادٌ مـات فتيتهـا لتحيـا وزالـوا دون قومهم ليبقُوا[2]

وإذ يقول ـ أيضاً ـ في ذكرى محمد علي:

ليس من يفتح البلاد لتشقى مثل من يفـتح البلاد لتسعد[3]

ولنستمع إليه ـ أيضاً ـ يرثي أحد أصدقائه المقربين وقد كانا معاً قبل الوفاة بليلةٍ واحدة:

سهِرنـا قبيـل الـردى ليلـةً ومادار ذكرُ الردى في السمر[4]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٥/٣٠٥.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٩٤.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٣٧.

(٤) المصدر نفسه:٣/٣٩٨.

فقمتَ إلى حفـرةٍ هُيِئتْ وقمتُ إلى مثلهـا تُحتفـرْ
ولـو أن لي علمَ مـا في غـدٍ خبأتُك في مقلتي مـن حـذرْ

فالجناس هنا جمع بين حفرة القبر التي أوى إليها صاحبه، وبين الحُفَر التي يحفرها أعداء شوقي له.[1]

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي، نجد أنه استعان ـ أيضاً ـ بالمحسنات البديعية لتوكيد المعنى وتقويته. من ذلك قوله:

عانى المشقّة في السلام وفي الوغى ورعى السهاد ولم يُضره عناء[2]

فالمقابلة بين السلام والوغى، أدّت المعنى في أخصر صورة، وأوحت إلى ذهن السامع كثيراً من المعاني. كما أن رد العجز على الصدر جمع هذه المعاني المتبادرة إلى الذهن في إطارٍ واحد.

وكذلك قوله:

كان منّا الذين سادوا وشادوا ولـنا أسـوةٌ بهـم واقتـداء[3]

وقوله:

وأشـدّ مـا يُبـلى بـه ذو غـيرةٍ تـرويعه في عُقره وعـروقه[4]

---

(١) البديع في شعر شوقي:د/منير سلطان، ١٥٠.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٣٦.
(٣) المصدر نفسه:١/٢٤٩.
(٤) المصدر نفسه:٤/١٤٣٨.

فالجناس بين العُقر والعروق يلفت نظر السامع إليهما، وهما كنايةٌ عن الدار و الأهل.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله في رثاء أحد أصدقائه:

ما أنتَ تُرثى ولكن الرثاء لمن ... يكاد بعدك أن يفنى من الحزن[1]

طوباك بالخير كل الناس تذكره ... مذ كنتَ تبذله في السر والعلن

ولن يموت الـذي تحيا مـآثره ... كلا وإنك من يبقى على الزمن

فتكرار الرثاء في البيت الأول مرتين، منفياً في الأولى ومُثبتاً في الثانية يشد انتباه السامع ويجعله يتأمل معناه فيهما. والمقابلة بين السر والعلن أكدت المعنى وجعلته أكثر شمولاً. كما أن المقابلة بين موت الإنسان وحياة مآثره تبعث في النفس كثيراً من التأمّلات.

وكذلك قوله :

إنه التـوفيـق ممّـن لا يُرى ... ويرى آثاركـــم في العالمـــين[2]

فالمقابلة بين «لايُرى» و«يرى»أكّدت المعنى في ذهن السامع. بدليل أنه لو لم يقابل ـ مثلاً ـ وقال:إنه التوفيق من الله الذي يرى آثاركم في العالمين. لما كان له من الأثر في نفس السامع مثل البيت.

وحرص الشاعرين على عمق المعاني، لايعني عدم وقوعهما في المعاني التافهة السطحية. وقد أشرت في حديثي عن العاطفة إلى بعض هذه المعاني عند الشاعرين.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٧٠.

(٢) المصدر نفسه:٣/١١٩٢.

ومن الأمثلة ـ أيضاً ـ قول شوقي[1]:

هل كلام العباد في الشمس إلا أنها الشمسُ ليس فيها كلام[2]

وقوله:

يا بارك الله في عباسِ من ملكٍ وبارك الله في عمّات عباسِ[3]

وقول الغزاوي يرحب بالرئيس المصري جمال عبدالناصر:

مرحباً بالرئيس في عزماته وسرابيله وحسن سماته[4]

فالشطر الثاني فيه من تفاهة المعنى مافيه.

وقوله يمدح الملك سعود على توسعة الحرم المكي:

وجدّدت منه السقف والباب قبله بماهو أحرى بالعظيم وأجدر[5]

وقوله ـ كذلك ـ يصف الصوم:

هل الشهر شهر الصوم إلا تطوّع وهل هو إلا للمنيبين مطمع[6]

فهو في غاية البرودة، وكأنه يرى أن لاداعي للحديث عن شهر رمضان ووصفه، فماهو إلا تطوع ومطمع للمنيبين.

---

(١) انظر: المتنبي وشوقي: عباس حسن، ٢٣٩.

(٢) الموسوعة الشوقية: ١٢٨/٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٥/٤.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ١٠١٩/٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٨٤/٣.

(٦) المصدر نفسه: ١٤٦٩/٤.

ومن معانيه التافهة جداً قوله:

وما من عقدة في الكون إلا لها حلٌّ ولكنّا عيينا[1]

فالمعنى مبتذل وسطحي، يدور على ألسنة العوام، ولو غيّر في ألفاظه لارتفع المعنى.

وقد أخذ بعض النقاد على شوقي تفاهة معانيه في بعض شعره. خاصة العقاد في الديوان وميخائيل نعيمة في الغربال. وأنا أتفق مع الأستاذين في المبدأ ولكني أرى أنهما لم يصيبا في اختيار الشواهد[2].

فالعقاد عندما يشبه[3] قول شوقي:

كل حيٍّ على المنيّة غادي تتوالى الركاب والموت حادي[4]

بقول الشحاذين والمكدين، فإنه يبالغ في ذلك. ففي البيت صورة فنية لا تخفى على متأمّل، حيث شبه المنية بالراحلة التي تُركب وشبه الميت بمن يركبها، ثم ذكر كثرة الركاب التي يحدوها الموت.وقد يتبادر إلى الذهن أن «المنية» في الشطر الأول و«الموت» في الشطر الثاني هما بمعنى واحد لأن المنية هي الموت فكيف تكون تارة راحلة وتارة أخرى تكون الحادي؟. والجواب عن ذلك أن المنية في البيت يُقصد بها حالة الوفاة

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/٤٦٠.

(٢) قد ذكرت جملة من الشواهد على تفاهة المعنى عند شوقي والغزاوي في الصفحة السابقة وفي الحديث عن العاطفة لديهما في الفصل السابق.

(٣) الديوان في الأدب والنقد:العقاد والمازني، ١٤.

(٤) الموسوعة الشوقية:٣/٧٦.

الواحدة التي تصيب فرداً من الناس، أما الموت فهو ذلك الأمر العام الذي أوجده الله ـ عزوجل ـ مقابل الحياة.

وميخائيل نعيمه يبالغ ـ أيضاً ـ عندما يشبه[1] قول شوقي:

وكـل امـرئٍ سيؤوب يومـاً إذا رُزِق السلامـة والإيابا[2]

بقول الشاعر:

الليل ليلٌ والنهـار نـهار والأرض فيها الماء والأشجار[3]

فإذا أخذنا في الحسبان أنّ هذا البيت صدر عن إنسانٍ، تعرّض للنفي والبعد عن أهله وذويه ظلماً واعتسافاً، وكان يدور في خلده أنه قد لايعود إلى وطنه قريباً، لأن الأمر بيد أعدائه. إذا تأمّلنا كل هذا لوجدنا أن البيت يعبّر عن معاناة حقيقية مرّ بها الشاعر. فشوقي يشك في السلامة والإياب. وهذا الشك يلوح في استخدامه «إذا» الشرطية[4].

الصحة والخطأ

ومن المقاييس الهامة التي تُطبق على معاني الشعراء، مقياس الصحة والخطأ.

فشوقي مخطىء في المعنى عندما يقول في رثاء مصطفى كامل:

---

(١) الغربال: ميخائيل نعيمة، ١٦٤، دار نوفل، بيروت، ط١٦، ١٩٩٨.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/ ٢٥٠.

(٣) لم أعثر على قائله.

(٤) قد تستخدم إذا مع الأمر المشكوك في وقوعه. انظر: الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ٢/ ١٥١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-بيروت، ١٤٠٨هـ.

السكة الكبرى حيال رباهما منكوسة الأعلام والقضبان[1]

«وقضبان السكك الحديدية لاتنكّس لأنها لاتُقام على أرجل وإنما تُطرح على الأرض».[2]

ومن أمثلة المعاني الخاطئة ـ أيضاً ـ عند شوقي، قوله يصف الطائرات في الجو:

بعضها في طلب البعض كما طارد النسر على الجو القطاما[3]

«فالنسر لايطارد الصقر، لأنه يأكل من صيد غيره ومن الجيف، والصقر من عتاق الطير وأحرارها كالعقاب ... فتصيد وتترك فرائسها للنسور وغيرها من الطيور».[4]

ومن ذلك أيضاً قوله عن الاستعمار وأربابه:

رأس الحماية مقطوعٌ فلاعدمت كنانة الله حزماً يقطع الذنبا[5]

فإنه عكس قول الشاعر:

لا تقطعنْ ذَنَبَ الأفعى وترسلها إن كنتَ شهما فأتبعْ رأسها الذنَبا[6]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٥٥.

(٢) الديوان في الأدب والنقد:العقاد والمازني، ١٤٢.

(٣) الموسوعة الشوقية:٥/١٤٠.

(٤) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم عبدالله سمان، ٢٣٣.

(٥) الموسوعة الشوقية:٢/٢٧٢.

(٦) لم أعثر على قائله، وقد ذكره الرافعي في كتاب"وحي القلم" غير منسوب –أيضا–.

وهذا كلام على سياقه من العقل، فما غناء قطع ذنب الأفعى إذا بقي رأسها، وإنما الأفعى كلها في هذا الرأس.[1] وقد ذكر الباحث محمد عبدالرحيم سمان [2] أن المشبه به في البيت ليس هو عين المشبه، وأن الاستعمار وإن زال إلا أن له أذناباً داخل البلاد وهذا ما أراد شوقي، ولعل هذا الفهم أحرى بالقبول.

والغزاوي أخطأ المعنى حين قال:

فعش ياطويل العمر طوداً ممنعاً ونحن لك الأدراعُ والخيلُ والجند[3]

فقد يكون الشعب درعا يحمي الوطن والملك، وقد يكون كل الشعب مجنّداً تحت إمرة ولي الأمر، ولكن كيف يُفهم أن يكون الشعب خيولاً، والخيول لاتستخدم إلا للركوب؟

وأخطأ كذلك حيث يقول:

سألت شمس الضحى والبدر مكتملاً ما بال ضوئكما فوق الذي سبقا[4]

أتستمدان هذا الضوء من فلك أعلى سناءً فقالا ربما اتفقا

فكيف يمكن أن تجتمع الشمس والبدر في آن واحد؟ وقد يعترض معترض فيقول: إن الشاعر أراد أنه سألهما منفصلين وليس في وقت واحد. والجواب عن ذلك أن هذا خلاف ما تقتضيه التثنية في الخطاب.

---

(١) وحي القلم:مصطفى صادق الرافعي،تحقيق سعد كريم الفقي،٢٤٥/٣،دار القلم العربي،سوريا،ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان، ٢٣٠.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٩٩٩/٣.

(٤) المصدر نفسه:١٥٨٩/٤

ومن صوره التي تحتمل الخطأ ـ في رأيي ـ قوله:

صافحوا الشمس والثموها اشتياقا وقـفوها إن اسـتطعتم لحاقا[1]

فهو يشبه الممدوح بالشمس، وهذا أمر محبب في المديح على غرار قول الشاعر:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[2]

ولكن الغزاوي أراد أن يضيف معنى جديدا فوقع في الخطأ. إذ كيف يُعقل أن تصافح وتُقبّل الشمس المحرقة ذات الأشعة الضارة وهما يقتضيان القرب، والتشبيه في البيت معناه أن القرب من الممدوح فيه إضرار كبير بالناس، ولا أظن الشاعر يقصد هذا، ولكن المعنى يدل على ذلك. إن التشبيه بالشمس يكون محبذا إذا كان وجه الشبه التفرد والوضاءة والدفء، أما أن يكون وجه الشبه شرف القرب والمصافحة فهذا أمر لايقبله العقل.

وهذا العيب نادرعند الشاعرين. فإن الوقوع في المعاني الخاطئة يندر مع الشعراء المتمكنين من صناعة الشعر أمثال شوقي والغزاوي.

التأثر بالمعاني الدينية

وأقصد بذلك معاني القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. فقد تأثر الشاعران بهما وغرفا من معينهما الصافي. فتجلّى ذلك في شعريهما.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/ ١٩٤.

(٢) ديوان النابغة: صنعة ابن السكيت، تحقيق د/شكري فيصل، ٧٩، دار الفكر، ١٣٨٨هـ.

فمن ذلك عند شوقي ـ على سبيل المثال ـ قوله:

يـا أصغـريّ بـأي آ لاء العـزيز تكـذبـان[1]

فالتأثر فيها بقول الله تعالى ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2] واضح.
وقوله يصف الأولاد:

زينـة ومصلحـة واستراحـة ودد[3]
فتنـة إذا صلحـوا محنـة إذا فسـدوا

فإنها مستقاة من قوله تعالى ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[4] وقوله عز وجل ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[5].
وقوله ـ أيضاً ـ:

كونوا الجدار الذي يقوى الجدار به فالله قد جعل الإسلام بنيانا[6]

مأخوذ من الحديث النبوي «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[7].

ومن ذلك عند الغزاوي قوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٣٠.
(٢) سورة الرحمن:الآية ١٣ .
(٣) الموسوعة الشوقية:٣/٨٥.
(٤) سورة الكهف:الآية ٤٦.
(٥) سورة الأنفال:الآية ٢٨.
(٦) الموسوعة الشوقية:٥/٢٤٦.
(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري:ابن حجر العسقلاني،١/٦٧٤،دار الريان للتراث ، القاهرة ،ط١، ١٤٠٧.

والباقيات الصالحات ذخائرٌ من دونها كل الحطام مبتر[1]

فهو من قول الله تعالى ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾[2] أو من قوله عزوجل ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[3]

وقوله:

فإن لم نكن ممن يراه فإنه يرانا وما نُخفيه عنه يسطّر[4]

فإنه من قول الله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[5] أو من قوله عز من قائل ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[6].

وقوله ـ أيضاً ـ يخاطب الحجيج :

واعلموا أنّا وأنتم نستوي يوم لا ينفع مالٌ وثراء[7]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٧٦.

(٢) سورة مريم:الآية ٧٦.

(٣) سورة الكهف:الآية٤٦.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٥٢٦.

(٥) سورة الحاقة:الآية ١٨.

(٦) سورة غافر:الآية١٩.

(٧) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٤٣٣.

من قوله تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

ومن تأثره بالحديث النبوي قوله:

ما الناس إلا الأكثرون تطاولاً ... وتحاملاً وتحايلاً وتقحّما[2]

لا تأسَ ما في الألف منهم واحدٌ ... تهنا به شخصاً تقيّاً مسلما

مائة من الإبل الشوارد ما بها ... للسفر راحلة تُتاح وقلّما

فمعنى الأبيات متأثر بقوله ﷺ «تجدون الناس كإبل مائة، لايجد الرجل فيها راحلة»[3].

وكذلك قوله:

إذا اعتزّ بين المشرقين موحدٌ ... فبشراه بشرانا بماهو يمنح[4]

وحيث اشتكى عضوٌ شكونا جميعنا ... وماطهّر الأخلاق كالدين مصلح

فإن البيت الثاني من الحديث النبوي «ترى المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمّى»[5].

والجدير ذكره أن شوقي قد يستمد بعض معانيه ـ أحياناً ـ من الإسرائيليات كما يظهر في قوله:

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٨.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٢٨٢.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/١٠١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤، بدون تاريخ.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/٣١٢.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٥٢، دار الريّان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧.

حمل الصليب إليك من فتيانه جـنداً وقاتل دونـكَ الحاخـام[1]

«فالصليب هنا كنايةٌ عن المسيحية، وهو عند شوقي رمز السلام»[2].

وكذلك قوله:

قفي يا أختَ يوشع خبّرينـا أحـاديث القـرون الغابرينـا[3]

وقوله في رثاء سعد زغلول:

شيّعوا الشمس ومالوا بضُحاها وانثنى الشرقُ عليها فبكاها[4]

ليتني في الـركبِ لمّـا أفلتْ يـوشعٌ همّت فنـادى فثناهـا

فالمعنى في الأبيات مستقىً من قصة يوشع أحد أنبياء بني إسرائيل ـ كما ورد في الإسرائيليات ـ وهي أنه دعا الله ألاّ تغرب الشمس يوم الجمعة حتى يفرغَ من قتال الجبارين[5].

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/١١٣.

(٢) إسلاميات أحمد شوقي:د/سعاد عبدالوهاب عبدالكريم،١٦٧،مكتبة مدبولي،القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

(٣) الموسوعة الشوقية:٥/٢٧٥.

(٤) المصدر نفسه:٥/٤٣٩.

(٥)انظر: إسلاميات أحمد شوقي:د/سعاد عبدالوهاب عبدالكريم،١٦٧.والحادثة مذكورة في كتب الحديث ،حيث قال ﷺ:غزا نبي من الأنبياء ....فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها عليّ شيئاً فحُبست عليه حتى فتح الله عليه" (صحيح مسلم بشرح النووي١٢ : / ٥٢) ،فاسم النبي في الحديث غير مذكور ،ولكنه معروف في الإسرائيليات أنه يوشع عليه السلام.

التقليد والتجديد

وجدّة المعاني مما ينبغي على الشاعر السعي إليه، وقد اهتم النقاد قديما وحديثا بهذا الجانب وميزوا بعض معاني الشعراء المبتكرة، وسموها بالمعاني العقم[1].

وذكروا أن الشاعر قد يأخذ معنى المتقدم عليه فيستخرج منه معنى آخر، وذلك مثل وضاح اليمن[2] حين أخذ بيت امرئ القيس:

سمـوت إليها بعدما نام أهلها سموّ حباب الماء حالاً على حال[3]

فقال:

فاسقط علينا كسقـوط الندى ليـلـــــة لاناهٍ ولا زاجـرِ[4]

«فولد معنى اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس، دون أن يشركه في شيء من لفظه، أو ينحو نحوه إلا في الفكرة، وهي لطف الوصول إلى حاجته في خفيه»[5].

أو أن يعمد الشاعر إلى معنى قديم فيزيد فيه. وذلك مثل قول جرير يصف الخيل:

---

(١) انظر: **حلية المحاضرة في صناعة الشعر** :محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق د/جعفر الكتاني ، ١٧٨/١.

(٢) وضاح اليمن هو عبدالرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، من آل خولان من حمير، شاعر رقيق الغزل، كان جميل الطلعة يتقنّع في المواسم.قدم مكة حاجاً في خلافة الوليد بن عبدالملك ، فرأى (أم البنين) زوجة الوليد فتغزل بها ، فقتله الوليد سنة ٩٠هـ.(الأعلام:٢٩٩/٣)

(٣) **ديوان امرئ القيس**:تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣١، دار المعارف-مصر، ط٣، بدون تاريخ.

(٤) البيت منسوب إلى وضاح اليمن في الأغاني، ٢٢٩/٦.

(٥) **أسس النقد الأدبي**:أحمد أحمد بدوي، ٣٨٣.

يخرجن من مستطير النقع دامية كـأن آذانها أطـراف أقـلام[1]

أخذه عدي بن الرقاع[2] فقال يصف قرن الغزال:

تزجي أغـن كـأن إبرة روقـه قلم أصاب من الدواة مدادهـا[3]

«فولد بعد ذكـر القلم إصـابته مـداد الدواة بمايقتضيه المعنى، إذ كان القرن أسود».[4]

وقد تفرّع عن هذه القضية باب كبير عرف بالسرقات الأدبية. فذكروا أنها لا تكون إلا في المعاني التي تحتاج إلى تفكر وتأمل ويختص بها الشاعر دون غيره[5]. أما المعاني المبتذلة كتشبيه الحسن بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر، أو المعاني التي سبق المتقدم إليها ثم تدوولت بعده واستفاضت على ألسن الشعراء فصارت كالمبتذلة فإنه لايُدعى فيها السرق بين الشعراء[6].

و الشاعر لايؤاخَذ على استفادته من معاني سابقيه، ولكن لابد أن يطبع هذه المعاني بطابعه الذاتي ويلوّنها بعواطفه ومشاعره ويزيدها «في

---

(١) لم أجد البيت في ديوان جرير، وهو منسوبٌ إليه في كتاب"أسس النقد الأدبي"لـ د/أحمدبدوي.

(٢) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع، من عاملة، شاعر كبير من أهل دمشق، كان معاصراً لجرير ومهاجيا له، مقدماً عند بني أمية، مداحاً لهم، مات في دمشق سنة ٩٥هـ تقريباً. (الأعلام:٤/٢٢١)

(٣) الأغاني:أبو الفرج الأصفهاني،٩/٣٥٧.

(٤) أسس النقد الأدبي:أحمد أحمد بدوي،٣٨٣.

(٥) انظر:العمدة في محاسن الشعر وآدابه:ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ٢٨١، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ.

(٦) انظر:الوساطة بين المتنبي وخصومه:القاضي الجرجاني،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ١٨٣-١٨٥، المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ.

حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها».[1] وبالتالي فلا تكون قالبا مكررا من المعنى السابق. وإن استطاع أن يبتكر معنى جديدا فهذا من السبق المحمود في الشعر.

وشوقي والغزاوي شاعران محافظان، ينهجان طريق القدماء في قصائدهما، فلا غرابة إذاً أن يكون للتقليد مظاهر واضحة لديهما. ويتمثّل أوضح هذه المظاهر فيما يلي:

أولاً: معارضة الشعراء السابقين.

وقد اختُلف في مفهوم المعارضة، فمن الدارسين من يرى اتفاق الوزن والقافية شرطا كافياً في تحديد المعارضة، ومنهم من يشترط اتفاق الموضوع أو الغرض ـ أيضاً ـ[2].

وأرى أن المعارضة تعني اتفاق الغرض ـ ولو في بعض جزئياته ـ والوزن والقافية. إذ إن كثيرا من القصائد تتشابه في الوزن والقافية دون أن يكون هناك تأثر وةمعارضة.

ومعارضة الشعر القديم تدل دلالة وافية على إعجاب المعارِض به، وتمثّله له فيما ينشئ من شعر. وقد يكون الغرض منها إثبات المقدرة الفنية وتفوقها على قرينتها في القصيدة المعارَضة. وهي إما أن تكون معارضة كلية أي لكل القصيدة القديمة، أو تكون معارضة جزئية.

وشوقي يُعد أكثر الشعراء المعاصرين ولوعاً بالمعارضات الشعرية. وله مايربو على ثلاثين معارضة صريحة. وفيما يلي بيان بأشهرها:

---

(١) كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، أبوهلال العسكري، تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ١٩٦، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: المعارضات الشعرية -دراسة تارسخية نقدية: د/عبدالرحمن اسماعيل السماعيل، ١٦-١٧، النادي الأدبي الثقافي بجده، ط١، ١٤١٥هـ. والمعارضات الشعرية في الأدب الحديث: د/محمد بن سعد بن حسين، ٣٠-٣١، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠٠هـ. وتاريخ المعارضات في الشعر العربي: محمد محمود قاسم نوفل، ١٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

مطلع القصيدة القديمة	الشاعر	مطلع قصيدة شوقي
علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات[1]	أبــو بكــر الأنباري	خلقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات[2]
عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولاأدري[3]	علــي بــن الجهم	أتغلبني ذات الدلال على صبري إذن أنا أولى بالقناع وبالخدر[4]
ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهراً تولى يابُثين يعود[5]	جميل بثينة	يمدّ الدجى في لوعتي ويزيد ويبدئ بثّي في الهوى ويعيد[6]
السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب[7]	أبوتمام	الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب[8]
صنت نفسي عمّا يدنّس نفسي وترفّعت عن جدا كل جبس[9]	البحتري	اختلاف النهار والليل يُنسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي[10]
لم لا ترقّ لذل عبدك وخضوعه فتفي بوعدك[11]	البحتري	قف باللواحظ عند حدّك يكفيك فتنة نار خدّك[12]
ميلوا على الدار من ليلى نحييها نعم ونسألها عن بعض أهليها[13]	البحتري	عش للخلافة ترضاها وتُرضيها وتنشئ السكة الكبرى وتحميها[14]

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر:أبو منصور الثعالبي،شرح وتحقيق د/مفيد قميحة، ٤٣٩/٢،دار الكتب العلمية-بيروت،ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) الموسوعة الشوقية:٤٤٦/٢.

(٣) ديوان علي بن الجهم:تحقيق خليل مردم بك،دار الآفاق الجديدة-بيرت،بدون تاريخ.

(٤) الموسوعة الشوقية:٣٣٦/٣.

(٥) ديوان جميل بثينة:٣٨،دار صادر-بيروت،بدون تاريخ.

(٦) الموسوعة الشوقية:٥٢/٣.

(٧) شرح ديوان أبي تمام:إيليا الحاوي،٢٢،دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط١، ١٩٨١م.

(٨) الموسوعة الشوقية:٢٤٠/٢.

(٩) ديوان البحتري:١٩٠،دار صادر-بيروت،بدون تاريخ.

(١٠) الموسوعة الشوقية:٢٦/٤.

(١١) ديوان البحتري:١٧.

(١٢) الموسوعة الشوقية:٦٣/٣.

(١٣) ديوان البحتري:٣٤.

(١٤) الموسوعة الشوقية:٤٦٣/٥.

آذنتنا ببينها أسماء ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواء[1]	الحارث بن حلزة	همّت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقلّ الرجاء[2]
لكل شيء إذا ماتم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسان[3]	أبو البقاء الرندي	قم ناج جلّق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداثٌ وأزمان[4]
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا[5]	ابن زيدون	يانائح الطلح أشباهٌ عوادينا نشجى لواديك أم نأسى لوادينا[6]
ألا لاأرى الأحداث مدحاً ولا ذما فما بطشها جهلا ولاكفّها حلما[7]	المتنبي	إلى الله أشكو من عوادي النوى سهما أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى[8]
أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب[9]	المتنبي	بسيفك يعلو الحق والحق أغلب ويُنصر دين الله أيان تضرب[10]
لا افتخار إلا لمن لا يُضامُ مدركٍ أو محاربٍ لاينام[11]	المتنبي	رضي المسلمون والإسلام فرع عثمان دم فداك الدوام[12]
في الخد إن عزم الخليط رحيلا مطرٌ تزيد به الخدود محولا[13]	المتنبي	الملك فيكم آل إسماعيلا لازال بيتكم يظل النيلا[14]

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين:الأعلم الشنتمري، شرح وتعليق د/محمد عبدالمنعم خفاجي ، ١٨٣/٢، دار الجيل ، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٢) الموسوعة الشوقية:٤٢/١.

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب:أحمد بن المقرّي التلمساني، تحقيق د/إحسان عباس، ٤٨٦/٤، دار صادر-بيروت، طبعة جديدة، ١٩٩٧م.

(٤) الموسوعة الشوقية :٣١٠/٥.

(٥) ديوان ابن زيدون ورسائله:شرح وتحقيق علي عبدالعظيم، ١٤١.

(٦) الموسوعة الشوقية:٣١٦/٥.

(٧) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ٢٢٦/٤، دار الكتاب العربي-بيرت، ١٤٠٧هـ.

(٨) الموسوعة الشوقية:١٦٦/٥.

(٩) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ٣٠١/١.

(١٠) الموسوعة الشوقية :٢١١/٢.

(١١) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ٢١٥/٤.

(١٢) الموسوعة الشوقية:١٢٨/٥.

(١٣) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ٣٤٩/٣.

(١٤) الموسوعة الشوقية:٣١٢/٤.

أود من الأيام ما لا تودّه وأشكو إليها بيننا وهي جنده[1]	المتنبي	رضيت من الدنيا بما لا أودّه ويفتك فيها مسرفاً وهي جنده[2]
لا الحلم جاد به ولا بمثاله لولا ادّكار وداعه وزياله[3]	المتنبي	الملك بين يديك في إقباله عوّذتُ ملكك بالنبيّ وآله[4]
أرقٌ على أرقٍ ومثلي يأرق وجوىً يزيد وعبرةٌ تترقرق[5]	المتنبي	أما العتاب فبالأحبة أخلق والحب يصلح بالعتاب ويصدق[6]
كيف ترقى رقيّك الأنبياء ياسماء ماطاولتها سماء[7]	البوصيري	ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسّمٌ وثناء[8]
أمن تذكر جيرانٍ بذي سلم مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدم[9]	البوصيري	ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرُم[10]

أما الغزاوي فمعارضاته ليست بكثرتها عند شوقي. والملفت للنظر عنده، أن معارضاته لشوقي وحده بلغت ثماني قصائد. وفيما يلي بيانٌ لجميع المعارضات عنده:

(١) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ١١٩/٢.
(٢) الموسوعة الشوقية:١٦٨/٣.
(٣) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ١٧٩/٣.
(٤) الموسوعة الشوقية:٢٩٨/٤.
(٥) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ٧٣/٣.
(٦) الموسوعة الشوقية:١٧٢/٤.
(٧) ديوان البوصيري:تحقيق محمد سيد كيلاني، ٤٩.
(٨) الموسوعة الشوقية:١١/٢.
(٩) ديوان البوصيري:تحقيق محمد سيد كيلاني، ٢٣٨.
(١٠) الموسوعة الشوقية:٧٠/٥.

مطلع القصيدة القديمة	الشاعر	مطلع قصيدة الغزاوي
أواصلٌ أنت أم العمرو أم تدعُ أم تقطع الحبل منهم مثل ما قطعوا[1]	جرير	الغيث أنت وفيك الغيث ينتجع وفي لقائك كل الخير يجتمع[2]
أُخفي هوىً لك في الضلوع وأُظهر وأُلام في كمدٍ عليك وأُعذر[3]	البحتري	مشت الوفود إليك وهي تكبر والجيش يُعرض والسرائر تشكر[4]
ميلوا إلى الدار من ليلي نحييها نعم ونسألها عن بعض أهليها	البحتري	خذ القلوب فإن الوجد يشجيها والشوق يرمضها والصبر يعييها[5]
هز اللواء بعزك الإسلام وعنتْ لقائم سيفك الأيـــام[6]	شوقي	أضفى عليك ثناءه الإسلام وهفا إليك بشدوه الإلهـام[7]

---

(١) شرح ديوان جرير:ضبط وشرح إيليا الحاوي، ٤٣٢، الشركة العالمية للكتاب، ط٢، ١٩٩٥م.وقد ضمّن الغزاوي قصيدته ثلاثة أبيات من قصيدة جرير هي قوله:

إن البرية ترضى مارضيت به إن سرتَ ساروا وإن قلتَ اربعوا ربعوا

وقوله: فكل أمر على يمن أمرت به فينا مُطاع ومهما قلتَ مستمع

وقوله-أيضاً-: ماعدّ قوم بإحسانٍ صنيعهم إلا صنيعكم فوق الذي صنعوا

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٧٣٥.

(٣) ديوان البحتري:٢٣.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٣٣٣. ومن المعاني التي احتذاها الغزاوي قوله ـ على سبيل المثال ـ:

جيشٌ تُقام به الصلاة فرائضاً ويؤيِّد الدين الحنيف وينصر

فهو من قول البحتري: أظهرتَ عز الدين فيه بجحفلٍ لجبٍ يُحاط الدين فيه ويُنصر

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٨٧ وقد أشار د/العطوي إلى بعض المشابهات بين القصيدتين من ذلك قول البحتري:

مابال دجلة كالغيرى تنافسهـا في الحسن طورا وأطواراً تباهيها

أخذه الغزاوي فقال:

تحنو عليها فما الغيرى بواحدها أشد منك حناناً إذ تغذيهـــا

«فالبحتري شبه نهر دجلة بالمرأة الغيرى فاستوحاه الغزاوي في معنى بعيد عن ذلك وهو غيرة الملك على شعبه حيث شبهه بغيرة الأم على ولدها الوحيد.ونراه قد زاد في المعنى وفصل فيه» أحمد الغزاوي١/٥٥٧.

(٦) الموسوعة الشوقية:٥/١١٣. والتشابه بين المطلعين واضح، فمطلع الغزاوي يشبه مطلع شوقي في أن الإسلام ممتن للممدوح مفتخر به.إضافة إلى تكرار بعض معاني شوقي عند الغزاوي. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قول شوقي: في كل ناحية وكل قبيلة عدل وأمن مورفٌ ووئام

أخذه الغزاوي كماهو فقال: في كل بادية وكل مدينة عدل وأمن وارف ووئـام

(٧) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢١٤.

أما العتاب فبالأحبة أخلق والحب يصلح بالعتاب ويصدق[1]	شوقي	عيد به شمس الهداية تشرق وبه الوفود إلى رحابك تسبق[2]
قد كنتُ أرجو أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحيـــاء[3]	شوقي	قد كنتَ توعدني بقرب لقائي فزلفت للأخرى وخاب رجائي[4]
بين ماضي الأسى وآتي الهناء قـام عـذر النعـاة والبشـــراء[5]	شوقي	بين برح النوى وبشرى اللقاء زحف الشعب هاتفاً بالولاء[6]
الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جـدد خالد العرب[7]	شوقي	في ظل عرشك حُقّت وحدة العرب وفي كفاحك فاز الحق بالغلب[8]
هذا العزيز وذاك باب نواله تتبختر النعماء تحت ظلاله[9]	شوقي	لمن الوفود تفيّأت بظلاله وتدثّرت حلل السنا بنواله[10]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/١٧٢. فكلا القصيدتين لتهنئة الحاكم بعيد المسلمين.وبعض الأفكار تتشابه في القصيدتين،من ذلك على سبيل المثال قول شوقي يصف حب الناس للخديو:

مولاي حكمك في الرقاب مقيدٌ سمحٌ فأما في القلوب فمُطلق
أنّى اتّجهْتَ توجّـهتْ مشغوفـةً هـذا الجلال زمامها والرونـق

فالمعنى يظهر أثره عند الغزاوي حين يقول:

فانظر طويل العمر حولك هل ترى إلا الـذين بهم إليـك تشـوّق
واسمع فديتك ماتكنّ صـدورهـم لـك من ولاء لـيس فيه تملّق

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٤٦٢.

(٣) الموسوعة الشوقية:٢/١٥٣.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٣٣.

(٥) الموسوعة الشوقية:٢/١٩٣. فشوقي يعزي الخديو عباس بأبيه ويهنّئه بالخديوية،وكذلك الغزاوي فإنه يعزي الشعب على مافات من الأيام التي غابها الملك عنهم،ويبشرهم مهنئاً بلقائه.

(٦) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٧٤٤.

(٧) الموسوعة الشوقية:٢/٢٤٣.وقد مر معنا أن القصيدة معارضة لبائية أبي تمام في فتح عمورية.وهنا قد يتبادر تساؤل:لمَ لا يكون الغزاوي معارضا القصيدة الأصل "قصيدة أبي تمام"؟والجواب عن ذلك أن تأثير شوقي في قصيدة الغزاوي يلوح أكثر من تأثير أبي تمام، بدليل أن الغزاوي ضمّن أحد أبيات شوقي وهو:

وما السلاح لقوم كل عدتهم إذا لم يكونوا من الأخلاق في أهب

ولم يضمّن شيئا من قصيدة أبي تمام.

(٨) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢١٨.

(٩) الموسوعة الشوقية:٤/٢٩٠.وتكرار النوال والظلال في مطلعي القصيدتين يدل على احتذاء الغزاوي لقصيدة شوقي.

(١٠) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٩٤.

تبسّم بالإقبالِ من مِصركَ الثغرُ وأسفر للآمالِ من وجهك البِشْرُ[1]	شوقي	ترنّحت الأعطافُ وابتسم الزهرُ ببيعة يُمْنٍ شأنها النهيُ والأمرُ[2]
قم ناد جلّق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداثٌ وأزمان	شوقي	الشعب حولك يامولاي ظمآن شوقاً ولكنه بالنصر ريّان[3]

وبعد البيان السابق أود أن أجمل أهم النتائج فيمايلي:

١. كثرة المعارضات عند شوقي مقارنة بالغزاوي، وهذا أمر متوقَّع إذا ما أخذنا كثرة شعر شوقي وأغراضه بعين الاعتبار. فكثير من معارضات شوقي في الغزل والرثاء وهذان الغرضان من الأغراض التي لم يُكثِر فيها الغزاوي.

٢. يتضح من المعارضات أن شوقي كان مثل النحلة التي تطوف على الأزهار، فتأخذ من كل زهرة رحيقا يختلف طعمه عن رحيق الزهرة الأخرى، فقد عارض شعراء من شتى العصور، وتعددت معارضاته للمتنبي أكثر من غيره مما يدل على إعجاب واضح به[4]. أما الغزاوي فقد اتضح لي أن شوقي يمثل له المثل الأعلى

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٤٥٧.ومن التشابه الواضح بين القصيدتين أن كلتاهما اتخذت من يوم البيعة منطلقا لمدح الحاكم، فهو يوم الخير والبشر. إذ يقول شوقي:

ألا إنه يومٌ أغرُّ محببٌ إلى الدين يفديه بأيامه الشهرُ
يعودُ بما تهوى الأماني ولم تزل إذا قرت الأيامُ تذكره مصرُ

ويقول الغزاوي:

ألا إن هذا اليومَ عيدٌ مخلَّدٌ يظل على كرِّ الدهورِ له ذكْرُ

ويقول في موضع آخر:

فلله يومٌ أشرقت فيه شمسه على بيعةٍ تحكي صحائفَها البدرُ

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٥٧١.

(٣) المصدر نفسه:٢/٦٤٩.

(٤) صرح شوقي بإعجابه الشديد بالمتنبي حيث يقول عنه"مُعجِزُهُ لايزال يرفع الشعر ويعليه، ويغري الناس به فيجدده ويحييه.وحسبك أن المشتغلين بالقريض عموماً والمطبوعين منهم خصوصاً لايتطلعون إلا إلى غباره، ولايجدون الهوى إلا على مناره.ويتمنى أحدهم لو أتيح لهم ممدوحٌ كممدوحه ليمدحه مثل مديحه، أو لو وقع له كافور مثل كافوره ليهجوه مثل هجائه "الموسوعة الشوقية،٦/٢٤٣.من مقدمة ديوانه في الطبعة الأولى.

في الشعر، الذي يسعى إلى مقاربته واحتذائه ثم البحتري صاحب الديباجة الرائعة.

ثانياً: المقدمات الطللية والخمرية.

درج شعراؤنا القدامى على بكاء الأطلال والوقوف على الديار في مقدمات قصائدهم على اختلاف الأغراض. كما اهتموا بوصف الرحلات في قصائد المديح خصوصاً. إلى أن ظهر أبو نواس ودعا إلى وصف الخمرة في مقدمة القصيدة فقال:

قل لمن يبكي على رسمٍ درسْ واقفاً ما ضرّ لو كان جلس[1]

اترك الربع وسلمى جانباً واصطبح كرخيةً مثل القبس

وفي العصر الحديث دعا بعض النقاد[2] إلى وحدة الموضوع في القصيدة مما يقتضي الاستغناء عن المقدمات.

وإذا التفتنا إلى الشاعرين نجد أن التقليد أوضح في مطالع شوقي منها عند الغزاوي. حيث إن شوقي ابتدأ كثيرا من قصائده بالنسيب وفيمايلي أمثلة لذلك:

---

(١) ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، ٣٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٣م.

(٢) وذلك كالعقاد في الديوان، والمازني في حصاد الهشيم، وميخائيل نعيمة في الغربال، وغيرهم.

المطلع	موضوع القصيدة
لا السهد يطويه ولا الإغضاء ليل عداد نجومه رقباء[1]	تهنئة الخديو توفيق بالعام الهجري.
اثنِ عنان القلب واسلم به من ربرب الرمل ومن سربه[2]	عرض مشروع ملنر على المصريين
روّعوه فتولى مغضبا أعلمتم كيف ترتاع الظبا[3]	تهنئة الخديو برأس السنة الهجرية.
السحر من سود العيون لقيته والبابلي بلحظهنّ سُقيته[4]	في لبنان.
لي الله ما أغرى الغرام بمهجتي وأهدى لأقمار المنازل مقلتي[5]	عيد جلوس الخديو توفيق على العرش.
لا والقوام الذي والأعين اللاتي ماخنت رب القنا والمشرفيّات[6]	الاحتفال بإقامة تمثال المهندس الفرنسي ديلسبس.
حدثت قلبي بالسلو فشقته وصبا إلى ذكر الحبيب فسقته[7]	عيد جلوس محمد توفيق على العرش.
لحظها لحظها رويداً رويدا كم إلى كم تكيد للروح كيدا[8]	تهنئة عباس بشهر رمضان.

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٩١.
(٢) المصدر نفسه:٢/٤٦٢.
(٣) المصدر نفسه:٢/٣٢٠.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٤٣٨.
(٥) المصدر نفسه:٢/٤٧٧.
(٦) المصدر نفسه:٢/٤٨٢.
(٧) المصدر نفسه:٢/٤٩٥.
(٨) المصدر نفسه:٣/٤٣.

إن الوشاة وإن لم أحصهم عددا تعلموا الكيد من عينيك والفنَدا[١]	تهنئة عباس بتوليه الحكم.
في مقلتيك مصارع الأكباد الله في جـنبٍ بغير عماد[٢]	تهنئة عباس بعيد الأضحى.
مضناك جفاه مرقده وبكاه فرحّم عوّده[٣]	تحية لعباس توفيق.
لا السهد يدنيني إليه ولا الكرى طيفٌ يزور بفضله مهما سرى[٤]	وصف سويسرا.
بالله يانسمات العيد في السَحَر هل عندكنّ عن الأحباب من خبر[٥]	عيد جلوس السلطان عبدالحميد الثاني على العرش.
عرضوا الأمان على الخواطر واستعرضوا السمر الخواطر[٦]	تهنئة عباس حلمي برمضان.
في ذي الجفون صوارم الأقدار راعي البرية يارعاك الباري[٧]	عودة الخديو عباس من السفر.
لك أن تلوم ولي من الأعذار أن الهوى قدرٌ من الأقدار[٨]	عيد جلوس السلطان عبدالحميد على العرش.
سفر الحبيب فقلتُ ياعينُ انظري وتنزّهي في حسن ذاك المنظر[٩]	تحية للخديو توفيق.

(١)الموسوعة الشوقية:٣/٤٨.
(٢) المصدر نفسه:٣/٥٧.
(٣) المصدر نفسه:٣/٦٥.
(٤) المصدر نفسه:٣/٢٨٧.
(٥) المصدر نفسه:٣/٣١٥.
(٦) المصدر نفسه:٣/٣٢٤.
(٧) المصدر نفسه:٣/٣٢٧.
(٨) المصدر نفسه:٣/٣٣١.
(٩) المصدر نفسه:٣/٤٦٥.

بدأ الطيف بالجميل وزارا يارسول الرضا وُقيتَ العثارا[1]	سفر عباس إلى إنجلترا.
شجوني إذا جنّ الظلام كثير يؤلّبها عادي الهوى ويثير[2]	تهنئة عباس بعيد الأضحى.
صال الدلال بقدها الميّاس الله أكبر ياقلوب الناس[3]	عيد جلوس عباس على العرش.
علموه كيف يجفو فجفا ظالمٌ لاقيتُ منه ماكفى[4]	تهنئة الخديو عباس بوسام الشرف.
مُضنى وليس به حراكْ لكـن يخف إذا يراك[5]	تهنئة عباس بعيد الأضحى.
ياقلب أحمد هل سباك ريمٌ بسهميه رمـاك[6]	توديـع عبـاس عنـد سـفره إلى أوروبا.
لهواك في قلـبي مـنازل هيهات يهدمها العـواذل[7]	تهنئة عباس بالعام الهجري.
ريمٌ على القاع بين البان والعـلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحُرُم	مدح النبي ﷺ .
الله في الخلق من صبٍّ ومن عاني تفنى القلوب ويبقى قلبك الجاني[8]	تهنئة عباس برمضان.

(١)الموسوعة الشوقية:٣/٤٩٥.
(٢) المصدر نفسه:٣/٥١٢.
(٣) المصدر نفسه:٤/١١.
(٤) المصدر نفسه:٤/١٤٦.
(٥) المصدر نفسه:٤/٢٢٧.
(٦) المصدر نفسه:٤/٢٦٧.
(٧) المصدر نفسه:٤/٢٨١.
(٨) المصدر نفسه:٥/٣٣٧.

مقادير من جفنيك حوّلن حاليـــا فذقتُ الهوى من بعد ماكنتُ خاليا[1]	تهنئة عباس بعودته من السفر.

كما إن له مطالع خمرية وبيانها كالآتي:

مطلع القصيدة	المناسبة
آذار أقبل قـم بنا ياصاح حيّ الربيع حديقـة الأرواح[2]	تحية للكاتب القصصي هول كين.
سل الليل عن أفلاكه هل جرت سدى وهيهات مايجرين إلا إلى مدى[3]	تهنئة عباس بعيد الجلوس.
طال عليها القـدمْ فهي وجود عـدمْ[4]	وصف مرقص في عابدين.
رمضان ولّى هاتها ياساقي مشتاقةً تسعى إلى مشتـاق[5]	تهنئة عباس بعيد الفطر.
حف كأسها الحببُ فهي فضـة ذهبُ[6]	وصف حفل راقص في عابدين.

وأما الوقوف على الأطلال فلم أجد لـه إلا قـصيدتين، إحـداهما أنشأها بعد عودته من المنفى ومطلعها:

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤٨٩/٥.

(٢) المصدر نفسه:٥١٤/٢.والبيت يوحي أن المطلع في وصف الطبيعة أو الربيع،ولكن الأبيات التالية لـه تبين أن المقدمة خمرية.

(٣) المصدر نفسه:١٨٦/٣.والمقدمة ليست كلها خمرية.

(٤) المصدر نفسه:١٤٥/٥.

(٥) المصدر نفسه:٢٠١/٤.ومطلع القصيدة يمكن اعتباره من صلب الموضوع،لأنه يتحدث عن انقضاء شهر رمضان،ولكنه لايزال مطلعا خمرياً على أي حال.

(٦) المصدر نفسه:٢٩١/٢.وهذا المطلع مثل سابقه في أنه يمكن اعتباره داخلاً في موضوع القصيدة،لأن الشاعر يصف أمراً كان موجوداً في الحفل.

أنادي الرسم لـو ملك الجوابا وأجـزيه بدمعي لـو أثابـا[1]

والأخرى قالها في دمشق ومطلعها:

قم ناد جلّق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم أحداثٌ وأزمان

وهذه المطالع التقليدية لا تعني أن شوقي كان ملتزماً بها في كل شعره، بل إن جزءاً كبيراً من ديوانه يخلو من مثل هذه المطالع وفيما يلي بعض الأمثلة لذلك:

المطلع	المناسبة
وُلد الهدى فالكائنات ضياءُ وفـم الزمان تبسمٌ وثنـاءُ	مدح النبي ﷺ.
ركزوا رفاتك في الرمال لواءَ يستنهض الوادي صباحَ مساءَ[2]	رثاء عمر المختار يرحمه الله.
الله أكبر كم في الفتح من عجب ياخالد الترك جدد خالد العرب	انتصار اتاتورك في حربه على اليونان.
أيها العمّال أفنـوا الـ ـعمر كداً واكتسابا[3]	استنهاض همم العمّال وحثهم على الاجتهاد.
أرى شجراً في السماء احتجب وشقّ العنان بمرأى عجب[4]	وصف النخيل.

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه :٢/١٤٤.

(٣) المصدر نفسه:٢/٢٨٨.

(٤) المصدر نفسه:٢/٣٥٥.

ياابن زيدون مرحبا قد أطلتَ التغيّبا[1]	صدور ديوان ابن زيدون.
هنيئاً أمير المؤمنين فإنما نجاتك للدين الحنيف نجاة[2]	نجاة السلطان عبدالحميد من قنبلة قُذف بها.
أيها المنتحي بأسوان داراً كالثريّا تريد أن تنقضّا[3]	وصف قصر أنس الوجود بأسوان.
بعثوا الخلافة سيرة في النادي أين المبايع بالإمام ينادي[4]	إثر سقوط الخلافة العثمانية.
الله يحكم في المدائن والقرى ياميت غمر خذي القضاءكما جرى[5]	حريق ميت غمر.
من أي عهدٍ في القرى تتدفّق وبأي كفٍ في المدائن تغدق[6]	وصف نهر النيل.
سلام من صبا بردى أرقّ ودمعٌ لايكفكف يادمشق[7]	في نكبة دمشق.
ضج الحجاز وضجّ البيت والحرم واستصرخت ربها في مكة الأمم[8]	يستصرخ السلطان عبدالحميد من عسف الشريف عون بالحجاج في مكة.
يا أخت أندلسٍ عليكِ سلام هوت الخلافة عنكِ والإسلام[9]	استيلاء البلغار على أدرنة العثمانية.

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٣٦٠.
(٢) المصدر نفسه:٢/٤١٣.
(٣) المصدر نفسه:٤/٥٢.
(٤) المصدر نفسه:٣/٢١٦.
(٥) المصدر نفسه:٣/٤١١.
(٦) المصدر نفسه:٤/١٧٧.
(٧) المصدر نفسه:٤/١٩٤.
(٨) المصدر نفسه:٥/٩٢.
(٩) المصدر نفسه:٥/١١٨.

قفْ على كنزٍ بباريس دفينْ من فريدٍ في المعالي وثمينْ[1]	على قبر نابليون بونابرت.
قف بروما وشاهد الأمر واشهدْ أن للملك مالكاً سبحانـه[2]	يصف روما.
عش للخلافة ترضاها وترضيها وتنشئ السكة الكبرى وتحميها[3]	تهنئـة الـسلطان عبدالحميـد الثـاني بعيـد الخلافة.

أما الغزاوي فـلا نكـاد نجـد عنـده أي مطـالع تقليديـة. اللـهم إلا قصيدته في مدح الملك عبدالعزيز التي يبتدؤها بوصف رحلته إلى المدينة بالسيارة. ومطلع القصيدة:

طوت الفدافد حزنَها وسهولَها وضَحتْ بخِصب الراحتين محولها[4]

فالغزاوي إذاً لم يستعن بالمقدمات الغزلية والخمرية بل كان يباشـر موضوع القصيدة من البداية وفيما يلي بعض الأمثلة:

مطلع القصيدة	المناسبة
عيـــد تمثّل بالسعـود يفترّ عن بشر الوفـــود[5]	تهنئة عبدالعزيز بعيد الأضحى.
لك الحمد رب العالمين لك الشكرُ لقدْ شُفِي المحفوظ واستبشر القصر[6]	شفاء الملك سعود من مرضٍ ألمّ به.

(١)الموسوعة الشوقية:٥/٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه:٥/٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه:٥/٤٦٣.

(٤) الأعمـال الـشعرية الكاملـة:٢/٥٦٢.وانظـر: أحمـد الغـزاوي وآثـاره الأدبيـة، د/مـسعد العطوي،١/١٧٧.وضحت: بمعنى ظهرت وبرزت. والمحول:جمع محْل وهو الجدب.

(٥) المصدر نفسه:١/٨٥.

(٦) المصدر نفسه:٣/١١٤٩.

لاح بدر الأمير بعد احتجابه فاستطبْنا المثول بين رحابه[1]	عودة الملك من سفرٍ طويل.
مرحباً بالحجيج في أقطابه وبإهلالـه وحسم مآبـه[2]	في حج عام ١٣٦٩هـ يرحب بالحُجاج.
هو النصر فاهنأ بالفتوح المتمم وقطع نياط الشر بالحزم واقدم[3]	انتصار القوات السعودية في اليمن.
حي بالإعجاب أحفاد الصقور واشد بالفخر وقل حان النشور[4]	تخريج أول دفعة من الطيارين السعوديين.
أبى الله إلا أن يُتِمّ ضياءه ويرفع للدين الحنيف لواءه[5]	نجاة الملك عبدالعزيز من حادثة اعتداء.
شهد الوادي غداة الأربعاء صلة الأرض بآفاق السماء[6]	سيل مكة العظيم سنة ١٣٦٠هـ.
عرض الجيش أم تنـزّى الحديد وانتشى الشعب أم تهادى العيد[7]	العرض العسكري أمام الملك سعود.
قرة للعيون بين المحاجر هذه البينات في ذي المحاجر[8]	تشييد المحاجر الصحية في جدة.
ملكان يجتمعان أم شعبان أم طلعة القمرين في شعبان[9]	زيارة الامبراطور الإيراني واجتماعه بالملك سعود.

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٥٦٨.
(٢) المصدر نفسه:١/٢٧٥.
(٣) المصدر نفسه:٢/٥٩٤.
(٤) المصدر نفسه:٢/٦١٥.
(٥) المصدر نفسه:٢/٦٠٣.
(٦) المصدر نفسه:٢/٦٩٤.
(٧) المصدر نفسه:٢/٨٥٧.
(٨) المصدر نفسه:٣/١٠١١.
(٩) المصدر نفسه:٣/١٠٥٤.

نعم قد استسمن الأقوام ذا ورمٍ وأحسنوا الظن في جمعية الأمم[1]	عدم جدوى هيئة الأمم المتحدة.
أبلغ العرب صوتهم إنكارا فاستشاط اليهود منهم جهارا[2]	في قضية فلسطين.
ويح ابن آدم تطويه حضارته طي السجل ويقضي نحبه نخبا[3]	حال الإنسان مع الاختراعات وإساءة استخدامه لها.
جزى الله عنا الصولتية إنها لها الفضل ممتداً على الآفاق[4]	تحية للمدرسة الصولتية ومديرها.
الأرض تطرب والسماء تغرّد وعلى الورى أم القرى تتسوّد[5]	مدح النبي ﷺ.
تحرّى انبلاج الفجر والخيط أسود وفي قلبه نجوى التقى تتردد[6]	يصف صلاة الفجر في المسجد الحرام.
حبّذا الرأي ونعم المؤتمر ونعمّا ماتواصى وانتصر[7]	عن المؤتمر الإسلامي في مكة.
حيّ الإذاعة في الجهاز الأوسع واستقبل الدنيا به في مسمع[8]	عن تطور الإذاعة السعودية.

أما حوليات الحج فقد كان يبتدؤها بمطالع ذات معانٍ إسلامية تناسب الجو الديني والمناسبة التي قيلت القصيدة فيها. وذلك مثل قوله:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٠٣.

(٢)المصدر نفسه:٣/١٢٢٥.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٢٥٢ .

(٤) المصدر نفسه:٤/١٤٤٧.

(٥) المصدر نفسه:٤/١٤٧٥.

(٦) المصدر نفسه:٤/١٤٧٢.

(٧) المصدر نفسه:٤/١٥٠٥.

(٨) المصدر نفسه:٤/١٦٣٩.

جل من سبحت لـه الأجرام وتجلى بفضلـه الإسـلام[1]

وقوله:

لمن الجموع تنشّرت بالوادي متخشعين على هدى ورشاد[2]

وقوله:

حبذا الفجر في ضحى الإسلام في حمى البيت مشرقاً والمقام[3]

وقوله:

الله أكبر والمشاعـر ترفـل والشكر يصعد والثنـاء يرتل[4]

وقد وجدت الغزاوي في حولياته يكرر معاني كثير من المطالع وذلك مثل قوله:

بحمدك يارب الجلال نسبح وفي برك الموصول نمسي ونصبح[5]

وقوله:

بحمدك يارب الجلال نسبح وفي حلل الرضوان والعفو نمرح[6]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١١٨.
(٢) المصدر نفسه:١/١٦٧.
(٣) المصدر نفسه:١/٢٣١.
(٤) المصدر نفسه:١/٤٩٢.
(٥) المصدر نفسه:١/٣١٠.
(٦) المصدر نفسه:١/٣١٣.

وقوله:

بحمدك رب العالمين نسبح وفي نعمة الإسلام بالعيد نفرح[1]

وقوله:

بحمدك رب العالمين نسبح وفيما به أنعمتَ نهنا ونسبح[2]

وقوله:

بحمدك رب العالمين نسبح وحيث التقينا بالمشاعر نصدح[3]

وفي رأيي أن الشاعر لايُعذر في تكراره هذا، لأنه يدل على ضحالة في معانيه، إذ إن المعاني لاحصر لها.

ثالثاً: كثرة التضمين من قصائد الشعراء السابقين والتأثر بمعانيهم.

أما التضمين فإنه يشكل ظاهرة في شعر الغزاوي دون شوقي. وقد لاحظت عليه مايأتي:

أ- أنه ينص على تضميناته بعلامات التنصيص، وهذا يخرجه من دائرة السرقات الأدبية.

ب- أن كثيرا من تضميناته وقعت في معارضاته للسابقين. وهو بذلك يصرّح بالمعارضة ويعلنها.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٣٧٦.

(٢) المصدر نفسه:١/٤٦٧.

(٣) المصدر نفسه:١/٥٢١.

ت- تتنوع تضميناته مابين شطر و بيت كامل.كما تتنوع أيضا في عصورها التاريخية مابين العصر الجاهلي والأموي والعباسي والحديث.

ث- من المُلفت للنظر أنه ضمّن كثيراً من أبيات شوقي في شعره وهذا أمر يدل على تأثره الشديد به.

ج- وجدته ـ أحياناً ـ يضمّن أكثر من بيت من قصيدة واحدة في قصيدته وذلك مثل قصيدته الدالية التي ضمنها بيتي البارودي المبيّنين في الجدول أدناه.

البيت أو الشطر	الشاعر
كجلمود صخرٍ حطّه السيل من عل[1]	امرئ القيس
غراء فرعاء مصقول عوارضها[2]	الأعشى
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم[3]	زهير بن أبي سلمى
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظَلم الناس يُظلم	زهير بن أبي سلمى
ومازلتَ تسمو للمعالي وتجتبي جبى المجد مذ شُدّت عليم المآزر[4]	ذو الرمّة

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين:الأعلم الشنتمري،تحقيق د/محمد عبدالمنعم خفاجي،١/٣٦.

(٢) ديوان الأعشى الكبير:شرح وتعليق د/محمد محمد حسين،١٠٥،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٧، ١٤٠٣هـ.

(٣) شرح شعر زهير بن أبي سُلمى:أبو العباس ثعلب،تحقيق د/فخر الدين قباوة،٣٦،دار الفكر،سوريا،ط٢، ١٤١٧هـ.

(٤) ديوان شعر ذي الرُّمّة:تحقيق زهير فتح الله،٢٤٣، دار صادر-بيروت،ط١، ١٩٩٥م.

إلى أن بلغتَ الأربعين فألقيت إليكَ جماهير الأمور الكبائر	ذو الرمة
إن العيون التي في طرفها حور[1]	جرير
ألستم خير من ركب المطايـا وأندى العالمين بطون راح[2]	جرير
إن البرية ترضى مارضيتَ به إن سرتَ ساروا وإن قلت اربعوا ربعوا[3]	جرير
فكل أمر على يمنٍ أمرتَ بـه فيها مطاعٌ ومهما قلتَ مُستمع	جرير
ماعدّ قوم بإحسانٍ صنيعهـمُ إلا صنيعكم فوق الذي صنعوا	جرير
فلا هو في الدنيا مضيعٌ نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله[4]	جرير
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا[5]	أبو العتاهية
لنـا الصدر دون العالمين أو القبر[6]	أبو فراس الحمداني
يامن يعز علينا أن نفارقه[7]	المتنبي

(١) ديوان جرير:شرح إيليا الحاوي، ٧٠٢.
(٢) المصدر نفسه:١١٧.
(٣) المصدر نفسه:٤٣٥.
(٤) المصدر نفسه:٥٢٧.
(٥) ديوان أبي العتاهية:دار صادر-بيروت، ١٣٨٤هـ.
(٦) ديوان أبي فراس الحمداني:رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه، ١٦١، دار صادر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ
(٧) شرح ديوان المتنبي:عبدالرحمن البرقوقي، ٤/٨٧.

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ تخبّر أن المـانويّة تكذب[1]	المتنبي
منها معالم للهدى ومصابحٌ تجلو الدجى والأخريات رجوم[2]	ابن الرومي
من كل وضاح الجبين كأنه قمرٌ توسّط جُنح ليلٍ أسود[3]	البارودي
يرجو الفتى في الدهر طول حياته ونعـيمه والمرء غير مُخلّد	البارودي
في كل ناحية وكل قبيلة عدل وأمن وارف ووئام[4]	شوقي
وهذي الضجة الكبرى علاما[5]	شوقي
ولكن كلنا في الهـمّ شرق[6]	شوقي
وعظ البحتري إيوان كسرى[7]	شوقي
وليس بعامرٍ بنيـان قومٍ إذا أخلاقهم كانت خرابا[8]	شوقي
وما السـلاح لقوم كل عدتهم حتى يكونوا من الأخلاق في أهب[9]	شوقي

(١) المصدر نفسه: ١/٣٠٢.

(٢) ديوان ابن الرومي:شرح وتحقيق عبدالأمير علي مهنا،٦/١٠٤،دار الهلال-بيروت،ط١، ١٤١١هـ.

(٣) ديوان البارودي:ضبطه وصححه وشرحه علي الجارم بك ومحمد شفيق معروف ، ١/١٥٥،دون تاريخ.

(٤) الموسوعة الشوقية:٥/١١٤.

(٥) وردت عند الغزاوي «علام الضجة الكبرى علاما».

(٦) الموسوعة الشوقية:٤/١٩٤.

(٧) المصدر نفسه:٤/٢٦.

(٨) المصدر نفسه:٢/٢٥٢.

(٩) المصدر نفسه:٢/٢٤٠.

كم شيّد المصلحون العاملون بها في الشرق والغرب مُلكاً باذخ العظم[1]	شوقي
للعلم والعدل والتمدين ماعزموا من الأمور وما شدوا من الحزم	شوقي
عالين كالشمس من أطراف دولتها في كـل ناحية ملك وسلطان[2]	شوقي
كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم فهل سألت سرير الغرب ماكانوا	شوقي

ولا شك أن التضمين يعدّ من التأثر الواضح بالشعراء السابقين. ولونظرنا إلى معاني شوقي والغزاوي نجد بعض السمات الأخرى لهذا التأثر ـ غير التضمين ـ. وأكبر سمة فيها: الولوع بالمبالغات والإحالات[3].

وبعض مبالغاتهما لايقبلها العقل، وتخالف الفطرة كقول شوقي عن الظباء اللاتي ترتع في حديقة قصر الخديو:

يرتـعن والآســـاد في ألفـــةٍ مـــن عـــدل حلمي ومساواتـه[4]

وقول الغزاوي ـ أيضاً ـ:

---

(١) المصدر نفسه: ٥/ ٧٠.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٥/ ٣١٠.

(٣) تحدثت عن المبالغة ضمن الكلام عن العاطفة عند الشاعرين وذكرت أمثلة وافية لذلك.

(٤) الموسوعة الشوقية: ٤/ ٤٧٥.

تمثلتَ حتى خافت الكف أختها وأعديت حتى استصحب الشاة والذئب[1]

فمثل هذه المعاني تذكّر بقول أبي نواس:

وأخفتَ أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطف التي لم تُخلق[2]

ومعاني المديح عندهما مكررة وتقليدية في أكثرها، لا تكاد تجد فيها ابتكارا في المعاني، وذلك نابع ـ في رأيي ـ من أمرين:

أولاً: لأنها قيلت في مناسبات تتكرر في كل عصر وزمان. مثل التهاني بدخول سنة جديدة، وبشهر رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الجلوس على العرش، وغير ذلك من المناسبات الكثيرة عندهما. والمُلاحظ أن هذه المناسبات تتكرر في قصائدهما كثيراً.

ثانياً: لأن المديح عندهما عام، يمكن أن يوصفَ به أي حاكم. كالامتداح بالعدل والكرم والحزم والبأس والعفو عند المقدرة وإضفاء الصورة المثالية على الحاكم. فحينئذ يكون المديح صورة مكررة لمدائح العصر الأموي والعباسي، ولا تكاد تجد فيها روح العصر إذ المعاني تصدق على كل حاكم وفي أي زمان. وانظر إلى الغزاوي حين يخاطب الملك عبدالعزيز فيقول:

ومازلتَ رغم الجاحدين مجاهداً تُرجّى أياديه وتُخشى بوادره[3]

به تُضرب الأمثال في العدل والتقى وتنجو بواديه به وحواضره

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/١٣٩.

(٢) ديوان أبي نواس: تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، ٤٠١.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/١٧٥.

تؤيدك الأقدار في كـل موقفٍ ويصحبك التـوفيق فيما تحاذره
وتهزأ بالـدنيا الغـرور وطالما تناجي بها في الوهم من لاتساوره
فشيّدت ملكاً لا تُنال حدوده بحولٍ من الله الـذي أنت ناصره
وأنشأت عرشاً من دعائمه الهدى تحـوط بـه آجـامـه وخـوادره

وقوله ـ أيضاً ـ يهنئ الملك بالعيد:

تاريخ عهـدك بالأنوار مسطور وحـجك الـمُبتغى لله مـبرور[1]
أقمتَ فيه هدى المُختار من مضرٍ يا موئل الدين سعي منك مشكور
فكل عينٍ إليك اليوم شـاخصة قد أعلن الودّ من أحداقها النور
إن القلوب لو استكشفْتَها لبدت كصفحة البدر فيها الحب منصور
لا يُرجع الطرف عن رؤياك ذو مقةٍ أبـاحك النفس إلا وهو مقرور
قد شاهد الناس فيك العدل وانصرفوا يروونه عـنك حتى يُنفخ الصور
.....
تسعى على الأرض بين الحشد مزدلفاً مع الجموع وهذا الأمر مشهور

وكذلك شوقي حين يقول:

ما بات يُثني على علياك إنسان إلا وأنت لعين الدهر إنسان[2]
وما تهللتَ إذ وافـاك ذو أملٍ إلا وأدهشـه حسـنٌ وإحسـان

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/ ٨٧.
(٢) الموسوعة الشوقية: ٥/ ٣٩٠.

لله ساحتك المسعود قاصدها فإنما ظلها أمنٌ وإيمان
لئن تباهى بك الدين الحنيف لكَم تقوّمت بك للإسلام أركان
تراقب الله في ملكٍ تدبره فأنت في العدل والتقوى سليمان

وقوله كذلك يهنئ الخديو بعيد الأضحى:

يسعى إليك بنو العلى فيروقهم مرأىً كما شاء الفخار أنيق[1]
فارفع حجابك غير مأمورٍ فقد جمع الخلائق بابك المطروق
واغنم دعاء الزائرين مهنأً بالعيد فهو إلى حلاك مشوق
لله دارٌ لا تزال تؤمّها زمرٌ كأن بها الفضاء يضيق
.....
فالبشر يزهو بين أعلامٍ لها بالنصر فوق الخافقَيْن خفوق

فهذه المعاني تقليدية لا تختلف عن مديح شاعر من العصر الأموي أو العباسي، مثل جرير حين يمدح الخليفة بقوله:

إن الرصافة منزل لخليفة جمع المكارم والعزائم والتقى[2]
ما كان جرّب عند مد حبالكم ضعف المتون ولا انفصامٌ في العرى
ما إن تركت من البلاد مضلةً إلا رفعتَ بها مناراً للهدى

وقوله ـ أيضاً ـ:

---

(١)الموسوعة الشوقية:٤/١٦٦.
(٢) ديوان جرير:شرح إيليا الحاوي،١٨.

يا ابن العواتك خير العالمين أباً ... قد كان يدفئني من ريشكم كنف[1]

إن الحجاج دعوا يستمتعون به ... تكاد ترجف جمعٌ كلما رجفوا

ضخم الدسيعة والأبيات، غرته ... كالبدر ليلة بات الشهر ينتصف

هذي البرية ترضى مارضيتَ لها ... إن سرتَ ساروا وإن قلتَ اربعوا وقفوا

هو الخليفة فارضوا ماقضى لكم ... بالحق يصدع ما في قوله جنَف

أو مثل البحتري حين يمدح المتوكل يوم عيد الفطر قائلاً:

الله مكّن للخليفة جعفرٍ ... ملكاً يحسّنه الخليفة جعفر[2]

نعمى من الله اصطفاه بفضلها ... والله يرزق من يشاء ويقدر

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل ... تُعطى الزيادة في البقاء وتُشكر

عمّت فواضلك البرية فالتقى ... فيها المُقلّ على الغنى والمُكثر

بالبر صُمتَ وأنتَ أفضل صائمٍ ... وبسُنة الله الرضيّة تُفطِر

فانعم بيوم الفطر عيناً إنه ... يوم أغرُّ من الزمان مُشهّر

.....

وافتنّ فيك الناظرون فإصبعٌ ... يوما إليك بها وأخرى تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لا تُكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لمّا طلعتَ من الصفوف وكبروا

---

(١) المصدر نفسه: ٤٧٥.

(٢) ديوان البحتري:٢٣.

ومشيْت مشية خاشعٍ متواضعٍ لله لا يُزهـــى ولا يتكبّر

فمعاني شوقي والغزاوي تشترك مع معاني جرير والبحتري في المبالغة والتعميم ووصف الممدوح بصفات الكمال كالعدل والتقى إضافة إلى المعاني المتشابهة كتشبيه الأمير بالبدر ووصف مراقبة الناس لبهائه وجلاله واندفاعهم عليهم وغير ذلك من المعاني التي تجدها في أغلب مدائح شوقي والغزاوي في تهنئاتهما بالأعياد.

والقصائد المدحية التي يختفي فيها التقليد ما كانت وليدة مناسبة غير عادية اهتز لها الشاعر وتأثر بها، فحينئذ يكون التجديد نابعاً من مناسبة المديح ذاتها، لأن المآثر ـ غالباً لاتتكرر بين الممدّحين ـ فتكون القصيدة صادقة في الدلالة على الممدوح، خاصة به.من ذلك عند شوقي قوله يخاطب الخديو عباس حلمي بعد أن أفرج عن مسجوني حادثة دنشواي:

شكرتك في أجداثها الشهداء وترنّمت بثنائك الأحيـــاء[1]
إن كان في تلك الجماجم ألسنٌ لم تبلَ فهي تحية ودعـــاء
أو كان ينبت في التراب محامدٌ نبت الثنا لك منه والإطـراء
حبست يتامى دمعها وأرامـلٌ لمّا تنقّـل في القرى البُشَراء
وتقول كل حزينة في خدرها ذهب القساة وجاءنا الرحماء
فمن البشير إلى عظامٍ في الثرى دُفِنت وطاف بها بلىً وعفـــاء

(١) الموسوعة الشوقية:٢/١٠٦.

وكذلك قصيدته التي يمدح فيها أحمد مصطفى السيد حين ترجم كتاب «علم الأخلاق» لأرسطو حيث يقول:

علّمتَ بالقلم الحكيمْ ... وهديت بالنجم الكريم[1]
وأتيتَ من محرابه ... بأرسطاليس العظيم
ملك العقول وإنها ... لنهاية الملك الجسيم

ثم يقول:

يا لطفِ أنت هو الصدى ... من ذلك الصوت الرخيم
أرَج الرياض نقلته ... ونسختَه نسخ النسيم
وسريت من شِعب الألم ... ـب به إلى وادي الصريم[2]
فتجارت اللغتان للـ ... ـغايات في الحسب الصميم
لغةٌ من الإغريق قيـ ... ـمه وأخرى من تميم

ومن المدائح التي يتوارى فيها التقليد عند الغزاوي قوله يخاطب الملك عبدالعزيز:

آمن الشعب في بلادك طراً ... أنك المُلهَم المنجّز وعدا[3]
كلّما أسفر الصباح شهدنا ... آيةً منك تغمر الشعب رغدا

---

(١) المصدر نفسه: ٥/١٠٠.
(٢) الألمب: جبل شمال اليونان. والصريم: الوادي الذي انقطع في الصحراء. والمراد: نقل العلوم من اللاتينية إلى العربية.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٩٣٠.

لم تزل تفرع المشاريع بكراً وتوفّي مهورها منك نقدا
وتعيذ الأخلاق مما اعتراها من جموحٍ وتقتل الجهل عمدا
وكأن النهوض في كل حقلٍ فيلقٌ يهزم التأخّر هجدا

وقصيدته التي مطلعها:

بين أمسٍ مضى ويومٍ طالعْ عملٌ صالحٌ ويومٌ نافعْ[1]

نراه يمتدح الملك سعود فيها بما أنجز للمشاعر المقدسة من مشاريع وتطوير، فلا تكاد ترى أثراً فيها للمعاني التقليدية.

فالمعاني المدحية في القصائد الأربع السابقة نابعة من الإنجازات التي حققها الممدوح من عفو عن المظلومين أو ترجمة للكتب المهمة أو إنجاز للمشاريع التنموية التي تنهض بالبلاد وترقى بها.

وإذا التفتنا إلى الأغراض الأخرى نجد الغزل في مجمله عند الغزاوي وشوقي ـ خاصة في مقدمات النسيب عنده ـ يدور حول معاني الأقدمين، من ذلك ـ مثلا ـ قول شوقي:

بأبي وروحي الناعمات الغيدا الباسمات عن اليتيم نضيدا[2]
الرانيات بكل أحور فاترٍ يذر الخلي من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجراً الناهلات سوالفاً وخدودا
اللاعباتِ على النسيم غدائراً الراتعات مع النسيم قدودا

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/ ١٠٧٠.
(٢) الموسوعة الشوقية:٣/ ١٢.

أقبلن في ذهب الأصيل ووشيه ملء الغلائل لؤلؤاً وفريدا
يحدجن بالحدق الحواسرِ دميةً كظباءِ وجرة مقلتين وجيدا

فأسنانهن كاللؤلؤ النضيد وعيونهن فواتر كأنهن وقدشربن خمرا يتركن القلب معمودا. وهن مع ذلك كله يشبهن الظباء .فهذه المعاني تقليدية لاجديد فيها.

ومن ذلك عند الغزاوي قوله:

رنوتُ إليها في غلائل هيفاء محسّدة فتّانةً ذات إغراء[1]
يود النواسيّ أنها من حبيره وتحسبها مرآتُها كلَّ حسناء
حضاريةٌ تحكي الدمى بدويةٌ تخطر في لدن القوام بميساء
كأن أبا الخطاب ناسج بردها أو أن الرضي افتنّ فيها بعصماء

فالشاعر كما نرى لايستطيع ـ حتى في غزله ـ أن يبعد القدماء عن ذهنه أمثال ابن أبي ربيعة وأبي نواس والشريف الرضي وكأنه يستوحي معانيهم الغزلية في قصيدته هذه.وهذا أمره لحظته في قصيدة أخرى له حيث يقول:

إن العيون التي في طرفها حور أخْلِقْ بها أن تُوارى وهي تقتحم[2]
فكم قتلن جريراً قبلنا وقضى ونحن منها بتقوى الله نعتصم

---

(1) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٧٠٣.
(2) المصدر نفسه:٤/١٧٢٢.

ومن أمثلة معاني الغزل التقليدية قوله كذلك:

شُغفت بها خلف الستائر ظبية مفلّجة لمياء سكرى عيونها [1]

كأن الدجى في سالفيها مُضفّر وشمس الضحى إشراقها وجبينها

.....

إذا بصرٌ منها تنوّل خلسةً وقتها من الطرف الحسير يمينها

فهي ظبية فلجاء لمياء الشفتين ناعسة العينين، شعرها كالدجى وجبينها مشرق كالشمس. وهذه المعاني تقليدية لاجديد فيها. وقوله:

إذا بصرٌ منها تنوّل خلسةً وقتها من الطرف الحسير يمينها

كأنه من قول النابغة الذبياني:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتّقتنا باليد [2]

ويتوارى هذا التقليد أحياناً عند شوقي في قصائده المستقلة بالغزل مثل قصيدته في غاب بولونيا التي سلف ذكرها[3].

والمعاني التقليدية القديمة في الغزل قد تتوارى عن الأنظار عند شوقي بفضل أسلوبه الأنيق الذي يضفي على المعنى القديم ثوباً جديدا يجعله مختلفاً لدى السامع، من ذلك ـ مثلاً ـ قوله:

---

(١) المصدر نفسه: ٤/ ١٧٠٠.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين: الأعلم الشنتمري، تحقيق د/محمد عبدالمنعم خفاجي، ١/ ٢٣٠.

(٣) راجع الحديث حول العاطفة في الغزل عند شوقي.

أذكرتِ هرولة الصبابة والهوى لما خطرتِ يقبلان خطاكِ[1]

لم أدرِ ماطيب العناق على الهوى حتى ترفق ساعدي فطواكِ

وتأوّدت أغصان بانكِ في يدي واحمرَّ من خفريهما خدّاكِ

ودخلتُ في ليلينِ فرعِكِ والدجى ولثمتُ كالصبحِ المنوّر فاكِ

ووجدتُ في كنه الجوانح نشوةً من طيب فيك ومن سُلاف لماكِ

وتعطّلت لغة الكلام وخاطبت عينيّ في لغة الهوى عيناكِ

فالأبيات ليس فيها من المعاني جديد، «ولكنها البراعة والصقل، خلقتها خلقاً آخر، وعرضتها علينا عرضاً قشيباً طريفاً. وما أكثر هذا في الشوقيات».[2]

هذا وشعرهما الوطني والاجتماعي موائم لعصره، مناسب لمشكلاته وهمومه، يهتم بقضاياه ويعبر عنها فكان لذلك ـ غالباً ـ بعيداً عن التقليد. لأن موضوعاته خاصةٌ بعصرهما فلابد حينئذ أن يتحلل من قيود القديم[3].

و للتجديد مظاهر أخرى تتجلى في شعري شوقي والغزاوي وبيانها فيما يلي:

أولا : إضافة موضوعات جديدة إلى الشعر العربي.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٢٥١.

(٢) المتنبي وشوقي:عباس حسن،٢٢٨.

(٣) من ذلك قصيدة شوقي في انتحار الطلبة٣/٢٤٣.واكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ٥/٢٧٥.وسقوط الخلافة العثمانية٢/٥٠٧.وعند الغزاوي قصيدته في تدفق المياه العذبة في جده ٢/٨٠٧.وتسبب البهائم في حوادث السيارات٤/١٧٤٩.والمشكلات الزوجية ٤/١٤٥٥ . وماهذه القصائد إلا أمثلة وغيرها كثير.

وشوقي يعدّ مجددا في هذا المجال، وذلك لأنه وسّع باب القصص على لسان الحيوان في الشعر العربي، وهو قصص كان يتمثله من حياته المعيشية وظروف عصره وواقع مجتمعه[1]. وله في هذا الباب ما يربو على خمسين قصيدة ومقطوعة. ولعله من المناسب أن أورد بعض الأمثلة هنا. فمن ذلك قصيدته التي بعنوان «الثعلب والأرنب والديك» يقول فيها:

من أعجب الأخبار أن الأرنبا ... لمّا رأى الديك يسبّ الثعلبا[2]
وهو على الجدار في أمان ... يغلب بالمكان لا الإمكان
داخله الظن بأن الماكرا ... أمسى من الضعف يُطيق الساخرا
فجاءه يلعن مثل الأوّل ... عداد ما في الأرض من مغفل
فعصف الثعلب بالضعيف ... عصفَ أخيه الذيب بالخروف
وقال لي في دمك المسفوك ... تسليةٌ عن خيبتي في الديك
فالتفت الديك إلى الذبيح ... وقال قول عارفٍ فصيح
ما كلنا ينفعه لسانه ... في الناس من يُنطقه مكانه

ومن قصائده على لسان الحيوان كذلك قصيدة بعنوان «القرد الكذاب» يقول فيها:

---

(١) انظر:القصة على لسان الحيوان في الشعر المصري الحديث:رفعت بركات محمد سرور ، ٢١١، مخطوط-رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالأزهر، القاهرة، ١٩٨٦. ومن تجديد شوقي إضافته الشعر التمثيلي إلى الأدب العربي ولم يكن موجودا من قبل. وليس المقام مناسباً للحديث عن هذا الشعر لأن البحث مسلّط على نوع خاص من الشعر وهو الغنائي.

(٢) الموسوعة الشوقية:٩/١٤٩.

لم يتّفق مما جرى في المركب ... ككذب القرد على نوح النبي[1]
فإنه كان بأقصى السطح ... فاشتاق من خفّته للمزح
وصاح يا للطير والأسماكِ ... لموجةٍ تجدّ في هلاكي
فبعث النبي له النسورا ... فوجدته لاهياً مسرورا
ثم أتى ثانيةً يصيح ... قد ثُقِبتْ مركبُنا يا نوح
فأرسل النبيّ كل من حضر ... فلم يروا كما رأى القرد خطر
وبينما السفيه يوماً يلعبُ ... جادت به على المياه المركب
فسمعوه في الدجى ينوح ... يقول إني هالكٌ يا نوح
سقطتُ من حماقتي في الماء ... وصرتُ بين الأرض والسماء
فلم يُصدِّق أحدٌ صياحه ... وقيل حقاً هذه وقاحه
قد قال في هذا المقام من سبق ... أكذب مايُلفى الكذوب إن صدق
من كان ممنواً بداء الكذبِ ... لا يترك اللهَ ولا يعفي نبي

ثانياً : ابتكار المعاني الجديدة.

ليس من السهل أن نحكم لشاعرٍ ما بالابتكار إذ إن ذلك يستلزم الإلمام بكل بيت من الشعر قيل قبله. وهذا أمر صعب. إضافة إلى أن ابتكار المعاني بالنسبة للمتأخرين ليس هيناً لأن السابقين قد طرقوا أغلب المعاني. وقد كان شوقي يرى صعوبة الابتكار وإمكان التوليد من معاني السابقين[2].

---

(١) المصدر نفسه:٩/١٤٦.وللاستزادة انظر-أيضا-٩/١٣٩، ٩/١٤١، ٩/١٤٣، ٩/١٤٨.

(٢) انظر: **الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء**:محمد عبدالرحيم سمان،١٥٣.

والمعنى الجديد إما أن يكون مُبتكراً أو مولداً من معنى قديم. والتجديد في المعاني ـ سواء بالابتكار أو التوليد ـ أمر يكاد ينفرد به شوقي عن الغزاوي. فقد كان شوقي صاحب خيال بارع وفكر قوي شهد له بهما كثير ممن عاصروه.

فمن هذه المعاني عند شوقي قوله:

رمى القضاء بعيني جؤذر أسداً ياساكن القاع أدركْ ساكن الأجم[1]

«فالطريف فيه هو تصوير العينين بصورة السهم يرمي به القضاء، فهو لايذكر أن الجؤذر رماه وإنما يذكر أن القضاء رماه بعيني جؤذر، والقضاء خبير بأنواع النصال»[2].

ومن المعاني البكر قوله يصف وطنه في المنفى:

ملاعبٌ مرحت فيها مآربنا وأربعٌ أنست فيها أمانينا[3]

«وإنما كان هذا معنى بكراً لما فيه من طرافة الخيال، أرأيتم كيف تمرح المآرب وتأنس الأماني؟»[4]

ومن ذلك قوله ـ أيضاً ـ في القصيدة نفسها:

بنّا فلم نخلُ من روْحٍ يراوحنا من برّ مصر وريحان يغادينا
كأمّ موسى على اسم الله تكفلنا وباسمه ذهبت في اليم تلقينا

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٧٠.

(٢) الموازنة بين الشعراء:د/زكي مبارك، ١٦١.

(٣) الموسوعة الشوقية:٥/٣١٨.

(٤) بين شوقي وابن زيدون:د/زكي مبارك، الرسالة-سنة ١٩٣٦، ١٧٣٩/٢، شركة النور-بيروت.

فهذا «من المعاني البكر. يريد أن يقول إن مصر لم تُلقه في يمّ المنفى إلا خوفاً عليه من كيد فرعون. فرعون القرن العشرين المستر جون بول!»[1]

وكذلك قوله في قصيدته «النيل»:

والماء تسكبه فيسبك عسجدا والأرض تغرقها فيحيا المغرق[2]

«فإن من المعروف أن من يغرق يفقد الحياة، ولكن شوقي جعل الغرق سبباً في الحياة».[3]

وقوله في وصف السفن:

مأسورة أبداً تروح وتغتدي وهلاكها في أن يُفك إسار[4]

فالحياة تنعدم لذتها مع الأسر والقيود، ولكن شوقي جعل الهلاك في فك الأسر[5].

ومن معانيه التي اتسمت بالعصرية قوله يصف زلزال مدينة يوكوهاما اليابانية:

تجد الأرض راحةً حيث سالتْ راحة الأرض من وراء الحجامة[6]

---

(١) المصدر نفسه، بتصرف قليل.

(٢) الموسوعة الشوقية:٤/١٧٨.

(٣) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان، ١٧٣.

(٤) الموسوعة الشوقية:٣/٥١٧.

(٥) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان، ١٧٣.

(٦) الموسوعة الشوقية:٥/٢٣٥.

فقد جاء بفكرة علمية حديثة، وهي أن الزلازل والبراكين ضرورية لبقاء الأرض طبيعية في دورانها وحرارتها وبقاء الحياة عليها.[1]

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله لصديق وقد أهداه صورته:

سعت لك صورتي وأتاك شخصي وسار الظل نحوك والجهات[2]

فالمعنى عصري، حيث جعل شخصه وظله سائرين إلى صديقه، بمفهوم الصور الحديثة التي تحبس الظل[3].

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي نجد حظه من التجديد ضعيفاً، ولكن شعره لا يخلو من بعض المعاني الطريفة مثل قوله يصف الحج:

بحرٌ تدفّق بالخلائق موجه وبه السرائر لا البواخر تمخر[4]

والطرافة ـ هنا ـ مبعثها الخيال القوي. فالحج بحرٌ تجري فيه السرائر.

وكذلك قوله يرثي الشيخ ابن بليهد:

في قلبه من ضحى الإسلام ألوية خفّاقة وهي في غاراته خُطب[5]

وفي سويدائه التوحيد مدّرعٌ حسنَ اليقين وفي غيراته لهب

---

(١) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان، ١٧٦.

(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٤٧١.

(٣) انظر: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان، ١٧٦.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٤٧٢.

(٥) المصدر نفسه:٤/١٥٣٨.

يقول د/العطوي «وأخال أن هذين البيتين مبتكران معـان جديـدة. فهما مشتقان من غيرة الرجل وصراحته في أمور الدين الإسلامي».[1]

ومن معانيه غير التقليدية قوله يمدح الملك عبدالعزيز:

وانتضيت السيوف وهي مواضٍ ... وأذقتَ الحتـوف كل مخـادع[2]

فإذا الهمـس بالنـكاية رمس ... وإذا الفصـــل بالشريعـة رادع

وإذا المال في الصحارى ركازٌ ... تحرص الأرض أن يظل ودائع

فالبيت الأخير طريف في معناه، حيث جعل الأرض حريصة علـى طاعـة الملك وحفظ أوامره، حتى الكنوز المدفونة في باطنها تحرسها فـلا أحـد يتعدى عليها.

ومن معانيه الطريفة أيضاً قوله يصف خوفه من ركوب الطائرة:

قدمت إلى المطار وفي فـؤادي ... خـواطرُ نقعهـا أمسى مثـــارا[3]

تحلّـق بي إلى الأفــلاك عـزماً ... وتـهبـط بي إلى القــاع ادّكــارا

فتصارع الأفكار في نفسه ومـا خلّفـه ذلـك مـن اضـطراب نفـسي وتوتر عصبي أشبه مايكونا بالغبـار المثـار مـن الحركـة الـشديدة، معـنى طريفٌ نتيجةً للخيال البارع.

---

(١) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية:١/٣٤٧.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٢٩٧.

الفصل الثالث

وحدة القصيدة

لقد عُنِي النقاد القدامى بالقصيدة فنظروا إليها نظرتَهم إلى عمل أدبي واحدٍ متصل، لا أبياتٍ مشتتة لا يجمع بينها إطار ينتظمها. فوضعوا من أجل ذلك مقاييس من شأنها أن تحفظ القصيدة عن الشتات، وتجعلها ذات وحدة فنية، مثل حسن المطلع، وحسن التخلص من غرض لآخر، والمواءمة بين اللفظ والمعنى وغير ذلك.

ويُروى لهم في هذا الجانب ما ينبئ عن وعيهم وإدراكهم لمفهوم الوحدة، من ذلك ـ مثلاً ـ ابن طباطبا العلوي حيث يقول: «وأحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاماً، يتّسق به أوله مع آخره ... ويجب أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها ... ويكون خروج الشاعر من كل معنىً يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً ... حتى تخرج القصيدة كأنها مُفرغة إفراغا ... تقتضي كل كلمةٍ ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقاً بها مفتقراً إليها»[1]

وقد فطن الشعراء القدماء ــ أيضاً ـ إلى مفهوم الوحدة في القصيدة. فقد رُوِي عن رؤبة بن العجاج حين قال له قائل: «مُت يا أبا الجحاف إذا شئت. قال: وكيف ذلك؟ قال: رأيتُ اليوم عقبة بن رؤبة

---

(١) عيار الشعر: محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق د/محمد زغلول سلام، ١٦٧، منشأة المعارف- الإسكندرية، ط٣، بدون تاريخ.

ينشد شعراً له أعجبني. فقال رؤبة: نعم إنه يقول، لو كان لشعره قِران»[1]. وهو يريد بذلك أن شعره مفكك لا تشابه فيه.

ويُروى أن شاعرا قال لآخر مفاخراً: أنا أشعر منك. قال: وبم ذاك؟ قال: لأني أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه. «فهذا تشبيه موجز معبر يكشف عن مغزى المراد من تلاحم الأبيات وصدورها عن مشاكلة واحدة، كما يتشابه أصحاب النسب القريب».[2]

إذن فوحدة القصيدة مفهوم عرفه النقد القديم، وإن لم يُعرف بهذا المصطلح الذي تعارف عليه النقاد المحدثون، ولكن مع شيءٍ من الاختلاف. إذ إن المراد بوحدة القصيدة في النقد الحديث أحد ثلاثة مفاهيم:

أولاً : مفهوم الوحدة الموضوعية.

ثانيا : مفهوم الوحدة العضوية.

ثالثا : مفهوم الوحدة الفنية.

فالوحدة الموضوعية يراد بها وحدة الموضوع، في القصيدة الواحدة ذات الغرض الواحد. فالقصيدة التي تبدأ بالنسيب ثم تنتهي إلى المديح لا تتحقق فيها سمات الوحدة الموضوعية.

والحق أن «تعدد الموضوعات في القصيدة الذي قد عابه النقاد المحدثون ليس عيباً في القصيدة، مادام هناك السلك الذي ينتظمها في

---

(١) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ٦٨، دار الجيل- بيروت، بدون تاريخ.

(٢) أصول النقد الأدبي: د/أبوكريشه، ٤١٨.

التداعي الفكري والحسي، بحيث لايشعر الذوق بالبعد أو القطيعة بين الفكرة والفكرة».[1]

وأما الوحدة العضوية فيُقصد بها «وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور. على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر».[2]

واشتراط الوحدة العضوية في القصيدة بحيث لا يُمكن حذف بيت من أبياتها أو تقديم بعضها على بعض أو تأخيره، أمرٌ يصعب تحقيقه في الشعر الغنائي. لأن الشعر الغنائي عبارة عن دفقات شعورية تنهال على الشاعر فيعبر عنها في أبياته[3]. وعلى ما سبق فإن الوحدة العضوية أمر يصعب تحقيقه في الشعر الغنائي إلا ما كان ذا طابع قصصي يعتمد على توالي الأحداث وتعاقب المواقف.

ومن جهة أخرى فإنه يمكن تحقيق وحدة في القصيدة من نوع خاص، وحدة فنية بحيث تعني وحدة الشعور وتناسق الأسلوب وحسن التخلص من موضوع إلى آخر دون أن يكون هناك تناقض بين جزئيات القصيدة سواء في الفكر أو العاطفة. وهذه الوحدة هي التي عرفها النقاد القدامى، وهي التي أثبتها د/طه حسين في الشعر العربي القديم وذلك

---

(1) النزعة الشرقية في شعر أحمد شوقي:عبدالفتاح السيد محمد الدماصي، رسالة ماجستير، مخطوط بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة.

(2) النقد الأدبي الحديث:د/محمد غنيمي هلال، ٣٧٣.

(3) انظر: النقد والنقاد المعاصرون:د/محمد مندور، ١١٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دون تاريخ.

حيث يقول على لسان محدثه: «فأنت تعلم ما يقوله الناس من أن أقبح عيب يمكن أن تؤخذ به القصيدة العربية في الشعر القديم خاصة، هو أنها ليست وحدةً ملتئمة الأجزاء، وإنما تأتيها الوحدة من القافية ومن الوزن ... فحدثنا عن هذه الوحدة ما صنع الله بها في شعر القدماء؟ ... قلت: صنع الله بها خير ما يصنع بآثاره فأوجدها وأتقنها وأتمها إتماماً لاشك فيه ولا غبار عليه وما سمعت من خصوم الشعر القديم حديثهم عن وحدة القصيدة عند المحدثين وتفككها عند القدماء إلا ضحكت وأغرقت في الضحك».[1]

وعلى هذا الأساس فإن الوحدة الفنية قد تتواجد في القصيدة ذات الموضوعات المتعددة بشرط أن يجمع بينها تيار شعوري واحد. وهي تستلزم أيضا أن يجري أسلوب الشاعر على نمط واحد، فلا يقوى تارة ويهبط أخرى. كما يجب أن تكون العاطفة مستمرة في أثناء القصيدة بحيث لا تفتر في وسط القصيدة أو آخرها.

وإذا تأملنا شعر كلٍ من شوقي والغزاوي نجد أن الوحدة الموضوعية تتحقق في عدد من القصائد والمقطوعات عندهما. من ذلك عند شوقي ـ مثلاً ـ قصيدته في وصف النخيل[2]، وقصيدته في رثاء عمر المختار[3]. وعند الغزاوي قصيدته بعنوان «صلاة الفجر في المسجد

---

(١) حديث الأربعاء:د/طه حسين، ٣٠، دار المعارف ،مصر،ط١٢، دون تاريخ.و د/طه حسين يطلق على هذا النوع من الوحدة اسم "الوحدة المعنوية".

(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٣٥٥.

(٣) المصدر نفسه:٢/١٤٦.

الحرام»[1] وعامة قصائده الغزلية، فإنه اقتصر فيها على الغزل ولم يجاوزه إلى غرض آخر.

أما الوحدة الفنية فإنها متحققة في غالب أشعارهما. فعند شوقي نجد عامة قصائده الرمزية على لسان الحيوان تتحقق فيها الوحدة الفنية. من ذلك ـ مثلاً ـ قصيدته التي قالها في ملك الغربان:

كان للغربان في العصر مليك ... وله في النخلة الكبرى أريك[2]
فيه كرسيٌّ وخدرٌ ومهود ... لصغار الملك أصحاب العهود
جاءه يوماً نُدور الخادم ... وهو في الباب الأمين الحازم
قال يا فرع الملوك الصالحين ... أنت مازلت تحب الناصحين
سوسةٌ كانت على القصر تدور ... جازت القصر ودبّت في الجذور
فابعث الغربان في إهلاكها ... قبل أن نهلك في إشراكها
ضحك السلطان من هذا المقال ... ثم أدنى خادم الخير وقالْ
أنا رب الشوكة الضافي الجناح ... أنا ذو المنقار غلاّب الرياح
أنا لا أنظر في هذي الأمور ... أنا لا أبصر تحتي يا ندور
ثم لمّا كان عامٌ بعد عام ... قام بين الريح والنخل خصامْ
وإذا النخلة أقْوى جذعها ... فبدا للريح سهلاً قلعُها
فهوت للأرض كالتل الكبير ... وهوى الديوان وانقضّ السرير

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٧٢.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٦٠.

فدهى السلطان ذا الخطب المهول ودعا خادمه الغالي يقول
يا ندور الخير أسعفْ بالصياح ما ترى ما فعلت فينا الرياح
قال يا مولاي لا تسأل ندور أنا لا أنظر في هذي الأمور

فالقصيدة أشبه ما تكون بقصة تعتمد على السرد والترتيب المنطقي، وأبياتها مترابطة لا فجوة بينها.

ومن قصائده القصصية ـ أيضاً ـ التي تتحقق فيها الوحدة الفنية، قصيدته التي تحكي قصته مع قطة طرقت بابه في إحدى ليالي رمضان. يقول:

لست بناسٍ ليلةً من رمضان مرت[1]
تطاولت مثل ليا لي القطب واكفهرت
إذ انفلتتُ من سحو ري فدخلتُ حجرتي
أنظر في ديوان شعـ ـرٍ أو كتاب سيرة
فلم يرُعْني غير صو تٍ كمواء الهرة
فقمت ألقي السمع فـ ـي الستور والأسرّة
حتى ظفرت بالتي عليّ قد تجرّت
فمذ بدت لي والتقت نظرتها ونظرتي
عاد رماد لحظها مثل بصيص الجمرة
وردّدت فحيحها كحنشٍ بقفرة

(١) الموسوعة الشوقية: ٩/١٦٩.

ولبست لـي مـن ورا ءِ الستر جلـد النمـرة
كـرّت ولكـن كالجبـا نِ قـاعـداً وفـرّت
وانتـفـضـت شـواربـاً عـن مثـل بيت الإبـرة[1]
ورفعـت كفّـاً وشـا لـت ذنبـاً كالمِـذْرة[2]
ثُـمّ ارتقـت عـن المـوا ء فـعـوت وهـرّت
لـم أجـزهـا بشِـرَّةٍ عـن غضـبٍ وشـرّة
ولا غبيـت ضعفهـا ولا نسيت قـدرتي
ولا رأيت غـير أمٍ بـالبنـين بـرّة
رأيت مـا يعطـف نفـ ـس شاعـرٍ مـن صـورة
فلم أزل حتى اطمـأنّ جـأشهـا وقـرّت
أتيتـهـا بشـربـةٍ وجئتهـا بكِسـرة
وصنتهـا مـن جـانبيْ مـرقـدهـا بسُـترتي
وزدتهـا الـدفءَ فقـرّ بْت لهـا مِجْمـرتي
ولـو وجـدتُ مصيـداً لجِئتـهـا بفـأرة
فاضطجعت تحت ظـ ـلالِ الأمن واسبطرّت[3]
وقـرأتْ أورادهـا ومـا درت مـا قـرت
وسـرح الصغـار فـي ثـديّـهـا فـدرّت

---

(١) بيت الإبرة: البوصلة، وقد شبه الفم بها.
(٢) المذرة: المِذراة، وهي خشبة ذات أطراف، تُنقى بها أكداس الحَب (اللسان: ٥/٤٠).
(٣) اسبطرّت: أي اضطجعت وامتدت (القاموس المحيط: ٢/٦٤).

غـــرّ نـجـــومٍ سبّـحٌ فـي جنبـــات الســـرّة
اختـلطـوا وعـيّـثـــوا كالعـمْـيِ حـول سفـرةِ
تحسبهـــم ضفـادعـــاً أرسلْتهـا فـي جـــرّة
وقلـتُ لا بـأس عـلـى طفـلكِ يـا جـويرتـي
تمخّضي عـن خمسـةٍ إن شئْت أو عـن عشـرة
أنـتِ وأولادك حـتى يكـبروا فـي خُـفـرتـي

فالأبيات مترابطة يستلزم بعضها بعضا، والشعور فيها إنساني نبيل يتضح في معانيها وألفاظها. أما المعاني فتتمثل في انشغاله بالقراءة وما ينفعه، وعدم رد العدوان بالمثل بل التريث في ذلك، ورفقه بالحيوان الذي يتضح من خلال إطعامه الهرة وتدفئتها أيام الشتاء وإعداد مكان لنومها مع أطفالها. وأما الألفاظ فالعاطفة الإنسانية تتمثل فيها من حيث دلالتها على الرحمة والشفقة وذلك مثل: يكبروا في خفرتي ـ لابأس يا جويرتي ـ أتيتها بشربةٍ ـ جئتها بكسرة ـ أم ـ الأمهات.

كما تتحقق الوحدة الفنية في الكثير من شعر شوقي غير القصصي، كقصيدته التي يصف فيها قصر أنس الوجود وقافيّته في وصف النيل وهمزيته النبوية ورائيته في حريق «ميت غمر» وغير ذلك الكثير[1].

كما أن تحقّق هذه الوحدة ليس صارماً ومحكماً، بل نسبي، يختلف من قصيدة إلى أخرى. فقد نحكم على قصيدة ما بأنها ذات وحدة

(١) انظر: ثنائية التراث والتجديد في شعر شوقي الغنائي: حمدي فاروق صالح، ٦٢، رسالة دكتوراه، مخطوط بكلية الآداب، جامعة الزقازيق فرع بنها، ١٤١٤هـ. وانظر الموسوعة الشوقية: ٨/٢، ٤١١/٣، ٥٤/٤، ١٧٧/٤.

فنية ومع ذلك نبدي عليها ملاحظات من شأنها لو تحققت أن تجعل القصيدة ذات وحدة فنية أقوى. وقد تكون الوحدة الفنية في قصيدة ما أقوى منها في قصيدة أخرى. وسوف يتضح ذلك من خلال تحليل النماذج التي سأذكرها الآن.

يفتتح شوقي قصيدته «نكبة دمشق» واصفاً حبه لها ولأهلها قائلاً:

سلامٌ من صبا بردى أرقّ ... ودمع لا يُكفكف يا دمشق[1]
ومعذرة اليراعةِ والقوافي ... جلالُ الرزءِ عن وصفٍ يدِقّ
وذكرى عن خواطرها لقلبي ... إليكِ تلفّتٌ أبداً وخفق
وبي ممّا رمتكِ به الليالي ... جراحاتٌ لها في القلب عمق
دخلتكِ والأصيل له ائتلاقٌ ... ووجهكِ ضاحك البسمات طَلق
وتحت جنانك الأنهار تجري ... وملء رباكِ أوراقٌ ووُرق
وحولي فتيةٌ غرٌ صِباحٌ ... لهم في الفضل غايات وسبق
على لهواتهم شُعراء لسنٌ ... وفي أعطافهم خطباء شُدق
رواة قصائدي فاعجب لشعرٍ ... بكل محلةٍ يرويه خلْق
غمزت إباءهم حتى تلظّت ... أنوف الأسْد واضطرم المدقّ
وضجّ من الشكيمة كل حرٍّ ... أبيٍّ من أميّة فيه عتق

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/١٩٨.

والشاعر ببيانه مدى حبّه لدمشق ، يقدّم للسامع أنه لا يرضى بأي مكروهٍ يمسها. ولذا فقد انتقل بعد فكرته السابقة إلى وصف النكبة التي حلّت بدمشق، ووصف مكانتها التاريخية المهمة. يقول:

لحاها الله أنباءٌ توالت ... على سمع الوليّ بما يشقّ
يفصّلها إلى الدنيا بريدٌ ... ويُجملها إلى الآفاق برق
تكاد لروعة الأحداث فيها ... تُخال من الخرافة وهي صدق
وقيل معالم التاريخ دُكّت ... وقيل أصابها تلفٌ وحرْق
ألستِ دمشقُ للإسلام ظئراً ... ومرضعة الأبوّة لا تُعقّ
صلاح الدين تاجك لم يجمّل ... ولم يوسم بأزين منه فرق
وكل حضارةٍ في الأرض طالت ... لها من سرحك العلوي عرق
سماؤكِ من حُلى الماضي كتابٌ ... وأرضك من حُلى التاريخ رَق
بنيتِ الدولة الكبرى وملكاً ... غبار حضارتيه لا يُشق
له بالشام أعلامٌ وعرسٌ ... بشائره بأندلسٍ تُدقّ
رباع الخلد ويحكِ ما دهاها ... أحقٌ أنها درست أحقّ
وهل غرف الجنان منضّدات ... وهل لنعيمهنّ كأمس نَسْق
وأين دمى المقاصر من حجالٍ ... مهتكةٍ وأستارٍ تُشق
برزن وفي نواحي الأيك نارٌ ... وخلف الأيك أفراخٌ تزقّ
إذا رُمن السلامة من طريقٍ ... أتت من دونه للموت طرق
بليلٍ للقذائف والمنايا ... وراء سمائه خطفٌ وصعق

إذا عصف الحديد احمرّ أفقٌ على جنباته واسودّ أفق

ثم لا يتوانى شوقي في النعي على المستعمرين الطغاة، وتذكيرهم بالوطنيين من أبناء جلدتهم الفرنسيين الذين ثاروا وحرروا فرنسا.

سلي من راع غيدكِ بعد وهنٍ أبين فؤاده والصخر فرقُ
وللمستعمرين وإن ألانوا قلوبٌ كالحجارة لا ترقّ
رماكِ بطيشه ورمى فرنسا أخو حربٍ به صَلَفٌ وحمق
إذا ما جاءه طلاب حقٍ يقول عصابة خرجوا وعقّوا
دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم أنّه نورٌ وحقّ
جرى في أرضها فيه حياة كمنهلٍ السماء وفيه رزق
بلادٌ مات فتيتها لتحيا وزالوا دون قومهم ليبقوا
وحرّرت الشعوب على قناها فكيف على قناها تُسترقّ

وكما حرر الفرنسيون بلادهم، فإن العرب السوريين يستطيعون تحرير بلادهم. ولذلك توجّه شوقي إلى أبناء سوريا يحثهم على مواصلة الجهاد واطّراح الأماني، فيقول:

بني سوريّة اطّرحوا الأماني وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تُغرّوا بألقاب الإمارة وهي رقّ
وكم صيَدٍ بدا لك من ذليلٍ كما مالت من المصلوب عنق
فُتوق الملك تحدث ثم تمضي ولا يمضي لمُختلفين فتق

نصحْتُ ونحن مختلفون داراً ... ولكن كلنا في الهمّ شرق
ويجمعنا إذا اختلفتْ بلادٌ ... بيانٌ غير مختلفٍ ونطق
وقفتم بين موتٍ أو حياةٍ ... فإن رمتم نعيم الدهر فاشقوا
وللأوطان في دمِ كلِ حرٍ ... يدٌ سلفتْ ودينٌ مستحق
ومن يسقي ويشرب بالمنايا ... إذا الأحرار لم يُسقَوا ويسقُوا
ولا يبني الممالك كالضحايا ... ولا يدني الحقوق ولا يحق
ففي القتلى لأجيال حياةٌ ... وفي الأسرى فدىً لهمو وعتق
وللحرية الحمراء بابٌ ... بكل يدٍ مضرجةٍ يُدقّ

وفي ختام القصيدة يمدح الشاعر السوريين، وكيف أنهم أصحاب نخوةٍ وعزة:

جزاكم ذو الجلال بني دمشقٍ ... وعزّ الشرق أوّله دمشق
نصرتمْ يوم محنته أخاكم ... وكل أخٍ بنصر أخيه حقّ
وما كان الدروز قبيل شرٍ ... وإن أُخِذوا بما لم يستحقوا
ولكن ذادةٌ وقراة ضيفٍ ... كينبوع الصفا خشنوا ورقّوا
لهم جبلٌ أشمّ له شعافٌ ... موارد في السحاب الجون بلق[1]
لكل لبوءةٍ ولكل شبلٍ ... نضالٌ دون غايته ورشْق

(١) الشِعاف: جمع شَعَفَة وهي رأس الجبل (القاموس المحيط: ٣/٢٣١). والجبل المقصود في البيت: جبل حوران وهو جبل الدروز . وقوله: موارد في السحاب أي جاوزن حد الارتفاع. والجُون: جمع جَون وهو الأسود المشرب حمرة (اللسان: ٢/٤٢٦). والبُلَقُ: من البَلَق وهو سواد وبياض (القاموس المحيط: ٣/٣١٢).

كأن من السموأل فيه شيئاً فكل جهاته شرفٌ وخُلق[1]

وهذه الأفكار مترابطة تصب كلها في تيارٍ واحد، وقد وُفِّق في ابتدائه بالفكرة الأولى لأن الشعور بالحزن والأسى لا يحصل إلا من المُحبّ الذي يُشغل بأمور محبوبيه. كما أن مطلع القصيدة يناسب موضوعها ويدل عليه، والعاطفة قوية مستمرة أثناء القصيدة، إلا أن الشاعر لم يُوفّق حين افتخر بشعره في معرض مدحه للسوريين فقال:

رواة قصائدي فاعجب لشعرٍ بكلّ محلّةٍ يرويه خلقُ

إذ إن المقام مقام حزن، والموضوع هو دمشق وما حلّ بها، ففخره هنا ـ وإن كان صادقاً ـ لا يلائم المقام[2].

ومن قصائده التي تتحقق فيها وحدة فنية ـ أيضاً ـ همزيته النبوية التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسّمٌ وثناء[3]

وفي هذه المدحة النبوية تتآزر مجموعة من الأفكار الجزئية التي لا تخرج عن مدح النبي ﷺ وهي:

١- الكلام عن مولده ﷺ.

٢- وصف شمائله وأخلاقه ﷺ .

---

(١) السموأل: هو ابن غريض بن عادياء الأزدي، شاعر جاهلي حكيم. من سكان خيبر شماليّ المدينة. كان يتنقّل بينها وبين حصنٍ له سماه "الأبلق". توفي حوالي سنة ٦٥ قبل الهجرة. (الأعلام: ٣/١٤٠).

(٢) انظر الكلام عن فخر شوقي ضمن الحديث عن العاطفة بين الصدق والكذب في الفصل الأول من هذا الباب.

(٣) الموسوعة الشوقية: ٢/١١.

٣- وصف بلاغة القرآن الكريم وبلاغته ﷺ وهما من معجزاته ﷺ.
٤- الكلام عن شريعة الإسلام التي جاء بها ﷺ .
٥- الكلام عن الإسراء والمعراج وهي من معجزاته ﷺ.
٦- الكلام عن غزواته ﷺ ووصف لشجاعته ورأفته فيها ﷺ.
٧- وصف صحابته ﷺ وكيف أنهم كانوا قلة مستضعفين في بداية الدعوة.
٨- خطاب للنبي ﷺ يرجو منه قبول مدحته.
٩- وصف لما عليه قومه من التشتت والفرقة، والدعاء أن يجمع الله بينهم.
١٠- الصلاة والسلام على النبي ﷺ .

والأفكار ذات تسلسل منطقي محكم، يعتمد على التدرج التاريخي لحياته ﷺ . فقد بدأ بمولده وهو بداية كل إنسان ثم انتقل إلى وصف أخلاقه ﷺ وهي المرحلة التي تلي الطفولة حيث تتشكل الأخلاق.ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف معجزته الكبرى ﷺ وهو القرآن الكريم وهو رمز لمرحلة البعثة عندما بلغ الأربعين ﷺ. وقد أتبع ذلك بالحديث عن شريعة الإسلام التي فصّلها القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ترتيب منطقي. وكان من الأنسب أن ينتقل إلى الحديث عن الإسراء والمعراج بعد ذلك ولكنه تحدث عن شريعة الإسلام. فالإسراء والمعراج من معجزاته كما أن القرآن الكريم من معجزاته ـ أيضاً ـ وجعلهما متقاربين في القصيدة مناسب جداً، كما أن الشريعة الإسلامية لم تكتمل إلا بعد الهجرة أي بعد الإسراء والمعراج.

وبعد أن انتهى شوقي من حديثه عن الإسراء والمعراج انتقل إلى وصف النبي ﷺ في غزواته وكيف أنه كان يجمع بين البأس والرحمة. وبعد ذلك نجده يصف صحابته ﷺ وهنا تتضح براعة شوقي، إذ إن السامع هنا عندما يتفكر في غزواته ﷺ يتساءل عن صحابته الذين أيدوه

ونصروه وقدموه على أحب ما عندهم من النفس والمال والولد، فكان انتقال شوقي هنا موفقاً وذكياً. وفي ختام القصيدة نجد الشاعر يخاطب النبيﷺ بقوله:

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزّه ماله شفعاء

ويرجو أن يكون ممّن يشفع لهم النبي ﷺ، ثمّ نجده بعد ذلك يكرر فكرة قد طرقها من قبل وذلك حيث يقول:

ظلموا شريعتك التي نلنا بها ما لم ينلْ في رومة الفقهاء
مشت الحضارة في سناها واهتدى في الدين والدنيا بها السعداء

فكان من الأولى أن يكون هذان البيتان مع إخوتهما ضمن الحديث عن شريعته السمحاء ﷺ.

ومطلع القصيدة يدل على مضمونها، كما أن العاطفة قوية ومستمرة في جميع أبياتها، إلا أنها تقوى أكثر في ختام القصيدة حيث يخاطب الشاعر النبي ﷺ ويرجو أن ينال شفاعته يوم القيامة. وهي ـ أي العاطفة ـ إعجاب ومحبة في أول القصيدة وأوسطها تتحول إلى أمل صادق ورجاء قوي في ختام الأبيات.

وألفاظ القصيدة منتقاة لا تجد فيها نفوراً أو قلقاً. وهي غاية الأدب في حديثها عن النبي ﷺ. إلا أنه لم يوفّق في قوله:

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمُنتهى والسدرة العصماء

وقوله:

الله هيّأ من حظيرة قدسه نُزُلاً لذاتك لم يجزه علاء

فكلمة «حظيرة» أراد بها الشاعر الدلالة على جنة الخلد ولكنها «نابية يمجها الذوق، وينقبض لها الصدر، لسوء موقعها، وكراهة المعنى الذي تخطره بالبال في هذا المقام».[1]

أما قصيدته نهج البردة التي مطلعها:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر الحُرُم[2]

فإن الوحدة الفنية لا تتوافر فيها على الوجه الأكمل، فليس فيها ترتيب للأحداث، فهو يقول مثلاً:

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخٍ في مظهرٍ سنم
نُموا إليه فزادوا في الورى شرفاً ورُبّ أصلٍ لفرعٍ في الفخار نُمي
حواه في سبحات الطهر قبلهم نوران قاما مقام الصُلب والرحم
لمّا رآه بحيرا قال نعرفه بما حفظنا من الأسماء والسيم
سائل حراء وروح القدس هل علما مصون سرٍ عن الإدراكِ منكتم
كم جيئةٍ وذهابٍ شرّفت بهما بطحاء مكة في الإصباح والغسم
ووحشةٍ لابن عبدالله بينهما أشهى من الأنس بالأحباب والحشم
يسامر الوحي فيها قبل مهبطه ومن يُبشَّرْ بسيمى الخير يتسم

---

(١) الدين والأخلاق في شعر شوقي: علي النجدي ناصف، ١٣٢، مطبعة كوستاتسوماس، ١٩٤٨م.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٥/٧٠.

لما دعا الصحب يستسقون من ظمأٍ فاضت يداك من التسنيم بالسنم
وظللته فصارت تستظل بـه غمامة جذبتها خيرة الديم

.....

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قبل من قيلت له بفم
هناك أذّن للرحمن فامتلأت أسماع مكة من قدسية النغم

ثم يقول بعد ذلك كله:

سرت بشائر بالهادي ومولده في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
تخطّفت مهج الطاغين من عربٍ وطيّرت أنفس الباغين من عجم

فمظاهر الاضطراب تتجلى في الآتي:

أولاً: أن شوقي كان يقفز كثيراً من أحداث السيرة، فبعد الحديث عن شرف نسبه ﷺ ينتقل مباشرة إلى سفره ﷺ مع عمه إلى الشام، وتعرّف بحيرا عليه ﷺ بما لديه من علامات. وبعد ذلك ينتقل مرة أخرى إلى تحنثه ﷺ في غار حراء. ويفاجئنا شوقي مرة أخرى فيحدثنا عن بعض معجزاته ﷺ قبل أن يشير إلى بعثته.

ثانياً: عدم ترتيب الأحداث فهاهو يتحدث عن بعض المعجزات ثم يشير إلى نزول الوحي عليه أول مرة ثم بعد ذلك يتحدث عن مولده ﷺ وكيف كان الناس قبيل مولده[1].

---

(١) انظر: الدين والأخلاق في شعر شوقي: علي النجدي ناصف، ٣٤-٣٥.

ويدخل في هذا الباب عدم التزامه بالترتيب التاريخي في ذكر الأشخاص والأسماء، فمن ذلك في هذه القصيدة قوله:

من في البرية كالفاروق معدلةً وكابن عبدالعزيز الخاشع الحشم
وكالإمام إذا ما فضّ مزدحماً بمدمعٍ في مآقي القوم مزدحم

.....

أو كابن عفان والقرآن في يده تحنو عليه كما تحنو على الفُطُم

فالترتيب المنطقي يقتضي أن يتبع الفاروق بعثمان ثم علي ثم عمر ابن عبدالعزيز رضي الله عنهم أجمعين.

وشوقي وقع في هذا المأخذ في مواضع أُخر، من ذلك ـ مثلا ـ قوله في قصيدته «الله»:

موسى على سينين أعشى أرمد هو والجبال وأرض مدين همد[1]
ودنا فخرّ إلى الجبين محمدُ ومضى سليمان ووجهك سرمدُ

وقوله:

وصحا الملوك من الغرور وأقصروا كسرى وهارون الرشيد وقيصر

وقوله ـ أيضاً ـ:

لم يأل داوود الصلاة مثاني ويسوع دمعاً والبشير مثاني
وتنوّر الوادي ربىً ومثاني فسما الكليم فما توسم ثاني

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/ ٣٤.

فقدم هارون الرشيد على قيصر وهو متأخر عنه، كما قدم محمدا ﷺ على سليمان عليه السلام ومحمد ﷺ متأخر عنه زمناً. وذكر داوود قبل موسى عليهما السلام، وترتيبهما في الزمن عكس ذلك[1].

ثالثاً: من مظاهر الاضطراب في القصيدة مناقضة الشاعر نفسه في بعض صوره، فهو يقول:

البدر دونك في حسنٍ وفي شرفٍ والبحر دونك في خيرٍ وفي كرم

ثم يقول بعد ستة أبيات:

كأن وجهك تحت النقع بدر دجىً يضيء ملتثماً أو غير ملتثم

وهذا يذكرنا بالتناقض الذي وقع فيه مع نفسه حين وصف أبا الهول تارة بأنه أعمى وأخرى بأنه يرى الغيوب.[2]

والجدير بالذكر أن العقاد أخذ على شوقي التفكك في شعره من خلال قصيدته في رثاء مصطفى كامل:

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما في مأتم والداني[3]

وشبهها بالرمل المهيل[4]، إذ لا ترتيب ينتظمها، والحق أن بعض التفكك قد يظهر في بعض أبيات شوقي - كما بينتُ ذلك قبل قليل - ولكن

---

(١) انظر: دراسات في الأدب الحديث: د/حسن عبدالسلام، ٣١١.

(٢) انظر صـ٢٧٠ من هذا البحث ضمن الحديث عن التناقض في العاطفة.

(٣) الموسوعة الشوقية: ٥/٣٥٥

(٤) الديوان في الأدب والنقد: عباس العقاد وإبراهيم المازني، ١٣١.

التفكك الذي عناه العقاد بحيث لا يُمكن نقل بيتٍ من موضعه إلى موضعٍ آخر أمر مجحف في الشعر الغنائي. كما تجدر الإشارة إلى أن العقاد نفسه لم يستطع أن يطبق هذا المبدأ على شعره. وقد بين ذلك الدكتور مندور من خلال قصيدة للعقاد. حيث تم إعادة ترتيب أبياتها دون أن يؤثر ذلك على القصيدة[1].

هذا والوحدة الفنية عند شوقي تتواجد كذلك في قصائده التي يبتدؤها بمقدمات طللية أو غزلية أو غير ذلك. كقصيدته التي يهنئ فيها الخديو عباس ومطلعها:

على قدر الهوى يأتي العتاب ومن عاتبتُ يفديه الصحابُ[2]

والقصائد من هذا النوع ـ أي المُبتدأة بالمقدمات ـ أهم ما يواجه الشاعر فيها أن يحسن التخلص من مقدمة قصيدته حين ينتقل إلى الموضوع الرئيس، وأن لا تستأثر المقدمة بالقسم الأكبر من القصيدة حتى لا يملّ السامع، إضافةً إلى أن في ذلك ما يوحي بعدم صدق عاطفة الشاعر في موضوع القصيدة الرئيس.

وشوقي من الشعراء الذين يحسنون التخلص في أشعارهم من فكرة إلى أخرى[3]، وهو أمر واضح من خلال هذه القصيدة إذ يقول:

وكل هوىً بلائمةٍ مشوبٌ وحبُّك في الملامة لا يُشاب

---

(١) انظر: النقد والنقاد المعاصرون: د/محمد مندور، ١١٧. وانظر -أيضاً-: الدراسات النقدية حول شوقي، عبدالناصر محمد السعيد، رسالة دكتوراه -مخطوط بكلية اللغة العربية بالمنصورة، الأزهر.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/ ٣١٥.

(٣) انظر: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء: محمد عبدالرحيم سمان، ٢٠٥-٢٠٧.

لأنك أنت للأوطـان كهـفٌ وأنت حقوق مِصرك والطـلاب

وقد استأثرت المقدمة بنصف أبيات القصيدة تقريباً، والسامع لا يشعر باضطراب في معانيها أو في الربط بين المقدمة ومدح الخديو والسلطان.

وكذلك في قصيدته التي قالها في مشروع ملنر ومطلعها:

اثن عنان القلب واسلمْ بـه من ربرب الرمل ومن سربه[1]

أحسن التخلص من الغزل إلى الحديث عن السياسة فقال عن قلبه:

ما خفّ إلا للهـوى والعـلا أو لجـلال الوفـد في ركبـه

ثم تابع حديثه عن الوفد المفاوِض لملنر.

ومن قصائده التي أحسن فيها التخلص ـ أيضاً ـ قصيدته في لبنان حيث انتقل من الغزل إلى وصف لبنان فقال:

قالت ترى نجم البيان فقلتُ بل أُفُقُ البيان بـأرضِكم يمّمتُـه[2]

وشوقي لا يوفّق ـ أحياناً ـ في حسن التخلص، كما يبدو في قصيدته التي مطلعها:

إلام الخُلف بينكمُ إلامـا وهـذي الضجة الكبرى علامـا[3]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه:٢/٤٩٥.

(٣) المصدر نفسه:٥/١٠٥.

حيث ينتقل فيها من حديثه عن تصريح ٢٨ فبراير[١] إلى الحديث عن مصطفى كامل بطريقة مفاجئة فيقول:

وما أدري غداة سُقيتُموه أترياقاً سُقيتم أم سِماما
شهيد الحق قم تره يتيماً بأرضٍ ضُيِّعتْ فيها اليتامى

ومما لم يُحسن التخلص فيه ـ أيضاً ـ قصيدته التي مطلعها:

روّعوه فتولّى مغضَبا أرأيتم كيف ترتاع الظبا[٢]

ففيها ينتقل من الغزل وحديثه عن نفسه إلى مديح الخديو مباشرةً فيقول:

أنا في دنياي أو آخرتي شاعر النيل وحسبي لقبا
أرِد الكوثر إلا أنني لا أرى الكوثر منه أعذبا
شرفاً صاحب مصرٍ شرفاً فُتّ في هذا المقام الشُهُبا

وبعد، فإن القصائد التي لا تتحقق فيها الوحدة الفنية عند شوقي أقلّ كثيراً من القصائد التي تتحقق فيها، ولذلك فإني أتفق مع محمد تيمور في أن «الموضوع في مُعظم قصائده متواصل الأطراف، متماسك الأوصال، متكامل الصور، معانيه يأنس بعضها ببعض، وأفكاره يتوضع

(١) تصريح ٢٨ فبراير: هو الذي اعترف فيه الإنجليز بأيلولة الحكم إلى المصريين بشروط رآها البعض لاضير منها ورآها آخرون غير ذلك.
(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/٣٢٠.

فيها التركيز والتجسيد، وكأن كل قصيدةٍ ذات خطة مرسومة في دقةٍ وإحكام».[1]

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي نجد أن الوحدة الفنية متحققة في كثير من شعره، من ذلك مثلاً قصيدته التي ألقاها أمام الملك عبدالعزيز في موسم الحج، يقول في أولها:

دعاني من ذكرى حبيبٍ ومنزل وهاتا اسمعاني في الكتاب المنزّل[2]
وعوجا على الآيات من كل معجزٍ ففيها جلاء الحق في كل معضل
ألمّا بها واستجلياها بعبرةٍ فإن بها نور الهداية ينجلي

والقصيدة في (٦٠)بيتاً، وموضوعها مديح الملك وهي تشتمل على عددٍ من الأفكار كما يلي:

١- الدعوة إلى ترك اللهو والحث على التمسك بالكتاب والسنة، في (٧) أبيات.
٢- مديح الملك عبدالعزيز، في (٣٦) بيتاً.
٣- دعاء للممدوح والدين والبلاد، في(١٣) بيتاً.
٤-بيان صدقه فيما يقول واحتساب ذلك عند الله، في (٤) أبيات.

وهذه الأفكار الجزئية مترابطة في القصيدة لا فجوة بينها. وحسن التخلص بادٍ في الربط بين الفكرة الأولى ومديح الملك وذلك حيث يقول:

---

(١) اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة:محمود تيمور، ٨٧، مكتبة الآداب، مصر، دون تاريخ.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ١٢٥.

وخلِّ أخلاء الغواية والهوى يُجيلون أقداح الهوان المنكّل
ولُذ بالذي ضحّى سويداء قلبه لتأييد دين الله مولى التفضّل

والعاطفة في القصيدة هي عاطفة المعترف بالجميل، المُعجَب بشخصية ممدوحه، وهي محاطةٌ بحسٍ ديني عميق ومناسبة دينية جليلة، وأمام حجاج بيت الله الحرام، ولذلك فقد واءم الشاعر بين ألفاظه ومعانيه من جهة وبين المقام الذي قيلت فيه القصيدة من جهة أخرى.

فالألفاظ تسبح في التيار الديني مثل: الكتاب المنزل ـ الآيات ـ الحق ـ نور الهداية ـ دار الخلد ـ حديث المصطفى ـ رشاد ـ دين الله ـ شرع ـ الضلالة ـ الهدى ـ الإسلام ـ التوحيد ـ الرحمن ـ الله ـ الإله ـ التوكل ـ الحج ـ المناسك ـ مؤمن ـ الفريضة ـ المسلمين. وغير ذلك من الألفاظ ذات الإيحاءات الدينية.

وأما **المعاني** فالملحوظ أن المديح لم يخرج عن دائرة الكمال الديني مثل قوله:

ولذ بالذي ضحى سويداء قلبه لتأييد دين الله مولى التفضل
بملكٍ إذا وُفِّقتَ حققتَ أنه منارة شرعٍ في زمان تحلّل
مبدد أحلاك الضلالة بالهدى وحامي حمى الإسلام في كل مجهل
يبيت على سهدٍ لنصرة دينه إذا آثر اللاهون نوم التغزّل
ويرنو إلى مجد الحنيفة طامحاً فيسعى إليه منهلاً بعد منهل
.....
فكم بدعة كانت بلاءً ومحنة أحاط بها من جانبيها بمعول

وكم حيلة خرساء كانت مثابةً على الجهل توتى من وراء التوسل
وكم طللٍ قد كان مصدر فتنة يطوف عليه كل غرٍ مخبّل
يظن به ما ليس يملك أمره وهل عند رسمٍ دارسٍ من معوّل
فقام إلى التوحيد يدعو لربه إذ الناس حيرى في فيافي التذلل
فأيّده الرحمن فامتدّ ظله وأصبح بالتوفيق أعظم معتلي
يبشّر باسم الله في كل موسمٍ ويرقبه بالغيب في كل من يلي
.....
فليس براجٍ غير مرضاة ربه ولو جشّمته كل صعبٍ ومشكل
ويعمل في ذات الإله وإنه ليبلغُ بالإخلاص أنجح مأمل
.....
أقام عمود الدين بعد انصداعه ومكّنه بالسيف بعد التقلقل

ومن النماذج الأخرى لتحقق الوحدة الفنية عند الغزاوي قصيدته التي يتأمل فيها أحوال المسلمين وما هم عليه من فرقة وتخلف، ويفتتحها الشاعر بسيل من الاستفهامات، التي تنكر على المسلمين ما هم فيه من غفلة، فيقول:

أجبني هل للشعب عن غفلةٍ عذر ومن حوله الأرجاء تصخب والبحر[1]
وهل للونى عن مطلب المجد والمنى منادح إلا ما يضيق به الصدر

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/ ١٢٣١.

وهل للشباب الطامحين إلى العلى مناهج إلا الفعل لا النظم والنثر
وهل رضيتْ آباؤنا الصيد في الوغى بموقفنا أم جهنم دوننا سِتر
وهل هادنت أكبادنا كل صيحةٍ تدوّى بها التاريخ أم أننا صخر

ثم يبين الشاعر أن للعرب تاريخاً يثبت جدارتهم بالسبق والتقدم، وهو بذلك يحاول شحذ الهمم عند الشباب، مبيناً لهم أن التقدم الذي أحرزه الآخرون لا ينبغي أن يثبط من الهمم، وإنما يدفعها ويبعثها:

أتبهرك الدنيا اختراعاً وقوةً وما حاز منها البيض والسود والصُفر
وتخلبك النهضات في كل أمة كأنك منها ظلمةٌ مالها فجر
وأنت الذي أجدادك الغرّ قد بنوا صروح المعالي وهي من قبلهم قفر
هم الفاتحون المهتدون ومن بهم تهلّل وجه الأرض وانتطق الفخر
فذرني أبكي مجدهم وتراثهم فقد عاث فيه الذئب والضبع والصقر

ثم لا يلبث الغزاوي أن يبيّن سبب هذا التأخّر الذي أصاب المسلمين، وذلك بعد انجلاء حيرته وهدوء نفسه الثائرة في أول القصيدة:

فما هي إلا آية ثم نجوةٌ علمتُ بها أن المعاصي هي الخُسر
وأن بلاء المرء عجزٌ وعطلةٌ وجهلٌ وتسويفٌ يضيع به العمر
وأن من الأخلاق ما هو محنةٌ لمن لم يُوقّ السوء أو أنها ذخر
وأن ضلال السعي لا وِزر بعده وأنّ اتباع الله في شرعه نصر

وأنّ المعالي لن تُنال تمنّياً ولكنه الإقدام والعلم والوفر
وأنّ بلادي لم تزل في نهوضها يُقهقرها ألفٌ ويحبو بها عشر
إذا استأهلت يوماً لما فيه خيرها تردّد حيناً بين آنائه الدهر

فالأبيات كلها تدور حول موضوعٍ واحد هو حث المسلمين على الجهاد والعمل الدؤوب متخذين من أسلافهم مثلاً يُقتدى به، دون تقاعس منهم أو انبهار بما وصل إليه الغرب.

وقد كرر الشاعر الفكرة في البيتين ١١-١٢ حيث يقول:

أتبهرك الدنيا اختراعاً وقوةً وما حاز منها البيض والسود والصفر[1]
وتخلبك النهضات في كل أمةٍ كأنك منها ظلمةٌ مالها فجر

فأعاد المضمون نفسه في البيتين ٢٨-٢٩ إذ يقول عن الغرب:

أيطرفنا ما تغرب الشمس خلفه فنوناً كما يبدو بمرآته السحر
ونبقى حيارى واجمين كأننا عصافير طيرٍ حول أوكارها نسر

وكان الأَوْلى أن يضم الأبيات إلى بعضها فلا ينتقل من مضمونها إلا بعد إشباعه.

والعاطفة في القصيدة حزينة وحائرة أيضاً، وهي واضحة في ثنايا الأبيات. وكثرة التساؤلات في القصيدة يدل على ذلك فقد بلغت أكثر من ثماني تساؤلات يبتدئ أغلبها بـ «هل».

---

(١) يقصد بالبيض: الغربيين من أوروبا وأمريكا. وبالسود: الأفارقة. وبالصفر: أهل شرق آسيا من الصين واليابان وغيرهما.

ومطلع القصيدة يدل على مضمونها دلالةً وافيةً إذ يقول:

أجبني هل للشعب عن غفلةٍ عذر ومن حوله الأرجاء تصخب والبحر

فالشطر الأول يدل على غفلة المسلمين، والشطر الثاني يشير إلى تفوق الغرب وتقدمهم عن المسلمين في الزمن الحاضر. كما أنه ـ أي المطلع ـ ناسب الجو العاطفي الذي يسود القصيدة، وذلك من خلال قوله «أجبني» فهو سؤال حائر حزين يبحث عن جواب يريحه.

وقصيدته التي قالها في حفيدته بعد أن فقدت وليدها، تلوح فيها سمات الوحدة الفنية. يقول:

هولٌ كأنّ الذرَّ من تفجيره طُوِيتْ به الدنيا بنفخةِ صوره[1]
وبِذاتِ حملٍ لم تكن إلا كما جاء الربيع بنفحه وزهوره
حملتْ ولم تك قبل ذلك لابستْ ألم المخاضِ بويله وثُبوره
حسبته سهلاً وهي في أطيافها عُنيتْ بما تحبوه من تحبيره[2]
وترقّبت إهلاله في غِبطةٍ تعتدُّ ما يكسوه يوم بدوره
واستبشرت وتربّصت وبدا لها متبسّماً في مهده وسريره
وقضت شهوراً في الرؤى خلاّبةً وتراه في آصاله وبكوره
وتقرّ عيناً أنها بوليدها في نعمة مزدانةٍ بحبوره

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٦٨.

(٢) التحبير: التحسين (اللسان: ٣/١٥). والمقصود أنها كانت في أحلامها ترسم صورة جميلة للحمل والولادة.

وترقّبتها ساعة ما مثلها ... في الطلق إلا الموت في توهيره[1]

فانقضّ يمخُضُها وكل فريصةٍ ... منها تكاد تجزّ من تفزيره

وكأنما هي في احتضارِ خانقٍ ... دوّى الصدى بنذيره ونفيره

وحيالها اشتفّ التأوّهُ أهلها ... وعلا التضرّع صاعدا بأثيره

ومضتْ بذلك ليلتان وما هما ... إلا المعاد بذرعه وذعوره[2]

الطب فيها عاجزٌ متهيّبٌ ... وطبيبه متحيّرٌ بغروره

وترقّبتها ساعة ما مثلها ... في الطلق إلا الموت في توهيره[3]

ورأى الضياءَ جنينُها مستصرخاً ... ممّا تخبّط فيه من ديجوره[4]

ما كان إلا وهو في غمراته ... أنثى احتواها قبرُها بشفيره

صرختْ وأعيتْ وارتمتْ وتململتْ ... بل جاء طوّقها الحِمام بنيره

والأم في الوهن المُضاعفِ همُها ... أن يسلم المولود بعد عبوره

فإذا بها تُمنى بما لم تحتسِب ... من صمته وخُفاته ومصيره

ويزيد ذلك من تأزّم بؤسها ... وشقائها في كبدها وجذوره

وتخرّ مجهشةً فلو لا أنها ... رهن البلى لعدتْ إلى مقدوره

فانظر إليها والدموع دماؤها ... تُبكي الجمادَ وإن قسا بصخوره

وكأنما قلبي لها من رحمةٍ ... قد ذاب حتى لا يعي بشعوره

---

(١) وهّره: أي أوقعه في ما لامخرج منه(القاموس المحيط:٢/٢٢٠).

(٢) الذرْع:التقدير.والذعور:من الذعر أي الخوف.والمقصود أن يوم القيامة أصبح وكأنه ماثلٌ ذاك اليوم من شدة الخوف والمصيبة.

(٣) وهّره: أي أوقعه في ما لامخرج منه(القاموس المحيط:٢/٢٢٠).

(٤) الديجور:الظلام(القاموس المحيط:٢/٤١).

هـذا ومـا للمـرء في ضـرّائـه إلا الذي يمحـو الظـلام بنـوره
رحماك رب العالمين فما عسى للـبؤس إلا أنتَ في تبصـيره
فـرطٌ إلى الـفردوس إلا أنه كالجمر في إحراقــه وسعيره[1]
والله أرأف بـالعباد ومـا لنا إلا بـه وزرٌ إلـى تيـسـيره
ما إن لنا إلا الـرضاء بـأمره مهما قضى بوروده وصدوره
يا من تمـزّق كبـدها وفؤادها وبها تلظّى الحــزن في تنّوره
بُشراكِ بالحسنى وأنـتِ سليمةٌ وثِقي بلطف الله في تقـديره
وتذرّعي بالصبر طوعاً واسجدي لله حمداً واصدعي بشكوره

فقد نجح الشاعر في المقابلة بـين مـا يرتسـم في ذهـن حفيدتـه مـن يسـر الحمل والولادة وتفاؤلها بسلامة المولود، وبين ما كـان في الحقيقـة مـن ألم ووهن وفقد. وهذه المقابلة كان لها أثر في تأكيد معاناتها وشدة ألمهـا في مصابها. إضافة إلى أنها ربطت الأبيات ببعضها ربطاً قوياً.

ولو أخّر الشاعر مناجاته لله عز وجلّ إلى آخر القصيدة لكان أجمل وأوقع في النفس، ولكنه فاجأنا بعودته إلى حفيدته بعد الدعاء حيث يقول:

يا من تمـزّق كبـدها وفؤادها وبهـا تلظّـى الحـزن في تنّـوره
بُشراكِ بالحسنى وأنـتِ سليمةٌ وثِقي بلطـف الله في تقــديره
وتذرّعي بالصبر طوعاً واسجدي لله حمداً واصدعي بشكــوره

(١) يقصد حرقة ألم الفقد.

والعاطفة في الأبيات قوية تدل عليها المعاني والألفاظ، ومن جانبٍ آخر أرى أن الشاعر لم يوفق في بعض ألفاظه مثل «التوهير» في قوله:

وترقّبتْها ساعة ما مثلها في الطلق إلا الموت في توهيره

فالشعور الرقيق المتألم لا يتوافق مع مثل هذه اللفظة الوحشية. وكذلك قوله:

ومضت بذلك ليلتان وما هما إلا المعاد بذرعه وذعوره

فالذرع والذعور لاتقبلها الأذن في هذا المقام، إضافة إلى ما يكتنف الذرع من الغموض.

إذن فالوحدة الفنية في شعر الغزاوي تتحقق أغلب سماتها كما ظهر من خلال النماذج السابقة، وكما يتجلى للقارئ في قصائد عدة غير ما ذكرت مثل «فاطمة»[1] و«تجاوب النمل»[2] وكثير من حولياته التي شبهها د/عبدالله الحامد[3] في ترتيب أفكارها بالسبحة التي تتوالى خرزاتها بترتيب ونسق.

وفي ختام الحديث عن الوحدة أجمل أهم النتائج وهي:

أولاً: تتحقق الوحدة الموضوعية في كثير من قصائد شوقي والغزاوي.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٦٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١٤٩٠.

(٣) انظر: الشعر في المملكة خلال نصف قرن: د/عبدالله الحامد، ٨٢.

ثانياً : قد تتحقق الوحدة العضوية في بعض قصائد الشاعرين التي تحمل طابعاً قصصياً، ولكن الغالب لا يحمل سمات هذه الوحدة، لأن الشعر الغنائي يصعب تحقيق وحدة عضوية فيه، حيث لا يقدم البيت أو يؤخر عن مكانه.

ثالثاً : وُجِدت الوحدة الفنية في كثير من قصائد الشاعرين، ويصعب الحكم بتحققها بشكل كامل، لأنها تشمل كثيراً من الشروط الفنية التي قد يتخلف بعضها في القصيدة. وهي تختلف من قصيدة إلى أخرى في مدى قوتها ووضوحها.

فقد تكون القصيدة مترابطة الأفكار، ألفاظها مناسبة لمعانيها ومطلعها موائم لموضوعها، ولكن تفتر عاطفتها في بعض المواطن، فهل ننفي عنها الوحدة الفنية أم نحكم لها بوحدة فنية على قدر ما تحقق من شروطها؟ إننا لا نستطيع أن ننفي وجود الوحدة الفنية في القصيدة إلا إذا كان التناقض واضحاً في القصيدة سواء في الأفكار أو الخيال أو الألفاظ، وإلا فإننا نُثبت الوحدة الفنية بقدر ما يلوح من سماتها وشروطها، وهذا هو الطريق الذي سلكت في تحليل بعض قصائدهما فيما سبق.

أما عن الشاعرين وأيهما أكثر توفيقاً في تحقيق الوحدة الفنية، فإني وجدتهما على درجةٍ سواء في ذلك، إلا أن الغزاوي كثيراً ما يشوّه الوحدة الفنية في قصائده، بالألفاظ الحوشية والوعِرة، وسأعرض لذلك بالتفصيل ـ إن شاء الله ـ في الفصل القادم وهو «الألفاظ والأساليب».

الباب الثالث

وسائل التعبير والتصوير
بين الشاعرين

الفصل الأول: الألفاظ والأساليب.

الفصل الثاني: الخيال.

الفصل الثالث: الإيقاع.

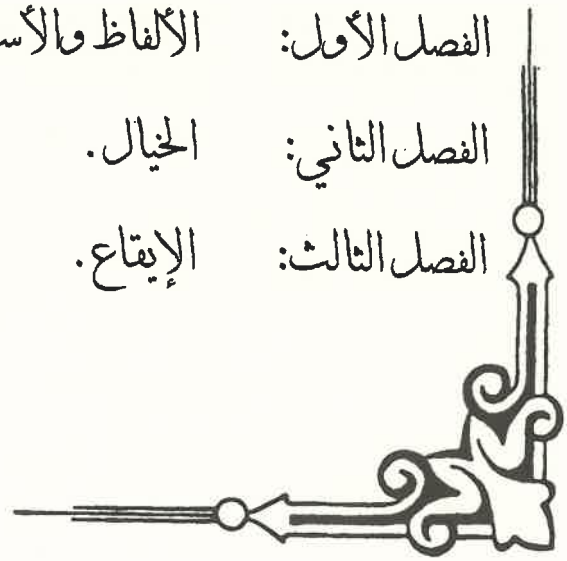

الفصل الأول
الألفاظ والأساليب

للألفاظ والأساليب في الشعرأهمية بالغة، لأنها الوعاء الذي يحمل إلينا إحساس الشاعر وعواطفه وفكره. فمن خلالها نتعرف على سمات الشعر وتجربة صاحبه.

ولذلك نجد النقد اهتم بدراسة الألفاظ والأساليب في القديم والحديث، ورصد كثيراً من الملاحظات والأسس النقدية، وأوضح مايحسن للشاعر أن يتبعه، وما يجدر به أن يتجنبه خلال إبداعه للشعر.

وليس المقام هنا مناسباً لتأريخ عمل النقاد في ذلك، ووصف جهودهم التي بذلوها ضمن عنايتهم بالألفاظ والأساليب [1].

وإذا تتبعنا سمات الألفاظ والأساليب عند شوقي والغزاوي نجد بوناً شاسعاً بينهما، فشوقي يتفوّق على الغزاوي كثيراً في حسن تخيّر اللفظ، ودقة انتقائه، ومواءمته مع باقي الألفاظ المجاورة له، مع المحافظة على جودة الأسلوب وجريه على مستوى واحد.

وممّا يُروى في هذا المجال أن شوقي في رثائه لعمر المختار كتب من ضمن الأبيات:

يا ويلهم نصبوا مناراً من دمٍ يوحي إلى جيل الغد البغضاء[2]

---

(١) انظر: أصول النقد الأدبي: د/طه أبو كريشه، ٢٥٢-٣٣٤.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/١٤٤.

فلم يلبث أن بدّل «ياويلهم» بـ «ياويحهم» فسئل في ذلك فقال: أنا لاأهدد الطغاة لأني لستُ قوياً، ولكني أستعدي عليهم، والاستعداء يقتضي أن أقول «ياويحهم» أما التهديد فيقتضي أن أقول «يا ويلهم». [1]

وهناك الكثير من الشواهد على براعة شوقي في اختيار ألفاظه الموحية. من ذلك بائيته التي يهنئ فيها الترك على انتصارهم، وفيها يقول مخاطباً أتاتورك:

خُطاكَ في الحق كانت كلُّها كرماً وأنتَ أكرمُ في حقن الدّمِ السرب[2]

....

سُئِلتَ سِلماً على نصرٍ فجُدتَ بها ولو سُئِلتَ بغير النصر لم تُجِبِ

فقد وُفِّق شوقي في قوله «خطاك» لأن الخُطى توحي بالمتابعة والمثابرة وطول الطريق، فهي ليست مفردة بل مجموعة من الخطى. ثم هي مضافة إلى الممدوح تأكيداً على عِظم الجهد الذي بذله. وكلمة «السرب» يوحي جرسها بسرعة سيلان الدم وهذا يتطلّب جهداً أكبر في حقنه. وفي قوله «سُئِلتَ سِلماً» نجد حرف السين المهموس الذي يناسب حالة الخضوع والتذلل وطلب السلام.

وشوقي يوائم بين ألفاظه وموضوع القصيدة، وهاهو يصف النيل في قافيّته المعروفة فيقول مخاطباً إياه:

أتت الدهور عليك مهدُكَ مُترعٌ وحِياضُك الشُّرقُ الشهيّة دُفّقُ[3]

---

(١) انظر: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء: محمد عبدالرحيم سمان، ٢٢٥.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/٢٤١.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٧٨.

تسقي وتُطعِمُ لا إناؤكَ ضائقٌ بالواردين ولاخِوانُكَ ينفُقُ
والماء تسكُبُه فيُسبكُ عسجداً والأرض تُغرِقها فيحيا المُغرقُ
تُعيي منابعُك العقولَ ويستوي متخبِّطٌ في علمِها ومحقِّق

ويصفه في قصيدةٍ أخرى فيقول:

النيل العذب هو الكوثرْ والجنّة شاطئه الأخضرْ[1]
ريّان الصّفحة والمنظرْ ما أبهى الخُلدَ وما أنضرْ
البحرُ الفيّاضُ القُدُس الساقي الناسَ وما غرسوا
وهُو المنوال لما لبسوا والمُنعمُ بالقطن الأخضرْ

فالقصيدتان في غرضٍ واحد، ولكن شوقي في القصيدة الأولى يستبطن التاريخ ويوغل فيه فجاءت ألفاظه قوية فخمة، وهو في الثانية يخاطب الأطفال، ويشرح لهم حقائق النيل في أسلوب عذب ولغةٍ سهلة.[2]

وقد استفاد الشاعران من ثراء اللغة العربية وسعة أساليبها، فنوّعا في شعرهما من استخدام الصيغ المختلفة للمفردة كاسم الفاعل واسم المفعول وأفعل التفضيل وصيغ التعجب، كما نوّعا ـ أيضاً ـ في أسلوب الكلام. كالتقديم والتأخير والاستفهام والأمر والنداء وغير ذلك.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٤٣٩.
(٢) انظر:الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان،٢١٦.

والتقديم شائع في شعر شوقي، سواء في المسند أو المسند إليه أو متعلقات الفعل، وذلك مثل الأبيات التالية من الهمزية النبوية[1]:

الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء
يا خير من جاء الوجود تحيةٌ ... من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بك بشّر الله السماء فزيّنت ... وتضوّعت مسكاً بك الغبراء
يوم يتيه على الزمان صباحه ... ومساؤه بمحمد وضّاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه ... والحوض أنت حياله السقّاء

وقد أفاد التقديم في هذه الأبيات تعظيم الرسول ﷺ، وذلك عن طريق حصر معاني المديح عليه دون غيره من الأنبياء عليهم السلام.

ومن التقديم ـ أيضاً ـ قوله يخاطب الخديو:

لك في القلوب منازلٌ وُصلت ... بقواعد الإسلام في طنب[2]

فقد قدم الجار والمجرور «في القلوب» ليبين أن حب الرعية لمليكهم حبٌ صادق مبعثه القلب.

ومن صور التقديم عنده تقديم الصفة على الموصوف كقوله:

ذكروك بالمئة السنين وإنها ... عمرٌ لمثلك في النجوم قصيرُ[3]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/١٠.
(٢)المصدر نفسه:٢/٤٠٧.
(٣) المصدر نفسه:٢/٣٤٦.

وقوله:

سماؤكِ يادنيا خداع سراب وأرضكِ عمرانٌ وشيك خراب[1]

فالاهتمام مسلّطٌ على الصفة في البيتين، وهي طول السنين في البيت الأول، وكون الدنيا مخادعة ووشيكة الخراب في البيت الثاني.

والتقديم عند الغزاوي لايقل عنه عند شوقي، من ذلك قوله يخاطب الملك:

جل الذي هو للمواهب مانح أنت السعود وفي حجاك أُرابح[2]

مازلتُ فيك مغالباً شجو النوى وبه يغاديني الجوى ويراوح

فالتقديم هنا جاء مؤكداً لإعجاب الشاعر بممدوحه، من حيث جاء القصر واضحاً في الأبيات.

ومن التقديم ـ أيضاً ـ قوله:

ألا إنما بالعلم تُحدى البشائر وفي أهله تزداد فينا المفاخر[3]

به يرفع الرحمن كل مجاهدٍ ويمنحه التوفيق وهو يذاكر

.....

تظلله الأملاك في غدواته وروحاته والفضل فيه يكاثر

---

(١)الموسوعة الشوقية:٢/٣٤٦.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٦٥٩.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٤٤٩.

وقد أفاد التقديم الاهتمام بأمر العلم والتعلم، والرفع من شأن ذويه.

وقوله:

يا حماة الذمار لله أنتم ولكم منه نصره المكفول[1]

علم الله ما اعتزمتم وهذا سر توفيقكم وفيه القبول

والتقديم في البيتين جاء ليؤكد ارتباط الدفاع عن الوطن برضا الله عزوجل، وذلك عن طريق القصر، ولنأخذ قوله «ولكم منه نصره المكفول» فأصل الكلام على النسق الآتي «ونصره المكفول لكم» فقدم الجار والمجرور «لكم» أي لا لغيركم، ثم أتبعهما بقوله «منه» أي من الله عزوجل فجاء تعبير الشاعر قويا في دلالته على المراد.

ومن التقديم كذلك قوله:

في طاعة الله تبغي الأجر محتسباً وتوصل السعي والتدآب والسفرا[2]

وقوله:

الغيث أنت وفيك الغيث ينتجع وفي لقائك كل الخير يجتمع[3]

والتقديم على وجه العموم إنما يرد لغرض الاهتمام بالمقدّم أو التخصيص، يقول عبدالقاهر الجرجاني عن التقديم: «هو بابٌ كثير الفوائد، جم المحاسن .... ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠٢٣.

(٢) المصدر نفسه:٢/٦٦٣.

(٣) المصدر نفسه:٢/٧٣٥.

لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوّل اللفظ عن مكانٍ إلى مكان».[1]

وإذا انتقلنا إلى أسلوب الاستفهام، نجده لايأتي للغرض الأساسي له، وهو طلب الفهم، وإنما لأغراضٍ بلاغيةٍ متنوعة كالتمجيد والتوجع والتحسر واللوم والتقريع وغير ذلك.

فهو عند شوقي يرد للتمجيد نحو قوله يخاطب النيل:

من أي عهدٍ في القرى تتدفق ... وبأي كفٍ في المدائن تغدق[2]

ومن السماء نزلتَ أم فُجِرتَ من ... عليا الجنان جداولاً تترقرق

وبأيِ عينٍ أم بأية مزنةٍ ... أم أي طوفانٍ تفيض وتفهق

وبأي نولٍ أنت ناسج بردةٍ ... للضفتين جديدها لا يخلق

كمايرد للتقريع نحو قوله:

فيا قوم أين الجيش فيما زعمتم ... وأين الجواري والدفاع المركّب[3]

وأين أمير البأس والعزم والحجى ... وأين رجاءٌ في الأمير مخيَّب

وأين تخومٌ تستبيحون دوسها ... وأين عصاباتٌ لكم تتوثّب

وأين الذي قالت لنا الصحف عنكم ... وأسند أهلوها إليكم فأطنبوا

.....

---

(١) دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، تعليق محمود شاكر، ١٠٦.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٤/١٧٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٣٦. وانظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: محمد الهادي الطرابلسي، ٣٥٥، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١.

أهذا هو الـذود الذي تدّعونه ونصرُ كـريدٍ والولا والتحبب[1]
أهذا الذي للملك والعرض عندكم وللجار إن أعيا على الجار مطلب
أهذا سلاح النصر والفتح والعلا أهذا مطايا من إلى المجد يركب
أهذا الذي للذكر خلّب معشرٌ على ذكرهم يأتي الزمان ويذهب

وللتحسّر كقوله يبكي أيام الشباب:

يـا غـاب بـولـونٍ ولـي ذمـم عليـك ولـي عهـود[2]
زمـنٌ تقضّـى للـهـوى ولنـا بظلّك هـل يعـود
حلـمٌ أريـد رجـوعـه ورجـوع أحـلامـي بعيـد
وهـب الزمـان أعـادهـا هـل للشبيبـة مـن يعيـد

.....

كـم يـا جمـاد قسـاوة كـم هكـذا أبـداً جحـود
هـلاّ ذكـرتَ زمـان كنّا والـزمـان كمـا نـريـد

أو التفجّع كقوله راثياً:

أحـقٌ أنهـم دفنـوا عـلياً وحطّوا في الثرى المرء الزكيّا[3]
فما تركوا من الأخلاق سمحاً عـلى وجه التراب ولا رضيّا

---

(١) كريد: من جزر البحر الأبيض المتوسط وكانت مثار نزاع بين الأتراك واليونانيين.
(٢) الموسوعة الشوقية: ٣/٣٥.
(٣) المصدر نفسه: ٥/٤٨٢.

مضوا بالضاحك الماضي وألقوا إلى الحفر الخفيف السمهريّا
فمن عون اللغات على ملمٍ أصاب فصيحها والأعجميا

والاستفهام عند الغزاوي يرد للتمجيد غالباً، وذلك نحو قوله يصف العرضة النجدية:

ماذا أشاهد من عزمٍ ومن شمم في رقصة الحرب تحدو السيف بالعلم[1]
تجاوبت بالصدى منها جوانحنا على الشراة وفي الدهناء من أمم

وكقوله يخاطب الملك:

من ذا سواك الدهرَ طاف بشعبه لم يثنه وعرٌ يُشق وصحصح[2]
من ذا سواك من الملوك تذرعت فيه الرعية والصوارم تردح
من ذا سواك على المدى إيثاره إيثارك المتغلغل المتسمِّح
من ذا سواك بلاده وعتاده أمنٌ وإيمانٌ به يتصفّح
من ذا يجادل آية الله التي هي في ظلالك نعمة وتروّح

....

من ذا كمثلك في القرون تتابعت ملكاً تُسر به القلوب وتُشرح
من ذا تقحّم في السحاب مشرِّقاً ومغرِّباً والجو أغبر أكلح
من ذا تحمّل بالديات ثقيلةً وأقال عثرة من به يستروح

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:/١٤٤٥.
(٢) المصدر نفسه:٣/١٠٤٠.

من ذا يباري راحتيك إذا هما هـمتا وأيـن البحر مما تمنح

وقوله ـ أيضاً ـ:

فمن كان من قبل السعود وبأسه يطيق بـلوغ الحج دون تزلزل[1]
ومن كان يسـطيع المناسك آمناً على نفسه ما بين جمعٍ وجرول
ومن كان في الرؤيا يصـدق أنه يروح ويغـدو في أمان مخوّل
ومن كان يمضي في الجزيرة وحده بأزواد تبرٍ في سـلامٍ مـمثّل

كما يرد الاستفهام عند الغزاوي للّوم ـ أيضاً ـ نحو قوله:

كم ذا تمر الـحادثات وتنطوي والمسلمون على هوىً وبعاد[2]
والناس قد غاصوا البحار وخططوا جوّ السمـاء وحلّقـوا بجمـاد
وتبادلوا الخـطب الطوال بلحظةٍ من دون واسـطةٍ بـكل بـلاد
فعلام فرقتـكم وفيـم شقاقكم وإلام يشـرق بالزلال الصادي

وقوله ـ أيضاً ـ:

حتام أنت بهذا الحسن تسبيني وبالجمال الذي أوتيتَ تصبيني[3]

وقوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:/١٢٧

(٢) المصدر نفسه:١/٩٨.

(٣)المصدر نفسه:٤/١٦٩٥.

كيف السلامة تبتنى في أمـة ما همّها إلا الثراء الفاحش[1]
من أين جاء به الحرام محلَّل ومحرَّم منـه الحـلال القارش

وقوله:

يا معشر الإسلام دعوة مخلصٍ مازال يسمع صيحة الأجداد[2]
حتـام والـدنيـا غـرورٌ زائـلٌ نحبو إليها في جـوىً وسهـاد
وإلام نغـدو للشـقاق فريسـةً والبـغيِ والآثـامِ والأحـقـاد
وعلامَ تسبقنا الشعوب تنافساً في العلم والتجـهيز والأجناد
ألأنّهم بشـرٌ ونحـن سـواهـم كلاّ فنـحن أحقّ بـالإعـداد

وإذا انتقلنا إلى أسلوب الأمر، نجده عند الشاعرين علـى نـوعين: نوع يرد في المطالع ونوع في غير المطالع. أما أسلوب الأمر عنـد شـوقي في مطالعه فهو غالباً على التجريد وذلك نحو قوله:

قم ناد جلّق وانشد رسم من بانوا مشتْ على الرسم أحداثٌ وأزمان[3]

وقوله:

قم في فم الدنيا وحيّ الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا[4]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٥٥.
(٢) المصدر نفسه:١/١٦٨.
(٣) الموسوعة الشوقية:٥/٣١٠.
(٤) المصدر نفسه:٣/٢٧٣.

وقوله ـ أيضاً ـ:

قف برومه وشاهد الأمر واشهد أن للملك مالكاً سبحانه[1]

وقوله:

قم حيّ هذي النيّرات حيّ الحسان الخيّرات[2]

وقوله:

قف على كنزٍ بباريس دفين من فريدٍ في المعالي وثمين[3]

فالشاعر في مثل هذه المطالع إنما يجرد من شخصه شخصاً آخر يخاطبه ويأمره. وقد يرد أسلوب الأمر في المطالع على غير التجريد نحو قوله:

قف باللواحظ عند حدك يكفيك فتنة نار خدك[4]

وهو هنا يفيد الرجاء.

وأسلوب الأمر عند الغزاوي في مطالعه لم يرد إلا على التجريد نحو قوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٢٤٩.
(٢) المصدر نفسه:٢/٤٣٢.
(٣) المصدر نفسه:٥/٢٥٢.
(٤) المصدر نفسه:٣/٦٣.

حي البطولة في الزعيم الملهم واهتفْ بـه مستبشراً وترنّـم[1]
واجزل لــه الترحيب في أم بتحية الملك المفدى الأعظم
واشدد به أزر الأخوة واغتبط بالناهض المتحمّس المتقــدم
وأشد به في الـخالدين مكللاً بالغار في الشعب الأبيّ المسلم
وامـلأ به التـاريخ فخراً إنــه رمز البسالة في الأشمّ المُعلم
واستوحِ شعرك رائعاً في رائعٍ من سـمتـه ووقـاره المتجشّم

وقوله:

خلّ الحديث عن الماضي وما ذهبا وقُصّـه عسجداً أو قُصّه ذهـبا[2]
واهرِقْ بيانك في شعبٍ جوانحه تكاد ترقص في استبشارها طربا

وإذا تأمّلنا أسلوب الأمر في غـير المطـالع عنـد شـوقي؛ نجـده يفيـد ثلاثة معانٍ[3]:

١/الوعظ في السياقات الاجتماعية:

كقوله عن انتحار الطلبة:

روّحوا القلب بلـذات الصبا فكفى الشيب مجـالاً للكـدر[4]
عالجوا الحكمة واستشفوا بها وانشـدوا مـا ظل منها في السير

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/٩٩٥.
(٢) المصدر نفسه:٢/٧٢٧.
(٣) خصائص الأسلوب في الشوقيات:محمد الهادي الطرابلسي، ٣٦٠.
(٤) الموسوعة الشوقية:٣/٢٤٣.

واقـــرؤوا آداب مـن قبلكـم ربمـا علّم حياً مـن غـبر
واغنمـوا مـا سـخّـر الله لـكم من جمالٍ في المعاني والصور
واطلبوا العلم لذات العلم لا لشـهـــاداتٍ وآرابٍ أُخـــــر

٢/الدعاء والتوسّل :

كقوله يتوسل إلى البارئ عزوجل:

يـا ربّنـا الخـطـب جليـلْ فكـن معينـاً يـا جليـلْ[١]
وأعطنـا الصـبر الجميـــل يـا خـير مـن يـولي الجميـل
منّـا بمـا شِئتَ رضـــا ومنـك لطـفٌ فـي القضـا
حـوّل مضيقنـا فضـــا فمـا عـليـــك مستحيـــل
يـا ربّنـا منـك الرجـا وأنـتَ خـيرُ مُـرتجـــى
فسُـق إلينـا الفـرجـــا يـا ربنـا واشـف الغليـــلْ

وهذا النوع من الأمر يأتي ـ غالباً ـ في خواتيم القصائد.

٣/تمني أمرٍ مستحيل في المستقبل، تأكيداً لوقوعه في الماضي:

وهـذا لايكـون إلا في المراثـي، كمـا في رثائـه محمدعبـدالمطلب إذ يقول:

قم صف الخلد لنا في ملكه من جلال الخلق والصنع العجب[٢]
وثمارٍ في يواقيت الربى وسـلافٍ في أبـاريق الذهب

---

(١) الموسوعة الشوقية:٩/٢٣٣.
(٢) المصدر نفسه:٢/٣٤٤.

وانثر الشعر على الأبرار في قدس الساح وعلوي الرحب

أما عند الغزاوي فإنه يرد للوعظ نحو قوله ناصحاً أبناء الجزيرة العربية:

وقل لجزيرة العرْب اختياراً أقلّي اللوم أو خلي العتابا[1]
وقومي غير صاغرةٍ وهبي إلى العلياء والتمسي الرغابا
وجدّي واجهري وعمي صباحاً فقد صرنا من الثقلين قابا
وضحي وانضحي عرقاً وشقّي سبيلك ما جنحتِ له انتصابا

وقوله يخاطب الحجاج في إحدى حوليّاته:

فاذكروا الله في مشاعرِ قدسٍ طالما استشرقت إلى أنبيائه[2]
واستقيموا على الطريقة تُسقوا غدقاً ينسخ الصدى بروائه
ودعوا الإثم واعبدوا الله حقاً واستعينوه وحده في دعائه
إنما المؤمنون إخوةٌ فاستجيبوا داعي الله واخضعوا لندائه
وأقيموا حدوده وأنيبوا وذروا المستريب في عشوائه

والتوسل نحو قوله يدعو للملك:

فأدِم عليه فضل جودِك سرمداً يا من إليه تهافت الأبرار[3]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٧٣٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/٢٠٨.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٠٢.

واحفظه من كيدِ العداة وآلَه ما غرّدتْ في أيكِها الأطيار

وقوله:

فارحم تضرّعنا إليكَ وذلّنا واغفر فأنت القادر الغفّار[1]
واقبلْ مناسكنا بفضلِك إننا عُدنا إليكَ وفيضُك المدرار
وهب الهدايةَ من لدنكَ لأمةٍ بصلاحها تتحقق الأوطار

أو الرجاء كقوله يخاطب الملك:

فأعد لأكناف الجزيرة عزّها أيام تجري بالسعود سناحها[2]
وانهض بها نحو التقدم والعلى فعسى بيُمنك يُجتلى مصباحها
واشف الصدور من الكلوم فإنما زالت بطبك للنفوس جراحها

وقوله كذلك:

أيها الفيصل الذي هو منّا حبّة القلب بل سواد العيون[3]
عُج على جيرة البطاح مليّاً وتمثّل لشعبك الممنون
فلقد ضجّ من بعادك حتى خانه الصبرُ في عصيّ الشجون
فأنرْ ظلمة النوى وأذقه نعمة القرب بعد طول الحنين

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٢٧.
(٢) المصدر نفسه:٢/٥٥٤.
(٣) المصدر نفسه:٢/٦٠٣.

وإذا تأمّلنا أسلوب النداء عند الشاعرين نجده يرد في شعر شوقي للتمجيد كنداءاته في الهمزية النبوية بالأبيات التالية:

يا خير من جاء الوجود تحية ... من مرسلين إلى الهدى بك جاؤوا[1]
يا من له عز الشفاعة وحده ... وهو المنزّه ما له شفعاء
يا من له الأخلاق ماتهوى العلا ... منها وما يتعشّق الكبراء
يا أيها الأمّي حسبك رتبةً ... في العلم أن دانتْ بك العلماء
بك يابن عبدالله قامتْ سمحة ... بالحقّ من ملل الهدى غرّاء
يا أيها المُسرى به شرفاً إلى ... ما لا تنال الشمس والجوزاء
لي في مديحك يارسولُ عرائسٌ ... تُيِّمن فيك وشاقهنّ جلاء

وللتوسّل كما في قصيدة «إلى عرفات» حيث يقول مخاطباً المولى عز وجل:

وفي راحتي ماضٍ إذا ماهززتُه ... تركتُ عدوّ الله في السكرات[2]
أتيتَ به يارب نوراً وحكمةً ... ونزّهتَه عن ريبةٍ وأذاةِ
ويا ربِّ لو سخّرتَ ناقة صالحٍ ... لعبدِك ما كانت من السلِسات
ويا ربِّ هل سيارةٌ أو مُطارةٌ ... فيدنو بعيدُ البيد والفلوات
ويا ربِّ هل تُغني عن العبد حجةٌ ... وفي العمر ما فيه من الهفوات

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/١١.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٤٢٣.

والتفجّع كما في قصيدته «نكبة بيروت» حيث يقول:

بيروت مات الأسدُ حتف أنوفِهم لم يَشْهَروا سيفاً ولم يحموكِ[1]

.....

يا مضرب الخيم المنيفة للقِرى ما أنصفَ العجم الألى ضربوكِ

.....

بيروتُ ياراح النزيل وأُنسه يمضي الزمان عليّ لا أسلوكِ

أما الغزاوي فالنداء يرد عنده للتمجيد كما في قوله:

يا صاحب المجد الأثيل تحيةً كالزهر إذ هو من صفاتِك نافح[2]

وقوله:

يا حماة الذمار لله أنتم ولكم منه نصره المكفول[3]

علم الله ما اعتزمتم وهذا سر توفيقكم وفيه القبول

وللتوسّل ـ أيضاً ـ كما في قوله:

إليكَ ياعالم الأسرار عن كثبٍ جئنا نخبُّ ونرجو كلّ إحسان[4]

وقوله:

---

(١)الموسوعة الشوقية:٢/٢٣٩.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٦٥٩.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٠٢٣.

(٤)المصدر نفسه:١/٣٥٧.

لك الحمد يامن شكرنا له يقصرُ وتسمع نـجوانا الغداة وتُبصر[1]

....

لك الحمد يامن ليس يحصى ثناؤه ومن لاسـواه الخـالق المتكبّر

وقد يرد النداء عنده للتحسّر نحو قوله:

أمحمدٌ حـسبي بذكرك حسرة غربت بها في الحزن شمس هنائي[2]

هذا، وللتوكيد نصيب وافرٌ عند الشـاعرين، ولـه وسـائل متنوعـة عندهما. أظهرها القسم والتكرار والقصر.

فمن القسم عند شوقي قوله:

قسمـاً بمـن يُحيي العظـــا م ولا أزيــدُك مـن يمـين[3]

وقوله:

والله مـا دون الجـلاء ويومــه يـومٌ تسميـه الكنـانـة عيــدا[4]

ومنه عند الغزاوي قوله:

أما والذي لايعلم الغيب غيره ومـن لك منه كالئ ونصير [5]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٥٣٣.

(٣) الموسوعة الشوقية:٥/٣٠٣.

(٤) المصدر نفسه:٣/١١.

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٦٨٩.

لأنت لهذا الشعب مصدر نعمةٍ وأنتَ لـه بعـد الإلـه ظهير

وقوله من القصيدة نفسها:

حلفتُ برب النافرين إلى منىً عـشيّة جمـعٍ والبطاح تمور
لأنت رعـاك الله سيد أمـة لك الحب منها والجزاء شكور

ومن التكرار عندهما قول شوقي:

المُلك أن تعملوا ما اسطعتُمُ عملا وأن يبينَ عـلى الأعـمال إتقان[1]
الملك أن تخرج الأموالُ ناشطةً لمطلبٍ فيـه إصـلاحٌ وعـمران
الملك تحت لسـانٍ حـوله أدبٌ وتحت عـقلٍ عـلى جنبيه عِرفان
المُلكُ أن تتلاقَوا في هوى وطنٍ تفرّقتْ فـيه أجـناسٌ وأوطـانُ

وقوله ـ أيضاً ـ في مدح الرسول ﷺ حيث أراد اسـتيفاء الجوانـب الكريمة من أخلاقه ﷺ فكرر الشرط بـ «إذا» في أربعة عشر بيتاً [2] منها:

فإذا سخوْتَ بلغتَ بالجود المدى وفعـلتَ ما لا تفعـل الأنـواء[3]
وإذا عفـوْتَ فقـادِراً ومقدّراً لا يستـهينُ بعفـوِك الجهلاء
وإذا رحمـتَ فأنتَ أمٌّ أو أبٌ هـذان في الدنيـا هـم الرحماء
وإذا غضِبتَ فإنما هـي غضبةٌ في الـحقّ لا ضِغنٌ ولا بغضاء

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣١٠.
(٢) في صحبة الشعر والشعراء:محمد عبدالغني حسن، ١٣٤.
(٣) الموسوعة الشوقية:٢/١٦.

ومن صور التكرار عند الغزاوي التعريف بالاسم الموصول في عشرة أبيات متتالية منها قوله:

يا إمام الهدى وأنت المفدى ... والمقيم الحدود في سلطانه[1]
والذي جاء آيةً في زمانٍ ... خفّ رشد الحليم في ميزانه
والذي آثر الخلود وأعلى ... صرحَ توحيدِه على عِمْدانه
والذي أيقظ القلوبَ بوعظٍ ... يصدع الصمّ ساحرٍ من بيانه
والذي العدلُ حكمُه في الرعايا ... أين كانوا مشيعاً بجنانه
والذي انقادت الحظوظ إليه ... فهي مزهوة على غمدانه
والذي استنفر الجيوش كفاحاً ... عن هدى ربه وعن أفنانه

فالتكرار هنا يؤكد تمجيد الشاعر لممدوحه.

وكذلك قوله:

ألا فليبْلغ الداني قصيّاً ... ويعلن حاضر الحشد الغيابا[2]
بأنّا إخوةٌ في الدين طراً ... وحسب المؤمن الدين انتسابا
وأنّا أبعدُ الخلقِ اجتراءً ... على السوأى وأورعهم شغابا
وأنّا لا نلومُ على نصيحٍ ... إذا ما راح يُمحضنا العتابا
وأنّا مأرز الإسلامِ قِدماً ... وحين يُسامُ في الأرضِ اغترابا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٧٠٣.
(٢)المصدر نفسه:١/١١٣.

وأنّا للحجيج الدهرَ أهلٌ وبين قلوبِنا يلقى رِحابا

وأما أسلوب القصر فله طرائق عديدة. كالتقديم، والعطف، والنفي والاستثناء، وإنما، وتعريف الطرفين. وقد تقدم الحديث عن التقديم باعتبار أنه يفيد القصر والاهتمام ـ أيضاً ـ.فإذا ماتأمّلنا بقية طرائق القصر وجدنا أنها تشكّل ظاهرةً واضحةً في ديوان الغزاوي، خلافاً لشوقي الذي وردت عنده باعتدال.

فمن ذلك عند شوقي قوله:

بيت النبيين الذي لا يلتقي إلا الحنائفُ فيه والحُنفاء[1]

وقوله:

ولا أزيدك بالإسلامِ معرفةً كل المروءة في الإسلامِ والحسبِ[2]

وقوله:

أنا من بدّل بالكتب الصحابا لم أجِدْ لي وافياً إلا الكتابا[3]

ومنه عند الغزاوي قوله:

وما التاجُ إلا سجدةٌ في جبينه ولا المجدُ إلا سيفه وصنائعه[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/١٣.

(٢) المصدر نفسه:٢/٢٤١.

(٣)المصدر نفسه:٢/٣٠٥.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٦٥.

ولا الحكمُ إلا عـدله وتقاته ولا الفخر إلا دينـه وشرائعه

وقد ورد أسلوب القصر تسع مرات في قصيدة الشاعر التي تصـف جدة[1]، منها:

وما هـو إلا للـرياضة مـعقلٌ ولكنـه مـن عـزمـه يستثيرهـا
وما النثرُ إلا عقدها وهو عسجدٌ ولا الشـعر إلا دُرُّها وبحورها

وقد يستخدم الغزاوي أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في مطـالع قصائده. وهي مـواطن لايحسـن فيهـا. لأن القصـر لايكـون لـه موقـعٌ في النفس إلا إذا كان نتيجةً لكلامٍ سابقٍ عليه. أمّـا أن يقـع في ابتـداء الكـلام فهذا مما يذهب بأثره وفائدته. إضافةً إلى أن نفس السامع يحسـنُ أن تُهيّـأ قبل أن يواجهها النفي ثم الاستثناء.

ومثال ذلك قوله:

هل العيد إلا به الشمل يُجمعُ وإشراقه إلا الهدى وهو يسطع[2]

وقوله:

ما الفوز إلا بالتضامن والهدى والـبر والتـقـوى وبالإيمـان[3]

وقوله:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٥٧.
(٢) المصدر نفسه: ١/٣٥٨.
(٣) المصدر نفسه: ١/٤٧٥.

هل الشهرشهرالصوم إلا تطوّع وهل هو إلا للمنيبين مطمعُ[1]

ومع أن الشاعرين حرصا على سلامة اللغة والأسلوب إلا أن عليهما بعض المآخذ في ذلك.

فممّا أُخِذ على شوقي مايلي[2]:

أولاً: الوقوع في الحشو والتطويل أو الإيجاز المخلّ بتوفية المعنى[3].

وذلك مثل قوله يخاطب الله عزوجل:

وإني ولا منٌ عليك بطاعةٍ أُجلّ وأُغلي في الفروض زكاتي[4]

فقد أراد الاحتراس مع الله ولكنه أساء في ذلك.[5]

وكذلك قوله:

غُلبوا على أعصابهم فتوهّموا أوهامَ مغلوبٍ على أعْصابه[6]

فإن الشطر الثاني حشو بكامله، لايحمل معنى جديدا عن الشطر الأول.

وأيضا قوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٦٩.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الأبيات التي سأوردها مذكورة في كتاب الأستاذ عباس حسن، ولكنه لم يعلّق عليها ولم يذكر مواطن الإساءة والخطأ فيها.لذلك فإني سوف أكتفي بإحالتها إلى موقعها في ديوان الشاعر.

(٣) انظر:إيضاح التلخيص:الخطيب القزويني، ١١٢-١١٣، شرح وتحقيق عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، مصر، ١٤١٢هـ.

(٤) الموسوعة الشوقية:٢/٤٢١.

(٥) المتنبي وشوقي:عباس حسن،٩٨.

(٦) الموسوعة الشوقية:٢/٢٨٣.

كيف نُحصي على علاك ثناءً لـك منـه الثنـاء والإكـرام[1]

فإن تكرار لفظة «الثناء» من الحشو الواضح.

وحـرص شـوقي علـى المحسـنات البديعيـة يوقعـه في الحشـو والتطويل ـ أحياناً ـ في مثل قوله:

غالِ في قيمة ابن بطرس غالِ علم الله ليس في الحـق غالي[2]

ولو اقتصر الشاعر في الشطر الأول على فعـل الأمـر «غـال» مـرة واحـدة دون تكرار، لكان لرد العجز على الصدر موقعٌ أحسن في النفس.

وكذلك قوله:

يا قوم عثمان والدنيا مداولة تعاونوا بينكم يـا قـوم عثمانا[3]

وقدتكون القافية مدعاة الوقوع في الحشو في مثل قوله:

والطـير أقعـدهـا الكـرى والنـاس نـامـت والـوجـود[4]

فماذا يريد بالوجود؟ بعد أن أعلم السامع بهجوع الناس والطير.

ومثل ذلك قوله:

يريد الخالق الرزق اشتراكاً وإن يكُ خصّ أقواماً وحابى[5]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٥/١٢٨.

(٢)المصدر نفسه:٤/٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه:٥/٢٤٦.

(٤) المصدر نفسه:٣/٣٦.

(٥) المصدر نفسه:٢/٢٥٧.

وقوله:

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غير مختلفٍ ونطقٌ[1]

فإن حابى معناها اختص، فلافرق ـ حينئذٍ ـ بينها وبين خصّ، و«البيان معناه الإفصاح، وهو يستلزم الاتفاق في النطق في معناه العام، وهو الذي يقصده شوقي فيضعف مجيء اللازم بعد الملزوم»[2]

ومن الحشو أيضا ما يكون من جهة التشبيه مثل قوله:

خيل الرسول من الفولاذ معدنها وسائر الخيل من لحمٍ ومن عصبِ[3]

نشوى من الظفر العالي مرنّحةٌ من سكرة النصر لا من سكرة النصَب

والشعر يحسن بالإشارة والتلميح. فمن المعروف أن الخيل من لحمٍ وعصب، ومن المعلوم أن فتور الجسم مبعثه النصَب عادةً.

أما الإيجاز المخلّ فمثل قوله:

هنيئاً للعدوّ بكل أرضٍ إذا هو حلّ في بلدٍ تعادى[4]

فالتقدير: إذا هو حلّ في بلدٍ قد تعادى أهله وتخاصموا[5].

---

(١)الموسوعة الشوقية:٤/١٩٦.

(٢) النقد الأدبي الحديث:محمد غنيمي هلال،٤٤٣.

(٣) الموسوعة الشوقية:٢/٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه:٣/١٠٥.

(٥) انظر:المتنبي وشوقي:عباس حسن،١٠١.

ثانياً : عدم ملاءمة الألفاظ أو التراكيب للمقام أو الغرض.

ويدخل في هذا الباب عدة أمور:

١- ألا تكون طريفة.

والمقصود بعدم الطرافة أن تكون اللفظة عامية مبتذلة شائعة على ألسنة العوام. وفرق كبير بين هذا النوع من الألفاظ وبين السهل الممتنع الذي يفهمه كثير من الناس ولكن لايرددونه في كلامهم.

وقد وردت في شعر شوقي بعض من الألفاظ غير الطريفة. وذلك كقوله:

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب[١]

وقوله:

وتسحب ذيل الكبرياء وهكذا يتيه ويختال القوي المغلّب[٢]

فإن أسماء الإشارة يكثر دورانها على ألسنة العوام، ولا تختص بالشعر.

وكذلك قوله:

ولو خُلِقتْ قلوب من حديد لما حملت كما حمل العذابا[٣]

وقوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢١٥.

(٢) المصدر نفسه:٢/٢١٧.

(٣) المصدر نفسه:٢/٢٥٧.

إن للمُتْقِن عند الله والنـاس ثـوابـا[1]

وقوله:

واستقيموا يفتـح الله لكم باباً فبابا

فإن هذا الكلام يُسمع من عامة الناس كثيراً، ولايختص بالشعر.

٢- ألا تكون ذات خصوصية.

والمراد بالخصوصية أمران؛ الأول: أن يكون اللفظ مناسبا للغرض الـذي سيق الكلام لأجلـه، فللمـدح ألفـاظ تناسـبه، وللـهجاء ألفـاظ أخـرى، وكذلك الغزل والرثاء وباقي الأغراض. والثاني: أن تكـون الكلمـة دقيقـة في أداء المعنى المراد، وتغني في مكانها عن كل زيادةٍ في الألفاظ.[2]

وشوقي ـ على براعته في انتقاء ألفاظه ـ وقع في شيءٍ مـن ذلـك، مثل قوله:

زهدتُ الذي فـي راحتيك وشاقني جـوائـز عنـد الله مُبتغيـات[3]

فكلمة «زهدت» لا تناسب المقام، وهو يخاطب خليفة المسلمين.[4]

وكذلك قوله:

وتصون النوال عن حسن صنعٍ لك يُنسى ونعمةٍ لك تُجحد[5]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٢/٢٨٨.

(٢) انظر:المتنبي وشوقي:عباس حسن،١٠٨.

(٣) الموسوعة الشوقية:٢/٤١٣.

(٤) انظر:شوقي والمتنبي:عباس حسن،١١٤.

(٥) الموسوعة الشوقية:٣/١٣٨.

«فهذا مدحٌ هو بالذم أشبه، إليه أقرب، فإن الملوك لاتُمدح بحبس الصنيع عن جاحده، ومنع النعمة عن منكرها».[1]

وقوله ـ أيضاً ـ يهنئ محاميا على براءته:

هـذا القضـاء رمـاك بـاك ـيمنى وبـالأخـرى نـزع[2]

«فقد سوّى بين حالتي القضاء في الرمي والنزع، أو في الاتهام والبراءة، فلم يكن القضاء مخطئاً في الأولى ولا في الثانية. وليس في هذا دفاع عن المحامي، ولا ترجيح لنزاهته، ولا إشارة إلى ظلم اتهامه، بل ربما كان الكلام إلى التجريح أقرب».[3]

وكذلك قوله يصف الطيارين مادحاً:

من كلِ أهوجَ في الهواءِ عنانُه هوجُ الرياحِ وسرجُه الإعصار[4]

فالهوج يستعمل ـ غالباً ـ في الحمق والتسرع بغير تفكير.[5]

ومما لم يراع شوقي فيه المقام قوله يخاطب المصطفىﷺ:

شعوبك في شرقِ البلادِ وغربِها كأصحابِ كهفٍ في عميق سبات[6]

---

(١) شوقي والمتنبي:عباس حسن، ١١٤.

(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٩٦.

(٣) شوقي والمتنبي:عباس حسن، ١١٤.

(٤) الموسوعة الشوقية:٣/٣٧٠.

(٥) انظر: المتنبي وشوقي:عباس حسن، ١٠٠.

(٦) الموسوعة الشوقية:٢/٤٢١.

فإن إضافة الشعوب المتخلفة إلى النبي ﷺ لايناسب المقام، ويعطي فرصة للمغرضين في الطعن.[1]

وكذلك قوله يصف الحديث النبوي الشريف:

أتت الدهور على سلافته ولم تفن السلافُ ولا سلا الندماء[2]

فتشبيه حديثه ﷺ بالخمرة فيه إساءة للأدب واضحة.[3]

ومن ذلك أيضا قوله يمدح رئيس الجمهورية التركية:

هو ركن مملكةٍ وحائط دولةٍ وقريع شهباءِ وكبش نطاح[4]

فإنه لايصح أن يشبه رئيس دولة بكبش نطاح[5]. ولعل ذلك يذكر السامع بعلي بن الجهم الشاعر العباسي البدوي الذي أراد مدح الخليفة فقال:

أنتَ كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب[6]

ولكن الشاعر العباسي قد يُعذر لبداوته، أما شوقي ـ نديم الملوك والرؤساء ـ فإن ذلك ينكر عليه.

وممّا لم يوفّق فيه شوقي ـ أيضاً ـ تشبيهه مصر بالنقَد حين وصف ثروت باشا في مفاوضة الإنجليز فقال:

---

(١) انظر: المتنبي وشوقي: عباس حسن، ١٣٤.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/ ١١.

(٣) الدين والأخلاق في شعر شوقي: علي النجدي ناصف، ١١٥.

(٤) الموسوعة الشوقية: ٢/ ٥١٠.

(٥) المتنبي وشوقي: عباس حسن، ١١٤.

(٦) ديوان علي بن الجهم: تحقيق خليل مردم بك، ١١٧.

لو لا سفارتك المهديّة اختصما وملّ طول النضال الذئب والنّقَد[1]

فلا يصحّ أن يشبه مصر ـ وطنه ـ بنوع قبيح هزيل من الغنم[2]. وقد يُطلق النقد على صغار الغنم أو الغنم الحجازية، ولكن يبقى من معانيها أيضا: جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه ومنه المثل: هو أذلّ من النقَد[3].

وكذلك قوله يمدح النبي ﷺ فيقول:

الله هيّأ من حظيرة قدسه نُزُلاً لذاتك لم يجزه علاء[4]

فإن كلمة «حظيرة» لا تناسب المقام لأنها توحي بمعانٍ مستكرهه.[5]

وقوله أيضا يصف الدنيا:

وما أنتِ إلا جيفةٌ طال حولها قيام ضباعٍ أو قعود ذئاب[6]

فتشبيه الحياة الدنيا بالجيفة أمرٌ تأباه النفس ويرفضه الذوق السليم. وقد وُصفت الحياة الدنيا في القرآن الكريم والحديث النبيوي الشريف وعلى لسان الحكماء من السلف الصالح فلم يرد فيما وقفت عليه ما يشبه وصف شوقي.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٨٩.

(٢) انظر: المتنبي وشوقي:عباس حسن، ١٠٠.

(٣) اللسان:١٤/٢٥٥.

(٤) الموسوعة الشوقية:٢/١١.

(٥) انظر: الدين والأخلاق في شعر شوقي:علي النجدي ناصف، ١٣٢.

(٦) الموسوعة الشوقية:٢/٣٤٦.

وشبيه بذلك ـ أيضاً ـ قوله:

فهل تأذنون لذي خُلةٍ يفضّ الرياحين فوق الجِيف[1]

فإن كلمة الجيف «كريهة لايخفف من كراهتها تلك المطابقة بينها وبين الرياحين ... ولقد مضى العرف الشعري باستطابة ثرى الميت، وتشبيه قبره بالروض».[2]

ومن سوء انتقاء اللفظ؛ التعبير بالحال في موطن يحسن فيه التعبير بالوصف وذلك مثل قول شوقي:

ناشدتكم تلك الدماء زكيّةً لا تبعثوا للبرلمان جهولا[3]

لأن الحال معرضة للتغيير، فيجوز في معنى البيت أن تصبح الدماء غير زكية، وهذا ينافى المقصود. ولو عبّر بالصفة لكان ذلك آكد للمعنى لأن الصفة تستلزم الثبات[4].

ومثل ذلك قوله:

واستشهِدِ الأطواد شمّاء والذرا بواذخ تذوى بالنجوم وتجذب[5]

---

(١) وجدتُ هذا البيت منسوباً لشوقي في كتاب «الدين والأخلاق» وهو غير موجود في الموسوعة الشوقية، وقد أثبتّه في الدراسة للفائدة.

(٢) الدين والأخلاق في شعر شوقي:علي النجدي ناصف، ٣٢٠.

(٣) الموسوعة الشوقية:٤/٣٢٩.

(٤) انظر: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء: محمد عبدالرحيم سمان،٢٢٨.

(٥) الموسوعة الشوقية:٢/٢١٢.

فإن الأَولى أن يعبر عن علوها بالنعت لا الأحوال العارضة[1] فيقول: الأطواد الشمّاء والذرا البواذخ.

٣- أن تكون تقليدية لاتناسب عصرها.

وهذا نتيجة لأنه شاعر محافظ متأثر بالسابقين تأثرا كبيراً. وللمعارضة دور في ذلك، حيث يجاريهم ويستعمل ألفاظهم التي لا تناسب عصره[2] فيقع في غريب الألفاظ أو قديمها التقليدي.

ومن ذلك قوله:

رُبّ ليلٍ سريتُ والبرقُ طِرفي وبساطٍ طويتُ والريح عَنسي[3]

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله يخاطب أم الخديو:

وقِفي الهودج فينا ساعةً نقتبسْ من نور أم المحسنين[4]

.....

وحدوناه إلى محرابه وأنخْناه لدى الخدر الكنين

فلم يكن هناك هودج، ولا حداء ولا إناخة ولا دوابّ للركوب، وإنما سيارات من أفخم السيارات الحديثة.[5]

ومن ذلك أيضاً قوله في الطيارين:

---

(١) انظر: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء: محمد عبدالرحيم سمان، ٢٢٨.

(٢) انظر: النزعة الشرقية في شعر أحمد شوقي: عبدالفتاح السيد الدماصي، ٧٥. وأثر المنفى في شعر البارودي وشوقي: رفعت زكي عفيفي، ٢٧١، رسالة ماجستير-مخطوط، كلية اللغة بالأزهر، ١٤٠٥هـ.

(٣) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٦.

(٤) المصدر نفسه: ٥/٢٦٠.

(٥) المتنبي وشوقي: عباس حسن، ١٠١.

حين ضـاق البر والبحر بهم أسرجوا الريح وساموها اللجاما[1]

فالسرج واللجام لاوجود لهما إلا في معجم الشاعر التقليدي.

وكذلك قوله يمدح الخديو:

أين الجباهُ إذا التيجان دُرْن بها من غُرّةٍ لك تحت التاج غرّاء[2]

فإن الملوك لم تعد تلبس التيجان، ولكن شوقي متأثر بالقدماء في ذلك.

ثالثاً: مخالفة اللغة والوقوع في الضرائر الشعرية.

١-مخالفة قواعد النحو.

وهذا العيب نادر جداً عند شوقي، لتمكنه من أدوات اللغة وسـعة اطلاعه فيها. وممّا أخطأ فيه قوله:

إن الشعوب إذا أرادوا نهضةً بذرائع العلم الصحيح تذرّعوا[3]

فالصحيح أن يقول : أرادت وتذرّعت لأن صـاحب الفعـل جمـع تكسـير وهو «الشعوب»[4].

وممّا أُخِذ عليه ـ أيضاً ـ قوله:

وتهـديك الثنـاء الحـرّ تاجـاً على تاجيـك مؤتلِقـاً عجابـا[5]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/ ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه:٢/ ١٠١.

(٣) المصدر نفسه:٤/ ١١٦.

(٤) الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء : محمد عبدالرحيم سمان ،٢٣٩.

(٥) الموسوعة الشوقية:٢/ ٢٥٤.

فقد عدّى الفعل «أهدى» إلى مفعولين. وهو يتعدّى إلى مفعول واحد فحسب.[1]

٢-عدم ورود اللفظ في معاجم اللغة واستخدام العامي والأجنبي.

فممّا لم يرد في المعاجم جمعه قسيس على أقسّة في قوله يصف جيشاً باغياً:

ويحثّه باسم الكتاب أقسّةٌ نشِطوا لما هو في الكتاب حرام[2]

فإنها تُجمع على قسيسين كما جاء في القرآن الكريم.

وكذلك قوله يخاطب القمر من سفينة:

وكأنّها والموج منتظم وقد أوْفيتَ ثم رنوتَ كالمحتار[3]

فصيغة «مفتعِل» من الحيرة، لم ترد في المعاجم حسب ما اطلعت عليه.[4]

وقوله ـ أيضاً ـ:

منتزه العبّاس للمجتلي آمنتُ بالله وجنّاتهِ[5]

يقول عباس حسن: «فكلمة "المنتزه" لايؤيدها مرجع معروف، وإن كانت قد ترددت في كلام العباسيين بعد القرن الثالث»[6].

---

(١) المتنبي وشوقي:عباس حسن، ١٢٥.

(٢) الموسوعة الشوقية:٥/١٢١.

(٣) المصدر نفسه:٣/٢٨٦.

(٤) انظر:المتنبي وشوقي:عباس حسن، ١٢٥.

(٥) الموسوعة الشوقية:٢/٤٧٢.

(٦) المتنبي وشوقي:عباس حسن، ١٢٥.

ومن ألفاظ شوقي التي لم ترد في المعاجم «لوشي» بمعنى باد وهلك، و«التكاتف» بمعنى التعاون من ضم الكتف إلى الآخر[1] وذلك في قوله:

فصفحاً في التراب إذا التقينا ولوشِيتِ العداوة والترات[2]

وقوله:

أم بالتكاتف حول الحقِ في بلدٍ من أربعين ينادي الويل والحرَبا[3]

وكذلك قوله:

وهناك سرح حضارةٍ الله فيّأنا ظلاله[4]

فإن قوله «فيّأنا ظلاله» بمعنى جعلنا نتفيأ فيها؛ لم يرد في معاجم اللغة التي بين أيدينا.[5]

أما الألفاظ العامية أو الأعجمية فقد ذكر بعض الدارسين جملة منها[6]، مثل: يانصيب، الترللي، البوغاز للمضيق المائي، الأرخبيل لمجموعة الجزائر، اليوبيل لعيد من نوع خاص، التنك لنوع معين من السيارات الحربية وذلك في الأبيات التالية:

---

(١) انظر: المتنبي وشوقي:عباس حسن، ١٢٥.
(٢) الموسوعة الشوقية:٢/٤٥٥.
(٣) المصدر نفسه:٢/٢٧٣.
(٤) المصدر نفسه:٤/٤٧٥.
(٥) انظر: الدين والأخلاق في شعر شوقي:١٦٠.
(٦) انظر:المتنبي وشوقي، عباس حسن:١٢٦.

- صـار شـوقـي أبـا عـلـي فـي الـزمـان الـتـرلّلـي[1]
- لتلقى منفذا للقين حَيْناً ولمّا يمسس البوغـاز ضـر[2]
- بطل البداوة لم يكن يغزو على تنكٍ ولم يكُ يركب الأجواء[3]

وبعض الدارسين[4] لا يؤاخذ شوقي في استخدام بعض الألفاظ العامّية والأعجمية، إمّا لأن فيها مطابقة لمقتضى الحال، وإما لأنه لايوجد ماينوب عنها من الألفاظ الفصيحة.

فمما يناسب المقام قوله ـ مثلاً ـ يداعب خليل مطران:

وقالـوا عنـك لـي أمـس ربحتَ النمـرة الكـبرى[5]
أخـذتَ الصفـر باليمنى وكـان الصـفـر باليسـرى

فإنه لوقال الرقم بدلاً من النمرة لما كان لها نفس الموقع وهو يداعب صاحبه.

ومن ذلك أيضاً قصيدته التي يمازح فيها صديقه محجوب ثابت، عندما استبدل سيارةً جديدة بحصانه «مكسويني»، يقول فيها:

أدنيا الخيل يا مكسي كدنيا الناس

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٤٧٤.
(٢) المصدر نفسه:٣/٣١٠.
(٣) المصدر نفسه:٢/١٤٤.
(٤) انظر:الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان،١١٨-١١٩.
(٥) الموسوعة الشوقية:٣/٤٣٤.
(٦) المصدر نفسه:٣/٤٤١.

لقد بدّلك الدهر من الإقبال إدباره
فصبراً يا فتى الخيل فنفس الحر صبّاره
أحقٌ أنّ محجوباً سلا عنك بفخّاره
وباع الأبلق الحرّ بأوفرلاند نعّاره
ولم يعرف له الفضل ولا قدّر آثاره
قد اختار لك الشلح عسى ينبيك أخباره
كأن لم تحمل الرايات يوم الروع والشاره
ولم تركب إلى الهول ولم تحمل على الغاره
ولا والله ما كلفتَ محجوباً ولا باره
فلا البرسيم تدريه ولا تعرف نواره
وقد تشبع يا ابن الليل من رنةّ قيثاره

فالأبيات تحمل روح الدعابة والطرفة، ولذلك فإن ألفاظها سهلة وقريبة إلى العامّية. بل إنها تضمّنت بعض الألفاظ الأجنبية والعامّية مثل: باره ـ أوفرلاند ـ شلح.

ولكن يجدر ألا نتوسّع في هذا الباب، فإن الألفاظ الفصحى غنيّة بمعانيها وإيحاءاتها في شتى المناسبات والمقامات.

ومن الأعجمي الذي اضطر إليه الشاعر ـ في رأيهم ـ اليوبيل[1] في قوله على لسان طابع البريد:

---

(١) اليوبيل نوع خاص من المناسبات يحتفلون به الغرب.منه الفضي والذهبي والماسي فالفضي هو مرور خمسة وعشرين عاما، والذهبي مرور خمسين عاماً، والماسي مرور مائة عام.

ويوبيل الملوك يلبث يوماً ويوبيلي يدوم في الناس عاما[1]

فليس في المعاجم ماينوب عن هذه الكلمة.

والحق أن مثل هذا نادر حصوله، فإن في اللغة من الثراء مايُعين الشاعر على التعبير عما جاش في صدره دون اللجوء إلى الألفاظ الأعجمية.

هذا، ومما يلحق بهذا الباب ذكر شوقي للأسماء الأعجمية، وبعضها كثير الأحرف ثقيل على السمع، وذلك نحو قوله في قصيدته «غاندي»:

بني مصر ارفعوا الغار وحيوا بطل الهند[2]

.....

على إفريز رجبوتا ن تمثالٌ من المجد

نبيٌ مثل كنفشيو س أو من ذلك العهد

ولم يكن شوقي ـ في رأيي ـ مضطرا لذكر كنفشيوس هذا، بل إنه حين ذكره وقع في مبالغة ممقوته حين شبهه بنبي.

٣-الضرورات الشعرية.

وتختلف عن الأخطاء في أنها مرخصة للشاعر دون الناثر وذلك لأن الشعر موزون فيتأثر بما لايتأثر به النثر.أما الأخطاء فإنها لاتُقبل في

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/١٣٨.

(٢) المصدرنفسه:٣/١٢٢، ورجبوتان:اسم السفينة التي كانت تقل غاندي. و كنفشيوس :نبيٌ عند الصين.

شعر ولا نثر. والضرورات الشعرية كلما قلّت عند الشاعر كان ذلك دليلاً على إجادته وقوة لغته. وتتعدد الضرورات الشعرية وتنقسم أقساماً عديدة فمنها الزيادة والنقص والتقديم والتأخير والحذف وتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وغير ذلك[1].

وفي شعر شوقي نجد أكثر الضرورات الشعرية عنده منصباً على صرف مالاينصرف خاصة الأسماء الأعجمية.

ومن الضرورات غير صرف الممنوع من الصرف فك الإدغام في قوله:

لمّا اعتلت دولة الإسلام واتّسعتْ مشت ممالكه في نورها التّمم[2]

وتسكين ماحقه النصب في قوله:

عسى الشعر أن يجزيْ جريئاً لفقده بكى الترك واليونان بالدمع والدم[3]

وقصر الممدود في قوله:

وبالغاديات الساقيات نزيله من الصلوات الخمس والآي والأسما[4]

وإشباع الاسم المنقوص في قوله:

---

(١) انظر: ضرورة الشعر: أبوسعيد السيرافي، تحقيق د/رمضان عبدالتواب، ٣٤، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٥/ ٧٠، وانظر: الدين والأخلاق في شعرشوقي: علي النجدي ناصف، ٦

(٣) المصدر نفسه: ٥/ ١٥٨.

(٤) المصدر نفسه: ٥/ ١٦٨.

دقـات قـلب المـرء قائلـةٌ لـه إن الحـياة دقـائقٌ وثـوانـي[1]
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالـذكر للإنســان عمــرٌ ثاني

وقوله أيضاً:

لقد تساميتَ عن ثانٍ تُقاس به فما لعزمك عن نيل العلى ثاني[2]

أمـا صـرف الممنـوع مـن الصـرف فـأكثر مـايكون في الأسمـاء الأعجمية وفيماكان على صيغة منتهى الجمـوع «مفاعـل»[3]، وهـذا كـثير عند شوقي مقارنة بماسبق، ومنه ـ مثلاً ـ قوله:

قم ناد أنـقرةً وقـل يهنيــكِ ملكٌ بنيتِ على سيوف بنيكِ[4]

وقوله:

ياصاحبي أدرميد حسبها شرفاً أن الرياح إليها ألقت اللجما[5]

وقوله:

نيرون لو أدركت عهد كرومرِ لعرفتَ كيف تُنفّذ الأحكام[6]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٥٥.
(٢) المصدر نفسه:٥/٢٤٢.
(٣) انظر:الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان،٢٤٥.
(٤) الموسوعة الشوقية:٤/٢٤٢.
(٥) المصدر نفسه:٥/٩٦.
(٦) المصدر نفسه:٥/١٣٤.

وقوله:

سـل يلدزاً ذات القصـور هـل جاءهـا نبـأ البـدور[1]

وقوله:

من كرمسيس في الملوك حديثاً ولرمسيس الملـوك فـداء[2]

وقوله:

يخطـرن بين أرائك ومنابـر في هيكلٍ من سندسٍ فيّاح[3]

وقوله:

ومن العقول جداولٌ وجلامدٌ ومن النفوسِ حرائرٌ وإماء[4]

وقوله:

وكأنّـهنّ كمائـمٌ وكأنك الورد الجنين[5]

وقوله:

لعب الدهر في ثراه صبياً والليالي كواعباً غير عنس[6]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٣/٢٣٣.
(٢) المصدر نفسه:٢/٤٢.
(٣)المصدر نفسه:٢/٥١٦.
(٤) المصدر نفسه:٢/١١.
(٥) المصدر نفسه:٥/٣٠٣.
(٦) المصدر نفسه:٤/٢٦.

وقوله :

ملاعبٌ مرحت فيها مآربنا وأربعٌ أنست فيها أمانينا[1]

رابعاً: الوقوع في حوشي الكلام وغريبه.

وقد ذكرت طرفاً من ذلك عند حديثي عن غموض المعاني لدى شوقي. لأن الألفاظ الغريبة من أسباب غموض المعاني.

ومن ذلك ـ غير ما ذكرت سابقاً ـ قوله يصف السفينة:

وهلّل في الجو قيدومها وكبّر في الماء سكّانها[2]

وـ أيضاً ـ قوله يخاطب توت عنخ أمون:

فقلتُ يا ماجدها وجَعدها لو لم تكُ ابن الشمس كنتَ رئدها[3]

وكذلك السطاع في قوله:

فكنتَ لبيته المحجوج ركناً وكنتَ لبيته الأقصى سطاعا[4]

وقوله:

---

(١)الموسوعة الشوقية:٥/٣١٦.

(٢) المصدر نفسه:٥/٢٧٠، القيدوم بمعنى المقدمة (القاموس المحيط:٤/٢٢٩)، والسكان المراد به ذنب السفينة التي به تُعدل(اللسان:٦/٣١١) .

(٣) الجَعد:الكريم(القاموس:١/٥٥٢).والرِّئد:النظير في السن والتِرب(القاموس:١/٥٦٩).

(٤) الموسوعة الشوقية:٤/٦٣.والسطاع بمعنى عمود البيت(القاموس:٣/٥٤).

إذا طاش بين الماء والصخر سهمها أتاك حديدٌ ما يطيش وأسرب[1]

وقوله:

فإذا قذفت الحق في أجلاده ترك الصراع مضعضع الألواح[2]

وقوله:

عقد الضريب له عمامة فارعٍ جم المهابة من شيوخ نزار[3]

وقوله:

أنظم الشرق في الجزيرة بالغر ب وأطوي البلاد حزناً لدهس[4]

وقوله كذلك:

دع عنك روما وأثينا وما حوتا كل اليواقيت في بغداد والتوم[5]

وقوله:

ملكنا مارن الدنيا بوقتٍ فلم نحسن على الدنيا القياما[6]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٢١١، والأسرب: الرصاص الأبيض (القاموس:١/٢٢٣).

(٢) المصدر نفسه:٢/٥١١.والأجلاد:مجموع بدن الإنسان(القاموس:١/٥٥٤).

(٣) المصدر نفسه:٣/٣٠٠.و الضريب:الثلج(القاموس:١/٢٤٣).

(٤) المصدر نفسه:٤/٢٦. الدهس:المكان السهل(القاموس:٢/٣١٦).

(٥) المصدر نفسه:٥/٧٠.و التوم:اللآلي (القاموس:٤/١١٣)

(٦) المصدر نفسه:٥/١٠٧.والمارن:ما دون القصبة من الأنف(اللسان:١٣/٨٧).

وقوله:

قد مات في السلم من لا رأي يعصمه وسوّت الحرب بين البهْم والبهَم[1]

وقوله:

إذا المجداف حرّكها اطمأنّت وإن هو لم يحرك فهو رعس[2]

وقوله:

جلّل الثلج دونها رأس شيرى فبدا منه في عصائب برْس[3]

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي نجده أكثر خطأً من شوقي، ولقد وجدت له قصائد كاملة، مشوّهة بكثير من الأخطاء والمؤاخذات، وهذا أمرٌ لم يوجد عند شوقي البتّه.

والأخطاء عند الغزاوي وجدتها تنقسم أقساماً عديدة كالتالي:

أولاً: الوقوع في الحشو أو الإيجاز المخلّ.

والحشو كثيرٌ في شعر الغزاوي، فقد وجدت له مايربو على ثلاثين موضعاً أبيّنها فيما يأتي.

من ذلك قوله:

حسبهم حسبهم وحسب المواضي والعوالي وحسب كل سنان

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٧٠.و البُهَم:جمع بُهمة وهو الرجل الشجاع (القاموس :٤/١١٢).

(٢) المصدر نفسه:٤/٣٣.والرعس:المشي الضعيف(القاموس:٢/٣٢٠).

(٣) المصدر نفسه:٤/٣٥.والبِرْس:القطن(القاموس:٢/٢٩٠).

إن عبـدالعزيز مـنهم وحـسبي وسعـوداً وفيصـلاً وكـفـانـي[1]

فتكرار «حسب» خمس مرات لاداعي له، وقوله «كفاني» له نفس المعنى.

وقوله في وصف الصيام:

هو للجسم صحةٌ من فضولٍ وطـعامٍ ذي غُصّةٍ وشراب[2]

فوصف الطعام بالغُصّة جعل البيت ركيكاً. إذ المعنى الصـائب أن الصـيام صحة للجسم من فضول الطعام والشراب. ولم يقل أحدٌ أن من مشـروعية الصيام إراحة الجسم من الطعام الذي يغصّ به صاحبه .

وكذلك قوله:

لن تشتفيْ منها الصدور برحبها من ضيقها إلا بما الله ارتضى[3]

فقوله «من ضيقها» حشو لاداعي له.

وقوله:

أن ينصروا الله الذي هو ربنـا وبه سيُنصر كل من هو مرهقُ[4]

فصلة الموصول «هو ربنا» في البيت حشو واضح.

وقوله في معرض وصف جهاد الملك:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦١٦.

(٢)المصدر نفسه:٤/١٥٠٣.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٣٤٦.

(٤) المصدر نفسه:١/٥١٩.

تعالى الله بالإخـــلاص ذلّتْ لـه الدنيا ممهّدة الصعاب[1]

فجملة «تعالى الله» ليس لها مكانٌ في هذا البيت.

وقوله يصف أمجاد المسلمين:

ومشوا بالنور في الأرض على هـامتيْ كسرى ودنيا قيصرا[2]

فقولـه «ودنيـا» مقحـمٌ في البيـت، والصـحيح: هـامتي كسـرى وقيصر، أو هامة كسرى ودنيا قيصر.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله:

فأنتَ إمام المسلمين حقيقةً وأنتَ لهم نصرٌ وأنت لهم وعد[3]

فقوله «حقيقة» زيادة لا داعي لها، إضافة إلى التكرار عديم الفائدة في الشطر الثاني.

ومثل ذلك قوله:

ولأنتمو الأعـلوْن ما دمتم بـه حقاً وصدقاً مؤمنين فأعجلوا[4]

فقوله «حقاً وصدقاً» من الحشو، إذ يستطيع الاكتفاء بأحدهما.

وكذلك قوله:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٧١.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٢١٩.

(٣)المصدر نفسه:٣/٩٩٩.

(٤) المصدر نفسه:١/٤٣٧.

بل هو العيد كلما مر عيدٌ ما انتشى حاضرٌ وكبّر جيل[1]

ففي البيت تحديدان زمنيان الأول في قوله «كلما مر عيد» والثاني في قوله «ما انتشى حاضرٌ وكبّر جيل»، والتحديد الزمني الأول زيادة عديمة الفائدة.

وقوله ـ أيضاً ـ:

ماحسرنا الرؤوس إلا امتثالاً لأداء الفروض كيما تُقام[2]

فالذي يقتضيه المقام أن يقول: امتثالاً لله أو نحو من ذلك. ولكنه أراد الإطالة فأتى بالشطر الثاني كاملاً من الحشو.

ومن أوجه الحشو ذكر أمرين أو أكثر بمعنى واحدٍ، وذلك مثل قوله:

وكفاحه في كلّ ما هو عزةٌ وكرامةٌ وتقدّمٌ وجلال[3]

فقدكان في استطاعته أن يستغني عن بعض المعطوفات في البيت، ويحل محلها مايزيد المعنى عمقاً وقوة.

وكذلك قوله:

وما في حطام الأرض طُراً بأسرها هباء به ريح الفناء تطوّح[4]

فـ«طراً» و«بأسرها» كلاهما بمعنى واحد يغني أحدهما عن الآخر.

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠٢٥.

(٢) المصدر نفسه:١/١١٨.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٥٥٨.

(٤)المصدر نفسه:١/٥٢١.

وقوله يصف المقاتلين:

وليوث معركةٍ وأسد طعان[1]

فالليوث هي الأسد، والطعان والمعركة بمعنى واحد.

وكذلك قوله:

تتوخّى الأسماك فيه اصطياداً ولها فيه طِرفةٌ وحباء[2]

فإن الطرفة والحباء كلاهما بمعنى العطاء.

وقوله أيضاً:

تحسب القطبين منه قيد شبرٍ أو طلاعه[3]

فالقيد والطلاع بمعنى القدْر.

وقوله:

تدعو إلى الرحمن جلّ جلاله وإلى الهدى المتدفّق المتدفّع[4]

فالصفتان في آخر البيت يغني أحدهما عن الآخر.

وكأنما هو في النكوص إلى علٍ قضبان خطٍ أو مرور قطار[5]

فلا فرق بين قضبان الخط ومرور القطار.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٠٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٨٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٦٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ٤/١٦٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ٤/١٤٩٠.

ومثل ذلك أيضا قوله:

كأنّما بثّهنّ البحر مصطخباً والموج مضطرباً والثأر مجنونا[1]

فالبحر المصطخب متضمنٌ للموج المضطرب.

وقوله ـ أيضاً ـ:

أم يتدويخِك الطّغاةَ غِلاباً وهم الرمل كثرةً والصعيد[2]

فإن الرمل والصعيد أحدهما يغني عن الآخر في المقصود.

وكذلك قوله:

وعدٌ من الله العظيم وإنّه لمُنجّزٌ ومعزّزٌ ومنزّل[3]

فقوله «منجّز» يُغني عما بعده.

ومن الحشو ـ أيضاً ـ قوله:

نقِموا عليها أنها مختارةٌ بالوحي وحي الله والتوحيد[4]

فإن البدل في البيت «وحي الله» من الزيادة غير المفيدة.

ومثل ذلك قوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١٩٥.

(٢) المصدر نفسه:١/١٨٥.

(٣) المصدر نفسه:١/٤٣٧.

(٤) المصدر نفسه:٣/١٠٠١.

بك العيد عيد الفطر تشدو بلابله وفيك تهانيه ومنك مخائله[1]

والتكرار من مظان الحشو، وذلك مثل قوله:

ينوء من حمله الأعباء كاهله من حيث ما هو يبدو وهو مسرور[2]

فتكرار «هو» مرتين في الشطر الثاني لاداعي له.

وكذلك قوله:

تولاّك رب العرش بالعونِ والتقى وآتاك ما تصبو له وله الحمد[3]

فتكرار «له» في شطر واحد أدّى إلى الثقل. ومثل هذا قوله:

ترى منها الدجى يزورّ منها ويخشى أن تمزقه عيوما[4]

فكرّر «منها» في شطر واحد، وقد اضطره الوزن إلى ذلك.

وقوله يتشوّق إلى أهله:

شغفاً يا ليتني يا ليت أني بينهم قائمٌ أريش وأبري[5]

فقوله «ياليتني ياليت أني» تكرار عديم الفائدة.

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٠٣.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٢٨٤.

(٣)المصدر نفسه:٣/٩٩٩.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٧٦٥.والعيمة عند العرب قلة اللبن والشهوة إليه.ولاأعلم ماقصد الغزاوي بالعيوم هنا.

(٥) المصدر نفسه:٤/١٧٣٠.

وقوله:

ونـحن تعـالى الله لله حزبـه ومنّا لـه الأنصار أوسٌ وخزرج[1]

فتكرار لفظ الجلالة كان من الممكن أن يستغني عنه الشاعر، وقد أدى هذا التكرار إلى ثقل واضح.

وقوله:

تعاليم دينٍ مـا لهـا مـن مبـدّلٍ وفرقانها يُتلى ويُتلى زبورها[2]

فقولـه «يُتلى زبورها» زيـادة لا فائـدة منـها؛ لأنـه فُهـم سـابقاً مـن قولـه «وفرقانها يُتلى». وقد يقول قائل: إنه أراد بالزبور السـنة النبويـة، وحينئـذٍ يكون تشبيهه غير مقبول، لأن الحديث النبوي لايُشبه بالكتب السماوية.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله:

هـي لله غـيرةٌ وانتقـام وهـي لله حكمـةٌ وحـدود[3]

وكذلك قوله:

فاهنَ بالعيد كل أضحى وعيدٍ وتهلّلْ ففي ضحاك السعود[4]

وقوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/ ٤٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ١٨١.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ١٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٨٥.

تقبّل تهاني العيد ياعيد أمةٍ ترى العيدَ معنىً أنتَ للعينِ واصفه[1]

فتكرار كلمة «العيد» في البيتين من الحشو. والشطر الثاني بكامله في البيت الثاني يمكن الاستغناء عنه، إذ يتضمّنه قوله «ياعيد أمةٍ».

هذا، ومن التكرار المعيب إعادة البيت كاملاً مع تغيير القافية فحسب دون حاجة إلى ذلك، مثل قوله:

وكم بذلتَ وكم جاهدتَ محتسباً فيما تشيّد من مجدٍ وأسفار[2]

وكم بذلتَ وكم جاهدتَ محتسباً فيما تشيّد من مجدٍ وأوطار

والسعي وراء المحسنات البديعية يوقع الشاعر ـ أحياناً ـ في الحشو مثل قوله:

للمفدّى فدىً له كلّ فادٍ [3]

وقوله:

صقر الجزيرة وابن من هو صقرها وأخو الصقور أبو الصقور الأجدل[4]

وقوله ـ أيضاً ـ:

حذقوا الفنون وأحسنوا وتفطّنوا وذكاؤهم ماضي المضاء يناضل[5]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/١٩٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٣.
(٣) المصدر نفسه: ٣/١٠٠٧.
(٤) المصدر نفسه: ١/٤٤٠.
(٥) المصدر نفسه: ٣/١١٢٣.

فلاداعي لـذكر «المضـاء» إذ المعـنى لايختـل إذا قـال: وذكـاؤهم مـاضٍ يناضل.

أمّا الإيجاز المخل فمثل قوله:

إنمـا إخلاصنـا فـي حبهـم رحمـةٌ والله فيهـم معنـا[1]

فالتقدير «والله في حبهم معنا».

وكذلك قوله:

وبأصحابـه الـذين أقـامـوا صـرح توحيـده ومجـد هداتـه[2]

فإن الضمير في «توحيده» يعود إلى الله عز وجل، ومع ذلك لم يـرد لفـظ اسم الجلالة قبل ذلك.

وقوله:

لك الخير فافرح وانبسِطْ بمسوّدٍ به الدين والدنيا قد التقيا وجها[3]

أي: وجهاً لوجه.

وقوله أيضاً يصف مشيئة الله وأنها فوق كل عظيم:

لاقيصراً غادرتْ يوماً ولاتركتْ كسرى العتيّ ولا استثنتهما وهما[4]

فتقدير الكلام: وهما من هما في القوة والعظمة في زمانهما.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٢٠.

(٢) المصدر نفسه:١/١٥٧.

(٣) المصدر نفسه:٣/١١١٩.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٥٥٤.

ثانياً : عدم ملاءمة الألفاظ أوالتراكيب للمقام.

ويتضمن ذلك ـ كما أسلفت ـ أمرين:

١- ألاّ تكون الألفاظ طريفة.

مثل قوله :

وما الأرض إلاّ والسماء جميعها عبادٌ له وهـو العظيم المدبّر[١]

وقوله:

برئت من الإشراك بالله الذي بالكون يفعل مايشاء ويخلق[٢]

فهذه الأبيات يغلب عليها الطابع النثري، ولاتناسب الشعر.

وكذلك «يقضي النظام» في قوله عن البهائم الـتي تسـبب حـوادث السيارات:

فمالهـم لم يوقّـوها الحتوف بما يقضي النظام وما يخشون من أدب[٣]

فإنها من التعبيرات الإدارية التي لا تحسن في الشعر.

وقوله:

نصـرة الله للأولى نصـروه وهي بالعكس للطغـاة أفـول[٤]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٥٢٥.

(٢) المصدر نفسه:١/٥١٩.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٧٥٠.

(٤) المصدر نفسه:٣/١٠٢٤.

فقوله «بالعكس» عامية مُبتذلة تدور على كل لسان.

و ـ أيضاً ـ قوله في رثاء شوقي ناعياً على خصومه:

ويح من جعجعوا عليه فماذا كان إنتاجهم مع الإغواء[1]

فإن لفظة «إنتاجهم» ليست مناسبة في البيت، وكذلك «جعجعوا» فهي إلى ثقلها عامية.

وقوله يصف جهود الدولة في تطوير البلاد:

مئات بلايين الريالات أُنفقتْ لراحة وفد الله إذ يتروّح[2]

فمثل هذا ليس من الشعر في شيء.

وكذلك لفظة «المسدّس» في قوله:

وهو المسدّس سنّه ونشاطه يتفجّر[3]

يقصد أنه في الستين من عمره، ولعلّ الشاعر عمد ـ عن قصد ـ إلى جمع المسدس والتفجير في بيتٍ واحد، ولكن هذا الاستعمال ضعيف في الشعر وفيه تكلف ظاهر.

ومثل ذلك قوله:

قل لمن راح أو غدا مستطيلا بمتاعٍ يزول يوم فواته[4]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٣٠.

(٢) المصدر نفسه:١/٥٢٢.

(٣)المصدر نفسه:٣/١٣٣٩.

(٤) المصدر نفسه:١/١٥٩.

فإن كلمة «مستطيلا» أصلح للهندسة منها للشعر.

وكذلك «العرض والطلب» في قوله:

يا قادة الرأي يامن هم مصابحنا ومن بهم يستقيم العرض والطلب[1]

فإنها من المصطلحات التجارية وليس مجالها الشعر.

٢- ألا تكون ذات خصوصية.

وذلك مثل قوله يصف وقوف الحجاج في موسم الحج أمام الله:

ولمن عنت هذي الوجوه كريمةً وتجرّدت في الموقف المعتاد[2]

فوصفه لهذا الموقف بـ «المعتاد» ذهب بكثيرٍ من هيبته وخصوصيته.

وقوله ـ أيضاً ـ يصف نساء المجاهدين:

لو نظرتم إلى العواتق مسرى ثاكـلات مستهتكات الستائر[3]

فقوله «مستهتكات» لا يناسب المقام، لأن معناها يوحي بطلبهن هتك الأستار، وإذا كان المقصود «مستهتَكات» على أنها اسم مفعول فلا بأس حينئذ.

وقوله يصف الأمير شكيب أرسلان:

ورأوا فيك يا ابن قحطان عزما صاغه الله كالحديد صليبا[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٧.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٤٣٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٢٩١.

فكلمة «الصليب» لها إيحاءات غير محببة في ذهن المسلم. وقد كان بمقدوره أن يستغني عنها بلفظة أخرى.

وقوله :

إذ السلالات حيرى في تفرّقنا والجهل ينشرنا طوراً ويطوينا[1]

فهو يريد بالسلالات الأجيال المتعاقبة، وهما بمعنى واحد، ولكن يختلفان في إيحاءات كلٍ منهما. فـ «السلالة» توحي بما لا يناسب المقام فهي تُطلق على الإنسان والحيوان أما الأجيال فتطلق على مايخص الإنسان فحسب.

ومن هذا ـ أيضاً ـ قوله يفخر بالجيش فيقول:

وقد صفّت الأجناد في كلّ بلدةٍ[2]

فقوله «الأجناد» على وزن «أفعال» للقلة، وهذا لا يناسب المقام.

ومثل ذلك قوله يخاطب ضيوف الملك من حجاج بيت الله الحرام:

يا أيها الأضياف يا من أقبلوا لله وانطلقوا إليه وأشفقوا[3]

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١٩٥.

(٢) المصدر نفسه:٢/٩٤٢.

(٣) المصدر نفسه:١/٥١٧.

حيث المساجد والأملاك تحصنها مهوى العباد ومرعى كلِّ من دانا[1]

فكلمة المرعى تثير إيحاءات لا تناسب المقام لأنها تستخدم في شئون الرعي والبهائم غالباً.

وكذلك قوله عن حجاج بيت الله الحرام:

لمن الجموع تنشّرت بالوادي متخشّعين على هدىً ورشاد[2]

فكلمة «متخشّعين» يدل بناؤها الصرفي «تفعّل» على التكلف والادعاء في الفعل؛ وهذا لا يناسب المقام إذ الأَولى أن يقول «خاشعين» دون تكلف أو ادّعاء.

وقوله في نفس القصيدة ـ أيضاً ـ:

لبّيك ياربّ السماوات العلى لك ما تشاء وأنت بالمرصاد

فالموقف موقف طلب للعفو والمغفرة، وقوله «وأنت بالمرصاد» يحمل في طيّاته معاني الوعيد والترهيب.

وبعض الألفاظ غير دقيق في أداء معناه، من هذا قوله في معرِض ذكر قضية فلسطين:

ما نومنا ما قضمنا ما هضمنا ما مشربٌ نلهو به أو مأكل[3]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١٢٥.

(٢)المصدر نفسه:١/١٦٧.

(٣) المصدر نفسه:٣/١١٩٥.

فالهضم من الأمور اللاإرادية في جسم الإنسان، فكان ينبغي أن يسلّط استنكاره على أمرٍ يملكه الإنسان كالأكل والشرب والنوم وغير ذلك. هذا أمر والأمر الآخر قوله «مأكل» بعد أن ذكر القضم فهما بمعنىً واحد وهذا يدخل في باب الحشو.

وكذلك التعبير بالكبد في قوله:

حتّى تيقّظ منا كلّ ذي كبدٍ حرّى ولجّ بنا الإيمان يهدينا[1]

فلو عبّر بالفؤاد لكان المعنى أقوى.

و ـ أيضاً ـ قوله:

أم بإشراقك الذي هو فيضٌ من رضا الله ظله ممدود[2]

فالإشراق لا ظل له لأنه بمعنى النور، وكان الأولى أن يقول: نوره ممدود.

وقوله الذي مر معنا:

ها نحن أنتم إخوة في الدين تجمعنا الزمالة[3]

فالزمالة ليست أمراً مبعثه العاطفة الدينية، وإنما الأخوة كذلك. فقد يزامل المرء من لايكنّ له عاطفة أخوة.

وقوله عن آل سعود:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١٩٥.

(٢)المصدر نفسه:١/١٨٥.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٦٣٢.

لستُ أدري بأيهـــم أتغنّى تلك والله حيرةٌ في لسـاني[1]

فلو نسب الحيرة إلى جنانه أو فؤاده بدلاً من اللسـان لكـان أوفى للمعـنى وأجمـل، لأن الإعجـاب عاطفـة مبعثهـا القلـب لا اللسـان. وقـد يعتـذر للشاعر بأن حيرة اللسان مبعثها حيرة القلب.

وقوله يصف شعوره تجاه تبرج المرأة وسفورها:

علينـا صونهـا ولهـا تُقاهـا ولكـن غـيرةً نبكـي انتحابـا[2]

فالنحيب يكون على الفجيعة أوالمصيبة التي قد تفاجئ الإنسان، لا علـى قضية مثل حجاب المرأة تُعالج بالدّين والحكمة.

ومن الألفاظ غير الدقيقة أيضا قوله في رثاء شوقي:

فعلى النظم إذ غبتَ سلامٌ وإلـى المُلتـقى بـخير لقـاء[3]

فكلمة «النظم» لا تؤدي دورها كمـا لـو قـال «الشـعر». لأن شـوقي لـيس نظّاماً وإنما هو شاعر.

وكذلك «التحايا» في رثائه حافظ إبراهيم إذ يقول:

نقلت إليك تحـايا الحجاز كنسج الرياض ولون الورود[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦١٦.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٧٠٨.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٥٣١.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٥٢٧.

فإن التحية أخصّ بالأحياء منها بالأموات، ولو استبدلها بالسلام لكان أحسن.

ومن ذلك أيضاً قوله:

يظنّ الناس إطراقي ذهولاً وسرّ عبادتي الصمت الرهيب[1]

فالصمت المراد في البيت هو الصمت المتأمّل في صنع الله، الباعث على توحيده سبحانه، ومثل هذا الصمت لا يوصف بالرهيب.

وقوله عن شهر الصوم:

أرى الناس فيه بين شادٍ بفضله وآخر يعدو للسجود ويركع[2]

فلا علاقة للعدو ـ بمعنى الجري ـ بالركوع والسجود، ولعل الشاعر ضمّنه معنى يخرّ.

وقوله كذلك في قصيدة أخرى:

ليت ذا العام كله شهر صومٍ وخشوعٍ وخشيةٍ واقتراب[3]

فعلاقة العبد الصالح بربه توصف ـ في الغالب ـ بالتقرّب لا الاقتراب، لأن صيغة «تفعّل» تدل على الجهد والتكلّف وهي مناسِبة لمجاهدة النفس وحملها على الطاعات، خلافاً لصيغة «افتعل» التي لا تدل على شيءٍ من ذلك.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٥٠٣.

وقوله يدعو للمسلمين:

وعاش بنو الإسلامِ طراً بعزةٍ وحبٍ وتوفيقٍ به الله يسمح[1]

فإن كلمة «يسمح» باردة لا تؤدي معنىً في البيت.

وقوله يخاطب الملك واصفاً رعايته للأيتام:

واليوم هم أملٌ ببابك باسمٌ يتفيّأون بظلّك الخفّاق[2]

فهل الأجدر أن يوصف الظل بالخفقان أم الثبات والدوام؟

ومن ذلك ـ أيضاً ـ قوله:

كأنّما هي في تحليقها شرعٌ في خفقهنّ لك الأرياح تُزجيها[3]

فكلمة الأرياح لا ترتاح لها نفس السامع لأنها تُطلق على معنى مستكره.

وقوله :

على نعم الله تترى بحمده على الدهر لاتفنى وتبقى بذورها[4]

تعهّدها عبدالعزيز فأثمرتْ بآلائه أغصانها وجذورها

فإنه أدقّ في التعبير لو أحلّ الكلمتين الأخيرتين من البيتين مكان بعضهما.

وكذلك قوله يخاطب الله عزوجل:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٥٢٣.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٤٠٦.

(٣) المصدر نفسه:١/١٨٧.

(٤) المصدر نفسه:١/١٧٩.

أتممْت نعمتك التي أسديْتَها بالـدين والفـرقـان والميعـــاد[1]

فإن لفظة «الميعاد» لامكان لها في البيت.

ومما يدخل في عدم دقة اختيار الألفاظ تعبيره بحرف مكـان آخـر أولى منه، مثل قوله:

إنما نصـوم جُنّـةً وهـو بـرءٌ من سقامٍ وعصمةٌ من عذاب[2]

فلو قال «فهو برء» بالفاء لكـان أوفى للمعـنى، لأن مابعـد الفـاء توضـيح لماقبلها.

وكذلك قوله في وصف المحاجر الصحية:

عمـلٌ صالـحٌ ورمـزٌ جـديد بل هما الفرق بين ماضٍ وحاضر[3]

فلو عبر بالواو بدلاً من «بل» يكون الكلام على وجهه الصحيح.

٣- أن تكون الألفاظ تقليدية لاتناسب عصرها.

وذلك مثل قوله:

ويا صاحب التاج الذي ازدان فرقه وشعـت لآلـيه به وجـواهره[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٦٨.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٥٠٣.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٠١١.

(٤) المصدر نفسه:١/١٧٦.

فمن المعلوم أن الملك لا يلبس التاج، وليس هناك لآلٍ ولا جواهر، ولكن الغزاوي غلبت هذه الصورة التقليدية على ذهنه فظهرت لديه في مواطن عديدة مثل هذا البيت[1].

ثالثاً: مخالفة قواعد اللغة والوقوع في الضرورات الشعرية.

ويتضمن ذلك عدة أمور:

١- مخالفة قواعد النحو.

وهذا قليل ولكنه ورد على أي حال، مثل قوله:

وما خير عيشٍ يُغمض المرء جفنه عليه إذا فات الرقيبان مشهد[2]

فإن حقها النصب لا الرفع، والغالب أن هذا من الأخطاء المطبعية.

وقوله ـ أيضاً ـ:

أسعفوها ترونها ماتروها.....[3]

فالصحيح جزم الفعل لأنه في جواب الطلب.

وقوله:

لبّيك جئنا مهطِعين وما لنا إلاّك يا قيّوم كهف معاد[4]

فإن الراجح أن يكون ضمير المستثنى منفصلاً.

---

(١) للاستزادة انظر: الأعمال الشعرية الكاملة: ١٣٧٩/٤، ١٣٩٨/٤، ١٤٠٢/٤، ١٦٤٩/٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٧٤/٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٤١٤/٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٧/١.

وقوله ـ أيضاً ـ:

بلادٌ لو ان الشمس والبدرَ أنصفا لكانا لها قرطاً وزانا بها شبها[1]

فإن الأصوب لوقال: لكانا لها قرطين.

ومن أخطائه قوله:

يا حاميَ الحرمين يا من يُقتدى وإليه أفئدة الرعيّة ترمق[2]

فإن الفعل «رمق» يتعدّى بنفسه لا بـ «إلى».

وأيضاً قوله يدعو للأمراء:

وفهدٌ وعبدالله في نعمة الهدى فهم لسماء الدين بدرٌ منوّر[3]

فإنه لم يطابق بين المبتدأ «هم» والخبر «بدر» في الجمع والإفراد .

٢-عدم ورود اللفظ في المعاجم ،واستخدام العامّي والأجنبي.

فمن ذلك قوله:

يدٌ تسابقها أخرى وعارفةٌ في إثْر عارفةٍ تترى وتنتسج[4]

فلم يرد استخدام «تترى» فعلاً مضارعاً.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١١٩.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٠٦١.

(٣) المصدر نفسه:١/٥٢٧.

(٤) المصدر نفسه:١/٩٩٢.

وممّا وقع فيه الغزاوي توسّعه في صياغة الأفعال على وزن «افتعل». من ذلك ـ مثلاً ـ قوله:

تشدو القلوب بها شفعاً ويوترها ... لك الثناء المثنّى وهو يأترج[1]

يكاد فيك الدجى ينفي غلائله ... ويكتسي بالضحى برداً ويبترج[2]

.....

حيّاك بالحبّ منها كل منتجزٍ ... وكل مُرتجزٍ بالمجد يمتهج[3]

.....

واستقبلتْ حظها الموفورَ شاكرةً ... بما أفضتْ عليها وهي تهتزج[4]

.....

بل أنتَ في الحقِّ شمسٌ تستضيء بها ... رعيةٌ لك لا تلهو وتنتضج[5]

وقوله أيضاً:

وكم حفيدٍ ثوى والجدّ يخلفه ... في الناس والعمرُ المرذولُ يمتهل[6]

فإني لم أجد ـ فيما رجعت إليه من المعاجم ـ «افتعل» من الأرج والنُضج والبرج والهزج والمهجة والمَهَل.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/٩٩٣. والأرَج بمعنى الرائحة الطيبة المتوهجة.

(٢) البرج يطلق على كل ما ظهر وشرف كالحصن وغيره.

(٣) لم أجد لها معنىً مناسباً. اللهم إذا كانت من قول العرب: امتُهِج فلان بمعنى: انتُزِعتْ مهجتُه "القاموس" أو من قولهم: مَهَج إذا حسن وجهه بعد علة. "اللسان". وفي كلا المعنيين تكلفٌ جدٌ واضح.

(٤) المقصود بالهزج الغناء.

(٥) النضج من قول العرب نضج اللحم إذا بلغ غايته من الطبخ والاستواء. ولعلّ الشاعر هنا يعني تقدّم الأمة شيئاً فشيئاً حتى تصل القمة، ولكنه معنىً متكلّف من الشاعر

(٦) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٥١.

وكذلك توسّعه في الجمع على مفاعيل، مثل مذاويد من ذائد، ومصاليت من صلت، ويعاسيب من يعسوب، ومساعير من أسعر وذلك في قوله:

والمصاليت والسيوف بروقٌ والمذاويد عن حِمى الإيمان[1]

وقوله:

والمساعير والحروب تلظّى والمغاوير في البرود الحسان [2]

ومن مخالفته لقواعد اللغة عدم مطابقته بين الصفة والموصوف أو المبتدأ والخبر في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وذلك نحو قوله:

كم مهاةٍ هي الملائك طهراً ذات حسنٍ تغمّدته المآزر[3]

فإن «مهاة» مفرد و«الملائك» جمع تكسير، إلا إن أراد المبالغة.

ومن هذا أيضا قوله:

وجراح تسيل من كل قلبٍ ودموع تنشقّ عنها المرائر[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦١٦.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٦١٦.ومساعير: من السعر بمعنى الجنون.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٤٣٣.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٤٣٣.

فإنه لم يرد ـ حسب اطلاعي[1] ـ جمع مرارة على مرائر، إلا إن كان يقصد بها جمع مرير وهو ماطال من الحبال واشتدّ فتله وذلك بعيد.

وكذلك قوله:

ودوّى أذان الصبح من كل مرقب كأن به أم القرى تتحرّد[2]

فإن الفعل تتحرّد: من قولهم هذا حي حريد، أي منفرد لما لعزته أو قلته، ولكن لم يرد منه تحرّد على «تفعّل».

ومثله قوله:

جُنّت الأرض فرُجّتْ أم تمارت بالسماء[3]

فإن المعروف تمور بمعنى تضطرب وقد ورد هذا في قصيدة للشاعر حيث يقول:

شفيتْ فيه من ضناها قلوبٌ ضارعاتٌ تمور مور السحاب[4]

أما تمارى على وزن «تفاعل» من مادة «م و ر» بمعنى الاضطراب فإنه اجتهاد غير موفّق من الشاعر.

ومن هذا ـ أيضاً ـ «تكاتفوا» في قوله:

كشأن الألى حول الخطوطِ تكاتفوا[5]

---

(١) قد رجعت في ذلك إلى لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزابادي، وشمس العلوم للسيد الحميري.

(٢) المصدر نفسه: ٤/١٤٧٢.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٨٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤/١٥٠٣.

(٥) المصدر نفسه: ٤/١٤٠٢.

فقد بيّنت ـ ضمن الحديث عن ألفاظ شوقي ـ أنها لم ترد في معاجم اللغة.

وقوله:

في كل مُنتجعٍ وكل مسيرةٍ جسرٌ يُمدّ وكدوةٌ تتنفّق[1]

فهل ورد عن العرب "تفعّل" من النَفَق؟لم أجد ذلك فيما رجعت إليه من المعاجم.

ومن استخدام العامّي والأجنبي:

قوله «تُقنبل» من القنبلة و«تسرألوا» من إسرائيل فإنهما غير فصيحتين. وذلك حيث يقول:

آفاقها رُبدٌ وفي ظلماتها تتوهّج النيران وهي تُقنبَلُ[2]

ويقول:

نزلتْ بإسرائيلَ أفدحُ نكبةٍ في المسلمين وبالذين تسرألوا[3]

وكذلك كلمة«الموتر» بمعنى السيارة في قوله:

وطار بالموتر الجاني لطيّته ولم يرعْه امتزاج الدم بالترب[4]

وقوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٥١٨.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٤٣٥.

(٣) المصدر نفسه:١/٤٣٧.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٧٥٠.

ينشقّ غيظاً ويرمي باللظى لهَباً إذا تخبّطه في سبْحه الوهَق[1]

فإن «الوهق» بمعنى الكربة كلمة عامّية.

وقوله ـ أيضاً ـ:

حالكاتٍ حائراتٍ مُغرِقاتٍ في الدلاعة[2]

فإن كلمة «الدلاعة» عامية.

٣- ضرورات الشعر.

ومن ذلك قوله:

ولكنّ الكوارث لَم تؤتّى بغيرِ عقاربٍ خلف الثياب[3]

فإنه لم يحذف حرف العلة، وهو واجب الحذف لأن الفعل مجزوم. ولو أبدل لا النافية بلم لخرج من هذا الخطأ[4].

ومثل ذلك ـ أيضاً ـ قوله:

عسى الله أن يعفوْ....[5]

فسكّن الفعل وحقه النصب.

وقوله يخاطب الملك:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٧٥٥.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٦٣٤.

(٣) المصدر نفسه:١/٢٧٣.

(٤) لعل هذا خطأ مطبعي، لاسيما وأن "الأعمال الشعرية الكاملة" مليئة بالأخطاء المطبعية.

(٥) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٧٣.

فلا تبتليْني أن أريْك حشاشتي فإني بك المفتون والهائم الصبّ[1]

فلم يحذف حرف العلة من الفعل «تبتلي» المجزوم، وسكن آخر الفعل «أُري» المنصوب.

وقوله ـ أيضاً ـ:

ما العشر أنتم ولكن ألف عشرينا وكلكم رابحٌ بيعاً ليندينا[2]

فإن الفعل منصوب ولكن الشاعر سكّن آخر الفعل حفاظاً على الوزن.

مثله تسكين الفعل «تشتفي» في قوله:

لن تشتفيْ منها الصدور برحبها من ضيقها إلا بما الله ارتضى[3]

وقوله:

فألصقتْها ببطن الأرض هامدةً وطار من كرشها البرسيمُ والعشبِ[4]

فإن العطف يقتضي رفع «العشب»، ولكن حركة القافية اضطرته إلى الكسر.

ومثل هذا قوله ـ أيضاً ـ:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٤٠.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٦٦٤.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٣٤٦.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٧٤٩.

تعــوّدوه أهازيجــاً فمالبثــوا أن جانفوه ولازجرٌ ولا رهبِ[1]

ومن هذا أيضا صرف الممنوع من الصرف في قوله:

إذ الأرض في شتّى البقاع قوارعٌ وفي كل صِقعٍ عبرةٌ تتفسّر[2]

إذ نوّن «قوارع» وهي ممنوعة من الصرف لأنها على صيغة منتهى الجموع.

وكذلك قوله:

وبهم مكةٌ وطيبةُ تحظى ولهم كلّ ما أحبّوا حباء[3]

وقوله:

ومساجدٌ ومعاهدٌ وموارِدٌ ومدارسٌ ومغارسٌ تُستفلح[4]

وقوله:

يا أيها النشء والتاريخ من غدكم صحائفٌ هي أنتم في أمانينا[5]

وقوله:

هنا يستوي شرقٌ وغربٌ وأبيضٌ وأسودُ والإسلام فيه يصفح[6]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٧٥٠.

(٢) المصدر نفسه:١/٥٢٦.وتتفسّر من الفسْر وهو البيان، أي تتبيّن.

(٣) المصدر نفسه:١/٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه:٣/١٠٤٠.

(٥) المصدر نفسه:٤/١٦٦٤.

(٦) المصدر نفسه:١/٥٢٢.

وكذلك قوله:

ويكافحوا عن دينهم بعزائم منها فرائص من تمارى تفرق[1]

وقوله:

ومازالت الأرزاق تُجبى سفائناً تغُصُّ بها أحواضها وثغورها[2]

وقوله:

تهفو إليه قلوبنا وكأنّها في راحتيه مشاعلٌ وفضائلُ [3]

.....

بالبِشر ينضح والطلاقة وجهه وبه تضيء مجامعٌ ومحافل

وقوله:

ما بين نجران وبين بريدة يعدو الجناح به ويهمي النائل[4]

وقوله:

والخيف تبدو به من كلّ مطَّلع مواكبٌ لك بالتبريك تختلف[5]

وقوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٥١٩.
(٢) المصدر نفسه:١/١٨٠.
(٣) المصدر نفسه:٣/١١٢٢.
(٤) المصدر نفسه:٣/١١٢٣.
(٥) المصدر نفسه:١/٢٥٨.

كأنّما بابلٌ فيهم منشّرةٌ كعهدها بأشورٍ وابنِ ذي عنُقِ[1]

وقوله:

ومن موسى وفرعون عتيٌّ وذي بطشٍ وطيشٍ قد تمزّق[2]

وقوله:

فإذا نظرتَ إليه فهو خمائلٌ وكمائمٌ بالنور تقتحِمُ الحلك[3]

وقوله:

وما العلم إلا أن تصحّ عقائدٌ ويسلم إيمانٌ لنا ويقين[4]

وقوله:

زعموا أنها لهم من قديمٍ قبل كسرى وقيصرٍ وابن حام[5]

ومن الضرورة الشعرية ـ كما أسلفت ـ الزيادة، وذلك نحو قوله:

يُصغون حتى إذا استوفى مُحاضِرهم حديثَه اغتبطوا في غير ما ملقِ[6]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٣٢٩.
(٢) المصدر نفسه:٤/١٥١٢.
(٣) المصدر نفسه:٤/١٣٣١.
(٤) المصدر نفسه:٤/١٤٠٢.
(٥) المصدر نفسه:١/٢٣٦.
(٦) المصدر نفسه:٣/١٣٢٩.

فإن «ما» مزيدة للحفاظ على الوزن فحسب.

ومثله قوله:

غير ما ناقمين إلا فساداً يتردّى الشقيّ في دَرَكاته[1]

رابعاً: الإكثار من الألفاظ الغريبة.

ومن ذلك ـ خلافاً لماذكرت في فصل المعاني ـ قوله:

البحر غاض فهل له ثمدٌ وهل فيه لعفٌ[2]

فما معنى «لعف»؟ لقد بحثت في المعاجم فلم أجد لها معنىً لأنها مُهملة تقريبا. وقد ذكر ابن منظور في اللسان مادة «لعف» فقال: «قال الأزهري: أهملها الليث، قال: وقال ابن دريد في كتابه ولم أجده لغيره: تلعّف الأسد والبعير إذا نظر ثم أغضى ثم نظر..»[3]

ومن هذا ـ أيضاً ـ قوله:

غيوثٌ أراشتْ كل أرمل بائسٍ وكلَّ حصانٍ لم تجدْ من يميرها[4]

وقوله:

كشأن الألى حول الخطوطِ تكاتفوا عفاريت سفريدٍ وجنّ مجينو[5]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٥٩.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٥٩٢.

(٣) لسان العرب:ابن منظور، ٢٩١، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٧٩.ويمير من الميرة:وهي جلب الطعام.والمقصود الإعالة.

(٥) المصدر نفسه:٤/١٤٠٣. وسفريد ومجينو:لعلها أسماء لأمور معينة يعرفها الشاعرولانعلم بها نحن.

وقوله:

كـلا ولكـن هـزّني وأهـاجني شعرٌ به تمشي السراةُ الخيزلى[1]

وقوله:

تحت طلٍّ من الجحيم ووبلٍ وحـميـمٍ مـباغـتٍ وقنـابـر[2]

وقوله:

على خلقٍ كالطلّ صفواً وكالطلى شغوفاً وتبريزاً على كل مارن[3]

وقوله في قصيدة طويلة:

من اللائي يحفظن المغيب حصانةً ويفتنّ لاصبغاً عرفنَ ولا رفها[4]

.....

حكيْن الظباء البيض والسمرة الظّبى وما بينـهنّ الكلّة الملّة الورها

.....

هو البحر جيّاشاً هو الفجر والضحى هو الطَّوْد والأطواد من حوله تقهى

.....

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٣٥٠.والخيزلى:التبختر(اللسان:٤/٨٤).

(٢) المصدر نفسه:٤/١٤٣٣.والقنابر:لم أقف على معناها في المعاجم.ود/العطوي فسر معناها بأنه الأشياء الكبيرة المتخلفة عن القذف بالصواريخ.

(٣) المصدر نفسه:٣/١٣٤٧.المارن:سبق التعريف به في الألفاظ الغريبة عند شوقي.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١١٢٠. والكلة: من الكلال بمعنى الضعيفة. والملة: أي الملولة. والورها أي: الخرقاء؛ من الوره وهو الحمق في كل شيء(اللسان:١٥/٢٨٠). والرفه: بمعنى الرفاهية. والنقه: أي الفترة التي يتعافى فيها المريض من مرضه ومنه النقاهه (القاموس:٤/٤٢٢).

ظفِرت به يوم الـهدى وأثابني به البِرّ والإحسان والفرْح والنقها
هو الشرف العالي وللفخرِ صُنتُه سوى أن يمسّ الركنَ أو يلمس الكمها

.....

أبا الفهد ما بالي أوالي قصائدي وروحي بها تُمرى وقلبي بها يُمْهى

وللروي دورٌ كبير في غرابة الألفاظ. يتضح ذلك من خلال قصيدة ضاديّة وردت بها ألفاظ حوشيّة في القافية، مثل أجرض، تشضض، نضنض؛ وذلك في قوله:

وكأنّما هي في ارتجاس رعودها شهبٌ تحدّى كلّ من هو أجرضا[1]

وقوله:

ما فتحُ وايم الله وهي كتائبٌ إلا البطولة والفداء تشضّضا[2]

وقوله:

تالله ما ضاعت فلسطين سدىً إلا بمن قبِل الهوان ونضنضا[3]

خامساً: المعاظلة في الكلام.

وذلك كقوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٣٤٤.وأجرض من الجرَض وهو الريق الذي يغص به الإنسان.وأجرضه بريقه:أي أغصّه(القاموس:٢/٤٨٠).

(٢) المصدر نفسه:٣/١٣٤٤.و تشضّضا:لم أعثر على مادتها في كتب المعاجم.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٣٤٥. ونضنض: من النضنضة وهي تحريك الحية لسانها أو صوتها (القاموس:٢/٥٠٩). ود/العطوي يرى أن الشاعر يقصد الخونة هنا.

والله أوصى بالعتـادِ عبـادَه في الوحي والإعداد دون تلوُّم[1]

فأصل الكلام: والله أوصى عباده في الوحي بالعتادِ والإعدادِ.

وقوله:

ما سوى التقـوى بهـا كرّمنـا ميزةٌ باللـون وبالكـلّ سـواء[2]

ففي البيت تعقيد واضح، مع أن المعنى المراد معروف.

وكذلك قوله:

إنـه للعظيـم يكـره منّـا مـا بـه فيـه يحسـن الإطـراء[3]

والمعاظلة هنا أدّت إلى غموض المعنى في البيت.

وقوله ـ أيضاً ـ:

لم يفنَ إلا منك جسمك ناحلاً[4]

فترتيب الكلام: لم يَفن منك إلا جسمك ناحلا.

وبعد، فلقد اتّضح لي مما استعرضتُ لدى الشاعرين من الألفـاظ والأساليب، أنّهما استفادا من ثراء اللغـة العربيـة وسـعة أسـاليبها، إلاّ أن شوقي أوسع اسـتفادةً مـن الغـزاوي، وذلـك مـن خـلال كثـرة المعـاني

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/٩٩٩.

(٢) المصدر نفسه:١/٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه:١/٤٤٦.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٥٥٨.

البلاغية التي قصدها بالأساليب المختلفة من أمر واستفهام ونداء وغير ذلك.

كما تبيّن لي ـ أيضاً ـ أن كلاً من الشاعرين وقع في مآخذ متنوعة في جانب الألفاظ. إلاّ أن شوقي بحسّه الموسيقي لم يقع في الألفاظ ذات الجرس المؤذي، خلافاً للغزاوي. وسوف أعرض لذلك عند دراسة الإيقاع إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني
الخيال بين الشاعرين

ويُعنى به «الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورَهم. وهم لا يؤلفونها من الهواء، إنما يؤلفونها من إحساساتٍ سابقة لاحصر لها، تختزنها عقولهم وتظل كامنةً في مخيلتهم، حتى يحين الوقت، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها، صورةً تصبح لهم، لأنها من عملهم وخلقهم».[1]

وهو يرتبط بالعاطفة ارتباطاً وثيقاً. لأن اللغة المجردة من الخيال تصف لنا الفكر والحقائق، أما الخيال فإنه يصوّر لنا عاطفة الأديب ويبعث مثلها في نفوس السامعين[2].

وتكمن أهمية الخيال في أنه يؤكد المعاني، فيبرز الخبيء ويكشف الأستار والحجب، ويشخّص المتخيَّل، ويجسّد المتوهَّم، ويحضر الغائب ماثلاً للحس والعيان، قطعاً لحجة المتشكك، وتقريباً له لدائرة الاقتناع. ومن هنا قيل عن الشعر إنه لمحة دالة ورمزٌ لحقائق مستترة، أي أن الشاعر يقذف بالكلمة فتأخذها الأسماع وتعيها النفوس ويستوعب معانيها الخيال.[3]

---

(١) في النقد الأدبي: د/شوقي ضيف، ١٦٧، دار المعارف، ط٨، بدون تاريخ.

(٢) انظر: أصول النقد الأدبي: د/طه أبوكريشه، ٣٣٦.

(٣) انظر: أصول النقد الأدبي: د/طه أبوكريشة، ٣٤١.و: الشعر غاياته ووسائطه: إبراهيم المازني، ٥٥ تحقيق د/فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، ط٢، ١٩٩٠م.

وللخيال وسائل عديدة، منها التشبيه[1]، والاستعارة[2]، والكناية[3] والمجاز العقلي،[4] والمجاز المرسل[5]، والتشخيص[6]، والتجريد[7]، والرمز[8]، وحسن التعليل، والتمثيل.

كما ينقسم الخيال إلى خيال جزئي وخيال كلي. أما الجزئي فهو الخيال الذي يحوي صورة واحدة. ويظهر هذا النوع من الخيال في البيت أو البيتين، ويشمل الاستعارة والمجاز والكناية. وقد تتوالى هذه الصور الجزئية دون ترابطٍ بينها فيكون الخيال حينئذ جزئياً مركباً. أما إذا كانت الصورة الجزئية بمفردها فإن الخيال يكون جزئياً بسيطاً.

وأما الخيال الكلي فهو الذي يشتمل على صورٍ مترابطة لايمكن الفصل بينها، فهي تؤدي لوحة متكاملة، من خلال عدة أبيات أو قصيدة كاملة.[9]

---

(١) وهو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى(إيضاح التلخيص بشرح الصعيدي:٢/٦).

(٢) وهي استعمال اللفظ في غير ما وُضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.(إيضاح التلحيص بشرح الصعيدي:٣/٧٨، ٩٣)

(٣) وهي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ.(إيضاح التلحيص بشرح الصعيدي:٣/١٥٦).

(٤) وهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ماهوله بتأول.(إيضاح التلحيص بشرح الصعيدي:١/٥٦).

(٥) وهو استعمال اللفظ في غير ما وُضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة غير المشابهة مع قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي.(إيضاح التلحيص بشرح الصعيدي:٣/٧٨،٨١)

(٦) وهو إعطاء مالايعقل صفة الإنسان فيخاطبه أو يجعله مخاطباً.سواء كان من الحيوان أو الجماد أو الأمور المعنوية وهو يدخل في الاستعارة.

(٧) وهو أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة مبالغةً في كمالها فيه.(إيضاح التلحيص بشرح الصعيدي:٤/٣٧)

(٨) وهو استدعاء مضمونٍ عامٍ مؤثر بتوظيف الآيات القرآنية أو الحديث الشريف بالتناص من اقتباس وتضمين وإشارة، أو بتوظيف التراث والأساطير. "الرمز في الشعر السعودي المعاصر، د/مسعد العطوي، ٣٢، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

(٩) انظر:في النقد الأدبي الحديث:د/محمد صالح الشنطي، ٣٣٤-٣٣٥، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، ط١، ١٤١٩هـ.

وإذا تأملنا في شعر شوقي والغزاوي، نجد أنهما استعانا بالخيال في كثير من المواضع، كما نوّعا في استعانتهما بوسائل الخيال المختلفة. على أن الخيال الجزئي سواء البسيط أو المركب هو الغالب عندهما ـ كما سيتبين بعد قليل ـ. أما الخيال الكلي فهو نادر لايكاد يظهر إلا في قصائد معدودة. منها قصيدة شوقي التي قالها عند اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون. يقول في وصف المقبرة:

درجتْ على الكنز القرونْ ... وأتتْ على الدنّ السنون[1]
خير السيوف مضى الزما ... نُ عليه في خير الجفون
في منزلٍ كمحجبِ الـ ... ـغيث استسرَّ عن الظنون
حتى أتى العلم الجسو ... ر ففضّ خاتمة المصون
والعِلمُ بدريٌّ أُحِـ ... ـلَّ لأهله ما يصنعون
هتك الحجال على الحضا ... رة والخدور على الفنون
واندسّ كالمصباح في ... حُفرٍ من الأجداث جون
حُجَرٍ ممرّدة المعا ... قل في الثرى شُمٌّ الحصون
لا تهتدي الريح الهبو ... ب لها ولا الغيث الهتون
خانتْ أمانة جارها ... والقبرُ كالدنيا يخون

ففي هذه الأبيات صورة كلية لاتقبل التجزئة، لأنها ترسم في أذهاننا لوحة القبر المظلم الذي أناره العلم الحديث فكشف لنا عمّا فيه من كنوز. ثم يرسم شوقي لوحةً أخرى هي منظر الصور والتحف بألوانها الزاهية قائلاً:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٣٠٧.وانظر -أيضا-:٢/٣٥٥، ٤/٥٣.

صحب الزمانَ دهائُها ... حيناً عهيداً بعد حين

غضٌّ على طول البِلى ... حيٌّ على طول المنون

خدع العيون ولم يزلْ ... حتى تحدى اللامسين

غلمان قصرك في الركا ... ب يناولون و يَطردون

والبوق يهتِف والسها ... م ترنُّ والقوس الحنون

وكلابُ صيدِك هُتّفٌ ... والخيلُ جُنّ لها جنون

والوحش تنفِر في السهو ... ل وتارةً تثِبُ الحزون

والطير ترسف في الجرا ... ح وفي مناقرِها أنين

وكأنّ آباء البريّـ ... ـة في المدائن مُحضرون

وكأنّ دولة آل شمـ ... ـس في شمالك واليمينْ

أمّا الغزاوي فهو أقل حظاً من شوقي في اعتماده على الخيال الكليّ. ومن قصائده التي يتجلى فيها هذا النوع من الخيال قصيدته في وصف فيضانات سوريا التي سببت خراباً عظيماً فيها. يقول:

رعد تقصّف أم زئير ... سيلٌ تعسّف أم نذير[1]

الأرض منه أجفلت ... فكأنما هي تستدير

سلب العقول رشادها ... في لجة الطامي الغزير

أرأيتَ لو أن الجبا ... ل تدفقت ومشت تمور

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٣٩٥. وانظر-أيضا-: ٤/١٣٩٣.

أحد ورضوى في الأمـ ـام ومن ورائهما ثبـير
فمضت تدكّ الأبنيا ت وتهدم الكوخ الحقير
وتهزّ أركـان القصـو ر وتجرف الجمّ الغفير
مـا كـان إلا ذلكـم طـوفان نوحٍ في الثبـور
ريعت به الشام الشـ ـقيقة واستبيح به العشير

فقد استطاع الشاعر أن يجسد لنا هول المنظر المخيف، منظر السيل الذي يقتلع كل شيءٍ يجابهه. وذلك من خلال الصورة الكلية المُفزعة التي أتـى بها. حيث جبل أحد ومن ورائه جبلا رضوى وثـبير تتـدافع في اضـطرابٍ شديد تجاه الناس وبيوتهم فتكتسح كل ما يواجهها. وقد استعان الشاعران بالتشبيه والاستعارة ثم الكناية كثيراً، وهي متـأثرة ـ في الأغلـب ـ بصـور القدماء. من ذلك ـ مثلاً ـ عند شوقي قوله يمدح الخديو:

أنت شمس الأيام بدر الليالي فإليك انتهى السنا والسناء[1]

وقوله:

فكم أنفسٌ تمرّ بها الأحدا ث مـرّ الـريـاح بالأطـواد[2]

وقوله:

همامٌ يضيق الدهر عن عزماته ولا تحمل الخيل الجياد نجاده[3]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/١٩١.
(٢) المصدر نفسه:٣/١٩٦.
(٣) المصدر نفسه:٣/١٨٠.

وقوله:

بفـاتحِ غـــازٍ عفيـف القنـا لا يحمـل الحقـد ولا يعتـدي[1]

وقوله متغزلا:

وبدا يميس فلاح لي قمرٌ على غصنٍ رطيبٍ بالمناظر مثمر[2]

ومن الخيال المقلّد عند الغزاوي قوله:

والناس حولك خشّعٌ فكأنهم تلقـــاء فـرضٍ قـــائمٍ وأداء[3]

وقوله:

كأنّ الثرى من حيث ريقتْ دماؤها هو الشفق المحمرّ والسيل من عل[4]

وقوله:

هم الفاتحون المهتدون ومن بهم تهلّل وجه الأرض وانتطق الفخر[5]

وقوله:

فلو أنّ قلباً كشّف الحب وجده تضـاءلتُ حتى ما أكاد أبين[6]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٣٣.
(٢) المصدر نفسه:٢/٤٦٥.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٣٤.
(٤)المصدر نفسه:٤/١٦٥٣.
(٥) المصدر نفسه:٣/١٢٣٢.
(٦) المصدر نفسه:٤/١٤٠٢.

وقوله:

إذا شئت لاقيتَ الحجى في بروده طويل نجاد السيف خضر حمائله[1]

فإن الأبيات السابقة كلها ذات أصول تراثية قديمة.

ولست ـ هنا ـ أعيب على الشاعرين تأثرهما بصور القدماء، بل إنه من الطبعي ـ وهما شاعران محافظان ـ أن نجد لديهما صدىً لتشبيهات العصور المتقدمة واستعاراتها وكناياتها.

وقد وجدت لديهما ـ خاصة شوقي ـ خيالاً يدل على شاعرية قوية، من ذلك قول شوقي يعاتب محبوبته:

للعاشقين رضاك والـ ـحسنى ولي هجرٌ وصد[2]

ذُكروا فكانوا سبحةً وأنا العلامة لا تُعدّ

فهو يشبّه منزلته بين الآخرين لدى المحبوبة بمنزلة الفاصلة في السبحة التي تعين على معرفة العدد، فهو لا قيمة له بين هؤلاء كما أن هذه الفاصلة لا دور لها في التسبيح ولا تزيد في الأجر.

وكذلك قوله في رثاء صديق له توفي بذبحة صدرية:

إن أوهى الخيوط فيما بدا لي خيط عيشٍ معلقٌ بالوريد[3]

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٠٤.

(٢) الموسوعة الشوقية:٣/٥٦.

(٣)المصدر نفسه:٣/٧٣.

فالحياة قد تنقطع ـ بقدر الله ـ في أي وقت وفي أي مكان، فهي مهدّدة ليس لها أمان لأنها تعتمد على المغذية التي تمدّ من خلال الوريد في المستشفيات.

ومن خيال شوقي المصوّر قوله يصف جسر البسفور المتهالك:

أمير المؤمنين رأيتُ جسراً ... أمرّ على الصراط ولا عليه[1]

له خشبٌ يجوع السوس فيه ... وتمضي الفأر لا تأوي إليه

ولا يتكلف المنشار فيه ... سوى مرّ الفطيم بساعديه

وكم قد جاهد الحيوان فيه ... وخلّف في الهزيمة حافريه

فالشاعر يصوّر رهبته من عبور هذا الجسر في البيت الأول أحسن تصوير، فهو يفضّل العبور على الصراط عن أن يمرّ عليه، وهذه المبالغة أدت المراد في التصوير. ثم يتابع في البيت الثاني فيبيّن أن السوس قد جاع فيه، وأن الفأر لاتأوي إليه لعدم وجود مأوىً لها فيه، تلميحاً إلى تآكل الخشب وتهالكه. وفي البيت الثالث يؤكد هذا المعنى حيث أن خشب الجسر لايحتاج في نشره إلا لمثل قوة ساعدي الطفل الفطيم، ولقوله «الفطيم» موقع جيد في هذه الصورة لأن الطفل الفطيم هو من مُنع عن حليب الأم لسبب ما، ولذا فهو أشد حاجة إلى المقوّيات في هذه الحال. وفي هذا كله تأكيد لضعفه، ومع هذا الضعف فهو يستطيع نشر خشب الجسر المتهالك. أما البيت الرابع فإن شوقي يصور فيه كثرة الفجوات المتواجدة على ممشى الجسر، فيشبه حالة مرور الحيوانات عليه بالدخول في حربٍ شديدة لا

---

(١) المصدر نفسه: ٥/٤٨٧.

يستطيع النصر فيها، وإن سلم المحارب فيها فلابد من حصول عاهةٍ له، وهذا ما عبّر عنه بقوله «وخلّف في الهزيمة حافريه».

ومن خياله البديع ـ أيضاً ـ قوله يصف منظر الأمهات اللائي يبحثن عن أبنائهن تحت الأنقاض التي هدمتها النيران في ميت غمر:

من كل مودِعة الطلول دموعها من أجل طفلٍ في الطلول استأخرا[1]
كانت تؤمّل أن تطول حياته واليوم تسأل أن يعود فيُقبرا

.....

وتشم رائحة الرفات كريهةً وتشمُّ منها الثاكلات العنبرا

فهؤلاء الأمهات دموعهنّ غوالٍ، لا تُذرف لأي سببٍ كان. ولذلك فإنهنّ لم يملكن إلا ذرفها على أطفالهنّ المفقودين تحت الأنقاض، وكأنّ الأمهات قدّمن دموعهنّ الغالية وديعةكي يجدن أطفالهنّ. وفي البيت الثاني وصف دقيقٌ لمشاعر الأمهات الثاكلات بين حالين متناقضين. فقد كنّ ـ سابقاً ـ يأملْن في أن تطول حياة أبنائهنّ فيكبروا ويشبوا على مرأىً منهنّ، أما الآن وقد رأين النيران التهمت كل شيء حتى أجساد أبنائهنّ، فإنهنّ يأملن في مجرد ظهور الجثث كي يُدفنوا ويُودعوا بطريقة لائقة. حتى إذا ظهرت بعض الجثث ـ التي لا تُطاق من رائحة التفحّم الكريهة ـ وجدتَ هؤلاء الأمهات وكأنّهن يجدن فيها رائحة العنبر الزكية فلا يتضايقْن وإنما يردن البقاء بجانب هذه الجثث التي لا تزال بقيّةً من فلذات أكبادهنّ.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٤١٤.

ومن تصوير شوقي الجيّد، قصيدته في وصف النخيل، إذ يقول:

أرى شجراً في السماء احتجبْ ... وشقّ العنان بمرأى عجبْ[1]

مآذن قامت هنا أو هناك ... ظواهرها درجٌ من شذب

وليس يؤذن فيها الرجال ... ولكن تصيح عليها الغرب

وباسقةٍ من بنات الرمال ... نمت وربت في ظلال الكثب

كسارية الفلك أو كالمسلّة ... أو كالفنار وراء العبب

تطول وتقصر خلف الكثيب ... إذا الريح جاء به أو ذهب

فالنخيل يصوره شوقي كالمآذن العالية، وكما أن للمآذن درجاً فللنخيل ـ أيضاً ـ درج ولكنه من شذب. وفي البيت الرابع كناية جميلة حين قال: بنات الرمال، فهي نمت وترعرعت في أحضانها كما ينمو الطفل في أحضان والديه. وفي البيتين الخامس والسادس يبدع شوقي في تصوير مشهد حيّ وهو منظر النخيل وأمامه الكثبان الرملية التي تعلو تارة وتتلاشى تارةً بتأثير الرياح التي تهبّ في اتجاهات مختلفة، والنخيل في ذلك كله يطول إذا تطايرت الكثبان ويقصر إذا تراكمت حواليه. وهذا المشهد يشبه منظر الفنار أو المسلة أو سارية السفينة حين تعلو الأمواج وتهبط من حولها فيؤدي ذلك إلى تباين طولها في نظر رائيها .

وبعد هذا الوصف ينتقل شوقي إلى مشهد آخر إذ يقول:

تخال إذا اتقدتْ في الضحى ... وجرّ الأصيل عليها اللهب

.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٣٥٥.

وطـــاف عليهـا شـعاع النـهار من الصحو أومن حواشي السحب
وصـــيفةَ فـــرعون في ســـاحةٍ مـــن القـــصر واقـــفةً ترتقـــب
قد اعتصـبت بفصـوص العقيـق مفـــصّلةً بشـــذور الـــذهب
ونـــاطت قـــلائد مـــرجانها على الصـدر واتّشـحت بالقصـب
وشـــدّت علـى سـاقها مئـزراً تعقّـــد مـــن رأســـها للـــذنب

فالنخلة حين تبدو وقت الضحى وهي عالية رشيقة وقـد انعكسـت عليهـا أشعة الشمس التي كستها حُلّة من الذهب، مع ما يتدلّى منـها مـن رطـب أحمر؛ تذكّر الشاعر بوصيفة فرعون واقفة تترقب. وقد اعتصـبت بـالعقيق الأحمر المحاط بشذور الذهب وعلّقت على نحرها قلائـد مـن المرجـان. وهي مع ذلك تلبس مئزراً مشدودا علـى جسـدها كلـه. فشـذور الـذهب والعقيق الأحمر يقابلان انعكاس أشعة الشمس الذهبية والرطـب الأحمـر. والمئزر المشدود يقابل جذع النخلة الرشيق. كما أن النخلة وسـط الرمـال كالوصـيفة في سـاحة القصـر. ويتجلّـى خيـال شـوقي ـ أيضـاً ـ في قولـه «اتّقدت» و«اللهب» فهو يرى شدّة لمعان أشعة الشمس على سعف النخل كالنار المُلتهبة حين توقد.

ومن قصائد شوقي التي يتجلّى فيهـا خيالـه البـديع، سـينيته الـتي نظمها في المنفى. والضادية الـتي قالهـا في وصـف قصـر أنـس الوجـود. ولنستمع ـ مثلاً ـ إلى قوله:

مســـتطار إذا البـــواخر رنّـــتْ أول الليل أو عـوتْ بعد جرس[1]

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٩.

راهبٌ في الضلوع للسفن فطنٌ كلّمـــا ثـــرن شـــاعهنّ بـــنقس
يا ابنـة الـيمّ مـا أبـوكِ بخيـلٌ مـا لـه مـولعاً بمنـع وحـبس
أحـرامٌ عـلى بلابـله الـدو ح حـلالٌ للطـير مـن كـل جـنس

.....

نفسـي مرجـلٌ وقلـبي شـراعٌ بهما في الـدموع سـيري وأرسـي

فهو يصف في الأبيات شعوره وهو ينظر إلى السفن الراحلة، بينما هـو في منفاه بعيداً عن وطنه. فقلبه أشبه مـا يكـون بالراهـب الخاشـع المنعـزل، ولكن هذا الراهب مشغولٌ باله مـع السـفن الراحلـة، ولـذلك فهـو يـدق ناقوسه لوداعهنّ كما أن القلب يزيد خفقه لرؤية هذه السفن. وقد اسـتعار الشاعر في البيت الأول العواء للسفن، وهو في الأصل للكلب أو الـذئب أو ابن آوى، وهي استعارة جميلة، فعواء الكلب أو الذئب يقلق النائم في ساعات الليل المتأخرة ويؤرّقه وكذلك صوت هذه السفن؛ فإنه يبعد النوم عن الشاعر ويجعله مشدود الأعصاب متوتراً. كما وُفّق الشـاعر في كنايتـه حيث يخاطب السفينة فيقول:

يا ابنة اليمّ مـا أبـوكِ بخيلٌ ما لـــه مـولعاً بمنـعٍ وحـبس

فاليمّ بمثابة الأم، والسفينة بمثابة الابنة التي لا حول لهـا ولاقـوة بجانـب إرادة أبيها. والإنجليز بمثابة الأب الجائر الذي يتحكم في زوجـه «البحـر» وابنته «السفينة». ولـذلك فـإن شـوقي يتسـاءل مسـتنكرا عـن سـبب نفيـه وإبعاده عن وطنه، مشبهاً حاله بحال البلبل الذي يُحـرم مـن عشّـه الـذي

يأنس فيه، بينما يُسمح للطيور الأخرى أن تسكن فيه. وهذه الطيور من كل جنس رمز لتعدد الجنسيات في مصر.

وفي القصيدة ذاتها يصف شوقي الجيزة فيقول:

وأرى الجيزة الحزينة ثكلى ... لم تُفق بعد من مناحة رمسي[1]

أكثرتْ ضجة السواقي عليه ... وسؤال اليراع عنه بهمس

وقيام النخيل ضفّرن شعراً ... وتجرّدن غير طوقٍ وسلس

وكأنّ الأهرام ميزان فرعو ... ن بيومٍ على الجبابر نحس

أو قناطيره تأنّق فيها ... ألفُ جابٍ وألف صاحب مكس

.....

ورهين الرمال أفطس إلاّ ... أنه صنع جنّةٍ غير فطس

تتجلى حقيقة الناس فيه ... سبُع الخلق في أسارير إنسي

لعب الدهر في ثراه صبياً ... والليالي كواعباً غير عنس

فالجيزة ـ في خيال شوقي ـ تبكي رمسيس، وقد تخيّل ـ أيضاً ـ نعير الساقية وهي تدور محمّلة بالماء كصوت البكاء، كما تخيّل حفيف اليراع أو القصب مع هبوب الريح كالسؤال عنه. أما النخل فقد شبّه الشاعر تشابك بعض سعفه وذهاب البعض الآخر بالمرأة التي ضفّرت شعرها، وتجرّدت من الزينة.ويبدع شوقي في تشبيه الأهرام، فهي ـ بشكلها المخروطي تقريباً ـ موازين فرعون التي يزن بها، أو هي ـ في عظمها

---

(١) الموسوعة الشوقية:٤/٢٩.ورمسي:المقصود به رمسيس الثاني أو الأكبر،من ملوك الفراعنة الأقوياء، حكم سبعة وستين عاماً وترك آثاراً جمة.

وجلالها ـ ماجمعه الجباة من ضرائب فرعون وخراج حروبه. وفي البيت السادس يرمز إلى أبي الهول برهين الرمال كناية عن قدمه وثباته في محله رغم تقادم الأيام والليالي اللائي كنّ يلعبن في ثراه صبياناً وكواعب.

ومن لوحات الطبيعة الجميلة التي رسمها شوقي أبياته التي يصف فيها منظر الشمس وغروبها خلف قمم جبال سويسرا، وذلك حيث يقول:

واصفرّ أبيض كلّ شيء حولها ... واحمرّ برقعها وكان الأصفرا[1]

وسما إليها الطود يأخذها وقد ... جعلت أعاليه شريطاً أحمرا

مسّته فاشتعلت بها جنباته ... وبدت ذراه الشم تحمل مجمرا

فكأنما مدت به نيرانها ... شركاً لتصطاد النهار المدبرا

حرقته واحترقت به فتولّيا ... وأتى طلولَهما الظلام فعسكرا

فالشاعر يتخيّل الجبل ـ والمسافة تتضاءل شيئاً فشيئاً بينه وبين الشمس الهاوية ـ يسمو ويتطاول إلى الشمس ليأخذها. وقد نجح في تجسيد المنظر حين قال: «جعلت أعاليه شريطاً أحمرا» وقوله: «وبدت ذراه الشم تحمل مجمرا» فجعل السامع مستحضراً لهذا المنظر. ويعلل الشاعر للغروب تعليلاً خيالياً، فيرى أن الغروب يحصل لأن الشمس تمد نيرانها على الجبال لتصطاد بها النهار، فماتلبث النيران أن تحرقهما معاً ـ أي الشمس والنهار ـ فيتلاشيا ويحل محلهما جيش الظلام فيعسكر مكانهما.

ومن الخيال المجدد عند شوقي، داليته التي يرثي فيها محمد فريد، يقول:

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٣/ ٢٩٤.

كرة الأرض كم رمتْ صولجاناً وطوتْ من ملاعبٍ وجياد[1]
والغبار الذي على صفحتيها دوران الرحى على الأجساد

.....

تطلع الشمس حين تطلع نضخاً وتنحّى لمنجل الحصّاد[2]
تلك حمراء في السماء و هذا أعوج النصل من مراس الجلاد

ففي البيت الأول يبتكر شوقي خياله[3] من لعبةٍ بالكرة يلعبها اللاعبون وهم على جيادهم راكبون ومعهم عصيّهم، ولكن هذه الكرة (كرة الأرض) «أسقطت من أيدي الملوك قضباً كثيرة، ودثّرت ميادين لا عداد لها، وأبادت خيلاً لا تُحصى»[4] واللعبة بما فيها من عصي ولاعبين وجياد كناية عن الحياة وملابساتها المختلفة التي يقضي عليها الموت. والبيت الثاني مأخوذ ـ كما أشار العقاد[5] ـ من قول أبي العتاهية:

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن[6]

ولكن شوقي زاد في المعنى بأن جعل للطحن غباراً كناية عن الكثرة. ثم في البيتين الأخيرين يتخيل شوقي الشمس حمراء حال طلوعها من دماء الموتى والهلال منجلاً اعوجّ نصله من كثرة حصد أرواحهم. وهنا يعترض

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٧٧.
(٢) نضخاً:أي في فورة وتدفق(القاموس:١/٥٣٣).وتنحّى:تتنحى بحذف إحدى التاءين على الجواز.
(٣) انظر:الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء:محمد عبدالرحيم سمان،١٥٤-١٧٥.
(٤) الديوان:العقاد والمازني،١٧.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) ديوان أبي العتاهية:٤٢٩.

العقاد حيث إن موت البشر غير مخصص بوقت طلوع الشمس أو كون القمر هلالاً، ومعنى كلام شوقي أن «فيما عدا هذه الأويقات لا قتل ولا حصاد، فمن مات ظهراً أوعصراً أو لعشرٍ بقين أو مضين من شهرٍ عربي فلا يُصدّق»[1]. وأرى أن شوقي لم يحدد فترة الصبح للشمس بدليل قوله «وتنحّى» أي تغرب تاركةً الأمر للقمر. أما الهلال فإني أؤيد العقاد فيما ذهب إليه.

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي نجده أجاد في بعض صوره، كما في قصيدته التي يحيي فيها مدرسة الفلاح، إذ يقول:

في الليل قد يبدو الصباح ... أرأيتَ مدرسة النجاح[2]
هي آيةٌ وأمامها ... مثلٌ تألّق في الفلاح
كانت خيالاً حائرا ... في الأفق مقصوص الجناح
أو فكرةً منثورةً ... تلهو بها هوج الرياح
فتقاذفتها السافيا ... ت على الروابي والبطاح
حتى إذا ما استمسكت ... في زيّ ربات الوشاح
لاذت بأكناف المرو ... ءة والشهامة والسماح
شكت العقوق إلى النهى ... شكوى المتيّم للملاح
واستعبرت من وجدها ... والدمع من لغة الجراح
فحنى عليها المخلصو ... ن وساعد القدر المتاح

---

(١) الديوان: العقاد والمازني، ١٧.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٣٩٣.

فمضت تعثّر في الدجى والليل موصول الجناح
مشت الهوينا وانتحت سبل العزيمة والكفاح
وعدتْ على أميةٍ خرساء تمعن في النواح

فالشاعر في الأبيات يصف كيف بدأت فكرة تأسيس هذه المدرسة، بخيالٍ بديع. فالفكرة في بدايتها ـ ودون رجال يهتمون بالعلم والعلماء ـ؛ كانت أشبه بالطائر مقصوص الجناح الذي لايستطيع التحليق، أو الوريقة المنثورة التي تتعاورها الرياح ولا تقر بها على حال. وهي ـ أي الفكرة ـ تشكو باكيةً إلى العقول المتفتحة كالمتيّم الذي يشكو وجده وهيامه إلى الغواني الملاح. وعندما بدأت الفكرة في تحققها «حنا عليها المخلصون» وكأنها طفلة صغيرة تستحق الرعاية، كما حنا عليها «ساعد القدر المتاح» وهي كناية جميلة عن توافر الظروف الملائمة لمثل هذا المشروع العلمي. ويعبر الشاعر عن الصعوبات التي واكبت إنشاء المدرسة فيصورها كمن تتعثّر به أقدامه في الظلمة لايدري أين الطريق، فهو يمشي الهوينا حتى يصل إلى مراده. كما يصور في البيت الأخير قضاءها على الأمية كالسبع الذي ينقضّ على فريسته فلايبقي منها شيئا.

ومن خيال الغزاوي القوي قصيدته التي يتخيل فيها حواراً بين الشمس والقمر فيقول:

ظفرت بمشهدِ فذٍ جميلٍ تقرّ به النواظر والقلوب[1]
بدرٌ قابلته الشمس تمّاً وقد جنحت ومال بها المغيب

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٧٤١.

تحـــدّاها وأرهـــقها صـــعوداً مواجهـــةً وقـــد أزف الغـــروب
يعـــابثها وتصـــليه ســـعيراً ويغـــمزها ويعجزهـــا الوثـــوب
ويمشـي بـين مـوكبه اختيـالاً كما احتفلتْ بقادتهـا الشـعوب
تكسّـى فضـــةً ونضـى شـعاعاً فأوغرهـا وأضـناها الشـحوب
عليه مـن الشـباب الغـضّ بُـردٌ وفي أعطافهـا احتضـر المشـيب
تجاذبـه لـــيدنو وهـــو يلـهو ويصـعقها ويصـرعها الـدؤوب
رمـــاها بـالهوى ورمتـه عمـداً وبـاح بسـرّها الأفـق الرحيـب
وأحســبها بـــه هامــت ولكــن أشـاح وأجـفلت منـه اللعـوب
أطـلّ يـنصّ في خفـر العـذارى وتلـك تغـصّ تلقفهـا الغيـوب
وخلـف كليهمـا الألـوان شـتى يـــرقرقها الشـمال أو الجنـوب
لجـينٌ حيثمـا اسـتقبلت يجـري وتـبرٌ فـــوق أمـــواجٍ يـذوب
وآكـــامٌ يطـوف بهـا ركـامٌ وبـــحر فـــيه يشـتعل اللـهيب
وألقـت شـجوها مـداً وجـزراً وبين شـغافها ارتجـز الوجيـب
ولـــمّا لم تنـل منـه وصـالاً وضـاق بهـا التبسّـم والقُطـوب
رمتـه بنظـــرةٍ شـــزراء شُـقت لهـا الأســتارُ غيظـاً والجيـوب
ونادتْ وهـي تشـهق مـن بعيـدٍ وتـــزفر والمنـــادى لا يجيـب
إليكَ فأنتَ لو أنصـفتَ بعضـي وضـــوؤك كـــله مـني سـليب
تريّـثْ واحتـــجبْ مـني حيـاءً فمالـك في منـاضلتي نصـيب
أأنـــتَ تعقـــّني وأراكَ طـــفلي وتطفو حيث يخفـيني الرسـوب

فقهـــقه واستـــطار بـــه ســـناه مـــراغمةً ولجّ بهـــا الهـــروب
وأشرق واستوى طلـق المحيّـا تحفّ بـه الوصـائف والطيـوب
وغاصتْ بعدما انسكبت دموعـاً على اللجّي وعصفرها النحيـب

فالأبيات تتخيل منظر غروب الشمس وارتفاع البدر نتيجة لعلاقـة عاطفيـة بين فتاة جميلة «الشمس» مغرمةٍ بفـتىً مغـرور «البـدر»، وهـي لا تبـدي غرامها هذا بل تتمنّع، ولكن دون جدوى مع غـرور هـذا الفـتى المزهـوّ. ويعلل لغروب الشمس بأنها أجفلت حين لم تجد تجاوباً من البـدر الـذي استمرّ في زهوه وإعراضه عنها. ومن مشـاهد هـذا الغـرور الـذي يصـوره الغزاوي قوله:

ويمشـي بـين مـــوكبه اختيـالاً كما احتفلـتْ بقادتهـا الشـعوب

وهو تصويرٌ متأثر بالبيئـة الـتي كـان يعـيش فيهـا الغـزاوي، بـين الملـوك والأمراء والوزراء. ومن أبياته البديعة في القصيدة قوله:

وغاصتْ بعدما انسكبت دموعـاً على اللجّي وعصفرها النحيـب

فقد جعل البحر الذي تختفي الشمس وراءه، دموعاً لتلـك الفتـاة الـتي لم تجد لها حظاً مع حبيبها، وهي من كثـرة بكائهـا أصـبح وجههـا معصـفر اللون لاروح فيه.

والجدير ذكره أن الشـاعر في قولـه علـى لسـان الشـمس مخاطبـةً القمر:

أأنـــت تعقـــني وأراك طفلـــي وتطفـــو حـــين يخفـــيني الرســـوب

لم يُوفّق في صورته، فهو أراد أن الشمس ترى مكانتها أعلى من البدر الذي لم يستجب لها، وتركها وحيدة، فعبر عن ذلك بأنها تراه طفلاً عاقاً لها، وهذا تصوير لايتماشى من اللوحة التي رسمتها الأبيات في أذهاننا، فالحبيبة لاترى من يجافيها، ويأبى مواصلتها ابناً عاقاً.

ومن خياله المصوّر قوله يخاطب الشباب:

أيهـذا الشـباب حولـك تُصـغي أمّـــة فيـك ســهّدت مقلتاهـا[1]
أنـــت أكبادهـــا دمـــاً وعروقـــاً أنـــت مـــنها شـــغافها وهواهـــا
تتواصـى عليـك إذ أنـت طفـل وتـــحابيك ناشـــئاً في حباهـــا
ترمق المجد من يـديك طريفـاً في غـدٍ والغـد القريـب رؤاهـا
فاشتمل بالحفـاظ وانهـض إليـه ولـــتكن دائـــماً ربيـــب هواهـــا

فقد رسم لنا لوحة بديعة يصور فيها الأمّة كالأم الحنون التي ترعى طفلها وهو «الشباب» هنا، وترجو له مستقبلاً مجيداً.

ومن الأبيات التي يتجلّى فيها خيال الغزاوي ـ أيضاً ـ قصيدته التي يصف فيها خوفه من ركوب الطائرة، من ضمنها قوله:

قدمتُ إلى المطـار وفي فـؤادي خـــواطر نقعهـــا أمســـى مُثـــارا[2]
تُحلّـــق بي إلى الأفـــلاكِ عزمـــاً وتهـــبط بي إلى القـــاع ادّكـــارا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٤٢١.

(٢) المصدر نفسه: ٣/١٢٩٧.

فالأبيات تجسّد لنا حالة نفسية مضطربة كان يعانيها الشاعر، فالتردد بين ركوب الطائرة وعدمه سببَ اضطراباً لديه أشبه مايكون بالغبار المُثار من الحركة الشديدة المضطربة. وهو في حال عزمه على ركوب الطائره وتشجّعه لذلك كأنه طائرٌ محلّقٌ في الفضاء، وحين يغشاه الخوف والقلق فإنه مايلبث أن يسقط ويرتطم بالقاع.

هذا وللغزاوي بعض الأبيات المفردة التي تنم عن مخيلة جيدة، من مثل قوله:

وكيف طويت المروتين إلى كدىً ثلاثاً وقلبي في يديك يصافح[1]

فالشاعر يصف لهفته وتشوّقه إلى لقاء صاحبه، مما جعل قلبه ماثلاً بين يدي صاحبه ليصافحه.

وقوله ـ أيضاً ـ عن الأمم السابقة:

أهوتْ عليها النازلات وغودرتْ عبراً تغصّ بها الديار وتَشرق[2]

فقد شخّص الديار وجعلها تغصّ وتشرق حين تتذكر النازلات التي حلّت بالأمم السابقة.

وقوله عن الباحث عبدالعزيز الراجكوتي الميمني[3]:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٣٢١.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٠٦١.

(٣) هو عبدالعزيز الميمني الراجكوتي (١٣٠٦-١٣٩٨هـ)، أديب باحث محقق لغوي خبير بالمخطوطات ونوادر الكتب.(تتمة الأعلام:١/٣٠٣)

هو في البحوث وفي المجامع كلها شمسٌ تضيء على التراث المدجن[1]

فالتشبيه بالشمس أمر شائع ومبتذل. ولكن تشبيه تحقيقه التراث وإخراجه إلى النور بإشراق الشمس على المكان شديد الظلمة، أمر فيه جدة.

وكذلك قوله يصف رجلا طاعناً في السن:

بلغ السن به أقصى المدى فهو يحكي المومياء النائمة[2]

فالمومياء في الضمور وعدم الحركة تشبيه دقيق للرجل المسن.

وقوله يرثي أحد أصدقائه المقربين:

أمحمدٌ حسبي بذكرك حسرة غربت بها في الحزن شمس هنائي[3]

فهذه الدنيا كالفلك يجري فيها الشقاء والهناء، والشاعر بموت صديقه يرى شمس الهناء قد غربت وبعدت.

وقوله يصف مشهد بكاء أم على طفلتها ومن حولها زوجها ووالداها يواسونها:

وتجهش حسرى أمها وقرينها ووالدها إذ هم عليها سوارها[4]

فقد جعل أم الطفلة كاليد وجعل أبويها وقرينها مَن حولها كالسوار الذي يلتف حول اليد، فيلازمها ولاينفك عنها.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠٦٨.
(٢) المصدر نفسه:٤/١٦٩٣.
(٣) المصدر نفسه:٤/١٥٣٤.
(٤) المصدر نفسه:٤/١٦٩٧.

وقوله يصف توحيد المملكة على أساس قوي من العقيدة الصحيحة:

نظم الجزيرة بالسيوف قلادةً في جيد ديـن الله فهي ذكاء[1]

فقد جعل للدين عنقاً، وجعل الجزيـرة العربيـة ومناطقهـا كـالقلادة الـتي تلتف حول العنق، وهذا الخيال يفيد التلازم القوي بين الـدين مـن جهـة وقيام الدولة والأمن من جهة أخرى، فالقلادة لاأهمية لها دون جيدٍ تظهر عليه، وكذلك أهمية الدين في شئون البلاد.

هذا والتجربة الخيالية التي تتجلى في التشـخيص والقصـص علـى لسان الحيوان تشكّل جزءاً كبيراً من شعر شوقي ممـا جعلـه متفوقـاً علـى الغزاوي في هذا الباب.

أما التشخيص والكلام على لسان الغير؛ فلشوقي فيـه الكـثير مـن القصائد، على لسان مدرسة المطرية تخاطب وزيـر المعـارف[2]، وعلـى لســان المدرســة[3]، والجمعيــة الخيريــة الإســلامية[4]، وعلــى لســان

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٣٦.

(٢) الموسوعة الشوقية:٣/٢٦، ومطلعها:ياناشرالعلم بهذي االبلاد وفقتَ نشر العلم مثل الجهاد

(٣) المصدر نفسه:٥/٣٨٩.ومطلعها: أنا المدرسة اجعلني كأم لاتـمل عني.

(٤) المصدر نفسه:٥/٤٠٩.ومطلعها: أنا بنت البِرّ أم الفُقَرا ليس دوني ملجأٌ للقاصدين.

هملت[1]، وثائري البوكسر الصينيين[2]، والكشافة[3]، وصديقه محجوب ثابت في قصيدتين[4].

ومن أمثلة التشخيص عنده، قصيدته التي قالها إثر سقوط الخلافة العثمانية. وفيها يقول:

وأنا الذي مرّضتها في دائها ... وجمعت فيه عواطف العوّاد[5]

غنّيتها لحناً تغلغل في البكا ... يا ربّ باكٍ في ظواهر شادي

.....

ودفنتُها ودفنتُ خير قصائدي ... معها وطال بقبرها إنشادي

فالخلافة تمرض وتُمرّض وتُعاد وتُدفن، وهذه الأمور كناية عن ضعفها ثم محاولة أبنائها الدفاع عنها والنهوض بها من جديد ثم سقوطها.

وكذلك التشخيص عند الغزاوي في كثرته. وقصيدته السالفة الذكر بين الشمس والبدر من أوضح الشواهد على ذلك. وـ أيضاً ـ قصيدته التي بعنوان «أيها الشرق» فإنه يخاطب الشرق فيها كإنسان عاقل مسئول[6].

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٣/٢٠٤. ومطلعها: دهرٌ مصائبه عندي بلاعدد ... لم يجن أمثالها قبلي على أحد وهاملت: هو أمير جوتلاند وابن هوروالندل ملك الدانمرك. قتل عمُه أباه وتزوج امرأته واغتصب الملك. فتظاهر هاملت بالجنون ليثأر لأبيه، وقد خلّد الشاعر الإنجليزي شكسبير هذه المأساة.

(٢) المصدر نفسه: ٥/٤٠٧. ومطلعها: ليعنّا كلُّ معبودٍ معين ... نحنُ حزبُ البكسرِ المتفقينْ. وثائرو البوكسر: جماعة صينية ذات نزعة سياسية ودينية تحمل الكراهية لكل ماهو أجنبي، الأمر الذي أدى إلى تدخل أوروبا سنة ١٩٠٠م.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٣٥. ومطلعها: نحن الكشافة في الوادي ... جبريل الروح لنا حادي.

(٤) الموسوعة الشوقية: ٤/٢٢١. مطلع إحداها: يميناً بالطلاق وبالعتاق وبالدنيا المعلقمة المذاق.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٢١٩.

(٦) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/١٢٠١.

ويشترك الشاعران في تشخيصهما المدن، فنجدها عندهما تُخاطَب وتُكلّم، وتُظهر كإنسان يشعر ويتألم. من هذا عند شوقي قصائده في زحلة وفي بيروت واسطنبول، وكذلك عند الغزاوي عندما يخاطب المدينة المنورة فيقول:

أنتِ مثوى النبي حساً ومعنى ... ورؤى طيفه ولهوى جنانه[1]
يرشف الصبح من ثناياك غرا ... سر إشعاعه وصفو دنانه
ويكاد الدجى وراءكِ يعدو ... واجف القلب هارباً من جرانه
مشفقاً أن يلمّ منكِ بأفقٍ ... نبويٍ ولو ثنى من عنانه

وكذلك في تصويره فلسطين فتاةً متألمة حيث يقول:

إنما الغادة الشهيدة ترنو ... في حفاظٍ وغيرة وانزعاج[2]
إنها الروح في احتضارٍ وأنتم ... مأرز الدين للغريق الناجي
كفكفوا دمعها و رُدّوا إليها ... روعها المستفزّ في الأمشاج
أسعفوها ترونها ما تراكم ... أبد الدهر كالضحى الوهّاج

ولكن ثمة فرقاً واضحاً بين تشخيص شوقي وتشخيص الغزاوي، فشوقي يجعل المشخَّص يتكلم ويشعر ويبدي رأيه. فانظر ـ مثلاً ـ إلى قوله على لسان مدرسة المطرية تعاتب وزير المعارف على اهتمامه بالأحياء الأخرى وإهماله لها:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٤٨٠.
(٢) المصدر نفسه: ٤/ ١٤١٤.

سمعـاً لشـكوايَ فـإن لم تجـد منـــك قبـولاً فالشـكاوى تُعـاد
عدلاً على ما كان مـن فضـلكم فالفضـــلُ إن وُزِّع بالعـــدل زاد
أسمـــع أحـــياناً وحيـــناً أرى مـــدرسةً في كـــل حـــيٍ تُشـــاد
قـدمتَ قبلـي مـــدناً أو قـرى كنـتُ أنـا السـيف وكـنّ النجـاد

ففي هذه القصيدة نجد المدرسة تشتكي وترجو وتعاتب وتفتخر بعراقتها وتنصح. أما الغزاوي فإنه يكتفي في تشخيصه ـ غالباً ـ بإضفاء صفة العقل والشعورعلى ما لا يعقل دون أن يُجري حواراً، وذلك مثل قوله:

تهلّـل بيـت الله بشـــراً بقربـه وصـافحه مـذ لامستْه أصابعـه[1]
وحنّ إلى حـامي حمـاه وشـاقه جلالٌ على الإيمان تزهو سواطعه

فالكعبة تستبشر وتحنّ ولكن لاتتكلّم.
ومثل قوله ـ أيضاً ـ:

وشدا بك المحراب وهو بشجوه يغتصّ والدمع المرقرق يسفح[2]
ذكّـــرته بالـــراشدين أئمـــةً عمـروه و هـو برجعـه يستصـبح

فالمحراب يشجو ويغصّ بدمعه ويتذكر ولكن لا نجد له حديثاً يدور.
وقوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٦٥.
(٢) المصدر نفسه:٣/١٠٣٩.

إذا كان لي خلٌ صدوق وعقّني وحكّمت يوماً في مقاتله سهمي[1]
تعرّض طيف الودّ بيني وبينه فكسّر سهمي وانثنيتُ ولم أرمِ

فالود هنا ـ وهو أمر معنوي ـ نراه كشخص يصلح بين الناس ولكن الشاعر لم يجرِ حديثاً على لسانه.

ولم أجده يجري الكلام على لسان غير الإنسان إلا في مرثيته لفؤاد الخطيب، حيث يقول:

عصى اليراع يميني فهي راعشةٌ كأنما هي شلّت أو هو انقصما[2]
ينأى ويشهق ملتاعاً ويبهظني وقراً ويزفر في آهاته كظما
يقول ماذا عسى تجديك مرثية والموت حقٌ ولن يعدوك مرتغما

ففي البيت الثالث نجد القلم يخاطب صاحبه ويتساءل متعجباً.

وطريقة شوقي في تشخيصه أوسع أفقاً وأقوى خيالاً خاصة في القصص على لسان الحيوان، وهو فيها يتخيّل أحداثاً لا وجود لها ـ أحياناً ـ أو لها جذور من التاريخ[3]. وقد ذكرت ـ سابقاً ـ أن له في هذا الباب ما يربو على خمسين قصيدة ومقطوعة، وأوردت بعضاً منها في حديثي عن المعاني والأفكار.

والخيال عند الشاعرين له مصادر متعددة، لكن أهمها مصدران الطبيعة والثقافة التاريخية والدينية. أما الطبيعة فإن أغلب صور الخيال

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٣/ ١٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ١٥٥٣.

(٣) مثل تكليم سيدنا سليمان-عليه السلام- للحيوان، ومثل عمل سيدنا نوح-عليه السلام- مع الحيوانات بأمر الله، إذ جمع من كل جنس زوجا في سفينته.

عندهما مستمدة منها سواء الطبيعة الصامتة كالشجر والكواكب والربيع وغير ذلك أو الصائتة كالحيوان والماء الجاري وغير ذلك. فشوقي ـ مثلاً ـ يقول مخاطباً أحد الأدباء:

سهول من الفصحى وقفتَ بها الهوى على ما لديها من ربىً وهضاب[1]

فهو يشبه اللغة السهلة بالسهول المنبسطة، ويشبه اللغة الصعبة بالروابي والهضاب.

ويُعرّض بجريدة المقطّم المصرية فيشبهها بجبل المقطم في أمور ويفرق بينهما في أمور أخرى فيقول:

بين المقطم والمقطم نسبةٌ في الثقل لا تخفى على العقلاء[2]
فصخور ذا وسطور ذا وكلاهما متألّف من صخرةٍ صمّاء
لكنّ بينهما اختلافاً بيّناً كتباينِ الأفعال والأسماء
هذا حجارته إذا ما قُطِّعتْ صلحت بجملتها لكل بناء
لكنّ ذاك سطوره ما سُطِّرتْ إلا لهدم فضائلِ العقلاء

ويقول في وصف الدنيا:

تسوقين للموت البنين كقائدٍ يرى الجيش خلقاً هيناً كذباب[3]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٣٤٩.
(٢) المصدر نفسه:٢/١٠٤.
(٣) المصدر نفسه:٢/٣٤٧.

فقد شخّص الدنيا وجعل نظرتها للناس كنظرة القائد المتعسف الذي يرى جيشه مجرد ذباب لايُهتم به.

ويقول يصف الأموال في بنك مصر:

ونخرجها فتكسب ثم تأوي رجوع النحل قد حُمِّلن

فشبّه الأموال في دورانها وسرعة جنيها للأرباح بالنحل في سرعته وجده وجنيه لرحيق الأزهار.

وينظر إلى بعض الكلاب في الآستانة فيقول واصفاً إياها:

ومنها السمين بحجم الخروف ومنها الضئيل بحجم الجراده[٢]

وشوقي والغزاوي كثيرا التشبيه بالشمس والقمر والكواكب كما اتضح ذلك في بعض الأمثلة السابقة.

ومن تشبيهات الغزاوي بمظاهر الطبيعة الأخرى قوله:

يجيش كالموج أو كالبحر منطقه ولا تباريه في آفاقه السحب[٣]

فقد جعل بيان صاحبه في تدفقه كأمواج البحر المتدافعة، وجعل همته أعلى من السحب في أفق السماء.

ويقول ـ أيضاً ـ:

من أي ناحية سلكت فإنما تجد المعابر فُتِّحت أكمامها[٤]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/١٠٩.

(٢) المصدر نفسه:٣/٢٠١.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٣٨.

(٤) المصدر نفسه:٤/١٤٦٧.

فقد جعل الطرق التي مهِّدت وجُعِلت مسلكاً للعابرين كالنخيل الذي فُتِحت أكمامه وكُشف رطبه.

ويقول:

كأنمـــا لغـــة القـــرآن قافلـــة هم الحداة بها في كل مضطرب[1]

فقد شبّه لغة القرآن في اهتمام أهلها بها بقافلة الإبل التي يحدوها راعيها.

ويشبه بعض النساء فيقول:

فـــإذا الســـرب إمـــاءٌ كالـــديباجي الحالكـــات[2]

كالغرابيـــب وجوهـــاً وأنـــوف البـــاخرات

فالليالي المظلمة والغربان من روافد الطبيعة التي استعان بها الشاعر في وصفه.

ويقول ـ كذلك ـ في مدح أحدهم:

أخي البسمات الساحرات كأنها مواقع سقط الغيث في قلب ممحل[3]

فقد جعل موقع بسمة ممدوحه في نفسه كموقع سقط الغيث في الأرض الجدباء الممحلة.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه:٤/١٦٨٥.

(٣) المصدر نفسه:١/١٢١.

وأما التاريخ فيُعد مصدراً هاماً من مصادر الخيال عند الشاعرين. وذلك من خلال التشبيهات بالأحداث والشخصيات التاريخية. ولكن شوقي أعمق تأثراً به وأكثر استلهاماً له من الغزاوي.

من هذا ـ مثلاً ـ عند شوقي قوله راثياً:

فكأن آلك من شجٍ ... ومتيّمٍ ومرمّل[1]

آل الحسين بكربلا ... في كربةٍ لا تنجلي

خلع الشباب على القنا ... وبذلتَه للمعضل

والسيف أرحم قاتلاً ... من علةٍ في مقتل

فاذهب كما ذهب الحسـ ... ـين إلى الجوار الأفضل

فكلاكما زين الشبا ... ب بجنة الله العلي

فهو يشبه المرثي بالحسين ـ رضي الله عنه ـ كما يشبه فجيعة أهل المرثي بفجيعة آل البيت بالحسين إثر ماحدث في كربلاء.

وكذلك قوله يصف تعسف شريف مكة وظلمه:

يد الشريف على أيدي الولاة علت ... ونعله دون ركن البيت تُستلم[2]

نيرون إن قيس في باب الطغاة به ... مبالغٌ فيه والحجاج متّهم

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٤/٤٤١.

(٢) المصدر نفسه: ٥/٩٣.

فالشريف أعتى من نيرون المشهور بطغيانه، والحجاج الذي عُرف بقسوته[1].

وقوله أيضا يصف خوفه على أبنائه من السيارات حين يقطعون الشارع إلى المدرسة:

يعقوب من ذئبٍ بكى مشفقاً فكيف أنياب الحديد الحداد[2]

وهو يشير إلى قول الله تعالى على لسان يعقوب ـ عليه السلام ـ ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾[3] فالشاعر يستشهد بخوف يعقوب على ابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ من الذئب، فمن الأولى أن يخاف هو على أبنائه من دهس السيارات بأنيابها.

ومن هذا ـ أيضاً ـ قوله:

جزعت فراعتني من الشيب بسمةٌ كأني على درب المشيب لبيد[4]

---

(١) نيرون (٤-٦٨م) امبراطور روماني ضُرب به المثل في القسوة والوحشية.والحجاج:هو ابن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥هـ)، قائد عربي داهية سفّاك.

(٢) الموسوعة الشوقية:٣/٢٧.

(٣) سورة يوسف:الآية ١٣.

(٤) الموسوعة الشوقية:٣/٥٤.ولبيد:شاعر معمر،عاش مائة وعشرين سنة.وكانت له مع إشرافه على الشيب وتجاوزه إياه أشعارٍ،فيروى له وقد مضت له سبع وسبعون سنة:

نفسي تشكى إلي الموت مجهشةً وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

ولما بلغ مائة وعشرا قال:

أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشرٍ بعدها عمر

ولما بلغ مائة وعشرين قال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فهو يشبه نفسه بلبيد الشاعر ـ رضي الله عنه ـ. وفي البيت خيال بديع حيث جعل انفراج الشعر الأسود عن الشعر الأبيض كانفراج الفم مع الابتسام.

وقوله ـ أيضاً ـ:

من كل فضفاض الغرور ببرده نمرود أو فرعون ذو الأوتاد[1]

فنمرود وفرعون ذو الأوتاد من الطغاة الذين استكبروا عن الإيمان بالله، وقد كنّى الشاعر بهما عن كلّ من تغلغل الغرور في قلبه والعياذ بالله.

ومن هذا ـ أيضاً ـ قوله:

فعل الزمان بشمل أهلك فعله ببني أميّة أوقرابة جعفرا[2]

وهو يقصد ما ألحقه الخليفة العباسي السفاح ببني أمية، وما أنزله هارون الرشيد بالبرامكة.

وقوله في وصف الطائرة:

كبساط الريح في القدرة أو هدهد السيرة في صدق البلاء[3]

فبساط الريح يعني به بساط سيدنا سليمان عليه السلام الذي كان يحمله من بلد إلى بلد. والهدهد هو هدهد سيدنا سليمان عليه السلام الذي جاءه من سبأٍ بنبأٍ عظيم.

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه:٣/٤١٢.

(٣) المصدر نفسه:٢/٨٨.

وقوله ـ أيضاً ـ يخاطب شباب مصر الطموح:

من رآكم قال مصر استرجعتْ عـزّها في عـهد خـوفو ومنـاء[1]

فخوفو ومينا من ملوك الفراعنة الذين وُسمت عصورهم بأزهى العصور.

وقوله:

هاروت شعرك بعد ماروت الصبا أعـيا وفـارقه الخليـل المسعـد[2]

فهاروت وماروت ملكان كانا يعلّمان السحر، وقد جعـل الشـاعر لشـعره وشبابه من التأثير على الغواني ما يشبه السحر.

وكذلك قوله يرثي إسماعيل صبري واصفاً تتلمذه عليه :

أيام أمرح في غبارك ناشئاً نهج المهار على غبار خصاف[3]

فخصاف اسم فرس عتيق مشهور وقد شبه الشاعر أستاذه به بينما جعل نفسه مُهراً بجانبه.

ويشبّه الشاعر نصر الأتراك على اليونـانيين في وقعـة أزمـير بنصـر المسلمين على المشركين في بدر بعون الله وتدبيره فيقول:

يومٌ كبدرٍ فخـيل الـحقِ راقصةٌ على الصعيد وخيل الله في السحب[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٨٩.

(٢) المصدر نفسه:٣/٤١.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٥٣٤.وخصاف فرس مشهور ويضرب به المثل فيقـال:أجـرأ مـن فـارس خصـاف (اللسان:٤/١١٢).

(٤) المصدر نفسه:٢/٢٤٧.

وقولـه ـ كذلك ـ عندما يتمنى الشاعر أن يكون له مـن الأمـر كمـا كان ليوشع[1] لكي يقدر علـى إيقـاف الشـمس عـن غروبهـا، وذلـك في قوله:

شيّعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحـنى الشرق عليها فبكاها[2]
ليـتني في الــركب لمّــا أفلـتْ يوشــعٌ هــمّت فنــادى فــثناها

وتتكرر الصورة نفسها في قصيدة أخرى يمدح فيها الخديو فيقول:

شمس المحاسن يُستبقى النهار بها كـأن يوشعَ مفتونٌ يجاريها[3]

ومن الصور المُستمدة من التاريخ عند الغزاوي قوله يصـف بلاغـة أحدهم:

إذا انـبرى في مجالٍ من مواقفه حسبتَ سحبان تجثو حوله الركب[4]

وقوله ـ أيضاً ـ يصف إعجابه بإحدى القصائد:

مالــي أرانــي أستعيـد مرنّحــاً هـذا الذي أعيا سويد وكاهـلا[5]

---

(١) يوشع: نبي من أنبيـاء بـني إسـرائيل، وكـان قـد سـأل الله أن يـؤخّر غـروب الشـمس حـتى ينتـهي مـن حربه، فاستجاب الله له. انظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٢٨٦. وتحفة النبلاء لابن حجر، ٣٧٧.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٥/٤٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ٥/٤٩٣.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٣٨. وسحبان هو: سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، خطيب يُضرب بـه المثل في البيان. أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به، توفي سنة ٥٤هـ. (الأعلام: ٣/٧٩).

(٥) المصدر نفسه: ٣/١٣٤٩. وسويد هو: سويد بن كـراع العكلـي، شـاعر فـارس مقـدم، كـان في العصـر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل. توفي سنة ١٠٥هـ. (الأعلام: ٣/١٤٦) وكاهـل: هـو أحـد ثلاثة: كاهل بن أسد بن خزيمة من بني مضر، وكاهل بن الحارث من بني هذيل، وكاهل بـن عـذرة بـن سعد هذيم من قضاعة (الأعلام: ٥/٢١٨).

وهما من الشعراء الجاهليين.

وكذلك قوله يمدح أحد أصدقائه:

أكـــرِم بـــه مـــن كاتـــبٍ أو خاطـــــبٍ يتخطّـــــر[1]

مـــا قـــال فـــهو سميـــه عبدالحميـــــد الأشـــــهر

وابـــــن المقـــــفّع نـــــدّه ولـــــو انـــــه هـــــو أكـــــبر

فعبدالحميد الكاتب وابـن المقفـع مـن أشـهر الأدبـاء الكتـاب في الأدب العربي.

وقوله يخاطب الملك:

بلغ الكرام المجد حين جروا له بسـوابـــقٍ وبلـغتَـــه بـــبـراق[2]

والبراق هي الدابة التي أُسري بها ﷺ، وهي هنـا رمـزٌ للأعمـال الجليلـة والصفات الرفيعة التي بوّأت الملك مكانته العالية.

وقوله في معرض مديح الشعب الباكستاني المسلم:

ملأت محاريب المساجد رحبه وعـلى مـآذنه يـقـوم بـــلال[3]

وبلال هو سيدنا بلال بن أبي رباح رضي الله عنه مؤذن النبي ﷺ.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٣٣٩.وعبدالحميد هو:ابـن يحيي بـن سـعد المعـروف بالكاتـب،عـالم بالأدب من أئمة الكتاب.قُتل سنة ١٣٢هـ(الأعلام:٣/٢٨٩).وابن المقفع هو:روزبيه بن داذويه(١٠٦-١٤٢هـ)وضع نفسه -زمن العباسيين-في خدمة عيسى بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور.ثم أعلن إسلامه وسمى نفسه عبدالله أبامحمد وعُرف منذ ذلك الحين بعبدالله بن المقفع.(الأعلام:٤/١٤٠).

(٢) المصدر نفسه:٤/١٤٠٥.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٥٨٤.

ويستحضر الشاعر قصة الطوفان مع ابن نوح عليه السلام فيقول عن العصاة محذراً إياهم:

ما لهم من جبلٍ يعصمهم ويقيهم غير ما الله أمر[1]

فهو يلتفت إلى قوله تعالى على لسان ابن نوح ﴿قَالَ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾[2].

و يصف جهاد الجزائريين ضد الاستعمار ويشبه أيامهم ببعض أيام العرب المشهورة في الجاهلية:

فما يوم ذي قارٍ ويوم حليمةٍ بسرٍ ولا ذاك الإباء بمعزل[3]

ووجدته أيضاً ـ ضمن استلهامه للتاريخ والثقافة ـ يشبه بشعب بوّان من وجهتين مختلفتين اعتماداً على نظرة أبي الطيب المتنبي إليه قبله إذ يقول:

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٠٧.

(٢) سورة هود: الآية ٤٣.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٦٥٣. ويوم ذي قار: من أيام العرب التي انتصروا فيها على الفرس. ويوم حليمة: بين المنذر بن ماء السماء والحارث الغساني، وقد انتصر بنو غسان. وانظر: أيام العرب في الجاهلية، محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ٦-٥٤، المكتبة العصرية-بيروت، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م.

(٤) شرح ديوان المتنبي: عبدالرحمن البرقوقي، ٤/٣٨٥، دار الكتاب العربي-بيروت، ١٤٠٧هـ

ولكـنّ الفـتى العـربي فيهـا غريـب الوجـه واليـد واللسـان
ملاعـب جـنّةٍ لـو سـار فيهـا سلـيمانٌ لسـار بترجمـان

نظر الغزاوي إلى معنى البيت الأول، وهو جمال طبيعة هذا الشعب فقال:

حيث الخمائل أفوافٌ منمنمةٌ تريكَ إن شئتَ رأي العين بوّانا[1]

كما نظر إلى معنى البيتين بعده وهو شعور العربي في هذا الشعب بالغربة فقال يخاطب الرئيس اللبناني:

لك التحية تزجيها الرياض شذى من شِعب يعرب لا من شِعب بوان[2]

فقد أراد الشاعر أن ينفي هذا المعنى عن مكة وأن يثبت أن العربي فيها ليس غريباً بل بين أهله وذويه.

هذا وأكثر خيال الشاعرين يبرز المعنوي في صورة المحسوس كما يتبين ذلك في الأمثلة السابقة، وهو بذلك يجعل الحدث ماثلاً أمام أعيننا كقول شوقي في فتح القسطنطينية:

رمـى بهـم بنيـانها مثلمـا يصـطدم الجلمـد بالجلمـد[3]

إن اصطدام الصخور بعضها ببعض جعلنا نسمع صوت تهدّم جدران القسطنطينية وهي تُفتح على أيدي المسلمين.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١٢٦.
(٢) المصدر نفسه:٢/٩١٣.
(٣) الموسوعة الشوقية:٣/٣٢.

وقوله ـ أيضاً ـ في إسقاط السلطان عبدالحميد:

أعظم بهم من آسرين وبالخليفة من أسير[1]
أسدٌ هصورٌ أنشب الأظفار في أسدٍ هصور

إن هذا التشبيه الحسي جعلنا نعلم كثيراً من الأمور المحيطة بإسقاط السلطان، فقد كان الثوّار مصمّمين على عزل السلطان، وكان السلطان مهيباً إلى آخر لحظة. ومنظر الأسد الشديد وهو مجروح يدل على كبرياء السلطان التي أُذلت من هؤلاء الثوّار حيث كان أحدهم يهودياً، كما أن السلطان نُفي إلى بلدة ماسونية يهودية إمعاناً في إذلاله[2].

ومنه عند الغزاوي قوله يصف ضحايا رموا بأنفسهم خوفاً من النيران:

مفاصل أعضاءٍ تكسرن مثلما نفضتَ زجاجاً من يديك ترامى[3]

فتشبيه تهشّم العظام بالزجاج الذي تفتّت إثر سقوطه على الأرض جعلنا نحسّ بالألم ونشفق على الضحايا.

وكذلك قوله:

ولا كالسيل يجري مثل أفعى تلفّع بالبياض وبالسواد[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٢٣٨.
(٢) التاريخ العثماني في شعر شوقي:محمد زاهد عبدالفتاح أبوغدة، ٦٢-٦٣.
(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٤٤.
(٤) المصدر نفسه:٣/١٢٠٥.

فمنظر السيل وهو يجرف الحجارة مختلفة الألوان مع الطين والرمال وغير ذلك أصبح مُصوراً في أذهاننا لأنه يشبه الأفعى ذات النقط السوداء والبيضاء.

وقوله ـ أيضاً ـ:

وتجرعتُ من زماني كؤوساً هي في مهجتي كحزّ المواسي[1]

فالتشبيه في البيت جعلنا نشعر بمدى الألم الذي عاناه الشاعر في حياته من أمور مختلفة لعلّه لم يرد الإفصاح عنها. وحزّ الموس في الجسم له من الألم مالايخفى على السامع.

أما إبراز المشبّه في صورة المعنويات، فهو قليل جداً عند شوقي. وذلك مثل قوله:

خطبتَ فكنتَ خطباً لا خطيباً تُضاف إلى مصائبنا العظام[2]

فالخطب والمصيبة من المعنويات.

وكذلك قوله عن الليل:

كأن المنايا في ضمير ظلامه همومٌ بها فاض الضمير المحجّب[3]

فالهموم من المعنويات ـ أيضاً ـ.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٩٧.

(٢) الموسوعة الشوقية:٥/٨٩.

(٣) المصدر نفسه:٢/٢١١.

وقوله ـ أيضاً ـ عن مشركي مكة حين تبعوا الرسول ﷺ إلى الغار ولم يجدوا شيئا:

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطلٍ من جلال الحق منهزم[1]

فقد شبّه المشركين في إدبارهم بالباطل المنهزم، وهو أمر معنوي.

وأما الغزاوي فلم أجد ـ حسب اطلاعي ـ شيئاً من هذا عنده.

وقد أسلفتُ أن من وظائف الخيال إبراز المعنويات والأمور الخفية في صورة المحسوسات الواضحة، فكيف يجاب عن شوقي في تشبيهاته السابقة؟ إننا نجد بعض المعنويات ـ أحياناً ـ قريبة إلى ذهن السامع كقرب الأمور الحسية الماثلة للعيان. فإن كلاً من المصائب والهموم والباطل قد عُرف في أذهان الناس حتى أصبح كالمحسوس لديهم.

هذا والجدير ذكره أن الغزاوي متأثرٌ بشوقي في بعض أخيلته. من ذلك قوله يصف جبلاً من جبال الطائف:

لكأنني بقناته وبلابتيه الشنفرى[2]

فإني أرى فيه تأثراً بقول شوقي يصف جبلاً بسويسرا:

بين الكواكب والسحاب ترى له أذناً من الحجر الأصمّ ومشفرا[3]

---

(١)الموسوعة الشوقية:٥/٧٩.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١١١٥.

(٣) الموسوعة الشوقية:٣/٢٩٠.

فكلٌ من الشاعرين أضفى على الجبل صفة الإنسان وهيئته، ومما أكّد لي اطّلاع الغزاوي على قصيدة شوقي وتأثره بها؛ اتفاق الوزن، فكلا القصيدتين من بحر الكامل وإن كانت قصيدة الغزاوي من مجزوء الكامل، وكذلك اتفاق القافية وتشابه المطلعين في بعض المفردات، واتفاق الموضوع في جزءٍ معين على الأقل وهو وصف منظر الجبال والطبيعة، وتعريض الغزاوي بأن الطائف عنده أجمل من سويسرا، وهي المدينة التي تغنّى شوقي بمناظرها في قصيدته. وذلك حيث يقول الغزاوي:

بل أنت أزهى عندنا ... ممّا حوته سويسرا

ومن هذا ـ أيضاً قول الغزاوي في قصائد المديح التي يهديها لممدوحيه:

عرائس يغلو مهرها بقبولهم ... إذا رخصت لناظميها القصائد[1]

فهو من قول شوقي في مدح النبي ﷺ:

لي في مديحك يارسول عرائسٌ ... تُيِّمْن فيك وشاقهنّ جلاء[2]

هنّ الحسان فإن قبلتَ تكرّماً ... فمهورهنّ شفاعةٌ حسناء

ولكنّ بيتي شوقي جمعا من جمال المعنى وقوة الخيال مالم يتوافر لبيت الغزاوي.

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٦٠٣.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/١١.

وكذلك قوله عن السفينة التي أثارت تشوّقه لمكة وهو في ميناء ينبع:

تولّت ولو لا خشيتي لكفيتُها بوجديَ لو يذكي عليها بخارَها[1]

فهو متأثرٌ بقول شوقي في منفاه عن السفينة :

نفسي مرجلٌ وقلبي شراعٌ بهما في الدموع سيري وأرسي[2]

وبيت شوقي أقوى، لأنه جعل من الخيال حقيقة، فهو لم يستخدم «لو» أو«لولا» كما فعل الغزاوي. فهو متشكك في أن وجده يكفي لتحريك السفينة، أما شوقي فهو متأكد بأن البحر من دموعه، وأن السفينه تستمد طاقتها من زفيره الحار، وتتزن في سيرها دون خوف من الرياح التي يعصمها منها قلبه.

ويتابع الغزاويُ شوقي في التشبيه بالخلفاء الراشدين والصحابة وإن كان هو أخف من شوقي حيث لم يشبه بالأنبياء والرسل. من ذلك[3] قوله يصف نفسه وهو يتفكّر في حاضر الأمة ويستمع لخواطره:

فلبّت ندائي فاستمعتُ لوحيها كما خشع الصديق يُتلى له الذكر[4]

وقوله يصف الملك:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٨٣.

(٢) الموسوعة الشوقية:٤/٣٥.

(٣) تعرضت للمبالغة لدى الشاعرين عند الحديث عن المعاني والأفكار.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٣٢.

ترى بين عطفيك الإمامة مثلما تقمّصها الفاروق طهراً مآزره[1]

كما تابعه في التشبيه ببعض الشخصيات التاريخية مثل «جانـدارك» الفتاة الفرنسية الشجاعة الـتي قـادت جـيش بلادهـا فحررتهـا مـن سـلطة الإنجليز. وذلك حيث يقول شوقي في وصف قضية المطالبة بالاستقلال:

وتقدّمَتْ تُزجي الصفوفَ كأنها جاندركُ في يدها اللواء مظفرا[2]

تأثر الغزاوي بشوقي في استلهامه لهذه الشخصية فقـال يصـف المجاهـدة الجزائرية «جميلة»:

جاندرك تفرقُ من وشاح جميلةٍ وجميلةٌ كالسيف أوهي جحفلُ[3]
لـو أنّها أصغتْ إلـيها ساعةً لمشتْ إلـيها في المسوح تذلّل

فشوقي ركّز على مزية خاصة لجاندرك وهي تقدمها الصـفوف وتـدافعها، أمّا الغزاوي فكانت مقارنته ترتكز على الشجاعة والغض من شأن جاندرك مقابل المجاهدة الجزائرية.

هذا، وأغلب النماذج السـابقة تـدخل ضـمن التشـبيه والاسـتعارة لكثرتهما عن وسـائل التصـوير الأخـرى عنـد الشـاعرين. ومـن الوسـائل الأخرى عندهما المجاز سواء العقلي أو المرسل. وذلك مثل قول شوقي يحذر من الذين اتخذوا الدين ستاراً لهم:

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٤١.

(٢) الموسوعة الشوقية:٣/٢٨٠.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٤٣٦.

وتداركوها من عمائم صادفتْ مـرعى من الأوقاف والأرصاد[1]

فعبّر عنهم بالعمائم لأنها مايميّزهم عن غيرهم، والمجاز هنا مرسل علاقته الجزئية.

وكذلك قول الغزاوي عن سيف الحق والقوة:

جـرّد الأجسـام عـن هاماتهـا حـين لا تنفعهـا عقبى النـدم[2]

فهذا من المجاز العقلي لأنه نسب فعل التجريد للسيف وهو آلة بيد صاحبه. فالعلاقة هنا هي الآلية.

ومن المجاز عند الشاعرين التعبير عن أهل الشرق أو أهل الغرب بالشرق والغرب فحسب وذلك مثل قول شوقي:

لبس الشـرق مـن لقـائك تاجـاً وتلـقّى أيـام رشـدك عقـدا[3]

وقول الغزاوي:

يخاطب الغرب أقصى الشرق في سعةٍ بنصـف ثانيةٍ هـذا هو الحلم[4]

والمجاز هنا علاقته المحلية.

ومن ضرب المثل عندهما قول شوقي:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٢٢٤.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٠٨.

(٣) الموسوعة الشوقية:٣/١٤٥.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢١٠.

قـد أتعب الأعـداء مـن داراهم فأقـم عـدوَّك بالليـان وأقـعـد[1]
إن الأراقـم لا يُطـاق لقـاؤها وتُنـال مـن خلـفٍ بـأطراف اليـد

وقول الغزاوي:

ما النـاس إلا الأكثـرون تطـاولاً وتحـاملاً وتحـايلاً وتقحّمـا[2]
لا تأسَ مافي الألف منهم واحدٌ تهنـا بـه شخصـاً تقيّـاً مسـلما

.....

مـا جـاءنا هـذا التـراب بتبره حـتى تمحّـص بـاللظى وتضـرّما

فهو يمثّل لقليل الطيب مـن النـاس، وأنـه لايُعثـر عليـه بسـهوله، بحفنـة الذهب القليلة التي تُستخرج من أكوام هائلة من التراب.

ومن التجريد عندهما قول شوقي يمدح أهل سوريا:

عـلى لهـواتهـم شـعـراء لسـن وفـي أعطافهـم خطبـاء شـدق[3]

وقول الغزاوي يرثي صديقاً له:

فإذا بكيتك في الصميم فإنمـا أبكي كميّـاً مـال في الهيجـاء[4]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/١٥٨.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢٨٢.
(٣) الموسوعة الشوقية:٤/١٩٥.
(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٣٤.

ومن صور التجريد أن يجرد الشاعر من نفسه شخصاً يكلمه ويخاطبه مثل قول شوقي:

الرشد أجمل سيرة يا أحمد ... ود الغواني من شبابك أبعد[1]
قد كان فيك لودهنّ بقيةٌ ... واليوم أوشكت البقية تنفد
هاروت شعرك بعد ماروت الصبا ... أعيا وفارقه الخليل المسعد
لمّا سمعنك قلن شعرٌ أمرد ... يا ليت قائله الطرير الأمرد
ما للواهي الناعمات وشاعر ... جعل النسيب حبالةً يتصيّد
ولكم جمعتَ قلوبهنّ على الهوى ... وخدعتَ من قطعَتْ ومن تتودد
وسخرتَ من واشٍ وكدتَ لعاذلٍ ... واليوم تنشد من يشي ويفند
أئذا وجدتَ الغيد ألهاك الهوى ... وإذا وجدتَ الشعر عزّ الأغيد

وقول الغزاوي:

حي البطولة في الزعيم الملهم ... واهتفْ به مستبشراً وترنم[2]
واجزل له الترحيب في أم القرى ... بتحية الملك المفدى الأعظم
واشدد به أزر الأخوة و اغتبط ... بالناهض المتحمّس المتقدم
واملأ به التاريخ فخراً إنه ... رمز البسالة في الأشمّ المُعلم
واستوحِ شعرك رائعاً في رائعٍ ... من سمته ووقاره المتجشّم

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/٤١.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/٩٩٥.

أما الرمز فذلك مثل شوقي عندما يقول:

ومن لقي السباع بغير ظفرٍ ولا نابٍ تمزّق أو تفادى[1]

فالسباع هنا رمزٌ لمصاعب الحياة وشدائدها، والناب والظفر يرمزان إلى الاستعداد والتحمّل والاجتهاد.

وقوله ـ أيضاً ـ عن غاندي الزعيم الهندي عندما ذهب يفاوض الإنجليز في تحرير بلاده:

وقل هاتوا أفاعيكم أتى الحاوي من الهند[2]

فهو يخاطب الإنجليز ويرمز إلى ألاعيبهم بالأفاعي.كما يرمز إلى دهاء غاندي بكونه «الحاوي» الذي يلاعب الأفاعي.

وقوله:

أتى لك المُلْك منضور الزمان على جوانبه آذار أو رجبا[3]

فقد جعل شهر آذار ـ وهو السادس من الشهور السريانية ومعه بدء الربيع ـ وشهر رجب المحرم رمزين للدعة والأمان.

والرمز عند الغزاوي قليل مقارنةً بشوقي، ولكنه ورد في مواضع مثل قوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٣/١٠٥.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٢٦.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة:٢/٢٧٤.

سُـلافاتٌ ولـيس بـها خُمـار وغـادات لهـا التقـوى خِمـار[1]

تـدور بهـا الكـؤوس بغـير إثمٍ ويرتجـع الصّـبا الفـلك المـدار

بـرزن أهـلّةً حينـاً وحينـاً بـدوراً والجَـمال لهـا إطـار

تهـادى المـنهل المـورود فيهـا ومنـها اللـيل يقـبس والنـهار

فهو في هـذه الأبيـات يرمـز إلى مجلـة المنـهل وماتحتويـه مـن مقـالاتٍ وبحوث تمتع القارئ وتتركه في نشوةٍ وراحة.

وقوله ـ أيضاً ـ:

يا معشر الإسلام صيحة مخلصٍ مازال يسمع صيحـة الأجداد[2]

فصيحة الأجداد هنا رمز للتراث، ومسـؤولية الأمـة تجاهـه في المحافظـة عليه وتنميته.

والخيـال يسـتلزم أن يكـون موافقـاً للجـو الشـعوري السـائد في القصيدة أو المقطوعة، وهذا مايحقق ـ كما أسـلفت ـ الوحـدة الفنيـة في القصيدة[3]. كما يلزم أن يكون هناك مايربط بين المشـبه والمشـبه بـه وإلا أصبح الخيال مغرقاً في الغموض والتكلف، وخـرج بـذلك عـن وظيفتـه الرئيسة وهو تصوير العواطف وإثارة مثلها في نفوس السامعين.

فشوقي لم يُوفق في ـ رأيي ـ عندما يقول:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٦٧١.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٨.

(٣) انظر: وحدة القصيدة بين الشاعرين في هذا البحث.

أرى المـوت عـلى الغـبرا هـو الـجامعـة الـكـبرى[1]

فهو يشبه المـوت الـذي يحصـد أرواح البشـر دون أن يفـرق بـين جـنس وجنس أو لون ولون بالجامعة التي تضم من مختلف الأجناس والألـوان، ثم إن الموت يعلّم البشر كثيراً من التجـارب ويعظهـم وكـذلك الجامعـة. فالجامع في التشبيه وجيهٌ جداً ولكن هـل الجامعـة تـثير في ذهـن السـامع إيحاءات ومعاني كما يثير المـوت. إن الجامعـة رمـزٌ للمسـتقبل المشـرق ومرحلة الشباب الناشط الطموح، أما الموت فإنـه لايرمـز إلى مثـل هـذه الأمور ألبته.

ومن حسـن الخيـال ـ أيضـاً ـ أن يسـتخدم الشـاعر ألفاظـاً دقيقـة توصله للسامع في شكلٍ مناسب. فشوقي حينما قال:

أسـألتم حقيبـة المـوت مـاذا تحتـها مـن ذخـيرة وعتـاد[2]

يشبه الكفن الذي يُلفّ به الميت بالحقيبة التي تحتـوي علـى شـيءٍ ثمـين. فالسامع حين ينتهي إلى نهايـة الشـطر الأول، يتسـاءل عمـا بـداخل هـذه الحقيبة الثمينة، فإذا سمع في الشطر الثاني «تحتها» يرتبك وتختل الصورة التي رُسمت في ذهنه.

ومثل هذا قوله ـ أيضاً ـ:

لقد غيّبوا فيك أمضى السيوف فهل أنت ياقبر أمضى الغمود[3]

---

(1) الموسوعة الشوقية:٣/٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه:٣/٧٩.

(٣) الموسوعة الشوقية:٣/٩٨.

فالغمد لايوصف بالمضاء، وإنما يوصف بالطول والعظم كناية عن طول صاحبه وعِظمه. والخيال في البيت يتجلّى في مخاطبة القبر وتشخيصه وتشبيهه بغمد السيف الماضي.

وقد وجدت الغزاوي طرق قريباً من هذا المعنى، فلم يُصب في خياله حيث قال:

عجبت للّحد هل في اللحد متسعٌ حتى انزوى فيه رضوى فهو محتجب[1]

فتعجّبه لم يصدر عن أن هذا القبر كيف حجب شمائل الممدوح العظيمة على نحو قول الحسين بن مطير الأسدي[2]:

فيا قبر معنٍ كيف واريتَ جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا[3]

وإنما بدا وكأنه مسلّط على عِظَم جسم المرثي الذي كان كالجبل، وكيف أن القبر الضيّق استطاع أن يحتويه!

وقد ينساق الغزاوي وراء المحسّنات البديعية فيجتهد في حشد صورٍ عديدة للمشبّه، ولاينظر إلى الجهة الجامعة بينها. وذلك حيث يقول يصف بلاغة أحدهم:

لهفي على ذلك الأسلوب تحسبه وشي الربيع وعذباً بارداً شبما[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٣٨.

(٢) والحسين بن مطير بن مكمل الأسدي، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، قال عنه صاحب الأغاني "شاعر متقدم في القصيد والرجز، فصيح". توفي سنة ١٦٩هـ.

(٣) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، شرح وتحقيق عبد علي مهنا، ١٦/٢٩، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٥٥٥. والنَّور: نوع من الزهر.

هو الصواريخ ذوداً والصريخ وغىً وهو الظبا والظبى ماافتر أو خطما

والنار والنور بل والنوْر ضاحكةً أكمامه والضحى والليل ملتزما

فقد أراد أن يجانس بين الظبا والظُبى، وبين النار والنور والنَّور دون أن يراعي وجه التناسب بينها.

وبعد فقد اتضح من خلال النماذج السابقة مايلي:

أولاً: الخيال عند الشاعرين متأثرٌ بأخيلة القدماء كثيراً، وهذا أمر طبعي لأنهما شاعران محافظان.

ثانياً: للشاعرين نصيب من الخيال الجيد المصوّر. لكن شوقي ذو خيال أخصب وأقوى، وقد شهد له بذلك كثير من الدارسين.[1]

ثالثاً: تتنوّع وسائل التصوير عند شوقي أكثر من الغزاوي، يظهر ذلك واضحاً من خلال القصص على لسان الحيوان والتشخيص الذي يعتمد على إجراء الكلام على لسان المعنويات والجمادات.

رابعا: يعتمد خيال الشاعرين ـ غالباً ـ على الطبيعة والتاريخ، ولكن شوقي في جانب التاريخ يفوق الغزاوي كثيراً.فهو أعمق تأثراً به وأكثر استلهاماً لأحداثه وشخصياته، خاصة قصص القرآن الكريم.

خامساً: للغزاوي عدة صور تأثّر فيها بشوقي، ولكنّه لم يبلغ فيها إجادة شوقي.

---

(١) مثل د/شوقي ضيف في كتابه:شوقي شاعر العصر الحديث صـ٤٧، وعباس حسن في شوقي والمتنبي صـ ٢٢٦.وانظر:الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء :محمد عبدالرحيم سمان، ٢٩٠.

الفصل الثالث

الإيقاع بين الشاعرين

يمتاز الشعر عن النثر بميزتين هما: الوزن والقافية. ولذلك فإن النقد القديم عرف الشعر بأنه الكلام الموزون المقفّى، الدال على معنى[1]. ويُطلق على هاتين الميزتين في النقد الحديث مصطلح: الموسيقا أو الإيقاع.

وموسيقا الشعر تنقسم قسمين هما: الموسيقا الخارجية، والموسيقا الداخلية. ما الموسيقا الخارجية فيُعنى بها الوزن والقافية، وأما الموسيقا الداخلية فهي التي تنبعث من بين الألفاظ والتراكيب، والتقسيمات داخل البيت التي يحدثها الشاعر، إضافة إلى الوسائل البديعية التي من شأنها أن تضفي نغماً موسيقياً يجعل القصيدة أكثر طرباً وأقوى تأثيراً كالجناس والتصريع ورد العجز على الصدر وغير ذلك.

الموسيقا الخارجية

أولاً: الوزن.

ويُقصد به البحر الذي يُنظم عليه الشعر. وهو مجموعة التفعيلات المكرر بعضها بوجه شعري[2].

---

(١) انظر: نقد الشعر، قدامة بن جعفر: تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجي، ٦٤، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.

(٢) الكامل في العروض والقوافي: محمد قناوي، ١٢١، بدون تاريخ.

وإذا أنعمنا النظر في البحور التي نظم عليها شوقي والغزاوي نخرج بالملاحظات التالية:

١/أن شوقي أكثر اتساعاً من الغزاوي في النظم على البحور الشعرية. فقد نظم على خمسة عشر بحراً ولم يهمل إلا بحر المضارع[١]، أما الغزاوي فقد أهمل النظم على السريع والمنسرح والمضارع والمديد والهزج والمجتث والمقتضب والمتدارَك. وهذا يدل على تفوّق شاعرية شوقي في جانب الموسيقا على الغزاوي.

والجدير ذكره أن شوقي نظم على وزنين لم يردا ضمن الأوزان الخليلية، ظهر ذلك في قصيدتين له[٢]. الأولى مطلعها:

مـــال واحتجـــبْ وادّعـــى الغضـــبْ[٣]

وهي من مشطور المتدارك على النحو الآتي «فاعلن فعلْ فاعلن فعـلْ» في كامل البيت. والثانية مطلعها:

طـال عليهـا القـدمْ فهي وجـودٌ عـــدمْ[٤]

وهي مـن مشـطور البسـيط علـى النحـو الآتي «مسـتفعلن فـاعلن مستفعلن فاعلن» في كامل البيت.

---

(١) أنكر الأخفش على الخليل بن أحمد بحرين، المضارع وقد أهمله شوقي، والمجتث ولشوقي فيه إحدى عشرة قصيدة.

(٢) موسيقى الشعر:د/إبراهيم أنيس، ٢٠١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧، ١٩٩٧م.

(٣) الموسوعة الشوقية:٢/٢٩٨.

(٤) المصدر نفسه:٥/١٤٥.

٢/يشترك الشاعران في إكثارهما من النظم على بحر الكامل، حيث بلغت نسبة تكراره ٥ ,٢٩% عندشوقي و٦ ,٢٢% عند الغزاوي، وهو بحريصلح لأكثر الموضوعات[١]. ويظهر من الجدولين التاليين أن الغزاوي مكثرٌ من النظم على بحر الطويل مقارنةً بشوقي إذ له على هذا البحر مايقارِب ربع نتاجه الشعري، وهذا يدل على تأثّره بالقدماء أكثر من شوقي في جانب الموسيقا، حيث إن شوقي لم يتعدّ شعره على الطويل أكثر من ٢٢ ,٧%. ذلك أن الطويل قد استأثر بثلُث أشعار القدماء تقريباً، بينما بدأت مكانته تتناقص بين البحور الأخرى في العصر الحديث[٢].

---

(١) أسس النقد الأدبي:د/أحمد بدوي، ٣٤٤.

(٢) انظر:موسيقى الشعر:د/إبراهيم أنيس، ٥٩-٢٠١.

بيان بالبحور التي نظم عليها شوقي

	عدد التكرار	نسبة التكرار	عدد الأبيات	نسبة عدد الأبيات
الكامل	١٧٦	%٢٩,٥	٥١٥٢	%٢٨,٤
الطويل	٤٣	%٧,٢٢	١٣٩٤	%٧,٧
البسيط	٦٨	%١١,٤	٢٠٠٦	%١١,١
الخفيف	٥٩	%١٠	١٩٩٧	%١١
الوافر	٦١	%١٠,٢٥	١٨٥١	%١٠,٢
الرجز	٦٣	%١٠,٥٨	٢٥٨٥	%١٤,٢٥
الهزج	٨	%١,٣	١٤٣	%٠٠,٨
المجتث	١١	%١,٨	١٣٧	%٠٠,٧٥
المديد	٣	%٠٠,٥	٥٦	%٠٠,٣
المقتضب	٢	%٠٠,٣	١٢٤	%٠٠,٦٨
الرمل	٤٥	%٧,٥	١٤٠٥	%٧,٧
السريع	٢٠	%٣,٤	٤٣٨	%٢,٤
المنسرح	١	%٠٠,٢	٣	%٠٠,٠٢
المتدارك	٦	%١	١٧٦	%١
المتقارب	٣٠	%٥	٦٦٥	%٣,٦٦

بيان بالبحور التي نظم عليها الغزاوي

	عدد التكرار	نسبة التكرار	عدد الأبيات	نسبة عدد الأبيات
الكامل	١٣١	%٢٢,٦	٥٠٥٣	%٢٤,٤
الطويل	١٣٥	%٢٣,٣	٤٨٤٠	%٢٣,٤
البسيط	١١٧	%٢٠,٢	٣٨٠٨	%١٨,٤
الخفيف	١٢٨	%٢٢,١	٤٩٩٣	%٢٤,١
الوافر	٢٨	%٤,٨	٨١٦	%٣,٩
مجزوء الرجز	١	%٠٠,٢	٧١	%٠٠,٣
المجتث	١	%٠٠,٢	٣٢	%٠٠,١
الرمل	٣٣	%٥,٧	٩٤٠	%٤,٥
المتقارب	٣	%٠٠,٥	١٣٠	%٠٠,٦

٣/اعتمد شوقي على الأوزان القصيرة والمجزوءة أكثر من الغزاوي. فنظم على الهزج والمجتث والمقتضب ومجزوء الكامل ومجزوء الوافر ومخلّع البسيط ومشطور البسيط ومجزوء الرمل ومشطور المتدارَك ومجزوء الخفيف ومجزوء الرجز ومشطوره ومجزوء الهزج ومجزوء المديد، وقد بلغت نسبة تكرار الأوزان القصيرة والمجزوءة عند شوقي ٢٠,٨% أي الخمس تقريباً. أما الغزاوي فنسبة تكرار الأوزان المجزوءة والقصيرة عنده لاتتعدى ٧,٤% حيث نظم على المجتث ومجزوء الكامل ومجزوء الرجز ومجزوء الرمل. ويشترك الشاعران في اعتمادهما على مجزوء الكامل أكثر من غيره من البحور المجزوءة.

٤/لم ينوّع شوقي في وزن القصيدة الواحدة اللهمّ إلا في أرجوزته «دول العرب وعظماء الإسلام» حيث اعتمد فيها على الرجز، إلا عند حديثه

عن صقر قريش فإنه رأى أن ينظم على طريقة الموشّح الأندلسي ويتخذ بحر الرمل مطيةً له بدلاً من الرجز وذلك حيث يقول:

من لنِضـوٍ يتنـزّى ألما برّح الشوق به في الغلس[1]

أمّا الغزاوي فله محاولة بسيطة حيث زاوج بين الرمل تاماً ومجزوءاً في «النشيد القومي» وذلك ـ مثلاً ـ حيث يقول:

نحن جنـد الله أبنـاء الألى بـــايعوا الله ونعـــم المُشـــترى[2]
ومشوا بالنور في الأرض على هـــامتيْ كســـرى ودنيـــا قيصـــرا

فخرنا هذا العلمْ خافقٌ فـــوق الأجـمْ
ظـافـرٌ بـين الأمـمْ بالمغـاويـــر الغـــزاةْ

٥/ لم أجد مايمكن الربط به بين الوزن والموضوع أو العاطفة عند الشاعرين، والمسألة لاتزال غير مقطوعٍ فيها بين الدارسين والنقّاد. ولكنّي وجدت شوقي يعتمد على الرجز في شعره على لسان الحيوان، وأعتقد أنه عمد إلى ذلك ليكون الشعر أسهل على الناشئة في الحفظ. كما قد صرّح في مقدمة أرجوزته «دول العرب وعظماء الإسلام» بأنه اختار بحر الرجز ليناسب اتساع موضوع القصيدة وتعدّد جوانبه، وذلك حيث يقول:

واخترتُ بحراً واسعاً من الرجزْ قد زعموه مركباً واسعاً لمن عجزْ[3]
يـرون رأيـاً وأرى خِـلافهْ الكـــأس لا تـقـــوِّم الســـلافهْ

(١) الموسوعة الشوقية:٩/٩٥.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٢١٩.
(٣) الموسوعة الشوقية:٩/٧.

وقيمة اللؤلؤ في النحورِ بنفسهِ وليس بالبحورِ

كما وجدته ـ أي شوقي ـ ينظم على بحر المتقارب في بعض المواقف التي تستدعي القلق والتوتر؛ إما لشوقٍ شديد أو حزنٍ مفاجئ أو إعجابٍ ملحّ أو حيرة مستديمة. فقصيدته في خطاب أبي الهول يظهر فيها التمجيد ونداءات التعظيم بقدرٍ كبير، ولنستمع إليه يقول:

أبا الهولِ لو لم تكنْ آيةً لكان وفاؤك إحدى العِبرْ[1]
أطلتَ على الهرمين الوقو ف كثاكلةٍ لا تريم الحُفَرْ
ترجّي لبانيهما عودةً وكيف يعود الرميمُ النّخِرْ
تجوسُ بعينٍ خلال الديار وترمي بأخرى فضاء النهر
تروم بمنفيس بيض الظُبى وسُمر القنا والخميس الدّثرْ
ومهد العلومِ الخطير الجلا ل وعهد الفنون الجليل الخطر

فهذا التدفق في إعجاب الشاعر يناسبه التدفق الواضح في تفاعيل المتقارب. وهذه الملائمة بين الوزن وعاطفة الشاعر تظهر ـ أيضاً ـ في قصيدته التي يعزّي فيها البارودي بعد فقد ابنته يقول فيها:

أحيثُ تلوحُ المُنى تأفُلُ كفى عِظةً أيها المنزلُ[2]
حكيتَ الحياة وحالاتِها فهلاّ تخطّيتَ ما تنقلُ

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٣/٢٦٣. و تريم: أي تفارق.
(٢) المصدر نفسه: ٤/٤٢٧.

أمِـن جُنـح ليـلٍ إلى فجـره حِمـىً يزدهـي وحِمـىً يعطـلُ
وذلك يـوحِـشُ مـن ربـةٍ وذلك مـن ربـةٍ يـأهـل
أجـاب النعـيّ لـديـك البشـير وذاق بكـأسيهـمـا المحـفـل
وأطـرق بينهـمـا والـدٌ أخـو تـرحـةٍ ليـلـه أليـلُ
يفيء إلى العقل في أمره ولكنّـه القـلـب لا يعقِـل

إن عاطفة شوقي في هذه الأبيات ليست هادئة وإنما هي جازعة منقبضة، ولعلّ الشاعر معذورٌ في جزعه هذا، فابنة البارودي توفيت في يوم زفاف أختها، وهو أمر يدعو إلى الألم والحسرة.

هذا والمناسبة بين الوزن والعاطفة في بعض قصائد شوقي لايعني بالضرورة أنه يختار الوزن قبل النظم، بل إن الشاعر عموماً ليختار البحر الذي يريد النظم فيه دون أن يشعر بذلك استجابةً لشعوره وإحساسه. وقد لفت انتباهي وزن قصيدته التي يصف فيها النخيل ومطلعها:

أرى شجراً في السماء احتجبْ وشـقّ العنـان بمـرأى عجـبْ[1]

ووجدت أنه قال هذه القصيدة بعد أن تأثر بمنظر النخيل الخلاّب وهو يمارس رياضته بالاسكندرية في الصيف[2]. ولايبعد أنه بدأ ينظم قصيدته في لحظة تأثره بهذا المنظر وهو يمارس الرياضة بأنفاسه المتقطّعة التي تناسب تفاعيل المتقارب.

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/٣٥٥.

(٢) حياة شوقي: أحمد محفوظ، ٩٧.

ثانياً : القافية .

تعدّ القافية القسيم الآخر في الموسيقى الخارجية، وتكمن أهميتها في محافظتها على الإطار العام للقصيدة أو المقطوعة، وكذلك في مساهمتها بتوصيل الشعور إلى القارئ أو السامع، وذلك بحيث يتم اختيارها بعناية من قِبل الشاعر.

والقافية ـ على الراجح ـ تُطلقُ على الحرفين الساكنين آخر البيت ومابينهما مع الحرف المتحرك قبلهما.[1] فهي إذاً تشتمل على أكثر من حرف، وأهم هذه الحروف: حرف الروي وهو الحرف الذي تُبنى عليه القصيدة وتُنسب إليه.

وإذا تأمّلنا في القوافي الواردة عند كلٍ من شوقي والغزاوي يتبين لنا من الإحصاءات الواردة في الجدول التالي أن حروف الروي عندهما على مستويات كمايلي:

١ /ماكثر مجيئه روياً عندهما وهي: الميم واللام والنون والراء والدال والباء، وهي من الحروف التي يكثر ورودها روياً في الشعر العربي عامة[2].

٢ /ماورد روياً لهما نادراً كالضاد والسين. وقد جاءت الفاء روياً لشوقي في ثلاث قصائد والواو في قصيدتين والصاد في قصيدة واحدة ،كما جاءت الجيم روياً عند الغزاوي في أربع قصائد و كلٌ من الثاء والزاي والشين في قصيدة واحدة.

---

(١) انظر:الكامل في العروض والقوافي:محمد قناوي،١٨٦.

(٢) انظر:موسيقى الشعر:د/إبراهيم أنيس،٢٤٨.

٣/ما لم يرد لهما روياً وهي: الخاء و الذال والطاء و الظاء و الغين. وذلك إما لثِقلها على اللسان، أولندرة الكلمات التي تنتهي بها في اللغة العربية.

الروي	التكرار عند شوقي	نسبته	التكرار عند الغزاوي	نسبته
ا	٣٠	%٥	٣٦	%٦,٢
ب	٤٧	%٧,٩	٥٣	%٩,١
ت	٢٠	%٣,٤	٩	%١,٥
ث	٠		١	%٠٠,٢
ج	٠		٤	%٠٠,٧
ح	٧	%١,٢	١٩	%٣,٣
د	٦٢	%١٠,٤	٦٤	%١١
ر	٧٣	%١٢,٣	١٢٢	%٢١
ز	٠	-	١	%٠٠,٢
س	٩	%١,٥	٧	%١,٢
ش	٠	-	١	%٠٠,٢
ص	١	%٠٠,٢	٠	-
ض	١	%٠٠,٢	٣	%٠٠,٥
ع	١٦	%٢,٧	١١	%١,٩
ف	٣	%٠٠,٥	٢٠	%٣,٤
ق	١٥	%٢,٥	٤٦	%٧,٩
ك	١٢	%٢	٥	%٠٠,٩
ل	٧٧	%١٢,٩	٥٠	%٨,٦
م	٧٣	%١٢,٣	٧٠	%١٢,١
ن	٥٧	%٩,٦	٦١	%١٠,٥
هـ	٧	%١,٢	١٦	%٢,٨
و	٢	%٠٠,٣	٠	-
ي	٢٥	%٤,٢	٣	%٠٠,٥

هـذا وقـد وردت القافيـة عنـد الشـاعرين مطلقـة ومقيّـدة. ولكـن القوافي المُطلقة أكثر بأضعاف. أما القوافي المقيدة فقد بلغت عند شـوقي ١,١٢% وعندَ الغزاوي ٦,١٤%فحسب.

والملاحـظ علـى أغلـب القـوافي المقيـدة عنـدهماورودها إمـا مردوفة[١] أو مؤسسة[٢] أو منتهية بحرف روي مجهـور كـالعين أو البـاء أو الراء[٣]، وذلك له دورٌ كبير في جعلها أوضح في السمع[٤].

أما تنويع القوافي.فقد بلغت نسبة تكـرار القصـائد منوّعـة القـوافي عند شوقي ١,٩% وعند الغزاوي٢,١% ، ممايدل على أن شـوقي أكثـر تنويعاً في قوافيه من الغزاوي بفارق كبير.

ومن جهة أخرى فإن تنويـع الغـزاوي في قوافيـه ورد علـى شـكل المربّعـات أوالمخمّسـات وهـي أأأأ-ب ب ب أ-ج ج ج أ [٥] في ثـلاث

---

(١) الردف:حرف المد أو اللين الذي يسبق حرف الروي(صنعة الشعر: السيرافي ، ٢٨٤)، ويكون ألفاً أو واواً أوياء.ومثال القافية المقيدة المردوفة عند الشاعرين، قصيدة شوقي التي مطلعها:
أصاب المجاهد عقبى الشهيدْ وألقى عصاه المضاف الشريدْ "الموسوعة الشوقية،٣/٩٧"
وقصيدته التي مطلعها:
ياغاب بولونَ ولي ذممٌ عليكَ ولي عهودْ «الموسوعة الشوقية،٣/٣٥»
وقصيدة الغزاوي التي مطلعها:
هتف الشعب بلقياك وباحْ وشدا بالحمد والشدو المُباحْ "الأعمال الشعرية الكاملة،٢/٥٧٤"
وقصيدته التي مطلعها:
مجّد الذكرى وحيّ الماجدينْ وامنح البشرى الأباة الناهضينْ «الأعمال الشعرية الكاملة،٢/٩٠٧»

(٢) التأسيس:كل ألفٍ بينها وبين الروي حرف متحرك(صنعة الشعر:٢٨٥).ومثال القافية المؤسسة عند الشاعرين، قصيدة شوقي التي مطلعها:
عرضوا الأمان على الخواطر واستعرضوا السمر الخواطرْ "الموسوعة الشوقية:٣/٣٢٤"
وقصيدة الغزاوي التي مطلعها:
لهجتْ عنك بالثناء المنابرْ وازدهت فيك بالسعود المشاعرْ «الأعمال الشعرية الكاملة:١/٢٤٢»

(٣) للأمثلة انظر:الموسوعة الشوقية:٢/٢٩٨-٢/٣٥٥-٢/٤٠٠والأعمال الشعرية الكاملة: ٢/٧٧٥-٢/٨٢٥-٣/١٢١٥.

(٤) انظر:الجملة في الشعر العربي:د/محمد حماسة عبداللطيف،١٠٨،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط١، ١٤١٠هـ.

(٥) انظر:موسيقى الشعر العربي بين القديم والجديد:د/عزة محمد جدوع،٤٤١،مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط٢-١٤٢٣هـ.

قصائد[1]. كما ورد التنويع عنده بحيث يتغير بعد كلِّ عدد معين من الأبيات على الشكل التالي:أأأأ- ب ب ب ب- ج ج ج ج. كقصيدته التي مطلعها:

حبّذا النور من سفوح حراءِ يملأ الخافقين باللألاء[2]

فقافيتها تتغير كل عشرة أبيات.

أمّا شوقي فإنه يشترك مع الغزاوي في تنويعه القافية في إطار المربعات[3]، وزاد عليه في المزدوج، وهو أن يُؤتى ببيتين مقفّيَيْن من مشطور أي بحر، وبعدهما غيرهما بقافية أخرى[4].وقد ورد المزدوج عنده كثيرا فيما يقارب ٣٨ قصيدة ومقطوعة أي ٦٦,٧% من مجموع شعره منوَّع القافية. وغالباً ماتكون المزدوجات عنده في القصص على لسان الحيوان، لأنها أسهل في الحفظ على الأطفال.

وفي مطولته «دول العرب وعظماء الإسلام» نظم شوقي موشّحة بعنوان «صقر قريش» وهي الموشّحة الوحيدة عنده. ومطلعها:

من لنضوٍ يتنزّى ألما برّح الشوق به في الغلس[5]

حنّ للبان وناجى العلما أين شرق الأرض من أندلُس

---

(١) انظر:الأعمال الشعرية الكاملة:١٢٠٧/٣، ١٢١٩/٣، ١٦٢٤/٤.

(٢) المصدر نفسه:١٤١٦/٤.وانظر -أيضاً-:١٤٩٢/٤، ١٥٢٥/٤، ١٦٨٧/٤.

(٣) انظر:الموسوعة الشوقية:٢٧٦/٤، ٥٠١/٥، ١٩٨/٥.

(٤) انظر:العروض القديم:د/محمود علي السمان، ٢٤٤، دار المعارف ،مصر، ط٢-١٩٨٦م.

(٥) الموسوعة الشوقية:٩٥/٩.

وتتكرر هـذه القافيـة في كـل قفـل، بينمـا تتنـوع في كـل دور مـن أدوار الموشحة[1].

هذا وللشاعرين بعض العيوب في جانب الوزن والقافية. من ذلـك عند شوقي سناد التوجيه وهو عدم التزام حركـة ماقبـل الـروي السـاكن، مثل قوله:

تـرفّ في مخمـلٍ نـمّ ولمّـا ينِـمْ[2]
تتبـع إلا الهـوى تقـرب إلا التهَـمْ
فاجتمعـتْ فالتقـت حـول خـوانٍ نُظِـمْ

.....

مشـرقـةٌ مثـلهـا في زمـنٍ لـم يقُـمْ

والجدير ذكره أن بعض الدارسين يعد قول شوقي:

قومٌ على الحب والإخلاص قد ملكوا وحسب نفسِك إخلاصٌ يزكيها[3]
خلافةُ الله في أحضان دولتهم شاب الزمان وما شابت نواصيها

مثالاً لسناد التأسيس، وهو أن تكون بعض القـوافي في القصـيدة مؤسسـة وبعضها غير مؤسس. والحق أن هذا ليس من سناد التأسيس، لأن الـروي

---

(١) الدور في الموشحة: هو مجموعة الأبيات التي تأتي بعد المطلع. والقفل: هو البيت أو البيتان بعد الدور مباشرة. ويشبه في الوزن والقافية وعدد الأبيات مطلع الموشحة.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٥/ ١٤٩. وانظر -أيضاً-: ٥/ ٣٧٣، ٢/ ٢٩٨، ٢/ ٣، ٣٥٥/ ١١٥، ٣/ ٢٤٣، ٣/ ٢٥٤، ٣/ ٣٤٧، ٣/ ٥٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٤٧١. وانظر: موسيقى الشعر العربي بين القديم والجديد: د/ عزة محمد جدوع، ٣٣٧.

في البيتين هو الهاء، والياء حرف ردف، والألف في البيت الثاني حينئذٍ ليست تأسيساً وعدم التزامها لايُعدّ عيباً.

ومن عيوب القافية عند شوقي سناد الردف وهو عدم التزام حرف الردف في كل قوافي القصيدة، يظهر ذلك في قصيدته التي مطلعها:

السحر من سود العيون لقيته والبابليّ بلحظهنّ سُقيتُه[1]

فقد وردت فيها تسعة أبيات لم يلتزم فيها الردف منها قوله:

إن قلتُ تمثال الجمال منصّباً قال الجمال براحتي مثلتُه
دخل الكنيسة فارتقبتُ فلم يطل فأتيتُ دون طريقه فزحمتُه
فازورّ غضباناً وأعرض نافراً حالٌ من الغيدِ المِلاح عرفتُه

كما وجدتُ عنده مثالاً واحداً لسناد الحذو، وهو اختلاف حركة ما قبل الردف. وذلك في قوله:

فلو أنّ البحار جرتْ مئِيناً وكان اللجّ أجمعه سفِينا[2]
لتلقى منفذاً للقِينَ حَيْنا ولمّا يمس البوغاز ضرّ

وإذا انتقلنا إلى الغزاوي فمن أخطائه في جانب الوزن ، زيادة تفعيلة في البيت وذلك في قوله:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/٤٣٨.وانظر -أيضاً-:٢/٤٨٧.
(٢) المصدر نفسه:٣/٣١٠.

لبيـــك والأكبـاد تـــز فـــر في الشـــقاق وفي الـــبلاء[1]
لبيـــك والإنســـان يـعـ ـرج للنجوم ويستجنّ بـه الفضـاء

فالبيت الثاني يشتمل على خمس تفعيلات «متفاعلن» والمُفترض أربعة.

وكذلك الحال بالنسبة للأبيات التالية من القصيدة نفسها:

سبحـانك اللهم أنت وليّنا وأمـاننا ممّـــا نخـاف
ماراعنا إلا التشاحن والتطاحن والتفرّق والخـلاف

....

يافالق الإصباح إنّا في رحـابك نستظلّ ولانريـــم

ولعل الشاعر لم يراجع هذه القصيدة أو ينقّحها.

ومن هذا ـ أيضاً ـ قوله:

وغُـدوّهم ورواحهـم وبقاؤهم وفناؤهم ذبٌّ عـن التوحيـد والأوطـان[2]

ففي البيت زيادة تفعيلة في الشطر الأول منه.

وقد يخطئ الغزاوي في الوزن مثل قوله:

تفتّقت باللظى أذهانهم كِسفاً ركامُها هـلعٌ وظـلامُها قطع[3]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٤٥٦.
(٢) المصدر نفسه:٣/١٠٥٥.
(٣) المصدر نفسه:٣/١٠٤٧.

فالشطر الثاني جاءت فيه التفعيلة الثالثة على «متَفاعلن» وليس «مستفعلن». ولو حذف الواو في قوله «وظلامها» يستقيم الوزن.

وكذلك في قوله:

يستعزّ الإسلام فيها بسماكٍ من وِقاءٍ وعازلٍ من مخافر[1]

فالضمير في قوله «فيها» يكسر الوزن.

وقوله ـ أيضاً ـ:

إنما المؤمنون إخوة فاستجيبوا دعوة الحق واقتدوا بدعاته[2]

فالشطر الأول مكسور الوزن.

ومن عيوب القافية التي وقع فيها الغزاوي، سناد الردف، وذلك في قوله:

وانظري البيت كيف أضحى وأمسى ليس منا ولا يمتّ إلينا[3]
ونرى أنّا بهذا استرحنا ودحرنا أعداءنا وانتصفْنا
وهو فينا وفي بنينا قيودٌ ضاق منها خِناقُنا وانضوينْا

وكذلك سناد التوجيه، مثل قوله:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:٣/١٠١٤.

(٢) المصدر نفسه:١/١٦٠.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٤٥٦.

وأعِـدْ عـلى أسماعنـــا عـبرَ الحـوادث والطـرَف[1]
وارهـف يـراعـك إنـه تـرياقُنـا إما رعِـفْ
واشـحـذ عـزائـم أمـــةٍ كـانت تعيـش مـع الصـدَفْ

ومن العيوب عنده ـ أيضاً ـ سناد الإشباع، وهو عدم التزام حركة الدخيل الواقع بعد ألف التأسيس، وقد وجدت قصيدة كاملة، منها ـ مثلاً ـ هذه الأبيات:

إني لأعجبُ كيف كنا وانطوتْ صحفٌ يجلّلها الخواء الماحِل[2]
وأكاد لو لا ما أراه مُشاهداً أرتابُ فيه بأنه يتخايَل
القفرُ نضرٌ والكهوف مناجمٌ والعِلم نورٌ والسهول خمائِل
وكأنما التاريخ أقبل مشرقاً أو عاد وهو ببعثنا يتماثَل

هذا والجدير ذكره أن من القدماء والمحدثين من لم يعدّ سناد التوجيه عيباً، لأن القافية المقيّدة هي التي يتوقعها السامع [3].ومنهم من يُفصّل في سناد الإشباع فيجيز الجمع بين الكسر والضم ويستقبح الجمع بين الفتح والكسر أو الضم.[4]

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/ ١٥٩١.وانظر-أيضاً-:٣/ ١٢١٧، ٣/ ١٢٧٠، ١/ ٥٨٣، ١/ ٦٥٥.

(٢) المصدر نفسه:٣/ ١١٢٢.وانظر-أيضاً-:٣/ ١٣٠١، ١/ ٥٩٨، ١/ ٦٣٩، ١/ ٦٥٩، ١/ ٨٩، ٤/ ١٤٨٦.

(٣) انظر:التجديد الموسيقي في الشعر العربي:د/رجاء عيد، ١٥٠، منشأة المعارف بالاسكندرية، بدون تاريخ. والعروض القديم:د/ محمود علي السمان، ٢٦٤.وقد استدل بعضهم على أن هذا النوع من السناد ليس عيباً بأن البحتري صاحب القيثارة الموسيقية المعروفه له أبيات تشتمل على ذلك.

(٤) انظر:موسيقى الشعر العربي بين القديم والجديد:د/عزة محمد جدوع، ٣٣٩.

الموسيقا الداخلية

تتحقق الموسيقا الداخلية عند الشاعرين من خلال عدة وسائل هي:

أولا: التصريع.

وهو جعل العروض مقفاةً تقفية الضرب[1]. ويظهر في أغلب قصائدهما خاصة في المطالع. من ذلك عند شوقي قوله:

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدِّد خالدَ العرب[2]

وقوله:

خُلِقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات[3]

وقوله:

مضناك جفاك مرقده فبكاه ورحّم عوّده[4]

ومنه عند الغزاوي قوله:

---

(١) إيضاح التلخيص: الخطيب القزويني، شرح عبدالمتعال الصعيدي، ٤/٨٤.

(٢) الموسوعة الشوقية: ٢/٢٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٤٤٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٦٥.

عيـــد تمثّـــل بـالســعود يفــتر عــن بشـــر الوفــود[1]

وقوله:

الشعب يهتـف والبــلاد ترحب أمّ القرى والمـروتان ويثرب[2]

وقوله:

كرمــت يعـربٌ وعــزّت نــزارُ وبك اختال مجدها والفخار[3]

ثانياً: الازدواج.

ويُقصد به توازن جملتين متتـاليتين توازنـاً إيقاعيـاً[4]. ومثالـه عنـد شوقي قوله:

سواكن إن يهدأ، نوافر إن لها قواعد إن يهجع، قوائم إن هبّا[5]

وقوله:

هوافٍ ولا شوقٌ، شواكٍ ولا جوىً سهادى ولا فكر، هيامى ولاوجد[6]

وقوله في رثاء جدته:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/٨٥.
(٢) المصدر نفسه:٣/١١٤٠.
(٣)المصدر نفسه:٢/٨٣٥.
(٤) البديع في شعر شوقي:د/منير سلطان،٢١٩.
(٥) الموسوعة الشوقية:٢/٤٠٣.
(٦) المصدر نفسه:٣/١٧٣.

تجـــاوزتِ الولائـــد فـــاخراتٍ إلى فخـــر القـــبائل واللغـــات[1]

وأحكـــم مـــن تحكـــم في يـــراعٍ وأبلـــغ مـــن تبلّـــغ مـــن دواة

وأبـــرأ مـــن تـــبرأ مـــن عـــداء وأنـــزه مـــن تـــنزه مـــن شمـــات

وأصـــون صـــائنٍ لأخيـــه عرضـــاً وأحفـــظ حـــافظٍ عهـــد اللـــدات

وأقتـــل قـــاتلٍ لأخـــيه خُـــبراً وأصـــبر صـــابرٍ للغـــاشيات

فالتوازن يظهر في الأبيات بين كل شطرين متقابلين. ففي البيتين الثاني والثالث ـ مثلاً ـ يظهر التوازن بين كلٍ من أفعل التفضيل والاسم الموصول بعده ثم الفعل الماضي والجار والمجرور في الشطر الأول من جهة وبينها نفسها في الشطر الثاني.

ومن ذلك عند الغزاوي قوله يصف المطر:

والمزن منبجسٌ والرعد مرتجسٌ والبرق مقتبسٌ والروض مزدهر[2]

.....

والقلب في فرحٍ والنفس في مرحٍ والروح من دونها الظلماء تنحسرِ

وقوله ـ أيضاً ـ:

فالبؤس مرتكسٌ والخوف ملتبسٌ والضعف مبتئسٌ والجو معتكـر[3]

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٢/٤٤٦.

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة: ٤/١٧٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٤/١٥٢٠.

والسلم محتلسٌ والحرب مفترَسٌ والخير منعكسٌ والشر منتشر[1]

والفسق منطلقٌ والشمل مفترِقٌ والظلم منطبقٌ والعدل مندعر[2]

والإفك في لججٍ والشك في هوجٍ والقحط والجدب والإضرار والضرر

ولا يخفى أن للازدواج أثراً واضحاً في الأبيات السابقة، حيث يلقي عليها نغمة موسيقية تؤلف بينها وتجمعها في إطار واحد. ويزيد أثر الازدواج الموسيقي مع التنوين. وقد تنبّه الشاعران لهذا فغالباً ما يلتزمونه مع الازدواج.

ثالثاً: رد العجز على الصدر.

ومعناه أن ترد لفظتان تجمع بينهما علاقة كالتكرار أو الجناس إحداهما في الشطر الأول والأخرى في الشطر الثاني[3].

منه عند شوقي قوله:

وما راعني إلا لواءٌ مخضّبٌ هنالك يحميه بنانٌ مخضّب[4]

وقوله:

قف ناج أهرام الجلال وناد هل من بُناتك مجلسٌ أوناد[5]

---

(١) محتلس: من الإحلاس بمعنى الإفلاس. أي أن السلم مفتقر إلى من يظهره.

(٢) مندعر: من الدعر وهو الفساد.

(٣) انظر: إيضاح التلخيص: الخطيب القزويني، شرح عبالمتعال الصعيدي، ٤/٧٤.

(٤) الموسوعة الشوقية: ٢/٢١١.

(٥) المصدر نفسه: ٣/١٨.

وقوله:

وأتيتَ صحراء الإمام تذوب من طـول الحنين لساكن الصحراء[1]

وقوله:

ترامیتـم فقـال النـاس قـوم إلـى الخـذلان أمرهـم تـرامـى[2]

وقوله:

لـئن نـاء مـن سـمـنٍ جسمـه فمـا عـرفتْ روحـه مـا السمـن[3]

فالسمن الأولى الامتلاء، والأخرى استعارة تصريحية لثقل الدم وبينهما جناس تام.[4]

ومنه عند الغزاوي قوله:

شاقـه العـيد فارتـدى بِسِماتـه حـين أضحى يفـترّ عـن بَسَماته[5]

وقوله:

كشافة الشام هل تدرون مابلغتْ بنا الحمـاسة في كشـافة الشام[6]

---

(١) الموسوعة الشوقية:٢/١٥٣.
(٢) المصدر نفسه:٥/١٠٥.
(٣) المصدر نفسه:٥/٣٦١.
(٤) انظر:البديع في شعر شوقي:د/منير سلطان،١٢٩ .
(٥) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٥٧.
(٦) المصدر نفسه:٤/١٤٠١.

وقوله:

إن يكن شاعراً فرحماك ربي يسخن الشعر عبرة الشعراء[1]

وقوله:

خل الحديث عن الماضي وما ذهبا وقُصّه عسجداً أو نُصّه ذهبا[2]

وقوله:

قد شجاني الحب في البيت الذي مجده أغرى بقلبي الشجنا[3]

ورد العجز على الصدر إضافةً إلى ميزته الإيقاعية التي تربط شطري البيت برباطٍ وثيق، فإنه يؤكّد المعنى في ذهن السامع ويثبّته على مسامعه.

رابعاً: الجناس والسجع.

من ذلك عند شوقي قوله:

أين الأوانس في ذراها من ملائكةٍ وحور[4]

المترعات من النعيم الراويات من السرور

العاثرات من الدلال الناهضات من الغرور

---

(١)الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٥٢٩.

(٢)المصدر نفسه:٢/٧٢٧.

(٣) المصدر نفسه:٤/١٦٢٠.

(٤) الموسوعة الشوقية:٣/٢٣٣.

الآمـــرات علـــى الـــولاة الناهيـــات علـــى الصـــدور
الناعـــــمات الطيبـــــات العـــرف أمـــثال الزهـــور
الـــذاهلات عـــن الزمـــان بنشـــوة العـــيش النضـــير
المشـــرفات ومـــا انـــتقلن علـــى الممـــالك والبحـــور

وقوله :

كفى بالموت للنُذُر ارتجالا وللعـبرات والعـبر اختراعـا[1]

وقوله:

سناؤه وسناه الشمس طالعـة فالجرم في فلكٍ والضوء في علم[2]

وقوله:

أودى الجـــريء إذا جـــرى والمســـتميت إذا أغـــار[3]
ليـــث المعامـــع والوقـــائع والمـــواقع والحصـــار

ومنه عند الغزاوي قوله:

ولله منهـا ريعهـا ويـراعهـا وجنانهـا تجـري بـه ونهورهـا[4]

---

(١) المصدر نفسه:٤/٨٧.
(٢) المصدر نفسه:٥/٧٠.
(٣) الموسوعة الشوقية:٣/٣٧٥.
(٤) الأعمال الشعرية الكاملة:٤/١٦٥٨

وقوله:

إلى أن تـراها فـي ثراها ثـرية ومن بعض ماينوا بنوها الدوارع[1]

وقوله:

واقتضـاء الأداء ديـنٌ ثقيـلٌ طالمـا ماطـل العـلا أن يؤدّى[2]

وقوله:

أنـتم اليـوم شـبابٌ يتهـادى في صـباه[3]
وغـداً مـنكم رجـالٌ ورعـاةٌ وقضـاة
ونجـومٌ ورجـومٌ وبُنـاة ودعـاة
وجـنودٌ وبنـودٌ وأسـاةٌ وحمـاة

خامساً: اختيار الألفاظ العذبة، أوالموحية بجرسها.

عُني شوقي عناية فائقة باختيار ألفاظه ذات الجرس الموحي. وقد ذكر محمد هادي الطرابلسي بعض الأبيات التي اعتمد فيها شوقي على الألفاظ التي تناسب المعنى بجرسها[4]. ومن الأبيات التي أوافقه الرأي فيها قول شوقي:

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة:١/١٥٥.

(٢) المصدر نفسه:٣/١٠١٤.

(٣) المصدر نفسه:١٤١٠.

(٤) خصائص الأسلوب في الشوقيات:محمد الهادي الطرابلسي، ٥٥.

أروتـر لا تـدس السـم دسـا ومهلا في التـهوُّس يـا هوسـا[1]
سل اليونـان هـل ثبتـت لارسـا وهـل حفـظ الطريـق إلى أثينـا[2]

فتكرار السين متصل بمعنى التجسس والمشاحنة.كمـا أن تكـرار الفـاء في البيتين التاليين متصلٌ بالتدمير وصوت الانفجار:

خسـفْنا بالحصـون النـار خسْـفا تـــزيد تـــأبّياً فـــنزيد قـــذفا
بنـارٍ تنســف الأجـــيال نسْـفا وتلـــقف نارهـــم والمُطلقينـــا

ومن هذا الباب قوله ـ أيضاً ـ:

وتجنّب كـل خـلـقٍ لـم يـرُقْ إن ضيق الرزقِ من ضيق الخلقِ[3]

فصوت القاف هنا مرتبطٌ بمعنى الضيق.
وكذلك قوله:

وذبحْن حـنجرةً على أوتارها تؤسى الجراحُ وتُذبحُ الأتراحُ[4]

فصوت الحاء في مقام الرثاء مرتبطٌ بالندب .
وقوله يستنكر على رياض باشا مصانعته للإنجليز المستعمرين:

---

(١) الموسوعة الشوقية:٥/٢٩٤. وروتر: شركة إخبارية بريطانية. وهوسا: أي هافاس وهي شركة إخبارية فرنسية.
(٢) لارسا: مكان كانت به موقعة حربية.
(٣) الموسوعة الشوقية:٢/١٨٥.
(٤) المصدر نفسه:٢/٥٣٧.

مقامُك فـوق مـا زعموا ولكـنْ رأيتُ الحـقّ فـوقـك والمقام[1]
خطبتَ فكنتَ خطباً لا خطيبـاً أُضيف إلى مصـائبنـا العظـام

فتكرار القاف والطاء في البيتين، وهما من الحروف الفخمة يناسب مقام التقريع والإنكار[2].

أمّا عذوبة ألفاظ شوقي فقد كان موهوباً ومُلهماً فيها. وقد جعلها بعض الدارسين مزيةً اختصّ بها دون شعراء عصره[3]. ولذا فإن الدارس لايكاد يجد لشوقي كلمةً نابية يرفضها السمع، خلافاً للغزاوي الذي قد يقع في هذا المأخذ، مثل قوله:

فقل للذي يشنوك لا درّ درُّه رويدكَ واربعْ إنما أنت ظالع[4]

ففي البيت ثقلٌ واضح نشأ عن اجتماع الشين والظاء والعين.

ومن هذا قوله ـ أيضاً ـ:

ووحوشٌ وراءهم أُخطبوطٌ ذو شناخيب نسجهنّ قناع[5]

فاجتماع الشين والخاء والطاء مكررةً، مع القاف والعين في بيتٍ واحد لاترتاح له الأذن[6].

---

(١) الموسوعة الشوقية: ٥/٨٨.

(٢) انظر: الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء: محمد عبدالرحيم سمان، ١٨٥.

(٣) انظر: شوقي شاعر العصر الحديث: د/شوقي ضيف، ٤٤.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة: ١/١٥٤. وظالع: من الظلع وهو العرج، ولعل المقصود هنا مجرد النقص والتقصير.

(٥) المصدر نفسه: ١/٢٦٤. والشناخيب: من قولهم شناخيب الجبل أي رؤوسه.

(٦) انظر: موسيقى الشعر: د/إبراهيم أنيس، ٣٥.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد منّ الله عليّ بإنهاء البحث ضمن رحلة علمية شيّقة، خرجت من خلالها بالنتائج التالية:

١) هناك بواعث تدفع الشاعرين إلى قول الشعر. وبعض هذه البواعث يشكّل عنصراً أساسياً في شخصيتيهما، كالحس الديني. والشاعران في هذا الباعث يتنافسان قوة وغزارة. فشوقي امتاز عن الغزاوي بالمدائح النبوية كما امتاز الغزاوي بحولياته في حج كل عام.

٢) هناك بواعث للشعر انفرد بها شوقي عن الغزاوي كالإقبال على ملذات الحياة الدنيا والرغبة في الاستمتاع بها، والشغف بالتاريخ. وقد كفل هذان الباعثان بأن يتفوق شوقي في تنوّع موضوعات شعره، في الوصف والتأمّل والغزل وغير ذلك، خلافاً للغزاوي حيث قصر عنه في هذا الجانب.

٣) تتنوع التجارب الشعرية عند شوقي أكثر من الغزاوي، فلا وجود للتجربة التاريخية أو الرمزية أو الأسطورية عنده.

٤) تبيّن أن الشاعرين يصدران في شعرهما عن عاطفةٍ صادقة خاصةً في الشعر الوطني. إلا أن شوقي في وطنياته أصدق عاطفةً وأشد تأثيراً في السامع نتيجة لماعاناه في سبيل وطنيته. كما أن العاطفة الدينية تلوح بقوةٍ عندهما خاصة في قضايا الإسلام والمسلمين.

٥) تظهر عاطفة صادقة في الغزل عند الشاعرين.خاصة الغزل المستقل عند شوقي، وغالب غزليات الغزاوي.أما المديح والرثاء فقد كان لمكانة الشاعرين السياسية والاجتماعية تأثير واضح في صدورهما عن المجاملة في بعض المدائح عندهما وبعض المراثي عند شوقي.

٦) وجدت الفخر عند شوقي أقوى عاطفةً وأصدق، حتى جعله ذلك يفخر في مقامات لايحسُن فيها، كالمراثي وغيرها وذلك من شدة إلحاح هذه العاطفة عليه، وكأنها متاصّلةٌ في نفسه.

٧) والوصف عند الشاعرين ناتجٌ عن تأثرٍ صادقٍ بما يشاهدان ويتأمّلان، إلا أن وصف شوقي مدفوعٌ بحب الطبيعة وشغفه بالتاريخ، أمّا الغزاوي فوصفه مدفوعٌ ـ غالباً ـ بالحس الديني العميق.

٨) وقع الشاعران في بعض المآخذ التي قللت من ظهور العاطفة الصادقة عندهما، وذلك كالمبالغة وتفاهة المعنى ومخالفة الواقع.

٩) تنوّعت عاطفة شوقي مقارنةً بالغزاوي. يظهر هذا التنوّع في وطنياته التي يلوح فيها الفخر والنصح والتأمّل والوصف. كما يظهر في مديحه الذي شمل الخلافة العثمانية والحكام والقواد والأدباء والأصدقاء. وفي رثائه الذي تعدّى إلى الأدباء الذين لم يلتقِ بهم، كما شمل رثاؤه الحيوان ـ أيضاً ـ. هذا بالإضافة إلى عاطفته تجاه الأطفال التي تلوح في القصص على لسان الحيوان وفي قصائده التعليمية.

١٠) تُعدُّ عاطفة الشاعرين في شعرهما من العواطف الأدبية السامية، ويُعتبرُ الغزاوي أسمى عاطفةً نظراً لما اشتمل عليه بعض شعر شوقي

من أبيات في وصف الخمر والمراقص.وهي قليلة جداً مقارنةً بديوانه الضخم.

١١) تتسم المعاني والأفكار عند الشاعرين بالوضوح على وجه العموم. إلا أن الغموض قد يتسرّب إليها نتيجة لغرابة الألفاظ أو للاعتماد على الرموز والإشارات التاريخية.وينفرد شوقي بسبب ثالث هو الخوف من التصريح لأسبابٍ سياسية أو اجتماعية.

١٢)استخدم الشاعران فنون البديع من سجعٍ وجناسٍ وغير ذلك من أجل توكيد المعاني وزيادتها قوةً وعمقاً.إلا أنّ شوقي نتيجةً لاهتمامه بالسياسة والتاريخ اصطبغت معانيه بالعمق أكثر من الغزاوي.

١٣)أخفق الشاعران في بعض المعاني الشعرية لديهما.

١٤)يظهر التأثر واضحاً جلياً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من خلال معاني الشاعرين. وشوقي أكثر استلهاماً للمعاني الدينية من الغزاوي، لكنّه يستمد بعض معانيه ـ أحياناً ـ من الإسرائيليات.

١٥)للتقليد مظاهر شتى في شعر الشاعرين، ولاغرابة في ذلك فهما شاعران محافظان، تأثرا بالقدماء في مختلف العصور السابقة.

ومن هذه المظاهر: معارضة الشعراء السابقين وهي عند شوقي أكثر منها عند الغزاوي، والمقدمات الطللية والخمرية عند شوقي، والتضمين من شعر السابقين عند الغزاوي، والولوع بالمبالغات والإحالات.

١٦)تلوح المعاني المتجددة عند الشاعرين، في شعر المديح النابع من المناسبات غير التقليدية، وفي الشعر الوطني والاجتماعي. كما يظهر التجديد عند شوقي خاصة في القصص على لسان الحيوان الذي استلهمه من الأدب الفرنسي.

١٧) تتحقق الوحدة الموضوعية عند الشاعرين في عددٍ من القصائد. كما تتحقق الوحدة الفنية في غالب شعرهما، إلا أن هذا التحقق نسبي يعتمد على مدى توفّق الشاعر في توفير العناصر المطلوبة للوحدة الفنية. وقد وجدتُ شوقي أكثر نجاحاً في تحقيقها من الغزاوي، خاصةً مع ما أوتيَ من موهبة موسيقية تجعله يحرص على خلق جو إيقاعي يحافظ على الوحدة الفنية لأبيات القصيدة.

١٨) استفاد الشاعران من تنوّع أساليب اللغة العربية، فورد عندهما الأمر والاستفهام والنداء والتقديم والتأخير والتكرار والقصر. وقد وردت هذه الأساليب عندهما لأغراض بلاغية غير مباشرة. والمتأمل في هذه الأغراض يجد أنها متعددة ومتنوعة عند شوقي أكثر منها عند الغزاوي. فالاستفهام ـ مثلاً ـ يرد عند شوقي للتمجيد واللوم والتقريع والتحسر والتفجّع. بينما يرد عند الغزاوي للتمجيد واللوم فحسب.

١٩)وقع الشاعران في مآخذ كثيرة في جانب الألفاظ والأساليب، وهما متساويان فيها، إلا أن شوقي لم يقع في الألفاظ ذات الجرس المستكره، خلافاً للغزاوي. وقد وجدتُ لهما قصيدتين ضاديتين ،فلم تقع عيني على لفظة نابية عند شوقي، أما الغزاوي فقد وجدتُ له العديد من الألفاظ مثل: أجرض ـ نضنض ـ تشضّض وغير ذلك.

٢٠)خيال الشاعرين متأثر بخيال القدماء، إلا أن فيه أثراًللتجديد ـ أيضاً ـ خاصةً عند شوقي، الذي برع في استخدام وسائل أكثر للخيال كالقصص على لسان الحيوان والرمز. وقد وجدتُ الغزاوي يتابعُ بعضاً من صور شوقي ، إلا أنه لم يبلغ مبلغها في الإجادة والقوة.

٢١) يستمد الخيال عند الشاعرين مصادره من الطبيعةوالتاريخ. إلا أن شوقي أكثر استلهاماً للتاريخ من الغزاوي، وأكثر خبرة ودرايةً فيه.

٢٢) يتفوّق شوقي على الغزاوي في جانب الموسيقا من حيث كثرة البحور التي نظم عليها حيث لم يُهمِل إلا بحر المضارِع. كما أن اعتماده على البحور القصيرة والمجزوءة بنسبة كبيرة أكسب شعره سمةً موسيقية فريدة. إضافةً إلى تنويعه في قوافي القصيدة الواحدة مما له ارتباطٌ ـ أحياناً ـ بالمعاني الجزئية في القصيدة. وهو في تنويع القوافي اتخذ أشكالاً وقوالب أكثر من الغزاوي كالموشّح والمزدوج.

٢٣) وقع الشاعران في بعض عيوب القافية، وقد اختلف فيها بعض العلماء من حيث التسامحُ وعدمُه. إلا أن الغزاوي له بعض الأخطاء العروضية كزيادة تفعيلة وانكسار الوزن.

٢٤) حرص الشاعران على توفير العناصر الإيقاعية المهمة للحفاظ على تناغم الموسيقا الداخلية. فلجآ إلى التصريع والسجع والجناس ورد العجز على الصدر والازدواج. وانفرد شوقي بعنايته في اختيار الألفاظ العذبة الموحية.

هذه أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب والدواوين المطبوعة:

- أحمد شوقي: د/زكي مبارك، ٣٩، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ.
- أحمد شوقي أمير الشعراء: فوزي عطوي، دار صعب، ١٩٧٨م.
- أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية: د/مسعد العطوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- أحمد شوقي شاعر الوطنية والمسرح والتاريخ: د/فوزي عطوي، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٨٩م.
- أحمد شوقي: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
- الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد: د/إبراهيم بن فوزان الفوزان، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤٠١هـ.
- الأدب الحديث تاريخ ودراسات: د/محمد بن سعد بن حسين، دار عبدالعزيز آل حسين، ط٦، ١٤١٨ هـ.
- الأدب العربي المعاصر في مصر: د/شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط١١، بدون تاريخ.
- أسس النقد الأدبي: د/أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٦م.
- إسلاميات أحمد شوقي: د/سعاد عبدالوهاب عبدالكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
- الإسلام في شعر شوقي: محمد علي مغربي، ط١، ١٤٠٤هـ.

- **أشعار الشعراء الستة الجاهليين**:الأعلم الشنتمري، شرح وتعليق د/محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ.
- **أصول النقد الأدبي**: د/طه أبوكريشه ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، ط١ ، ١٩٩٦م.
- **أصول النقد الأدبي**:أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٨ ، ١٩٧٣م.
- **الأعلام**:خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢ ، ١٩٩٧م.
- **الأعمال الشعرية الكاملة**:أحمد إبراهيم الغزاوي، تحقيق ونشرعبدالمقصود محمد سعيد خوجه، جده، ط١ ، ١٤٢١هـ.
- **الأغاني**:أبو الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية-بيروت، ط٢ ، ١٤١٢هـ.
- **إيضاح التلخيص**:الخطيب القزويني، شرح وتحقيق عبدالمتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب، مصر، ١٤١٢هـ.
- **الإيقاع الصرفي في شعر شوقي**:د/منير سلطان، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- **بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين**:مطبوعات جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٤هـ.
- **البديع في شعر شوقي**: د/منير سلطان، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط٢-١٩٩٢م.
- **بغية الإيضاح**:عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب-القاهرة، ١٤١٢هـ.
- **البيان والتبيين**:أبو عثمان عمروالجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٤ ، ١٣٩٥هـ.

- **البيان والتبيين**:أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،تحقيق عبدالسلام محمد هارون،٦٨،دار الجيل-بيروت،بدون تاريخ.
- **تاريخ الدولة السعودية** :أمين سعد ،دارة الملك عبدالعزيز.
- **التاريخ العثماني في شعر أحمد شوقي**:محمد زاهد عبدالفتاح أبو غدة،دار الرائد ، كندا ، ط١، ١٩٩٦م.
- **تاريخ المعارضات في الشعر العربي**:محمد محمود قاسم نوفل ،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١، ١٤٠٣هـ.
- **تتمة الأعلام للزركلي**:محمد خير رمضان يوسف،دار ابن حزم، بيروت ، ط١- ١٤١٨هـ.
- **التجديد الموسيقي في الشعر العربي**:د/رجاء عيد ،منشأة المعارف بالاسكندرية،بدون تاريخ.
- **تحفة النبلاء من قصص الأنبياء لابن كثير**:ابن حجر العسقلاني، تحقيق غنيم عباس غنيم،مكتبة التابعين، القاهرة،ط١، ١٤١٩هـ.
- **الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي**:عبدالرحمن الرافعي ،ط٣، ١٩٦٦م.
- **الجملة في الشعر العربي**:د/محمد حماسة عبداللطيف ،مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٤١٠هـ.
- **حديث الأربعاء**:د/طه حسين، دار المعارف ،مصر،ط١٢، دون تاريخ.
- **حديث القلم**:د/محمد رجب البيومي ،النادي الأدبي الثقافي بجده، ١٤١١هـ.
- **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**:أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي،تحقيق د/جعفر الكتاني،دار الرشيد للنشر ودار الحرية للطباعة-العراق،١٩٧٩م.

- **حياة شوقي**:أحمد محفوظ، مطبعة مصر.
- **خصائص الأسلوب في الشوقيات**:محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١م.
- **دراسات أدبية**:عمرالدسوقي ،دار نهضة مصر-القاهرة، ط٢، بدون تاريخ.
- **دراسات في الأدب الحديث**:د/حسن عبدالسلام، ١٤٢٠هـ.
- **دراسات في الشعر العربي المعاصر**:د/شوقي ضيف،٩٦، دار المعارف ، ١٩٥٩م.
- **دراسات منهجية في علم البديع**:د/الشحات محمد عبدالرحمن أبوستيت ، ط١، ١٩٩٤م.
- **الدين والأخلاق في شعر شوقي**:علي النجدي ناصف ،مطبعة كوستاتسوماس وشركاه،١٩٤٨م.
- **ديوان الأعشى الكبير**:شرح وتعليق د/محمد محمد حسين ،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط٧، ١٤٠٣هـ.
- **ديوان البارودي**:ضبطه وصححه وشرحه علي الجارم بك ومحمد شفيق معروف ، ١/١٥٥،دون تاريخ.
- **ديوان البحتري**:دار صادر-بيروت،بدون تاريخ.
- **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**:تحقيق/محمد عبده عزام ،دار المعارف،١٩٦٤م.
- **ديوان جميل بثينة** :دار صادر-بيروت،بدون تاريخ.
- **ديوان ابن الرومي**:شرح وتحقيق عبدالأمير علي مهنا، دار الهلال-بيروت،ط١، ١٤١١هـ.
- **ديوان ابن زيدون ورسائله**:شرح وتحقيق علي عبدالعظيم،دار نهضة مصر-القاهرة،بدون تاريخ.

- **ديوان شعر ذي الرُّمّة**:تحقيق زهير فتح الله ، دار صادر-بيروت، ط١ ، ١٩٩٥م.
- **ديوان أبي العتاهية**:دار صادر-بيروت، بدون تاريخ.
- **ديوان العقاد**:عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية.
- **ديوان علي بن الجهم**:تحقيق خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة-بيرت، بدون تاريخ.
- **ديوان أبي فراس الحمداني**:رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه ، دار صادر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
- **الديوان في الأدب والنقد**:عباس العقاد وإبراهيم المازني، دار الشعب، القاهرة، ط٤، بدون تاريخ.
- **ديوان المتنبي**:شرح عبدالرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ.
- **ديوان امرئ القيس**:تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف-مصر ، ط٣، بدون تاريخ.
- **ديوان النابغة**:صنعة ابن السكيت، تحقيق د/شكري فيصل ، دار الفكر، ١٣٨٨هـ.
- **ديوان أبي نواس**:تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٥٣م.
- **الرمز في الشعر السعودي المعاصر**:د/مسعد العطوي، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- **زهر الآداب وثمر الألباب**:أبوإسحاق الحصري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد وضبط د/زكي مبارك، دار الجيل ، ط٤.
- **شذرات الذهب**:أحمد إبراهيم الغزاوي، دار المنهل، ط١، ١٤٠٧هـ.

- **شرح ديوان أبي تمام**:إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١ ، ١٩٨١م.
- **شرح ديوان جرير**:ضبط وشرح إيليا الحاوي ، الشركة العالمية للكتاب ، ط٢، ١٩٩٥م.
- **شرح شعر زهير بن أبي سُلمى**:أبو العباس ثعلب، تحقيق د/فخر الدين قباوة، دار الفكر، سوريا، ط٢، ١٤١٧هـ.
- **شعراء العصر الحديث في جزيرة العرب**:عبد الكريم بن حمد الحقيل، ١٧ ، مطابع الفرزدق بالرياض، ط٢-١٤١٣هـ.
- **شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**:عباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية.
- **الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن** (١٣٤٥-١٣٩٥هـ):د/عبدالله الحامد، دار الكتاب السعودي، الرياض، ط٢، ١٤١٣هـ.
- **الشعر والشعراء**: ابن قتيبة، ١/٧٩، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث ، ط٢ ، ١٤١٨ هـ.
- **الشعر غاياته ووسائطه**:إبراهيم المازني ، تحقيق د/فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، ط٢، ١٩٩٠م.
- **الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث**:مصطفى عبداللطيف السحرتي، تهامة-جدة، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**:نشوان بن سعيد الحميري ، تحقيق أ.د.حسين العمري و مطهر الإرياني و أ.د.يوسف محمد عبدالله، دار الفكر العربي، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ.
- **شوقي بين الشعراء**:إبراهيم الأبياري، المجلد الأول من الموسوعة الشوقية، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

- **شوقي شاعر العصر الحديث**:د/شوقي ضيف ،دار المعارف،ط١٣.
- **شوقي**:شعره الإسلامي،د/ماهر حسن فهمي،دار المعارف،ط٢، بدون تاريخ.
- **شوقي في الأندلس**:د/أحمد أحمد بدوي،مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦١.
- **شوقي وقضايا العصروالحضارة**:د/حلمي علي مرزوق،دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨١،ط٢.
- **الشوقيات المجهولة**:د/محمد صبري، مطبعة دار الكتب،١٣٨١هـ.
- **شوقيات وشوكيات**:عبدالعزيز الربيع،إعداد وتقديم محمد صالح البليهشي، نادي المدينة المنورة الأدبي،ط١، ١٤٢٠هـ.
- **صحيح مسلم بشرح النووي**:دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط٤،بدون تاريخ.
- **الصراع الأدبي بين القديم والجديد**:علي العماري ،دار الكتب الحديثة، مصر،بدون تاريخ.
- **كتاب الصناعتين**:الكتابة والشعر،أبوهلال العسكري،تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية،بيروت،١٤٠٦هـ.
- **صنعة الشعر**:أبو سعيد السيرافي،تحقيق د/جعفر ماجد،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- **ضرورة الشعر**:أبوسعيد السيرافي،تحقيق د/رمضان عبدالتواب ،دار النهضة العربية،بيروت،ط١، ١٤٠٥هـ.
- **العروض القديم**:د/محمود علي السمان،دار المعارف ،مصر،ط٢-١٩٨٦م.

- **العمدة في صناعة الشعر ونقده**:ابن رشيق القيرواني ،تحقيق د/النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط١ ، ١٤٢٠هـ.
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**:ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ.
- **عيار الشعر**:محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق د/محمد زغلول سلام، منشأة المعارف-الإسكندرية، ط٣، بدون تاريخ.
- **عيون الأخبار**:ابن قتيبة، ٥٨١، تحقيق د/محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، ط٤ ، ١٤٢٠ هـ.
- **الغربال**:ميخائيل نعيمة، دار نوفل، بيروت، ط١٦ ، ١٩٩٨م.
- **الغزل في شعر شوقي**:د/عبده إبراهيم أحمد حسن ، بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر-القاهرة، ع ١٧ ، ١٤١٩هـ.
- **الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر(١٨٥٠-١٩٦٧)** :د/سعد دعبيس ، دار النهضة العربية، ط٣.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**:ابن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ.
- **فصول في الشعر ونقده**: د/شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، بدون تاريخ.
- **في صحبة الشعر والشعراء**: محمد عبدالغني حسن، عالم الكتب، القاهرة.
- **في النقد الأدبي**:د/شوقي ضيف ، دار المعارف، ط٨، بدون تاريخ.
- **في النقد الأدبي الحديث**:د/محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، ط١ ، ١٤١٩هـ.
- **القاموس المحيط**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط١ ، ١٤١٢هـ.

- قصة الأدب في مصر :د/محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ.
- قصص الأنبياء:إسماعيل بن كثير القرشي،تحقيق أحمد إبراهيم زهوة،دار الكتاب العربي،بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- قضايا في الأدب والنقد:د/ماهر حسن فهمي،٩،دار الثقافة،١٩٨٦م.
- الكامل في العروض والقوافي:محمد قناوي، بدون تاريخ.
- لسان العرب:ابن منظور ،دار إحياء التراث العربي،ط٢، ١٤١٣هـ.
- المتنبي وشوقي:عباس حسن،دار المعارف-مصر،١٩٦٤م.
- المسرح الشعري بعد شوقي:د/محمد عبدالعزيز الموافي ،نادي المدينة المنورة الأدبي،ط٢، ١٤١٥.
- مصر والسودان:د/محمد فؤاد شكري ،دار المعارف،١٩٦٣م.
- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية:د/عبدالحليم حفني،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دون تاريخ.
- المعارضات الشعرية –دراسة تاريخية نقدية:د/عبدالرحمن اسماعيل السماعيل ،النادي الأدبي الثقافي بجده،ط١، ١٤١٥هـ .
- المعارضات الشعرية في الأدب الحديث:د/محمد بن سعد بن حسين، النادي الأدبي،الرياض،١٤٠٠هـ.
- معجم البلدان:ياقوت الحموي،تحقيق فريد عبالعزيز الجندي،دار الكتب العلمية-بيروت،بدون تاريخ.
- مملكة الحجاز(١٩١٦-١٩٢٥):طالب محمد وهيم ،مركز دراسات الخليج ١٩٨٢م.
- الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي:د/عمر الطيب الساسي،مكتبة دارجده-بيروت،ط٢، ١٤١٥هـ.

- **الموسوعة الشوقية**:جمع وترتيب إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ.
- **موسيقى الشعر**:د/إبراهيم أنيس ،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٧، ١٩٩٧م.
- **موسيقى الشعر العربي بين القديم والجديد**:د/عزة محمد جدوع ، مكتبة ابن سينا، القاهرة،ط٢-١٤٢٣هـ.
- **ميزان الشعر عند العقاد**:د/طه مصطفى أبو كريشة ،دار الفكر العربي، ١٩٩٨م.
- **النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر**:د/حسن الهويمل، ، دارة الملك عبدالعزيز ،١٤١٩هـ.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**:أحمد بن المقرّي التلمساني،تحقيق د/إحسان عباس ، دار صادر-بيروت، طبعة جديدة،١٩٩٧م.
- **النقد الأدبي**:أحمد أمين ،دار الكتاب العربي،بيروت،ط٤، ١٣٨٧هـ.
- **النقد الأدبي الحديث**:د/محمد غنيمي هلال،دار العودة-بيروت،١٩٨٧م.
- **النقد التطبيقي والموازنات**:د/محمد الصادق عفيفي ، مؤسسة الخانجي ، ١٣٩٨هـ.
- **نقد الشعر** :قدامة بن جعفر،تحقيق د/محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة،ط١، ١٣٩٨هـ.
- **النقد والنقاد المعاصرون**:د/محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، القاهرة،دون تاريخ.

- **الوافي بالوفيات**:صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- **الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث**:د/عبدالعزيز العمران، ط١، ١٤٠٢هـ.
- **وحي القلم**:مصطفى صادق الرافعي، نحقيق سعد كريم الفقي ، دار القلم العربي ، سوريا، ط١، ١٤١٨هـ.
- **الوساطة بين المتنبي وخصومه**:القاضي الجرجاني، ١٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
- **الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم**:عبدالرحمن محمد القعود، مطابع الفرزدق، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- **الوطنية في شعر شوقي**:د/أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٣، بدون تاريخ.

ثالثاً:الرسائل الجامعية:

- **النزعة الدينية في شعر شوقي**:رجاء محمد منصور ، مخطوط-رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية في الأزهر بالقاهرة.
- **النزعة الشرقية في شعر أحمد شوقي**:عبدالفتاح السيد محمد الدماصي، رسالة ماجستير، مخطوط بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة.
- **المعارضة في شعر شوقي**:إبراهيم محمد إسماعيل عوضين ، مخطوط-رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية بالأزهر، القاهرة.

- **القصة على لسان الحيوان في الشعر المصري الحديث**:رفعت بركات محمد سرور، مخطوط-رسالة ماجستير-كلية اللغة العربية بالأزهر، ١٩٨٦م.
- **الدراسات النقدية حول شوقي**:عبدالناصر محمد السعيد، رسالة دكتوراه-مخطوط بكلية اللغة العربية بالمنصورة، الأزهر.
- **ثنائية التراث والتجديد في شعر شوقي الغنائي**:حمدي فاروق صالح ، رسالة دكتوراه، مخطوط بكلية الآداب ، جامعة الزقازيق فرع بنها، ١٤١٤هـ.
- **أثر المنفى في شعر البارودي وشوقي**: رفعت زكي عفيفي، رسالة ماجستير - مخطوط، كلية اللغة بالأزهر، ١٤٠٥هـ.
- **الصورة الفنية في أدب أمير الشعراء**:محمد عبدالرحيم سمان، رسالة دكتوراه-مخطوط بكلية اللغة العربية في الأزهر بالقاهرة.
- **شوقي ترجمان أمته**:محمد سلامة صالح سلامة، مخطوط-رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالأزهر، القاهرة.
- **الشعر السياسي عند شوقي**:علي أحمد محمد أحمد، رسالة ماجستير- مخطوط بكلية اللغة العربية بالقاهرة، الأزهر.
- **الرثاء بين شوقي وحافظ**:محمد قمر عالم بن عبدالسبحان ، مخطوط، رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالأزهر، ١٩٨٢م.

رابعاً:الدوريات:

- **فصول**:مجلة النقد الأدبي، عدد خاص بعنوان"شوقي وحافظ"، جزءان، أكتوبر/ نوفمبر/ديسمبر ١٩٨٢م.
- **مجلة الرسالة**:شركة النور، بيروت، بدون تاريخ.

مجلة أبولو:دار صادر-بيروت ، بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

التمهيد: ١١

- شوقي حياته وعصره. ١٣

- الغزاوي حياته وعصره. ٢٧

- مفهوم التجربة الشعرية. ٣٩

الباب الأول

بواعث التجربة الشعرية وأنواعها بين الشاعرين: ٤٥

- بواعث التجربة الشعرية وأنواعها عند شوقي. ٤٧

- بواعث التجربة الشعرية وأنواعها عند الغزاوي. ١٣٤

الباب الثاني

مضامين التجربة الشعرية بين الشاعرين: ٢١٣

- العاطفة. ٢١٥

- المعاني والأفكار ٢٧٥

- وحدة القصيدة. ٣٤١

الباب الثالث

وسائل التعبير والتصوير بين الشاعرين: ٣٧٣

- الألفاظ والأساليب ٣٧٥

- الخيال. ٤٥٥

- الإيقاع. ٥٠٧

خاتمة البحث. ٥٣٥

فهرس المصادر والمراجع. ٥٤٠

فهرس الموضوعات. ٥٥٢